أليزا فوجيلسون

مكتبة الاستعارة

رواية

#913

The Lending Library

مكتبة

ترجمة: نورهان البدوي

إهداء لـ ..

« مكتبة »

من جعلت باب الاستعارة مفتوحا

وأنا « قيم المكتبة »

#913

مكتبة الاستعارة

مكتبة | سُر مَن قرأ

عصير الكتب
لتجارة الكتب

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Lending Library
- العنوان العربي: مكتبة الاستعارة
- طُبِع بواسطة: Lake Union Publishing
- طُبِع بواسطة: ليك يونيون بابليشنج
- حُقوق النشر: أليزا فوجيلسون 2020
Text Copyright © 2020 by Aliza Fogelson
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- المترجمة: نورهان البدوي
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: أكتوبر/ 2021م
- رقم الإيداع: 22139/2021م
- الترقيم الدولي: 978-977-6902-51-0

مكتبة ٨ ٨ ٢٠٢٢
t.me/t_pdf

ألِيزا فوجيلسون

مكتبة الاستعارة

The Lending Library

ترجمة: نورهان البدوي

عَصِير الكُتب

مكتبة | سُر مَن قرأ

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الأول

كنتُ أتشمم غراء الكتب مرة أخرى.

«أحم!» سعلتْ كندرا برقة بينما تستدير حول الكَومة وتُفاجئني في بقعتي المفضلة من مكتبة شاتسورث، حيث ذاك الكرسي الإسفنجي المُثبَّت بزاوية على شكل مفتاح. كنتُ أحمل بين يدي كتابًا وكأنني واحدة من رُواد المكتبات المعتادين، وقد كنتُ كذلك، وباستثناء عاطفتي وشغفي العارمَين في قراءة الكتب وإعادة قراءتها، كنتُ أُمسك بالكتب بين يديَّ وأُحيط نفسي بها، أجل كنتُ أفعل ذلك، وأحيانًا يصل الأمر إلى أن أتشمم رائحتها. لم يكن ذلك مقتصرًا على رائحة الغراء النفَّاذة على الواجهة الجانبية للكتاب، بل رائحة الصفحات –التي عفا عليها الزمن أو التصقت بعضها ببعض بفعل الحبر الجديد– والحافظات القماشية القديمة وخيوط الكتان البالية. لم تكن رائحة المواد المُصنَّعة، بل رائحة الخيال والهروب.

لم أكن لأندهش إذا كانت كندرا تمارس عادات سرية خاصة بها لتهيم عشقًا بالكتب. على الأقل، كنتُ أتمنى لو أن هذا حقيقيٌّ. وعلى الرغم من كل شيء، كانت كندرا أمينة المكتبة في مدرسة شاتسورث الابتدائية، حيث بدأتُ العمل كمُعلِّمة للرسم الخريف الماضي.

- سأتفحص هذا الكتاب. هل أنتِ مستعدة دودي؟

أماءت كندرا ناحية الرواية التي أحملها، وقد كانت رواية «*حياةٌ ساحرة*».

- أجل!

أجبتُ هامسةً، وقبل أن أتبعها إلى مكتب التوزيع، ألقيتُ نظرة اشتياق أخيرة على كل تلك الكنوز التي ترقد فوق الأرفف.

أصدرَت هواتفنا أصواتًا خافتة تُعلن عن وصول رسالةٍ نصيةٍ جديدة، فأخرجت هاتفي من حاملي الذي ينطق دائمًا «يتم تفحصي لأجل الكتب فقط»، وكنتُ وكندرا نلهثُ بعد إخراج هواتفنا بينما كنَّا نقرأ رسالة صديقتنا سوليفان:

لقد تم الأمر! وسأتوجه إلى أديس أبابا غدًا. أنتقابل في مقهى أوليف بعد 20 دقيقة؟

- إنها ذاهبة إلى هناك بالفعل!

علَّقت كندرا.

- هذا أمر مشوقٌ حقًّا!

قلتُ هذا وأنا أصفق بيدي. فرفعتْ كندرا حاجبيها متعجبة. ولكن لِمَ لا أكون متشوقة لهذا الأمر؟ إنه طفل! طفلٌ لصديقتنا سوليفان!

وفي طريقنا عدتُ إلى الرد على رسالتها.

أسرعي! علينا حزم الحقائب وما إلى ذلك، وأيضًا لقد أخرجوا رقائق البسكويت من الفرن للتو!

وبعد عشرين دقيقة، اندفعتُ وكندرا عبر أبواب المقهى. كانت سوليفان تهزُّ رأسها بينما كنا نجلس، فقلتُ منفعلة:

- هل فوَّتناها؟ لقد خاطرتُ بحياتي وروحي من أجل رقائق البسكويت، والآن تقولين إنها نفدت؟

وتلاشت ابتسامتي في الحال.

- مهلًا، لم أكن أقود بتلك السرعة.

اعترضتْ كندرا.

- هذا لأنني أرغمتكِ على الإبطاء من سرعتك.

أجبتُ.

- ألم يكن الهدف هو الوصول هنا في أسرع وقت؟

قالت كندرا مُتندرة وهي تبتسم على الرغم منها.

- حسنًا! لم تنجحا في تحقيق الهدف.

علَّقت سوليفان بينما تشير إلى موضع الرقائق، ثم أردفت:

- ولكن هل تعتقدان أنني لن أحتفظ لكما بمكافأة على جهودكما؟

ناولتْ كلَّ واحدة منا كيسًا ورقيًّا مصنوعًا من ورق الشمع، وكنتُ لا زلت أشعر بدفء رقائق البسكويت التي يتصاعد بخارها من الداخل، فسال لُعابي.

- شكرًا لكِ!

- أنتِ الأفضل دائمًا!

- لقد انتظرتُكما حتى نتناول الرقائق معًا.

أضافت سوليفان بفخر التضحية.

يمكنني القول من خيوط الشوكولاتة الرفيعة على جانبي فمها إنها لم تنتظر فعلًا، ولكن هل يمكن لأحدٍ أن يلومها؟ إن رقائق بسكويت الشوكولاتة التي غادرت الفرن لتوها والتي يشتهر بها مقهى أوليف رقائق أسطورية، وأهم ما يميزها هو عجينة البسكويت الدافئة، بخلاف رقائق البسكويت الأصلية، كنتُ أحبها بتلك الطريقة (ومن الواضح أن معظم سكان شاتسورث كانوا يحبونها بتلك الطريقة أيضًا). وبعدما ضبطتني أمي ألعق بقايا العجين على خافق البيض طوال فترة طفولتي، كانت تمزح دائمًا بأنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون لقبي «دوو» الذي يُنطق بنفس الطريقة[1].

لم تنبس واحدة منا ببنت شفة، إذ كنا نستلذ بمذاق رقائق البسكويت، وقد فقدنا الإحساس بما حولنا في خليط من نكهة الفانيليا المستخرَجة من البوربون النقي وعبق القرفة الحارة والبيض زاهي اللون طازج الرائحة من المزرعة مباشرة، كل ذلك مخلوطًا برقائق الشوكولاتة الداكنة مُدخَّنة المذاق. كنتُ أغوص في حالة من الثمالة عند تناول المعجنات. وبينما كنتُ ألعق القطرات الذائبة من الشوكولاتة على أصابعي، عاد العالم من حولي ببطء إلى مساره الطبيعي.

(1) تُنطق الكلمات dough بمعنى «عجينة» واسم Do بنفس الطريقة. (المترجم)

- حسنًا، أخبرينا بكل شيءٍ الآن.

استأنفتْ كندرا بمجرد أن انتهينا من رقائق الشوكولاتة.

- وأخيرًا حصلتُ على جواز السفر والتصاريح من السفارة الأمريكية، ويمكنني العودة إلى إثيوبيا وإحضاره إلى هنا.

أجابت سوليفان.

- مُبارك! هذا رائع!

ثم جفَّفتُ دمعة سائلة على وجنتي. نظرتا إليَّ باستغرابٍ فعلَّقتُ قائلةً:

- هذا أمر رائع حقًّا.

كانت سوليفان صديقتي المقربة وقد تعارفنا في كلية الفنون التي التحقنا بها معًا، وهي السبب الأول وراء إقامتي الآن في شاتسورث. وقبل أكثر من عامين، قررت سوليفان أن الوقت قد حان لتصبح أمًّا، وباشرت في عملية التبني. وبعد أطنانٍ من المعاملات الورقية وليالي الأرق العصيبة، تمكنتْ من مقابلة ابنها منذ ستة أشهر. كان الانتظار منذ ذلك الحين مُحطمًا للغاية. والآن يمكنها أن تحضره إلى المنزل.

- متى ستُقلع رحلتك؟

- في العاشرة مساءً.

أجابت سوليفان.

- حسنًا، سأقوم غدًا صباحًا ببعض الأشياء.

قلتُ ذلك. في الحقيقة، لقد كرَّستُ جانبًا من خزانة ملابسي للهدايا التي اشتريتها للطفل الجديد طوال الأشهر الست الماضية؛ ملابس أطفال وبطانيات وأغطية وكتب. وبدأتْ الكَومة تزحف في المكان قليلًا وتسحره أيضًا.

- هل أنتِ مستعدة لتصبحي أمًّا؟

سألت كندرا.

- أنا على أتم الاستعداد. أحم. بالحديث عن الأمهات، ماذا تفعل أمي هنا؟

طرحت سوليفان سؤالها متطلعةً من وراء أكتافنا على ماكي أوريلي التي تشق طريقها إلينا.

- مفاجأة! لقد انتابني شعورٌ بأنني سأجدكم هنا أيتها الفتيات. حسنًا، ستأتين معي إلى التسوق سوليفان.

كانت ملامح ماكي التي تتمتع بعينين زرقاوين برَّاقتين تميلان إلى مسحة بندقية ووجه صغير مدبب الذقن على شكل قلب – تُلوِّح بمظهرٍ شبابي يافع حافظت عليه طوال السنوات الماضية.

نهضت سوليفان وأضاء وجهها بابتسامة عريضة، ثم قالت:

- عذرًا آنساتي؛ إنها نداءات الجدة.

- بالطبع! (قالت كندرا محتضنةً سوليفان لوداعها، ثم أضافت) رحلة موفقة!

- أنا سعيدة لأجلك، لا أطيق الانتظار لمقابلته.

قالت دوو.

- شكرًا لكِ دوو، سأطلِعكما على المستجدات.

أجابت سوليفان.

- هل ترغبين في اقتسام كعكة؟

سألتُ كندرا بعدما ذهبت سوليفان ووالدتها.

- بالطبع! ما رأيك بكعكة اليقطين بالكراميل؟

اقترحت كندرا.

- لِمَ لا؟

أجبتُ.

على الجانب الآخر من المقهى، كانت واحدة من الأمهات الشابات تُدثِّر طفلتها في عربة الأطفال. كانت صغيرتها ذات شعرٍ مُزين بطوقٍ صغيرورديِّ اللون، وفستان متعدد الثنيات، وتعلو وجهها ابتسامة عريضة. تركت الأم قبلة على جبين طفلتها، ثم ناولها زوجها فنجانًا من القهوة.

- ألا تريدين أن تكوني في محل تلك السيدة الآن؟ أو ربما سوليفان؟

قلتُ بصوتٍ حالم.

كيف يمكن لأي شخص ألا يعشق الأطفال وبشرتهم التي تعبق برائحة دافئة، ورؤوسهم الصغيرة المغطاة بزغب يشبه زغب الطائر الوليد؟ انظري

إلى تلك الغمازات التي تُقوِّض الوجنات الدبدوبية الممتلئة وضحكاتهم التي تشبه الحازوقة الصغيرة. لم أشعر قط أنني متعجلةٌ للزواج؛ لكنني أردتُ دائمًا أن أجد الشخص المناسب عندما يحدث ذلك. (هذا شيءٌ جيد أيضًا، حيث إن حياتي العاطفية في شاتسورث تكاد تكون منعدمة الوجود). لكن تلك العاطفة المُلحة لأن أُرزق بطفل تشبه الظمأ إلى الماء. إنني في الثانية والثلاثين من عمري ولا زال أمامي الوقت لذلك. لكنني دائمًا ما أتخيل نفسي امرأة متزوجة، لديها من الأطفال واحد على الأقل، بدلًا من أن أقضي عامًا ونصف دون حياة عاطفية. حتى تلك الأخيرة كانت بائسة مزرية.

ولأن عائلتي كانت صغيرة، لم تُتَح لي الفرصة حتى أُحاط بأطفال تكبر حولي، لذلك بدأت العمل كجليسة أطفال بمجرد أن أصبحت في عمر مناسب. وفي الحقيقة، قضيتُ الكثير من الوقت في الاعتناء بهؤلاء الصغار حتى ذلك الوقت الذي تخرجت فيه في المدرسة الثانوية، فقد ساعدتني الأموال التي وفرتها في تلك الفترة لتغطية الفصل الدراسي الأول من كلية الفنون. وبعدما تخرجت في الجامعة بعامٍ واحد، عَمِلتُ جليسة أطفال أجنبية في ضاحية من ضواحي باريس لطفلٍ يشبه أحد توابع طائفة الزِنْ البوذية وطفلهم الآخر الذي كان يبلغ ثلاثة أعوام، كان يشبه إحدى شخصيات سلسلة *مادلين* ويتصرف مثل تلك الوقحة ماتيلدا. إلا أن ذلك قد مرَّ عليه أكثر من خمس سنوات الآن، ولم تُرزق أي واحدة من صديقاتي أو حتى أي واحدة من شقيقاتي بأطفال، لذلك أنا أعاني نقصًا حادًّا في احتضان الأطفال.

هزت كندرا رأسها بعنفٍ حتى خرجتُ من أحلام يقظتي، فقالت:

- كلا بالطبع!

- تقصدين أنكِ لا تريدين أطفالًا في الوقت الحالي!

سألتُها.

- كلا! لا أريد *أبدًا* أن أنجب أطفالًا.

أجابت كندرا.

- ينتابكِ الآن هذا الشعور لأنكِ لم تلتقِ بالشخص المناسب بعد.

قلتُ.

- إنكِ مخطئة في هذا الأمر. هذا هو السبب الرئيسي الذي يجعلني لا أود إنجاب الأطفال. فبمجرد أن ألتقي بالشخص المناسب، أريد أن أكون قادرة على أن أتمتع بحبي لذاتي. أريد أن أمكث في الفراش حتى الظهيرة في كل عطلة أسبوعية.

أنهت كندرا حديثها ثم تفتَّح ثغرها عن ابتسامة شيطانية، ثم استكملت:

- وعندما نُغادر فراشنا أخيرًا، أود أن أكون قادرة على أن أدع يوم الأحد –أو أي يومٍ آخر– يسير دون تخطيط، دون أن أُكرر الروتين نفسه مرارًا وتكرارًا. وعندما يدعوننا أصدقاؤنا وافرو الثراء الذين سنحظى بهم في المستقبل إلى قضاء عطلة أسبوعية مفاجئة دون ترتيب على قاربهم في جنوب أي بلدٍ كان، أود أن أكون قادرة على أن أحزم أمتعتي من جواز سفر وثوب سباحة وأنطلق في رحلتي.

حسنًا! ربما كانت أسبابها مقنعة بعض الشيء، حتى إنه يمكنني أن أرى ذلك. لكنها لم تنتهِ بعد!

تابعت كندرا:

- أقصد أن كل هؤلاء الأشخاص الذين يفترضون أنني بحاجة إلى طفلٍ كي تكتمل حياتي، لم يذكروا شيئًا عن زواجهم! أليس من المفترض أن يكون وقوعك في حب زوجك أو زوجتك كافيًا؟ لقد حظيت بنصيبي من الأطفال في العمل على أي حال. وهذا لا يعني أنني لن أكون خالة رائعة لطفل سوليفان، وطفلكِ أنتِ أيضًا في المستقبل.

التزمتُ الصمت طوال حديثها، وكان من الممكن أن أسرد وأوضح كل الأسباب التي تجعل إنجاب الأطفال أكثر الأمور روعة وجوهرية في الحياة، ولكن على عكس حُجج كندرا، لم تكن حُججي منطقية بحتة. إلا أن أسبابها كانت منطقية. أما رغبتي فكانت أكثر من مجرد شعور، بل كنتُ على يقين من أن أحد أهدافي بالحياة أن أصير أمًّا. وهذا لا يعني أيضًا أنني سأدع كندرا –أو أي شخصٍ آخر– يطَّلع على مشاعري الدفينة ورغبتي الملحة في ذلك. بل

اعتقدتُ أن ما تفعله سوليفان –من تبني طفلٍ بمفردها– أمرٌ في غاية النبل والشجاعة.

غيَّرت كندرا مجرى الحوار وتساءلت:

- كيف هو حال المدرسة بالنسبة إليكِ؟

فبدأتُ حديثي:

- هناك تلك الطالبة التي أشعر بالقلق نحوها...

قلَّبت كندرا عينيها يمينًا ويسارًا مازحةً ثم قالت:

- ها قد حضرت روح دودي المُخلِّصة مرة أخرى. دائمًا ما تحاولين مساعدة الآخرين، بصرف النظر عما تتكلفه محفظتك الشخصية جراء ذلك أو سمعتكِ أو صحتكِ النفسية أيضًا.

وضعتُ يديَّ على أردافي في غضبٍ مفتعل. ثم انفجرت ضحكاتنا معًا. تابعتُ في إصرار:

- إن إلميرا بيل تحتاج إلى مساعدتي حقًّا.

كانت كندرا على دراية تامة بطبيعتي، على الرغم من أنه لم يمر سوى شهورٍ قليلة على مجيئي إلى شاتسورث. فقد نشأ كلٌّ من كندرا وسوليفان وترعرعا معًا، وأصبحتُ أنا صديقتهم بالوكالة.

كنتُ أدين بالكثير إلى سوليفان، ولا يمكنني الانتظار حتى أقدم كل مهاراتي في مجالسة الأطفال لتكون رهن إشارتها عندما تكون في حاجة إليها. لولاها لربما استمرت إقامتي البائسة في نيويورك باذلةً كل الجهد والمحاولات حتى أصبح فنانة، ولربما استمر إخفاقي مراتٍ ومراتٍ بدلًا من أن أقع في حب تلك المدينة وأهلها، ولربما شعرتُ بالوحدة المميتة في كلية الفنون حتى تضيق جدرانها عليَّ مع الوقت لولا وجودها. كانت تنتشر في الأجواء روح المنافسة الغريبة بين الكثير من الطلاب، ولكن لم تكن سوليفان واحدة منهن. وكانت أعمالها واحدة من أكثر الأعمال جاذبية وفتونًا: تلك اللوحات الزيتية الواقعية التي تُصور مكنون الشيء وحالته بصورة حية يبدو معها الشيء وكأنك تعرفه سلفًا.

وفي أحد الأيام قررت الذهاب إلى سوليفان بعد صف التصوير الخاص بنا، وبدأتُ حديثي.

- هل يمكنني أن أطرح عليكِ سؤالًا؟

- بالطبع! بالمناسبة عملٌ رائع.

ثم أشارت سوليفان إلى لوحات الرسم خاصتي.

- شكرًا لكِ!

أجبتُ على الرغم من أن لوحتي المبهجة قد بدت صبيانية بجانب لوحتها، ثم تابعتُ:

- كيف للعين أن تسمع أفضل من الأذن؟

ضحكت سوليفان، ثم صوبت رأسها نحوي –عندما أدركت أنني جادة في سؤالي– فتململتُ أمام نظرتها المباشرة المصوَّبة باتجاهي.

- أنتِ ... مشاغبة.

أجابتني بعد برهة من الوقت.

قد لا تكون المرة الأولى التي تُناديني فيها بتلك الصفة، لكن أحدًا من قبل لم يُخبرني بذلك مباشرةً دون مواراة.

- لا أدري إن كنتُ سأصف نفسي بالمشاغبة.

أجبتها.

- كم عدد أزواج الأحذية التي تمتلكينها والتي لا تكون بنية أو سوداء؟

بدأتُ أُحصي عدد أزواج الأحذية في رأسي، وكنت مستمرةً في الحساب والعد عندما قطعت سوليفان حبل أفكاري قائلةً:

- كم من المرات أحضرتِ مخبوزات بيتية إلى الحفلات؟ وهل ذهبتِ إلى عالم ديزني أكثر من ثلاث مرات عندما صرتِ امرأة بالغة ... باختيارٍ منكِ؟

ضحكتُ منها في تلك اللحظة.

- أجل، حسنًا! هذا ما ظننته أيضًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

أجابت سوليفان.

- الآن وقد أثبتنا أنني مشاغبة، هل ستشاركين معي سر إبداعك؟

- ليس هناك. كلما أسعفني الوقت، أُجري الكثير من الأحاديث مع الأشياء قبل أن أبدأ. وأعتقد أنني أنظر إلى ما هو موجود داخل الأشياء بالفعل فضلًا عما أريد أن أراه فيها أو عما تريدني الأشياء أن أراه فيها.

- يا إلهي!

أجبتُ بينما ألقي نظرة على دفتر الرسم أمامي. لقد رسمتُ العارضة وكأنها تمتلك عينين محدقتين. لقد كان شيئًا أشبه بتوقيعي، لكن الآن بدا وكأنني أفرض شيئًا ما على العارضة فضلًا عن أن ألتقط صورة حقيقية لها.

بدت سوليفان وكأنها تتلمس شعوري بالإحباط في ذاتي، لأنها أردفت سريعًا:

- أراها جميلة، لقد أحببت تصوير الضوء في عينيها.

- شكرًا لكِ!

ندَّ ثغري عن ابتسامة ممتنة، لكنني ما زلت غير مقتنعة بذلك. لقد جعلتني سوليفان أنظر إلى الأشياء بعينٍ جديدة؛ لم أتطرق قط إلى أنه يمكنني أن أستشعر ما إذا كانت العارضات ترغب في الحديث معي، وأن ما تخبرني به العارضات سيجعل لوحاتي تضج بالتفاصيل.

- اسمعي، هناك مجموعة منَّا يتناولون الشراب كل ليلة جمعة في شاجي دوج بوب في نحو الساعة السابعة. هل ترغبين في الحضور هذا الأسبوع؟

- بالطبع أود ذلك!

أجبتُ.

انتهى بنا الحال في ليلة الجمعة تلك إلى الجلوس في تلك الحانة حتى منتصف الليل، وكان هذا هو الحال في ليالٍ أخرى كثيرة. لقد بدأتُ أخيرًا في التعرف على الطلاب الآخرين الذين كانوا مُولَعين بالفن؛ كان النقاش يحتدم

بينهم حول كيفية إصلاح مشكلة برامج الرسم التي تتوقف في المدارس الحكومية، أو ما إذا كان امتحان الرسم نوعًا من التباهي، أو مَنْ كانَ أفضل رسامي عصر النهضة.

بعد ذلك، كنتُ وسوليفان دائمًا ما نضع حوامل اللوحات الخاصة بنا بجانب بعضها بعضًا. وفي بعض الأحيان نمكث طويلًا -بعدما ينتهي الصف- للرسم أو النقش. ما زال بإمكاني أن أسترجع تلك الرائحة الصمغية النفاذة للمرسم، وصوت الفرشاة التي تُغرز في رشة الألوان الجديدة على لوح الألوان. في تلك السنوات، لطالما كان الرسم هدفًا محتملًا.

في السنة النهائية، بدأ أعضاء الكلية في منح سوليفان العمولات لترسم لوحاتٍ عائلية ثم ترشيحها لأصدقائهم. وقد باشرت في القليل من العروض الصغيرة مع فنانين آخرين وباعت جميع لوحاتها الفنية.

- أنتِ حقًّا تنجحين في ذلك!

أخبرتُها بذلك في اليوم التالي لأحد معارضها بينما كنا نتناول المخبوزات احتفالًا بالمعرض.

- دوو! هناك شيءٌ يجب أن أخبركِ به.

- لقد حظيتِ بعرضٍ فردي في تشلسي، أليس كذلك؟

اختفت نبرة طفيفة من الغيرة النبيلة داخل حماسي وسعادتي لأجلها.

- كلا! بل سأعود إلى الديار.

- انتظري ... ماذا تقولين؟!

لقد كانت تُحقق نجاحًا باهرًا في نيويورك، وهذا أمرٌ نادرٌ حقًّا.

- إنني أفتقد حياة المدن الصغيرة، وقد اكتفيت من شرائح البيتزا التي تبلغ تسعة وتسعين سِنتًا للشريحة الواحدة على العشاء، واكتفيتُ من ضوضاء الجيران الغامضة التي تصمُّ الآذان ورؤية الفئران في قطار الأنفاق، وشعوري الدائم بالوحدة في كل مرة أضطر فيها للذهاب إلى مكان ما في ساعة الظهيرة.

- حسنًا، معكِ كل الحق.

لم أتمكن من إنكار شعوري المماثل، الذي يزداد على ذلك في كثير من الأحيان. إلا أنني تابعتُ:

- لكنكِ تُبلين بلاءً حسنًا هنا، ألا تريدين الانتظار لبضعة شهور أخرى؟

كان الصمت مطبقًا على شفتي سوليفان قبل أن تُجيب:

- الحق أن هناك منزلًا لطالما أحببته. إنه مبني على الطراز الاستعماري، وله حديقة رائعة يحدُّها جدول من المياه الجارية. لقد اعتدتُ المرور عليه في طريقي إلى المدرسة كل يوم، وهو الآن للبيع. وأعلم جيدًا أنني سألوم نفسي إن لم أضحِّ من أجله. إنها الطريقة المثالية التي أود أن أنفق فيها الأموال التي اكتسبتها هنا من معارضي الفنية.

تُضحي لأجل حبها لمنزل... أعتقدُ أنني أتفهم هذا. فأنا أتفحص صفحات العقارات كل أسبوع على الرغم من أنني لم أكن أنوي الانتقال.

- ماذا ستعملين هناك؟ أستستمرين في الرسم وتحافظين على تقديم لوحاتكِ هنا؟

عُدتُ لطرح أسئلتي.

- أجل ... وكلا. أود أن أنجح في أن أكون رسَّامة لوحات في شاتسورث. وقد كانت مُعلمة الرسم في مدرستي الابتدائية تعمل مُعلِّمةً للرسم كمهنة جانبية لسنوات، لكنها قررت التخلي عن الأمر، مما يترك فرصة شاغرة لي، حيث إنها كانت البارعة الوحيدة في عملها كمُعلمة للرسم في المدينة.

بدا وكأنها تنتقل إلى المرتبة الأقل، لكنه أمرٌ رائع. أجبتُ:

- سأفتقدكِ كثيرًا، لكنني سعيدة لأجلك. ومن الواضح أن هذا هو ما تُريدينه بالفعل.

عانقتني سوليفان مُعربةً عن شكرها لي، ثم قالت:

- من يدري! ربما يمكنني إقناعك بالانتقال إلى شاتسورث أيضًا عندما تسأمين من هذا المكان.

مثل أي شخص آخر في الحياة، عايشت في نيويورك نجاحاتي وإخفاقاتي. لكنني لم أتخيل بالفعل أنني سأغادر يومًا، وأعلم على الرغم من كل شيء أنني سأزور سوليفان، وأرى بنفسي سحر المدينة التي تتحاكى عنها.

لقد استغرق الأمر مني عامًا ونصف حتى أزور سوليفان. ففي ذلك الحين، كانت أعمال سوليفان ناجحة للغاية، حتى إنها بدأت في رفض العمولات من جميع أنحاء المنطقة، ومن ناحية أخرى، صديقتها الحميمية، إليزابيث، قد شدت الرحال أخيرًا وانتقلت للعيش مع سوليفان بعد علاقتهما المتقطعة.

وصلتُ إلى مدينة شاتسورث أحد صباحات الربيع المنعشة في سيارة أجرة. وشعرتُ مع تلك الرحلة –التي استمرت لساعتين– بأنني أتحرر من وتيرة المدينة المسرعة وحركة المرور المزدحمة بها. على جانب الطريق كانت تنتشر الأراضي الخضراء الخصبة التي تحيط المتنزهات، وأمكنني وقتها أن أتنبأ بعطلة أسبوعية مثالية.

كانت مدينة شاتسورث تقع على بعد عشرين دقيقة من المخرج الأقرب، بعد مدينتين صغيرتين تنتشر بهما أحياء سكنية قليلة لطيفة المظهر. أبطأتُ من سيري بينما كنت أقترب من وسط مدينة شاتسورث، حيث يقع الملف الدائري الذي تتخلله أكشاك الحديقة وتُحيط الأشجار بها من المنتصف. تابعتُ زوجَين وأطفالهما يلعبون لعبة الملاحقة حوله. على الجانب الشرقي للملف الدائري، يمتد شارع ضيق تصطف على جانبيه المتاجر الظاهرة للعيان من مسافة ست بنايات. سِرتُ باتجاه الشارع حتى جاوزت المدرسة الابتدائية التي سينتهي بي الأمر بالعمل بها، ثم وجدتُ الحي الذي تعيش فيه سوليفان.

وعلى مدار اليومين التاليين، أخذتني سوليفان في جولة حول المدينة ومهدت لي الطريق حتى أتعرف على مكتبة شاتسورث. أعتقد أن الشعور الذي تملكني عندما عبرت قدماي الأبواب – ورؤية النوافذ التي ترتفع من

الأرض حتى السقف، لتنفذ أشعة الشمس خلالها فتسلط ضوءًا برَّاقًا على الكنز الذي ينتظر على الأرفف الخشبية المتآكلة التي تنتشر في الغرفة، وزاوية القراءة التي ستكون بقعتي المفضلة، أكثر البقع سحرًا في مبنى المدرسة، ومجموعات القراءة الغارقة في المناقشات – أعتقد أن هذا الشعور قد خُلِق لأجلي.

في نيويورك، تحطمت أحلامي في أن أصير رسَّامة عندما تعرَّض معرضي الفني الأول لمهاجمة الصحافة. وتهشم قلبي عند انفصالي عن صديقي دانيال. كان قد أقحمني في حياة مليئة بالإثارة والمغامرة، تلك الحياة التي يعيشها بصفته مُصممًا للأزياء، لكنها بالنسبة إليَّ كانت تشبه فستانًا جميلًا لم يُلائمني قط. أما الآن، أقف في مكاني هذا مُحاطة بالطبيعة الخضراء، أحيا حياةً هادئة –تمامًا مثلما تمنيت– يملؤها أشخاصٌ ودودون. شعرتُ وكأنني أفقد شيئًا ما عندما غادرت شاتسورث، وكأن جزءًا من كياني كان مُحطمًا لوقت طويل، ولم أكن أدري عنه شيئًا حتى تلك اللحظة. عُدتُ إلى حياتي في المدينة مرة أخرى، لكنني لم أمَل قط من زياراتي إلى شاتسورث، وخيالاتي عما يمكن أن تبدو عليه حياتي فيها. وعندما أخبرتني سوليفان بعد ثلاث سنوات بأن مُعلِّمة الرسم في المدرسة الابتدائية ستنتقل إلى كاليفورنيا لتعتني بوالدتها المُسنَّة –وهو الوقت الذي أنهيت فيه مؤهلي في التربية الفنية– أدركتُ أن القدر يمنحني فرصة جديدة. وأدرك حدسي الداخلي أن مشاهدة الأطفال وهم يكتشفون مواهبهم الخاصة ويخلقون أشياء جديدة سيكون مُرضيًا لنفسي وكياني مما ستفعله أي مراجعة فنية جديدة.

وبعد مرور شهرين من سنتي الأولى التي قضيتها في التدريس، تأكدتُ أنه ليس من المفترض أن يُفضِّل المُعلِّمون أحد الطلاب على الآخرين، ولن أعترف أبدًا لأي أحد أن لدي طالبًا مفضلًا. ولكن أكان سرًّا حقًّا عن الآخرين أنه قد يكون هناك طالبٌ يتمنى المُعلِّم لو يعتني به؟ ربما طالب واحد يحتاج إلى المزيد من الرعاية! قد يكون هناك آباءٌ حمقى لا يشجعون مواهب أطفالهم، ويبثون فيهم دائمًا الشعور بأنهم قطعة الأحجية غير الملائمة، أو الفرد الناشز من القطيع! هؤلاء الآباء الذين يتغافلون دائمًا عن اصطحاب أطفالهم

بعد المدرسة، فيظل الطفل منتظرًا لساعات، شاعرًا بالهجر والتخلي، بصحبة أي من المُعلِّمين الذين يكونون بالقرب حينها، حتى يتذكر أحد الأبوين أخيرًا فيلملم شتات نفسه ويُصحح فعله، فيترك موعد العناية بالأظافر أو التدريب، ويأتي متأففًا لاصطحاب طفله الذكي اللطيف! - بالطبع أتحدث من الناحية النظرية.

- شكرًا لكِ إلميرا!

أفقت من شرودي وحييتُ إحدى طُلابي التي مرَّرت إليَّ بعض الكتب، ثم تابعتُ:

- كيف هو حالك في صف الآنسة جرانجر؟

اعتادت إلميرا بيل أن تُساعدني في ترتيب الأغراض من حين لآخر بعد صف الرسم. فدائمًا ما كنتُ أفضِّل أن تنتشر كتب الرسم والكتب المصورة في أنحاء صفي حتى تُلهم الأطفال بأفكارٍ جديدة.

- رائع! إننا نقرأ الآن رواية *آن في المرتفعات الخضراء*(1).

أجابت إلميرا ضاحكة.

- حقًّا؟! أليس هذا من مقررات الصفوف الوسطى؟

فقد كانت إلميرا في الصف الرابع.

- أجل. حسنًا، أنا من يقرأ رواية *آن في المرتفعات الخضراء*.

اعترفت إلميرا بخجل.

- هذا رائع! تعلمين أنكِ تمتلكين الكثير لتفخري بنفسك، أليس كذلك؟

- لكن أمي تعتقد أن عليَّ تحسين علامتي في الصف.

حاولت أن أضبط أنفاسي وأسحب الهواء خلال أنفي بهدوء. إن إلميرا طالبةٌ متميزة وتحصل دائمًا على العلامات النهائية. ربما ينتقص منها درجة أو درجتان على الأكثر، لكنها لا تقل عن ذلك أبدًا. وفكرتُ في محاولة تهدئة النيران المشتعلة بداخلي.

---

(1) عنوان الرواية الأصلية Anne of Green Gables، ترجمة: دار عصير الكتب. (المترجم)

- هل تساعدكِ في أي من فروضك المنزلية؟

طرحتُ سؤالي على إلميرا محاولةً أن أحيد بنبرة صوتي عن الحكم المطلق على أمها.

- كلا، لم أطلب منها ذلك قط؛ فهي دائمًا منشغلة مع أخي الصغير، تيدي. وقالت بأنني صرتُ فتاة ناضجة بما يكفي حتى أعتني بنفسي.

فكرتُ أن «مممم ... *ماذا؟!*» ثم تابعتُ:

- هل استمتع والدك ووالدتك بالحفلة الموسيقية للخريف؟

كانت إلميرا رائعة حقًّا في تلك الليلة. وقبل عرضها الفردي، بدت وكأنها ستنقلب على جانبها من رهاب المسرح، لكن في اللحظة التي أمسكت بالميكروفون بين يديها، صدحَ صوتها واضحًا عذبًا حتى كنَّا جميعًا فاغري الأفواه من الذهول.

همستْ إلميرا:

- لم يحضر والداي.

لم أرَ عائلة بيل من قبل، لكنه بدا من غير المعقول أن يفوتهم هذا الحفل. فقد تألقت إلميرا في أداء واحد من أهم العروض الفردية الحصرية.

- أنا آسفة لأجلك!

همستُ لها.

عقدت حاجبيها ثم قالت:

- هذا غريب، لقد وعدانني بالحضور، وبأنهم قد عينوا جليسة الأطفال لأجل أخي الصغير، لكنني بحثتُ عنهم كثيرًا ولم يكونوا في أي مكان. لم يحظَ أبي بالفرصة لأداء تمارينه الرياضية الأسبوع الماضي، وكانت ليلة الحفل هي الليلة الوحيدة التي يمكنه فيها فعل ذلك. أما أمي فقد حصلت على موعد لتقليم أظافرها بينما كانت جليسة الأطفال حاضرةً لتراقب تيدي.

قلت في نفسي: *اهدئي دودي! اهدئي وتنفسي عميقًا.* لكن الأوان قد فات على تهدئة النيران المشتعلة، وشعرتُ كما لو أنني مثل شقائق النعمان الغارقة في قاع المحيط. يمكنني أن أسمع صوت العقل في الأعلى، ولا يمكنني أن أُطبِّق بيدي أيًّا من الأفعال القاسية المرعبة التي كان يصورها عقلي على والدَي إلميرا. لقد حاولت استحضار مشهد شقائق النعمان الهادئة الساكنة التي تبهج القاع بألوانها الصاخبة، لكن لم يُفلح الأمر، واشتعل الغضب.

الحقيقة أن حالة إلميرا قد لامست وترًا حساسًا في حياتي، فلم تكن موهبتها الفنية وعشقها للكتب هما السببان الوحيدان اللذان جعلاها تُذكرني بنفسي. كان أبي قد تخلى عن أمي وعن شقيقاتي وعني عندما كنتُ في سن الرابعة. لكن الحال قد انتهى بي في أحضان أبوين مُحبين معظم سنوات طفولتي، وأشكر الله على ذلك. إن أمي امرأة رائعة، كانت موجودة دائمًا لأجلنا، حتى قبل أن يدخل زوج أمي إلى حياتنا. تمنيتُ لو أستطيع أن أُعفي إلميرا من الألم الذي شعرتُ به في كل مرة قد فوَّت والدي –الذي لم أطلق عليه أبي الآن– مناسبات مهمة في حياتي؛ أعيادُ ميلادي ومراسم بلوغي[1] وحفلات تخرجي...

سلمتُ إليها كومة الكتب، ثم قلتُ:

- أنتِ رائعة إلميرا. لا يقتصر الأمر على أنكِ رسَّامة جيدة، بل ومغنية رائعة أيضًا، وأمينة مكتبة ماهرة.

بينما تلتفت إلميرا لتضع المزيد من الكتب على الأرفف، اعتقدتُ أنني لاحظتُ محاولتها السريعة لالتقاط أنفاسها، وبادرة ابتسامة خجلة تعلو وجهها.

***

(1) وفقًا للقانون اليهودي – عندما تبلغ الأنثى عمر الاثني عشر عامًا، تُصبح شخصًا مسؤولًا عن أفعاله، وفقًا لطائفة اليهود الأرثوذكس واليهود المحافظين. (ويكيبيديا) (المترجم)

أفزعني أنوب عندما دق جرس الباب بعد الظهيرة في اليوم التالي بعدما عدتُ من المدرسة إلى المنزل. كان رجلَ بريدٍ لطيفًا، ولم يبدُ عليه التأفف من صعود الدرج وإحضار رسائل البريد إليَّ، فضلًا عن وضعها في صندوق البريد مثلما يفعل مع الآخرين.

كان الطلاب في صفي مشاغبين طوال اليوم، وظل التفكير في حال إلميرا يسبب لي القلق والأرق طوال اليوم. كنتُ أتمنى لو لم يُسلم إليَّ أنوب أي أخبارٍ سيئة، مثل أوامر استدعاء من هيئة المحلفين، حتى لا يزيد الطين بلة. كنتُ منزعجة حقًّا، لكنني أطبقت ابتسامة على وجهي على أي حال لتحيته:

- مرحبًا، أنوب.

- مرحبًا آنسة فيرسيل.

رد تحيتي بينما يُخرج من حقيبته بطاقةً بريدية مرسلةً إلي، متأرجحًا بجسده الممتلئ للأمام والخلف، وفكرتُ في أن السبب وراء ذلك هو الفضول تجاه المُقيمين الجدد في المدينة.

وللمرة المائة أجبته:

- أرجوك! لا داعي لأن تُناديني الآنسة فيرسيل. نادني دودي.

لامس أنوب قبعة وينسلو هومر ذات اللون الأزرق القاني التي يرتديها ثم قال:

- يومٌ سعيد، آنسة فيرسيل!

- شكرًا لك على الرسائل.

لقد كان الأمر مناقضًا تمامًا لما كنتُ أخشاه، وما كنتُ أتمناه أيضًا: بطاقةٌ بريدية من شقيقتي الصغرى، كوكو! اعتادت دائمًا أن تُزين واجهة البطاقات بتلك اللوحات الصغيرة الرائعة. وفي هذه المرة، كانت فتاةً صغيرة تُحدِّق إلى ذراعيها كما لو كانت بانتظار شيء ما.

«أُرسل إليكِ تحياتي من شمال السودان! اليوم وضعتُ أنا ومارك الحجر الأخير في مبنى المدرسة. كان الجو شديد الحرارة، لذلك عندما انتهينا، خرجنا إلى السباحة مبتهجين. وقبل أن تلامس أرجلنا الماء، حذرنا الجميع

من دودة غينيا. هل سمعتِ بها من قبل؟ دعينا نقول إنني حاولت إغلاق فمي حتى لا أبتلع أي قطرة من الماء في أثناء السباحة. وإذا ساء الأمر وابتلعت بعض الماء، فبعد عامٍ من الآن، ربما تجدون دودة بطول 3 أقدام تخترق أحشائي نحو السطح. أخضع الآن للمتابعة. قبلاتي! كوكو».

وَرِث مارك أطنانًا من المال عندما تُوفيت عمته، وقررا هو وكوكو قضاء العام التالي لزفافهما في السفر حول البلدان النامية لأداء الأعمال الإنسانية. وقد عَمِلَ مارك مهندسًا، لذلك فهو يمتلك المعرفة الكافية لبناء المنازل والمدارس. وقد وظَّفت كوكو مهاراتها في التمريض لمعالجة المرضى وتزويد سكان المدن التي تنزل إليها بالمعرفة حول الرعاية الطبية الأساسية.

لقد افتقدتُها كثيرًا. كانت كوكو وأختنا الكُبرى –مادي– من أقرب الأصدقاء إلى قلبي في العالم بأكمله. وكانت شاتسورث تبعد بضع ساعات عن مدينة نيويورك حيث تعيش مادي. وكنا نحن الاثنتان نبعد بأقل من ثلاث ساعات عن مقاطعة أولستر حيث تعيش أمي مع زوجها، زوجها الذي كان يُعد أبًا لي منذ أن كنتُ في الثامنة من عمري. تمكنتُ وعائلتي من البقاء على الاتصال ورؤية بعضنا بعضًا كل بضعة أشهر، وفي بعض الأحيان –عندما تعم أجواء العطلات أو أعياد الميلاد– يمكننا زيارة بعضنا أكثر من مرة في شهرٍ واحد. وما بين تلك الزيارات المتقطعة تشتعل خطوط الهواتف بالحديث عدة مرات أسبوعيًا. أما الآن، فقد أصبح الأمر مع كوكو يشبه السباق مع الزمن، حيث تحصل منه على ما تستطيع الحصول عليه، نظرًا لضيق فرصها في الوصول إلى التكنولوجيا. ودائمًا ما أتوقع منها إرسال بطاقات بريدية؛ تلك التي يشبه الواحد منها خطابًا من الجنة.

خلال ثلاثة أسابيع ستصل إلى مدينة الخرطوم، حيث تتوفر الهواتف، وحينها يمكننا أخيرًا أن نستمتع بمحادثتنا الطويلة الثرية وتشتعل الهواتف بأصواتنا المجلجلة.

في تلك الليلة، تدثَّرت أسفل أغطيتي، محاوِلةً التهام الهواء المنعش العليل الذي يعبر من النافذة، سعيدةً بالعودة إلى أحضان فراشي ومخدتي. مبتهجة، تسري في أوصالي شحنات كهربية تنشر الراحة والطمأنينة التي تصل إلى

الكمال. باستثناء أنني أمتلك سريرًا واسعًا، يصعب على أحدهم أن يستريح عليه بمفرده.

كان جزءٌ بسيطٌ بداخلي يرغب في الاعتراف بأن الخلفيات الموسيقية والذبذبات المستمرة التي تعج بها ليالي نيويورك أصبحت تشبه الضجيج الأبيض[1] الذي تستمع إليه وقت النوم لتهدئة الأعصاب طوال السنوات التي قضيتها هناك. إنني أحب شاتسورث، ليس مجرد حب، بل أنا واقعة في غرامها مثلما يقع الكعك في غرام الشوكولاتة. ومع ذلك، لا يمكنني سوى الاعتراف بأن الهدوء المنعش الذي يغلف شاتسورث يمكن أن يكون أحيانًا هادئًا للغاية. وإذا كنتُ من هذا النوع من الأشخاص الذين يشعرون بالوحدة سابقًا، فمن الممكن أن أشعر بقدرٍ ضئيل من الوحدة الآن. ولهذا السبب من الجيد أنني لستُ من هذا النوع من الأشخاص الذين يشعرون بالوحدة.

وتحسبًا لشعور الوحدة الذي يطرق الأبواب دون سابق إنذار، فقد فكرتُ على الأقل في المكان المنعزل الذي يمكنني فيه ممارسة وحدتي، ووجدت أنها مكتبة شاتسورث، حيث يقبع أصدقائي القدامى داخل جدرانها، هؤلاء الأصدقاء الذين يُلهمني حنوهم، وتأسرني مغامراتهم، وتُؤنس وحدتي، منذ وقتٍ طويل تعجز ذاكرتي عن استحضاره. لولا ذلك ما كانت ماريان داشوود في *عقل وعاطفة*[2] لتكون عابسة أمام حسائها طوال الوقت بسبب كونها عزباء دون صديق. وما كانت الآنسة نيلسون[3] لتختفي مرة أخرى بسبب آثار الثمالة التي تركها عليها الإفراط في تناول الآيس كريم في حفل الشفقة

(1) White Noise: الضجيج الأبيض هو نوع من الضجيج أو الأصوات التي تجمع الترددات كافة والتي يستطيع الإنسان سماعها، والتي تقع في مجال الطيف الترددي ما بين 20 إلى 20 ألف هرتز. (المترجم)

(2) Sense and Sensibility: عقل وعاطفة كتاب من قبل جاين أوستين. (المترجم)

(3) Miss Nelson is Missing: اختفاء الآنسة نيلسون، كتاب من قبل هاري آلارد. (المترجم)

للسيدات العزباوات الذي أقامته. ولم تكن لتختفي فيولا سوامب[1] أيضًا. ولكانت الجميلة روزليند في *كما تشاء*[2] قد ارتدت ملابس الرجال وخرجت لتبحث عن حبيبها، ولكانت ... حسنًا على أي حال ... إنها المكتبة! لقد قررتُ أن هذا المكان هو ما سأتوجه إليه غدًا، وأخيرًا غطَطُّ في نومٍ عميق تسبح فيه الصور حيث أقبع في زاوية القراءة المفضلة لديَّ محاطةٌ بالكتب وأشعة الضوء التي تستقبلها النافذة فينتشر الضوء الدافئ.

---

(1) شخصية في كتاب Miss Nelson is Missing، تميزت بطباعها الحادة وبث الرهبة في نفوس الأطفال. وفي النهاية نكتشف أن فيولا سوامب هي نفسها الآنسة نيلسون. (المترجم)

(2) As You Like It: كما تشاء، مسرحية من قبل وليم شكسبير. (المترجم)

الفصل الثاني

لامستُ شاشة هاتفي الرنان لأجيب على المكالمة دون أن أنحرف عن الطريق. وعندما تمكنتُ من استقبال المكالمة وضغطتُ زر مكبر الصوت، سمعتُ كلمات كندرا آتية من بعيد:

- أين أنتِ؟

مكتبة
t.me/t_pdf

صحتُ:

- ذاهبةٌ إلى المكتبة.

أجابت كندرا ساخرة:

- كما لو أنكِ ذاهبة على سبيل التغيير. (ثم أضافت) تعلمين دودي أن مكبر الصوت يُضخم صوتكِ، أليس كذلك؟

حاولتُ تهدئة وتيرة صوتي:

- أعلم ذلك. وأجل إن بطاقتي المكتبية تُعاني ذوبان الحبر والكلمات فوقها مدة الشهرين الماضيين لكثرة استخدامي إياها. هل تحتاجين إلى شيء؟

قالت كندرا مازحةً:

- كلا، لقد اعتقدتُ أن السيرة الذاتية الجديدة التي تبلغ خمسمائة صفحة للسيدة أبيجيل آدمز، والتي قد اشتريتُها معكِ يوم *الأربعاء* ستكون كافية لي لبعض الوقت.

- حسنًا، إنني الآن في موقف انتظار السيارات، سأعاود الاتصال بكِ لاحقًا.

كان بإمكاني التحدث معها طوال الطريق حتى أصل إلى باب مدخل المكتبة، لكنني فضَّلتُ الاستمتاع باللحظة والشعور بالنشوة قبل أن أبدأ رحلتي إلى الداخل، وأنا على علمٍ بأن خياراتٍ لا حصر لها تنتظرني هنالك.

عندما كنتُ أعيش في مانهاتن تكررت زياراتي كثيرًا إلى سوق الزهور. وأول ما كنتُ أفعله في صباح كل يوم هو الذهاب إلى هناك، أحمل كوب الشاي في يدي وأقطع الطريق سيرًا حتى منتصف السوق، تمامًا حيث تجتمع جميع الروائح العبقة وشذى الزهور وعبيرها، ثم أنعطف من صفوفٍ إلى أخرى. أحيانًا ما كنت أُفضِّل شراء نبات الأقحوانة الجربارة بلونها الأحمر أو البرتقالي، وأحيانًا أخرى تأسرني زهور التيوليب الفرنسية الصفراء التي تتخللها عروقٌ قرمزية – كما كنتُ أخطط حينها. وفي أوقاتٍ أخرى ينتهي بي الحال مصطحبة إلى المنزل شيئًا غير متوقع؛ غصنًا من زهور الكرز أو أزهار صفصاف الهرة. كان كل ما أحضره إلى المنزل من تلك الزيارة دائمًا ما يكون مثاليًّا. أما عن زيارتي إلى المكتبة فقد كانت تشبه زيارتي إلى سوق الزهور أيضًا؛ يمكنك أن تحصل على ما جئت لأجله تمامًا، أو يمكنك أن تُدهش نفسك بمختارات جديدة ومختلفة. على الأقل ليس عليك أن تُسدد مقابلًا لما تحصل عليه من المكتبة!

كانت مكتبة شاتسورث تقع داخل سور مستطيل صلب كريمي اللون، يضم على جانبيه قطعتين أخريين من أجل غرفة الخدمات السمعية والبصرية ومعمل الحاسوب، على عكس الكثير من مكتبات نيو إنجلاند التي تقع داخل مبانٍ مدرسية من الحجارة. بدت الألواح كما لو أنها حجر صغير في البناء الضخم، وبخاصة أن المصاريع في كل نافذة قد طُليت بطلاء أخضر باهت بدا مصقولًا. عادةً ما كان الناس يسيرون نحو المبنى هامسين بأصواتٍ هادئة، ويغادرونه وكأن أرواحهم قد سكنتها عوالم أخرى مثيرة. «*أما اليوم فقد كانت الأجواء هادئة تمامًا*» – هكذا قلتُ في نفسي. في الحقيقة لم أسمع دبيب أقدام تغادر المبنى، أو أقدامٍ أخرى تُهرول نحوه. ما عداي أنا.

كان الظلام الدامس يُغلف عالم المكتبة، غاص قلبي في صدري عندما وقعت عيناي على تلك اللافتة التي تقول: **مُغلق للتحسينات إلى أجل غير مسمى.**

تصلبت قدماي في موضعهما لدقائق عديدة، حتى انفتح الباب المؤدي إلى الغرف الإضافية، وظهر الجزء السفلي لصديقتي جيرالدين التي تعمل مساعدة لأمينة المكتبة، ثم طل وجهها بينما تسحب حقيبة النفايات.

أسرعتُ نحوها بينما كانت تُلقي بها في مكب النفايات. خلعتْ جيرالدين القناع الطبي عن وجهها وقالت دون نبرة اندهاش أو مفاجأة:

- مرحبًا دودي! يا لسوء الحظ!

- ماذا حدث؟!

خرجت الكلمات من فمي متناثرة.

- إزالة الأسبستوس(1).

أجابت جيرالدين وهي تحك وجهها.

- وما القدر الذي يحتاج إلى الإزالة؟

- ليس لدي فكرة، يبدو وكأنها تحتاج إلى الكثير. فقد ذهب طفلٌ من عائلة ماكليناهان للتجول بمفرده، بيد أن قدمه قد غرست في الأرض التي كانت في الواقع هي السقف، وبدأ الحرير الصخري في التساقط في أثناء حلقة القصة بالأمس.

- ألم يكن أحدٌ يعلم بالأمر؟ وكيف حدث ذلك؟

رفعت جيرالدين كتفيها باستهجان ثم أضافت:

- ربما كانوا على علمٍ بذلك، ولكن لم يفعل أحدهم شيئًا. على أي حال عليهم أن يفعلوا شيئًا الآن.

- لماذا؟

(1) الأسبستوس / الحرير الصخري: هو مادة رمادية بيضاء لا تحترق بسهولة وتُستخدم في المباني. (المترجم)

طرحتُ سؤالي والحزن بادٍ على صفحات وجهي على الرغم من معرفتي بالإجابة مسبقًا. لم أكن أنوي البقاء داخل مبنى مصاب بتساقط الحرير الصخري أكثر مما يرغب فيه الشخص الذي يقف بجانبي.

- لأن الضابط فريدريك كان حاضرًا في حلقة القصة مع ابنة أخيه في ذلك الوقت.

- حقًّا؟!

- أجل، وقد أوضح مسؤول المعاينة أن أسلاك الكهرباء وأنابيب المياه قد عفا عليها الزمن، لذلك قد يتطلب الأمر إجراء إصلاحات ضخمة في أثناء إزالة الحرير الصخري. ولن يكون الأمر غريبًا إذا استغرق الإصلاح مدة طويلة تصل إلى عُطلة الكريسماس التالية، وهذا بالنظر إلى المدة المستغرَقة لتجديد مكتبة ديربيشاير.

أوضحت جيرالدين بحماس.

حاولتْ رئتاي سحب الهواء ببطء شديد عبر أنفي، ثم علَّقتُ:

- مكتبة ديربيشاير؟

لقد ذهبت إلى تلك المكتبة ذات مرة بعدما أنهيت أداء مهمة عمل بالقرب منها. وكانت تفوح منها رائحة المطهرات، كما لو كانت مثل سيارة جديدة. ولم يكن قد مرَّ وقتٌ على الكتب فيها حتى تطمئن لتبدأ في نشر عبيرها ورائحتها التاريخية. تبدو وكأنها مثل مكانٍ يمنحك انطباع المكتبات دون أن يكون مكتبة حقيقية. بدت وكأنها مكتبة مفتعلة.

- هل أنتِ بخيرٍ دودي؟ صار وجهكِ شاحبًا فجأة!

سألت جيرالدين.

أجبتُ:

- سأكون بخير.

ربتت جيرالدين على كتفي ثم أضافت:

- تبعد مكتبة ديربيشاير مسافة خمس وأربعين دقيقة فقط عن هنا.

واختنقت الكلمات في حنجرتها بينما تستأنف حديثها:

- وستنتقل جميع كتُبنا إلى مواقع أخرى في نطاق نظام ولاية كونيتيكت.

خمسٌ وأربعون دقيقة؟! تسارعت أنفاسي مرة أخرى. خمسٌ وأربعون دقيقة هي مدة كافية حتى يُولد طفلٌ جديد إلى هذا العالم! عندما كانت أُمي حاملًا في كوكو، بالكاد استطاعت الوصول من مدخل المستشفى إلى غرفتها قبل أن تأتي كوكو إلى عالمنا، وكان على الطبيب حينها أن ... هذا غير مهم الآن! ما يهم هو أن خمسًا وأربعين دقيقة تُعد مدة طويلة بالنسبة إلى شخص مثلي، وفي حالة الآباء الذين يتراوح أطفالهم ما بين اليوم الواحد إلى الخامسة فهي الأبدية. أو في حالة والدة تلميذتي جونا براونلي مفرطة النشاط، فيتراوح عمر الأطفال ما بين اليوم الواحد إلى الثامنة. وتظل تلك المدة بالنسبة إليهم هي الأبدية.

- أجل، شيءٌ جيد. (تمتمتُ، ثم أضفت بصوتٍ مسموع) حسنًا، سأذهب الآن.

- أراكِ لاحقًا!

أجابت جيرالدين وهي تضع قناعها الطبي قبل أن تعود إلى الداخل.

ضربني شعورٌ مفاجئ بالغثيان بينما أشق طريقي إلى السيارة، وحينها رأيت سيارتين أخريين تستقران في موضعهما في موقف انتظار السيارات. كانت تلك لولا كابريرا وأطفالها يخرجون دفعة واحدة من إحدى السيارتين.

- مرحبًا دودي! إننا هنا لأجل حلقة القصة. هل ستحضرين اليوم؟

سألت لولا.

- مم ... كلا. ليس هناك حلقة قصة اليوم، أو ربما لوقتٍ طويل، يبدو الأمر وكأنه سيستمر طويلًا.

أطلقتُ كلماتي بحذر.

- ماذا تقصدين؟

كان طفلها يختلس النظر إليَّ من وراء ساقها مستمعًا إلى محادثتنا.

عندئذٍ أعلنتُ:

- إن المكتبة مغلقة لأجل التحسينات لأجَل غير مسمى.

تجعد وجه لولا عبسًا، وفي تلك اللحظة ضغطت ابنتها على ذراعها مستفهمةً:

- مغلقة؟ ماما! ولكنكِ أخبرتنا ...

كانت شفتها السفلى ترتعش معلنة بدء حالة من البكاء.

- أعلم ذلك عزيزتي، لكن الأمر ليس بيد ماما الآن، لا يمكنني فعل أي شيء.

أجابت لولا بيأس وربتت على أكتاف أطفالها، ثم حاولت التخفيف عنهم:

- دعونا الآن نأكل بعض الآيس كريم.

- أعتذر منكِ لولا. لم أرغب قط في أن أحمل الأخبار السيئة إليكم.

- لا عليكِ أبدًا. لقد كان الأطفال يتطلعون إلى قضاء اليوم في المكتبة، هذا كل ما في الأمر، إن والدهم قد قضى وقتًا طويلًا في موقع إنشاء المركز التجاري الجديد طوال الثلاثة أشهر الماضية، وقد كانت المكتبة هي المكان الوحيد الذي نحافظ فيه على سلامة عقولنا جميعًا.

دوى صوتها عاليًا حتى أتمكن من سماعها.

- حسنًا، حظًّا سعيدًا.

أجبتُها والعجز يأكل روحي وشعور غريب بالذنب يطوف حولي. لا يعني ذلك أن إغلاق المكتبة كان خطأً مني أو أن لي علاقة بالأمر. لكنني تمنيتُ لو كان باستطاعتي أن أفعل شيئًا لأجل لولا وأطفالها.

وما الذي سأفعله أنا الآن والمكتبة مغلقة؟ حسنًا، أولًا: سأذهب إلى متجر بيع الكتب ويندل ويز حتى أُذكِّر نفسي بأن هناك أماكن أخرى يمكنني الذهاب إليها لشراء كتبٍ أقرؤها.

كنتُ جالسةً على الأرض في متجر الكتب، متطلعةً إلى الكتب التاريخية المُصوَّرة لمدينة باريس، وقد مرَّت إلميرا بيل من أمامي، تسير خلف والدتها

وتحمل بين ذراعيها كومة من الكتب. كنتُ على وشك جذب انتباههما عندما سمعتها تسأل والدتها:

- هل يمكنني الحصول على واحد من تلك الكتب؟

- كلا إلميرا! لقد ابتعتُ لكِ كتابًا جديدًا منذ أسبوعين. وإذا لم تتمتعي بقليلٍ من ضبط النفس وتتوقفي عن قراءة الكتب بتلك السرعة، فعليك حينها أن تبحثي عن تلك الكتب في المكتبة العامة.

أجابت والدتها.

جحظت عيناي أمام كلمات أمها. أولًا: هل كانت حقًّا توبخ ابنتها على قراءة الكتب بسرعة؟ ثانيًا: هل لديها أدنى فكرة عن الحاجة المُلِحة لقراءة كتابٍ جديد بالنسبة إلى طفلٍ يحب الكتب؟ وكيف أن أسبوعين هي مدة تبدو كما الأبدية دون كتابٍ جديد للغوص فيه؟

لم يعلموا بعد أن المكتبة العامة مغلقة، وقد انتابني شعورٌ بأن والدة إلميرا لن تأخذها إلى مكتبة ديربيشاير. حسنًا والآن ما الذي ستفعله إلميرا؟

ابتعتُ رواية تاريخية مثيرة للترويح عن نفسي.

- تفضلي آنسة فيرسيل.

أعطتني ويندل كتابي.

- أرجو أن تُناديني دودي.

أجبتها بانتباه مُشتت، كان عقلي مفتونًا بشعر رجلٍ قد غادر المتجر من أمامي. كان لونه داكنًا تتخلله خصلات دوامية. وحتى مجرد النظر إلى كتفيه من الخلف قد أضعف ركبتيَّ. وسألتُ نفسي «من هذا؟ ومن أين يمكنني الحصول على واحدٍ مثله؟».

وفي الوقت الذي سددتُ فيه قيمة كُتبي واتجهت للخارج، كان الشاب الوسيم قد استقل سيارته وغادر. تنهدتُ بأنفاسٍ مسموعة وأنا أشاهده يُغادر المخرج، ثم يتابع سيره في اتجاه الشارع.

لم يكن الأمر مهمًّا على أي حال، فلا زال قلبي المُحطَّم يتعافى من تجربته السابقة.

بعد أيامٍ قليلة، كانت إلميرا تجلس على مقعدٍ خارج الصالة الرياضية تقرأ كتاب **من الملفات المختلطة للسيدة باسل إي. فرانكويلر**[1] – مرة أخرى. أما الآن فأعتقد أنني قد قرأتُ ذلك الكتاب مرات عديدة تزيد في عددها على زائري متحف المتروبوليتان للفنون في مساء أيام السبت، حيث تقع أحداث الكتاب. لكنني بالكاد قد رأيت إلميرا تقرأ أي شيء آخر طوال تلك الأشهر التي قضيتها هنا منذ وصولي إلى شاتسورث.

- مرحبًا إلميرا! تقرئين السيدة فرانكويلر مُجددًا؟

- أجل.

أجابت إلميرا بينما تضع فاصل الكتاب بين الصفحات البالية.

- أنا أحبُ هذا الكتاب أيضًا. لكن ألا تودين الاطلاع على أي كتابٍ مختلف؟

- بالطبع أود ذلك، لكنني قد قرأت جميع الكتب في مكتبة المدرسة، زيادة على أن المكتبة العامة الكبيرة قد أغلقت أبوابها. وستجد أمي صعوبة بالغة في إيجاد الوقت لاصطحابي إلى تلك المكتبة في المدينة المجاورة أو إلى متجر الكتب وجدولها مكتظ بتلك الطريقة.

بدا كل شيء قد نطقت به إلميرا في الشق الثاني من الجملة مُكررًا مثل حديث الببغاء. وبدا العبوس على صفحة وجهي.

- اسمعي، ماذا لو أقرضتكِ بعض الكتب؟ يمكنكِ أن تُخبريني قليلًا عن الأنواع التي تُحبين القراءة فيها –بجانب باسل بالطبع– ثم يمكنكِ استعارتهم مني.

بدت إلميرا مفتونة باقتراحي، فسألت إن كان ذلك ممكنًا:

- هل تمتلكين كتبًا مثل كتاب السيدة باسل، لأشخاص في مثل عمري؟

---

(1) From the Mixed-Up Files of Mrs. Basil E. Frankweiler: كتاب من قبل إي إل كونيغسبورغ. (المترجم)

كذبتُ قائلةً:

- أجل، بضع عشرات منها.

وافقت إلميرا على الرغم من أن عينيها كانتا ترمقانني بغرابة، مثلما كانت لتفعل معظم الفتيات اللاتي يعرفن أن هناك امرأة في الثانية والثلاثين من عمرها قد اعترفت بامتلاكها لمجموعة من الكتب ذات الفصول في منزلها.

- رائع! عليَّ الذهاب الآن، أراكِ لاحقًا.

قلتُ مغادرةً على الفور، فعليَّ الآن أن أضمن توفر الوقت الكافي حتى أعود إلى متجر الكتب قبل موعد الإغلاق.

***

كان قد مرَّ أسبوع كامل بعدما أقرضتُ إلميرا دفعة الكتب الجديدة ذات الفصول التي قد ابتعتها، وتفاجأت بها تطرق على باب فصلي.

- مرحبًا إلميرا! كيف حالكِ؟

قلتُ مُوجهة إليها التحية بينما أنزل درجات السلم الخشبي الذي كنتُ أستخدمه لتعليق الصور الذاتية لمعرض دمية الجورب الخاصة بأطفال الحضانة.

- شكرًا لكِ على الاستعارة آنسة فيرسيل.

أخرجت إلميرا الاثني عشر كتابًا من حقيبة ظهرها ووضعتهم على حافة مكتبي.

- ألم تعجبكِ الكُتب؟

سألتُها.

- بلى، لقد أحببتها، وأنهيتها كلها.

أجابت إلميرا بحماس مُتقد.

- حقًّا؟

- أجل.

خرجت الكلمات البسيطة من فم إلميرا في خوفٍ بادٍ على مُحياها، ثم أضافت:

- والآن عليَّ أن أبتاع بطارياتٍ جديدة للمصباح اليدوي حتى لا يعلم والداي أنني كنتُ أستكمل القراءة بعد موعد النوم.

ابتسمتُ لها وتبعتها بطرفة عين، وأدركتُ حينها أن عليَّ أن أبتاع المزيد من الكتب. وفي الوقت نفسه كان فكري مشغولًا بموهبة إلميرا في الرسم، وفي تلك اللحظة أضاء مصباح الأفكار في رأسي فقلتُ لها:

- مثلما ترين، يمكنني أن أستفيد من مساعدتكِ في المشروع الذي أعمل عليه الآن، وأنتِ حقًّا الشخص الذي أحتاج إليه.
- حقًّا؟!

تنفست إلميرا في حماس كما لو أنني قد طلبت منها للتو الذهاب معي في رحلة إلى نارنيا.

- أجل. إليكِ ما في الأمر؛ ما أريده هو أن أجمع بعض الكتب التي يرغب الآخرون في الاستغناء عنها حتى يمكنني إعارتها إلى غيرهم، ممن يحتاجون إليها. وفكرتُ في أنني بحاجة إلى منشور يطلب من الناس التبرع بكتبهم. هل يمكنكِ مساعدتي في ذلك؟
- أجل، يمكنني فعل ذلك!

كان شعر إلميرا الذي رفعته في صورة ذيل الحصان يتأرجح يمينًا ويسارًا في حماس بينما تومئ برأسها إيجابًا.

وفي ظهر اليوم التالي سلَّمتني إلميرا اللوحة التي طلبتُها. وكانت كما يلي: على حافة أحد الكتب التي يقرؤها أحدهم، كل ما يمكنني رؤيته هو عينان ومقدمة رأس ذلك الشخص، كان الأمر أشبه بالسيدات الصغيرات اللاتي ستراهن خلف عجلة القيادة في فلوريدا. كانت لوحة هزلية وتافهة، وهذا هو ما كنتُ أريده بالضبط!

صحتُ قائلة:

- أعجبتني كثيرًا!

ثم عانقتها طويلًا، وبدت الدهشة على صفحات وجه إلميرا.

- شكرًا لكِ!

أجابت باستحياء.

- هل ترغبين في أن أوصلكِ إلى المنزل؟

- هذا رائع بالتأكيد. فقد انشغل والداي...

أجابت مطأطئة الرأس في خجل.

بعدما أوصلتها إلى المنزل، أنزلتُ زجاج النافذة لأحصل على نصيبي من هواء الخريف البارد. يمكنني أن أشم رائحة الأوراق المحترقة في مكانٍ ما. كان من المفترَض أن تكسو المدينةَ معالمُ الشتاء الآن، لكنني أُحب التغير البطيء بين الفصول والأوراق التي تحترق لأسابيع طويلة، قبل أن تتهاوى مرتبكة بعيدًا عن أغصانها نحو الأرض. حاولت رئتاي استخلاص الهواء البارد في نوباتٍ طويلة من الانقباض والانبساط، وشعرتُ وكأن قلبي قد صار أخف حملًا مما كان عليه حين عدتُ إلى المنزل.

في يوليو/تموز الماضي، ترك منزلي في شاتسورث أثرًا سعيدًا في نفسي، مثلما تركَت زيارتي الأولى له مع أمي. كانت أمي قد قدمت إلى المدينة لمساعدتي في اختيار المنزل الذي سأعيش فيه، والحق أن قدومها لمساعدتي كان دليلًا بسيطًا على مدى روعتها، وكم أنها أم مذهلة، لكنه أيضًا كان بسبب ما قرراه أمي وأبي من إقراضي بعض المال، من أجل الدفعة الأولية البسيطة مقابل المنزل الذي سأختاره، وقد أدركا معًا أنني سأستغرق بعض الوقت حتى يستقر وضعي المالي. لكن السبب الأهم وراء ذلك هو خوفي وتوجسي من أنه عندما يتعلق الأمر باتخاذ القرارات المهمة؛ مثل اختيار المنزل اللطيف الذي سأود شراءه – أحيانًا ما أكون ... مترددة بعض الشيء. كان على أمي وأبي أن يستمعا إلى حديثي لساعاتٍ طويلة عما إذا كنتُ أريد منزلًا على طراز الأحياء الإغريقية، أو طراز الملكة آن، أو ربما منزلًا على الطراز الفيكتوري، أو ربما الفيدرالي. كنتُ أستفيض في حديثي لساعاتٍ حتى قبل أن أعرف ما

إذا كانت تلك المنازل موجودة حقًّا في شاتسورث، أو إذا ما كان أيٌّ من تلك المنازل سيكون في نطاق السعر المحدود الذي وضعته.

كانت سوليفان قد بدأت في استطلاع المنازل المعروضة للبيع عندما كانت تتجول بسيارتها حول المدينة. وأخبرتني:

- هناك منزلٌ عليكِ رؤيته! يغلب عليه مزيج غريب من أطرزة مختلفة معًا، مما يجعل بعض الناس ينفرون منه، لكنني أعتقد أنه لطيفٌ للغاية.

وعندما دخلتُ بصحبة أمي إلى المنزل في ذلك اليوم، أضاء وجهي توهجًا. كنتُ على يقين في تلك اللحظة أن هذا المنزل قد بُنِيَ لأجلي. وقد عجزتُ حينها عن وصف طرازه المعماري، واتضح أن بوني -الوسيط الذي ساعدتني في شراء المنزل- قد عجزت عن وصفه أيضًا. وعندما وقفنا في الشرفة الأمامية، كانت بوني تنتقل بين الأوراق المثبَّتة على لوح التلبيس، ثم قالت:

- ممم في الصفحة الأولى يقول إن المنزل على طراز الفنون والحِرف، وفي صفحة أخرى يقول إنه على الطراز التيودوري[1]، وفي الأوصاف الأخرى يشبه المنازل التي تؤسسها كوتسوولدز.

أخبرتني أمي فيما بعد كم توهجت عيناي عندما وقعتا على المنزل. ثلاث مرات! وبخاصة عندما ذكرت أنه على طراز «المنازل التي تؤسسها كوتسوولدز». هذا ضربٌ من الخيـــــال!

لقد أحببتُ حقيقة أن هناك ثلاث هويات تتداخل مع بعضها بعضًا في جاذبية غريبة وساحرة. كانت القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المنزل مستطيلًا معقولًا من الحجارة، وعند الطابق الثاني تبرز أبعاد المستطيل أعلى الباب الأمامي، فبدا بروز على واجهة الجص رملية اللون. ويرتفع بناء قرميدي الشكل تعلوه قمة واحدة ليقسم السقف الذي يبرز خلفه. وتغطيه هياكل خضراء داكنة نصف خشبية مخططة من القمة أعلى النافذة ذات

(1) العمارة التيودورية: النمط المعماري لتودور وهو التطوير النهائي لفن العمارة في العصور الوسطى في إنجلترا وويلز خلال فترة تيودور وما بعدها، وأيضًا التقديم المؤقت لفن العمارة عصر النهضة إلى بريطانيا. (المترجم)

الإطار الفاصل متجهة إلى الأسفل. وكان السقف بأكمله مُغطى بألواح رفيعة داكنة من خشب الأرز. وعلى الجانب الأيسر من المنزل، ترتفع مدخنة حجرية طويلة، وعلى الجانب الأيمن منه، تستقر غرفة صغيرة لطيفة تبرز من الشرفة الأمامية مغطاة أيضًا بالجص رمليِّ اللون، ترتفع الغرفة بارتفاع المنزل وتُحيط بنوافذها أُطرٌ خضراء قاتمة بامتداد الطوابق الثلاث حتى السقف. إنها غرفة زجاجية شمسية!

عندما أخذتنا بوني في جولة حول المنزل، رأيت أن الغرفة الزجاجية الشمسية تبدو أصغر مما بدت عليه من الخارج، حتى إن المنزل نفسه لم يكن كبيرًا على الإطلاق، لكن الغرفة الزجاجية الشمسية ستكون مكانًا لطيفًا إذا ما وضعنا كُرسيًّا مريحًا هنا، حتى يمكنني القراءة والتطلع من النافذة بينما أحتسي كوبًا من الشاي.

وفي الوقت الذي كنا نتنقل فيه بين بقية غرف المنزل، تملكني ذاك الشعور بأن المنزل كان محبوبًا من ساكنيه، وفي كل ركنٍ من أركانه كانت تمر لحظات سعيدة، والأهم من ذلك هو أن المنزل يريد أن يكون محبوبًا وأن يضم بين أركانه ذكريات سعيدة مرةً أخرى.

- وهذه هي نهاية الرحلة!

قالت بوني مشيرةً إلى المطبخ الذي يؤدي إلى مؤخرة المنزل. كان عقلي منشغلًا بترتيب أُصص الزرع والأواني في أماكني المفضلة، والمكان الذي سأقيم فيه حفلات العشاء ومحادثات السمر الطويلة، التي ستدور مع ضيوفي في غرفة المعيشة المجاورة والتي كانت –بالمناسبة– تطل على المطبخ. فتحت بوني بابًا زجاجيًّا في مؤخرة المنزل كان مغطى بستائر رقيقة ثم قالت:

- هذه الغرفة الزجاجية الشمسية بأكملها.

استدرتُ نحو أمي ورجوتها هامسةً:

- أريد أن أعيش هنا.

أومأت أمي إيجابًا، لكنها سرعان ما ألزمتني الصمت بنظرة واحدة تقول لا نريد أن نبدو شديدتي الحماس. لكنها على الرغم من ذلك لم تكن مندهشة باطمئناني لهذا القرار، بل كانت على يقين من أن هذا هو المنزل المناسب من أجلي. ابتسمتُ إليها باطمئنان، لكنها في الحقيقة كانت قلقة من أن تُعاد تجربة نيويورك مرة أخرى، عندما ادعى الوسيط الذي كنتُ أعمل معه لإيجاد شقة بأنه لم يستلم الشيك قط – بعد أن صرفه.

لم تكن ابتسامتها إليَّ بالمقابل مكتملة الاتساع حتى تصل إلى أذنيها. ربما كانت قلقة أيضًا من انتقالي من مدينة كبيرة إلى مدينة صغيرة. ففي نيويورك كنتُ أقضي أوقاتًا طويلة في الحفلات الصاخبة مع صديقي المشهور دانيل، والفعاليات الثقافية التي يحضرها الفنانون والأدباء، وتلك المطاعم التي تُقدم جُبن البورتا[1] المغطى بالجرجير وإلى جانبه مُربى التين من نوع داليميتيان (على سبيل المثال). لكن نيويورك تعني أيضًا أن أتخلى عن الكثير. يمكنك القول إنني شخصٌ متفائل، لكن تجربتي التي مررت بها في مشهد المواعدة في نيويورك، كانت أشبه بمقابلتي نسخًا مختلفة من نفس الشخصية الصبيانية السطحية مرة تلو أخرى. أعلم أن هناك صنوفًا أخرى من الشخصيات، لكن الحظ لم يُحالفني كي أجتمع بها. وقد افتقدتُ كثيرًا قدرتي على التجول لمسافات طويلة في المناطق الخضراء. بالطبع كانت حديقة سنترال بارك رائعة، لكنها في النهاية ليست ضاحية مُشجرة. لم أكن أمتلك حديقة خلفية في نيويورك، ولم يكن بإمكاني تربية كلبٍ في شقتي. أما بالنسبة إلى راتبي، فربما لم يكن ليزيد على ما هو عليه في المستقبل القريب، ولم يكن ليُسعفني راتبي حتى أوفر بيتًا أكبر من مجرد شقة في تلك البقعة من العالم. ووجدت أنني أتوق إلى مهرب من المدينة الصاخبة، ليس فقط مهربًا طوال العطلة الأسبوعية إلى أي مكانٍ هنا أو هناك حتى أكون مجهولة الهوية، لكنني أتوق إلى الذهاب إلى أي مكان أستطيع الاستقرار فيه والانتماء إليه.

(1) بورتا: هو جبن حليب البقر الإيطالية المصنوعة من الموتزريلا والقشدة.

والآن بفضل سوليفان ووالديَّ، أمتلك هذا المنزل الرائع. ويمكنني القول إنه مزيجٌ من مباني المدينة والريف، منزلٌ فخم وبسيط في الآن نفسه، مريحٌ وعلى طرازٍ فني، والأهم من ذلك أنه دافئ وأشعر فيه بالترحاب.

وفي اللحظة التي أولجت فيها المفتاح في مقبض الباب، أدركتُ كم أن حياتي ساحرة. لكن كل ما أفكر فيه الآن هو لو أنني أستطيع أن أجعل حياة إلميرا أفضل حالًا مما هي عليه، ولولا وأطفالها أيضًا، وكل أولئك الذين يعيشون في شاتسورث وقد ابتلعهم فراغٌ كبير عميق يتشكل في صورة كتاب – دون أي مكتبة قريبة ليذهبوا إليها.

الفصل الثالث

حقق المنشور الذي رسمَته إلميرا نجاحًا ساحقًا. وكنتُ قد وضعتُ ثلاث سِلال من الخوص في حجرة الرسم، حتى يمر الأطفال وأولياء أمورهم في أي وقت ليتركوا تبرعاتهم. وامتلأت السِلال بسرعة تفوق ما توقعته.

وبعد بضعة أيام قابلتُ إلميرا على جانب الطريق وأثنيتُ على المنشور الذي رسمته بيديها:

- كان منشوركِ كلاسيكيًّا، وأرى أننا نسبح الآن في بحرٍ من الكتب!

يمكنني القول إنني قد أنشأتُ جمعيةً لاستعارة الكتب أطلقت عليها «مكتبة الاستعارة» في صفي، لكنها لم تستمر طويلًا. فقد كان رُوَّاد المكتبة دائمًا ما يمرون بالصف ويقطعونه ويعوقون استمراره، وبدأت الكتب في الزحف حتى احتلت جميع الأرفف التي كانت مُخصصة لأدوات الرسم. وعندما سقط كتاب جيبون «*تاريخ ضعف وسقوط الإمبراطورية الرومانية*» من على المكتب وهدم الجسر المعلق العجيب الذي يشبه قشة الشراب الذي كان قد نَفَّذه تلميذي أبل، أدركتُ أن الوقت قد حان لتغيير موقع المكتبة.

- أخبريني بكل شيء!

أصرَّت كندرا عليَّ لأسرد تفاصيل المكتبة، وذلك لأنني اكتفيت بجوابٍ مختصر حول الأمر في أثناء تناولنا للقهوة في استراحة المدرِّسين. خضعتُ لإصرارها بحماس.

- حسنًا، كنتُ أحاول التفكير في موقعٍ آخر للمكتبة، وكنتُ أتمنى لو أمكن تخصيص جزءٍ من المكتبة للاستعارة، لكنني أعرف أنه لا مكان سوى لكومة صغيرة من كتب الأطفال.

سألت كندرا:

- هل فكرتِ في المكتبة العامة في ديربيشاير؟

فصرَّحتُ إليها بما في نفسي:

- أجل، لقد خطرت ببالي الفكرة، لكننا بحاجة إلى مكانٍ ما هنا. وما أريده حقًّا هو أن يتمتع هذا المكان بهالة مختلفة. لا أريد أن يأتي أي شخصٍ إلى المكتبة وينتابه الشعور بأن عليه التزام الهدوء أو الخضوع لأطنان من القواعد. أعتقد أنني أراه مكانًا اجتماعيًّا وليس مجرد مكتبة عامة. أريده أن يكون شعورًا أكثر حميمية. إلى جانب أن مكتبة ديربيشاير بعيدة للغاية.

أومأت كندرا ثم قالت:

- أنتِ تفكرين في إقامة المكتبة في منزلك، أليس كذلك؟

الحقيقة أن الفكرة قد جالت بخاطري دون أن أُفصح عنها لأحد، لكنني أجبتُ:

- جزء ما بداخلي يدرك أنها فكرة جنونية. أعني أن منزلي ليس كبيرًا، إلا أنه كبيرٌ بما يكفي لذلك، وبخاصة أن شخصًا واحدًا يعيش فيه. على الأقل يمكنني استخدام الغرفة الزجاجية الشمسية في مؤخرة المنزل في الوقت الحالي. وعليَّ أن أنقل بعض الأثاث وأحاول ترتيب أكبر قدرٍ من الكتب حسب المستطاع. بالطبع لن يكون هناك مساحة خالية ليتسكع عشرات من الناس، لكن هذا كافٍ على أي حال. وأتمنى أن يشجعوا بعضهم بعضًا ويحضروا للبحث عن الكتب التي يحتاجون إليها، وربما لاحتساء كوبٍ من الشاي معًا في مكانٍ ما بعد ذلك، أو دعوة بعضهم بعضًا لأجل نوادي القراءة، أنا بانتظار أشياء من هذا القبيل.

في الحقيقة تمنيتُ لو كان بإمكاني حشر كل تلك الأنشطة في الغرفة الزجاجية الشمسية في مؤخرة المنزل بأي طريقة، لكن الأولويات تأتي قبل أي شيء ... أجابت كندرا بحماس:

- تبدو فكرة رائعة، ويمكنكِ وضع بعض الستائر الزهيدة على النوافذ التي تطل على غرفة المعيشة حتى تمنحكِ بعض الخصوصية. ويمكنكِ إغلاق الباب بين الغرفة الزجاجية الشمسية وبقية المنزل، أليس كذلك؟ وإذا كنتِ بحاجة إلى شخص يتعهد بالمكتبة عندما تكونين خارج المدينة، أو حتى إذا كنتِ تريدين كبح جماح الفضول عند الناس، سأرغب في مساعدتكِ في ذلك.

- شكرًا لكِ كندرا!

إذا كانت كندرا تعتقد أن فكرتي ستنجح وهي ما هي عليه كونها أمينة المكتبة في المدرسة؛ أعتقد أنه يمكنني فعل ذلك! لدي شعورٌ داخلي بذلك.

رحتُ أُعد قائمة بجميع الكتب التي أريد توفيرها في مكتبة الغرفة الزجاجية الشمسية طوال نهار الأحد. وتمنيتُ لو استطعتُ توفيرها من خلال الإعلانات الموجهة، لكنني كنتُ قد بدأتُ في ادخار قليلٍ من المال لأجل الكتب الخاصة التي يجب اقتناؤها على أي حال.

تصفَّحتُ أيضًا المجلدات على الأرفف الخاصة بي، وبدأتُ البحث عن كتبٍ تتحدث عن تيار الوعي. أجبرتني رواية *قصة مدينتين* على التفكير في الثورة الفرنسية التي وقعت في القرن الثامن عشر، والتي أجبرتني بدورها على استحضار الثورة الفرنسية من مخيلة فيكتور هوجو في رواية *البؤساء* والتي كانت قد صدرت عندما بدأت حركة الانطباعية في فرنسا.

سرعان ما وجدت نفسي مفترشة أرضية غرفة المعيشة محاطة بكتب عن الفنون تتحدث عن: مونيه وسيسلي وعن حركة النبيين[1] التي تلت حركة الانطباعية وتضمنت بعضًا من الرسامين المفضلين لي، مثل الملوِّن العظيم بونرد. أضاءت الصفح المفتوحة الغرفة ببريق من المشمش والعناقية والكمثرى ذات اللون الأصفر المخضر، وحمرة الرمان. وبينما كنت ألمس

(1) مجموعة من الفنانين الفرنسيين الشباب الناشطين في باريس من عام 1888 حتى عام 1900، الذين لعبوا دورًا كبيرًا في الانتقال من الانطباعية والفن الأكاديمي إلى الفن التجريدي والرمزية والحركات المبكرة الأخرى للحداثة. (المترجم)

الوجنتين الخوخيتين لأم تنظر إلى طفلها النائم في لوحة بيرت موريسو، رنَّ جرس الهاتف.

- مرحبًا عزيزتي، ماذا تفعلين؟

سألت أمي.

- أحاول العثور على بعض الإلهام لمكتبة الاستعارة.

أضافت أمي:

- لا بد أن غرفة الدراسة تلك أصبحت ممتلئة الآن.

- في الواقع، نعم، لقد قررت مؤخرًا أن أضع المكتبة في غرفة الشمس في مؤخرة المنزل

أجبتُها.

- في منزلك؟ هل تعتقدين أنها فكرة جيدة حقًّا؟ لقد انتقلتِ للتو إلى مكانٍ بأكثر من أربعة حوائط، ألا تريدين أن تحافظي على هذا لنفسك قليلًا؟

قالت أمي.

- كلا، ليس حقًّا، أعني، أنا أملك منزلًا بالكامل لنفسي الآن ولديَّ عدة غرف، وأحب القراءة في غرفة الشمس، لكنني سعيدة لمشاركتها مع الآخرين، وأعتقد أن هذا ما تحتاج إليه المدينة حقًّا.

- تحتاج إليه المدينة، ها؟

قلت بأكثر طريقة حاسمة استطعت أن أفتعلها:

- في رأيي، أجل.

- ألا تعتقدين أنها ستشغلك كثيرًا في حين أنكِ قد بدأتِ للتو محاولة الاستقرار في المدرسة والبلدة؟

أجبت بحسم:

- كلا، أستطيع تولي أمري.

صمتت لبرهة ثم أضافت:

- حسنٌ، أنتِ تعلمين أفضل مني.

لم أُرد أن أترك الأمور هكذا، كانت أمي تحاول مساعدتي فقط. نوعًا ما.

- أخبريني عن كتبي المفضلة عندما كنتُ صغيرة. أذكر بعضًا منها بالفعل، لكنني أحتاج إلى مساعدتك لإكمال القائمة.

- **رسم الفئران**[1]....

كان هذا الكتاب الأول الذي كتبته في القائمة!

- **اليرقة الجائعة جدًّا**[2]...

أجل، لقد أحببت هذا.

- **الجدة الساحرة**[3].

هذا أيضًا.

- بالطبع أحببتِ **القط ذو القبعة**[4]، **وحيث تكون الأشياء البرية**[5]. أجل، لكن الكتاب المفضل بالنسبة إليكِ كان **حبيبات الجيلي للإفطار**[6].

كان هذا منطقيًّا، إلا أن حاليًّا سيكون **المثلجات للإفطار (وأحيانًا الغداء والعشاء).**

---

(1) Mouse Paint.

(2) The Very Hungry Caterpillar.

(3) Sterga Nona.

(4) The Cat in the Hat.

(5) Where the Wild Things Are.

(6) Jellybeans for Breakfast.

- عندما كبُرتِ قليلًا، أحببتِ **اختفاء الآنسة نيلسون**![1] **ومادلين**[2] بالطبع، وأخيرًا **السيدة بيجيل ويجيل**[3]، وسلسلة **آن في المرتفعات الخضراء**، والعديد من كتب جودي بلوم.

قالت أمي.

السيدة بيجيل ويجيل! تلك السيدة البريطانية اللطيفة التي وجدت دومًا الطريقة المناسبة لجعل الأطفال يفعلون الأشياء الصحيحة مثل ماري بوبينز والسيدة داوتفاير.

تنهدتُ برضا وتساءلتُ:

- هل ما زلتِ تملكين نسخًا منهم جميعًا؟

- أعتقد ذلك، رأيت بعضًا منهم في الأرجاء، دعيني أتأكد وسأخبرك لاحقًا. إذًا، ما جديدك أيضًا؟

تساءلت أمي، وأعلم أنها تقصد أن تسأل عن أي تطور على صعيد علاقاتي بالرجال. كان صوتها مفعمًا بالأمل، إذًا لماذا شعرتُ بالاهتياج مجددًا؟

تنهدتُ:

- لا شيء.

- ما رأيك بأن تحاولي مجددًا مع هذا الشخص اللطيف دانيل؟ هو لطيف ومشهور جدًّا! لقد تخيلتك دومًا تظهرين على أغلفة الصحف الشعبية في حفلة فاخرة على متن يخت مع شخص ما.

استأنفت أمي.

اختفت الابتسامة من وجهي. سألتها بجفاء:

- هل هذا هو حلمكِ لحياتي؟

---

(1) Miss Nelson Is Missing!

(2) Madeline.

(3) Mrs. Piggle Wiggle.

- بالطبع لا! يمكنكِ فعل أي.شيء تريدينه في هذه الحياة، كانت الكتب والفنون دائمًا هي حبك الأول، وأنا أعلم كم تحبين التدريس، لكن بجانب معرفة أن حياتك تأخذ منحنى فكريًّا، لطالما رغبتُ في لحظات من الإبهار.

كانت أمي قارئة نهمة أيضًا، كانت تأكل الكتب بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لكنها دومًا ما أحبت ثرثرة المشاهير، لقد صنع لها دانيل بدلة زرقاء جميلة من الصوف في عيد الحانوكا، وأرسل لها الزهور في عيد ميلادها، لذا كانت معجبة به بشدة.

- حسنًا، إذا كان هذا هو قصدك، وهو ما أشك فيه، لن يكون هذا مع دانيل. لقد كسر قلبي، ألا تذكرين؟

- أنا واثقٌ أنه كان سوء تفاهم!

كان هذا هو صوت زوج أمي الذي تحدث من سماعة هاتف آخر في المنزل، كانوا يستخدمون تقنية المكالمة الجماعية الارتجالية والقديمة هذه حتى لا يفوت أحدهما أي حرف من الحديث.

- مرحبًا أبي! (ثم أجبته) أجل، لقد كان سوء تفاهم وكنت أتوقع أنه سيدعمني تحت أي ظرف، لكن عوضًا عن ذلك، جعلني أبدو كالحمقاء بعد أن تلقيتُ الإهانة أمام الجميع.

- أنا آسفة دوو. لم أرغب في الضغط عليكِ. نحن فقط نرغب في رؤيتك سعيدة

قالت أمي.

- انسَي أمر دانيل؛ لن أكون سعيدة معه أبدًا.

أجبتُ.

- حسنًا، حسنًا، سنذهب لنتناول العشاء. أحبك.

قال أبي.

- دودي، من الجيد حقًا أن تُنشئي مكتبة صغيرة لقد أحببتِ الكتب كثيرًا منذ أن كنتِ طفلة. وأعتقد أنها فكرة رائعة.

قالت أمي.

- شكرًا أمي.

دون قصد مني شعرت بعدم الارتياح بعد المكالمة؛ كانت نياتهما طيبة، لكن ما زالا يعاملانني كطفلة صغيرة أحيانًا. الطفلة التي تركت صفوف تعلم ركوب الخيل بعد أسبوعين كريهين، وصفوف الجمباز بعد ثلاثة أسابيع بعدما ارتطمت بالحاجز بدلًا من القفز فوقه.

جمعت الكتب بين ذراعيَّ ووضعتها مجددًا على الرفوف، عدا كتاب رسومات بيرت موريسو. السيدة في الصورة بدت متعبة، عيناها نصف مغلقتين نصف مفتوحتين، لكن أعتقد أنها لم تكن مغلقة من التعب فقط، بل من السعادة أيضًا، كانت تسحب ستارة من الدانتيل المعلقة فوق مهد الرضيع بحذر لمنع الهواء. فكرتُ في أنه **طفل محظوظ** وهي **أم محظوظة**.

سيغدو كوني أمًّا تحديًا حقيقيًّا إذا استمرَرْتُ بهذا النهج الذي أحذوه. لم أشعر أنني بإمكاني الوثوق بأي أحدٍ بعد ما حدث لي مع دانيل.

***

بعد تخرجي في كلية الفنون، كنت أعمل في أستوديو خلال ساعات النهار، وأرسم في كثير من الليالي خلال عطلات الأسبوع. وكان صديقي جايمس يحضر العشرات من المناسبات الساحرة في المساء كمكافأة له لمساعدته الرؤساء المجانين في مجلات الأزياء، وكان يصطحبني معه أحيانًا إذا استطاع انتشالي من بين فُرُش الرسم واللوحات.

في واحدة من هذه الحفلات الراقصة، كنت أقف بجوار رجل وسيم وأنيق أمام طاولة الطعام. وكان جايمس بالقرب مني يغازل عارضَ أزياء، وجنتاه غائرتان، بدا وكأنه قد ابتلع مكنسة كهربائية. كنت أفكر في المكانس الكهربائية، بينما أنكب على فطيرة موريل اللذيذة الصغيرة، وفطائر إيديازابال المزينة بالطرخون، وبعض الخضروات الصغيرة مع لمسة من

البهارات التي ربما كانت من ... على أي حال! كان الرجل بجواري يجري مقابلة، لذا استنتجت أنه شخص مهم، لكن بالطبع لم أستطع التعرف عليه. سمعته يقول:

- لقد شعرت أن لاسم «دانيل جي» صدى أنيقًا أكثر من اسم دانيل جارجاميل.

ابتسمت عيناه قبل شفتيه. بالطبع كنت أعرف من هو دانيل جي؛ لقد أطلق مجموعة تصاميم الأزياء الخاصة به للمرة الأولى عندما كان يبلغ من العمر الثالثة والعشرين، وعلى مدار عشر سنوات تالية أثبت عظمته وندرة ذوقه.

تلاقت أعيننا.

- المعذرة! (قالها لمن يحاوره) ينبغي أن أكون موجودًا في مكان آخر.

التفتُّ سريعًا بعيدًا عنه ودسست بعضًا من المقبلات في فمي؛ نصف خائفة، نصف آملةً لقدومه باتجاهي. وخلال لحظات، غمرني عطر برائحة القرفة، وشعرت بنقرة على كتفي.

- مرحبًا! (بدأ دانيل حديثه).

- أجل.

أجبتُ بتذمر. أوحت الخطوط المجعدة حول عينيه بأنه قادر على التهام فتيات مثلي على الفطور، ربما كان يفعل هذا حقًّا.

- لاحظت أنكِ كنتِ مهتمة بمقابلتي.

لم يكن يتساءل، بل كانت ثقة. هذه الثقة الهائلة مُسكِرة أكثر من ثلاث كؤوس من خمر العنب الأحمر الرخيص التي أحتسيها على معدة فارغة؛ فارغة قبل أي فطائر. هذه هي.

- كنتُ... ممم... كنت أُفكر أن حظك أسوأ مني.

خرجت الكلمات من بين شفتيَّ دون وعي.

رفع إحدى حاجبيه القاتمين باستمتاع قبل أن يُجيب:

- حقًّا؟ وكيف هذا؟

يبدو أن دانييل جي لم يكن معتادًا على أن يتم إخباره بأن حظه أقل من غيره.

- حسنًا... اسمي دودي فيرسيل.

قلتُ وتمكنتُ من رسم ابتسامة في محاولة لجعله يفهم.

نظر إليَّ بترقب. تبًّا! كنت آمل أن يفهم المعنى.

- ممم... اسم عائلتك هو جارجاميل؟

تراجعتُ قليلًا. كانت ثياب النوم تناديني حتى أجلس على الفراش مرتدية حقيبة ورقية بنية اللون في رأسي خجلًا.

ندت عنه ضحكة؛ ضحكة متمرسة عالية مثل زئير أسود، لم تكن ضحكة ودودة ولم تكن باردة أيضًا.

- أنا أعبث معكِ فقط، أعلم ما تعنينه.

تنهَّدتُ ثم أجبته:

- حسنًا، سررتُ برؤيتك، إلى اللقاء.

وفي اللحظة التي كنتُ ألتفتُ فيها محاولةً الهروب، انسلت يداه حول معصمي وأمسكه بلطف، ضغط عليه حتى التفتُّ نحوه ووقفت أمامه.

- انتظري لحظة، أنتِ ساحرة. دعيني أدعوك للعشاء.

ولم يكن طلبه سوى أمر.

فكرتُ للحظة، كانت أغلب تعبيرات وجهه جامدة لكن عينيه لمعتا بالحماس.

- حسنًا. (وافقتُ).

لمَ ستتحمل عبء الحياة في نيويورك إن لم تغتنم بعض الفرص؟

في الأيام الأولى، كانت مواعدة دانيل جي تتطلب مني أن أعتاد عارضات الأزياء نصف العاريات اللائي يتجولن في شقته، يجلسن على الأريكة ويستعرن الملابس من غرفة العرض، ويتوددن له في المطاعم أو النوادي كلما ذهبتُ إلى دورة المياه.

لكن بعد عدة لقاءات بيني وبين دانيل، اختفت العارضات، لم أكن أدري كيف استطاع أن يرسل إشارات بأنه ليس متاحًا لمثل هذه العلاقات بعد الآن، لكن يبدو أن كل شخص في نيويورك عداي استطاع فهم هذه الإشارة. كان دانيل يحب الظهور في الحفلات وهو يصطحب فنانًا صاعدًا، كما راقت الفكرة للصحافة.

كان شابًّا ذكيًّا مرحًا وساحرًا، لكن على الرغم من كل شيء كان هناك شعورٌ بالريبة والغرابة تجاهه. وبدأتُ ألحظ في تلك المرات التي كنتُ أقص فيها أي حكاية، كان كل ما يفعله هو تحويل دفة الحديث مُجددًا إلى شيء قد حدث معه. وإذا ذكرتُ أي حدثٍ مثير أو موعدٍ نهائي قادم، لا يُكلف نفسه جهد السؤال عما حدث فيه. وإذا أخبرته بأنني قد عشتُ يومًا سيئًا وشاقًّا، لا يمنحني الفرصة حتى أخبره بالسبب وراء ذلك قبل أن أواسيه في واحدة من مشكلاته مع أحد الموردين أو أي مُصمم آخر أو أي حساب. كان دائم التغافل عن السؤال عما إذا كان يومي التالي قد مر بسلامٍ أم لا. كانت الحقيقة المرة هي أن دانيل جي كان مهتمًّا بي ولكن ليس كاهتمامه بدانيل جي نفسه.

- كان نرجسيًّا.

تُصرِّح كوكو. دائمًا ما كانت توحي تلك الكلمة بمعانٍ لطيفة لدرجة يصعب معها التصديق بأنها تحمل كل هذا الخبث والتشوه. في نهاية المطاف، كان يختفي كلما كنتُ بحاجة إليه. ومما زاد الطين بلة بعد انفصالنا المرير؛ طلبه مني بألا أتحدث إلى الصحافة عن أي شيء.

حاولتُ طرد الأفكار المشوَّهة من رأسي، فحتى الآن كان يومي مشغولًا وذهني متأججًا بإقامة مكتبة الاستعارة الجديدة. وأول ما عليَّ فعله هو اكتشاف الكيفية التي أتقمص بها شخصية الملكة حتشبسوت[1] لأفعل ذلك.

قررتُ التركيز على ما هو أهم من ذلك: تجربة المكتبة. كان عليَّ أن أستبعد كل ما فعله الآخرون في مكتباتهم وأتجاهل ما لا أعرفه. وبدلًا عن

---

(1) الملكة حتشبسوت: هي الملكية الفرعونية حتشبسوت وأشارت إليها دودي في الرواية لأنها هي التي قد أسست برنامج البناء التأسيسي للمعبد الكبير في الدير البحري بالأقصر. (المترجم)

ذلك سأحاول التفكير وكأنني أحد روَّاد المكتبات المنتبهين (حسنًا المُدمنين) لزيارة المكتبات طوال حياتهم. أريد أن يكون المكان مريحًا وسعيدًا تمامًا مثل الأشخاص الذين سيبتهجون ببهجته.

كان المدخل الأمامي لمنزلي باتجاه الغرب وتقع الغرفة الزجاجية الشمسية في مؤخرة المنزل على الجانب المواجه للشرق. ضوء الشمس ينساب من النافذة الجنوبية مرورًا بالمساحة الشاسعة حتى يصل إلى النافذة التي تتجه نحو الشمال. يمكن أن يصبح الجو دافئًا في الأيام التي يكتمل فيها شروق الشمس، ولكن لا زال عليَّ وضع بعض الأرفف بطريقة تُوفر بعض الظل دون المخاطرة بتدمير الكتب إذا وُضعت في مواجهة الحرارة الحارقة. ربما تُفيد بعض الستائر الشفافة؛ ستكون ثقيلة بما يكفي حتى تحجب الوهج لكنها رفيعة بما يكفي لتنعم الغرفة بأشعة الشمس الغامرة. كان الباب المرتبط بالمنزل في الجانب الجنوبي الغربي على بُعد ثلاث خطوات من المطبخ وغرفة المعيشة. لذلك جلستُ على درجات السُّلم حاملةً دفتر الرسم وخططتُ رؤيتي الخاصة. كنتُ أعلم أنه في وقتٍ ما سأحتاج إلى العودة إلى الغرفة الزجاجية بصحبة شريط قياس حقيقي، لكن أشرطة القياس تبدو مخيفة. مثل زجاجات المايونيز أو فيلم القوارض العملاقة. لذلك حتى الآن سأكتفي بالرسم.

كنتُ أعلم من جميع زياراتي المكتبية أن ارتفاع الأرفف عادةً ما يكون ستة أقدام ويمكنني تثبيت خمسة منهم في منتصف الحجرة وأوفر بينها مساحة كافية للممر، وربما يمكنني تثبيت ستة أرفف إذا ضغطتُ بعضها ببعض. ثم يمكنني توفير أرفف منخفضة للكتب تصطف بجانب كل حائط أسفل النوافذ باستثناء الحائط الغربي الصلب المتصل ببناء المنزل، والنصف الأيسر من الحائط الشمالي والذي كان أيضًا حائطًا صلبًا دون نوافذ. وسيكون مكتب التوزيع في منتصف الحائط الغربي. كنتُ أتمنى لو استطعتُ وضع طاولة مستديرة على الجانب الآخر منه في الزاوية الشمالية الغربية حتى يتمكن بعض القراء من الجلوس إليها. وفي الزاوية الشمالية من الحائط المقابل كانت الأبواب الفرنسية التي تؤدي إلى الخارج، ولحسن الحظ أن كانت الأبواب

واسعة بما يكفي لذلك كنتُ مطمئنة من أنني سأتمكن من ملاءمة الأرفف وقطع الأثاث الأخرى خلالها. حسنًا، كنتُ مطمئنة للغاية.

وضعت دفتر الرسم على المنضدة ومسحتُ على حاجبيَّ. كانت قطرات العرق تتساقط على أطراف أصابعي، ورئتاي تسحبان الهواء في صعوبة، وقد ازداد خفقان الدم في شراييني. وفي تلك اللحظة اكتمل مخطط المكتبة في رأسي، كان الأمر جليًا حتى خلتني أشتم رائحة الكتب.

بعد ظهيرة يوم الاثنين التقيتُ بعضًا من أصدقائي المُقربين في المدرسة لنقل بعض الكتب إلى منزلي. وكانت طلبية الأثاث الهائلة قد تجسدت أمامي فور وصولنا إلى المنزل. في الحقيقة، كانت شاحنة التوصيل بانتظارنا. بِئسًا!

رحتُ أسأل في قلق:

- كم مضى عليكم من الوقت وأنتم بانتظارنا يا رفاق؟

- نحو عشرين دقيقة.

أجاب الرجل المسؤول. وكانت شارة الاسم على صدره تقول **دانا**.

- أنا آسفة حقًّا!

- لا عليكِ. لا يحدث كل يوم أن نخرج لتوصيل محتويات مكتبة!

أومأ دانا برأسه إلى أرفف الكتب المصطفة على ظهر الشاحنة. وبدأت راحتاي في التعرق.

- هل ستوفرين كتبًا للتطوير الذاتي والاعتماد على النفس؟ مثل كتاب *السر*؟ أو ربما كتاب *كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس*؟

كان الصوت آتيًا من مندوب التوصيل الذي بدا على ملامحه طور المراهقة بينما كان يصعد المنحدر.

- بالطبع. أتمنى أن نستطيع توفير القليل من كل شيء.

أجبتُ وأنا أعض على شفتي من المأزق.

انتهى الرجال من إفراغ الأرفف ولحسن الحظ –بعد قليل من الهمهمات والتناوب وربما بعض الشتائم والسباب الذي تظاهرت بعدم سماعه– انتهى كل شيء داخل الغرفة الزجاجية الشمسية بالضبط مثلما خططت له. وبعدما

شكرتُ رجال التوصيل وقدمتُ إليهم بقشيشًا سخيًّا، أخبرتهم بالعودة في أعياد رأس السنة بعد الافتتاح.

بعدما غادر الرجال، طلبنا بعض شطائر من البيتزا، وأعدت لنا كندرا كوكتيل من البيليني[1] حتى نحافظ على روح الثمالة التي نستنشقها من الكتب. ماذا سيحدث لو اختلطت بعض من كتب الإثارة بقسم الكتب الرومانسية؟ ليس بالأمر المهم.

- تبدين سعيدة حقًّا.

قالت كندرا وهي تُمرر إليَّ كأسًا أخرى من البيليني بعدما انتهينا من ترتيب آخر كومة من الكتب على الأرفف.

- أنا سعيدة.

قرقعت كؤوسنا ثم أردفت كندرا:

- وأنا أيضًا.

تجمعت الفتيات الأخريات حولنا راغباتٍ في المشاركة في النخب. ثم قالت جيرالدين:

- سيكون هذا المكان رائعًا.

- شكرًا لكِ. لا تعرفين كم يعني ليَ الأمر أن تأتي تلك الكلمات من اثنتين من أفضل أمناء المكتبات اللاتي أعرفهن.

أجبتُ.

وانفجر الجميع ضاحكين.

فسألتُ:

- ماذا؟

قهقهت كندرا ثم قالت:

- لم أرَ أحدًا من قبل يبتسم ابتسامة كبيرة كهذه.

- حسنًا عليكِ الانتظار حتى الافتتاح!

(1) Bellinis: نوع من الكوكتيل المصنوع من البروسكو وبوريه الخوخ أو الرحيق ومنشؤه في البندقية بإيطاليا.

الفصل الرابع

ديسمبر 2007

كانت مكتبة الاستعارة هي فتنتي الجديدة. فكرتُ فيها عندما كنتُ في المدرسة وفي طريقي إلى المنزل، وشعرتُ بالانتشاء في حضرتها، لذا رحتُ أتخيل طرقًا عدة لأجعل المكتبة سعيدة أو بالأحرى لأجعل زائري المكتبة سعداء. لم أُطق الانتظار حتى أخبر شقيقتي الكبرى –مادي– عنها. لكنني في بادئ الأمر رحتُ أتطلع إلى الحصول على بعضٍ من المواعيد الرومانسية البديلة.

كانت مادي تبذل جهودًا مضنية لمقابلة أُناسٍ جدد أكثر مما يبذله أي شخصٍ آخر أعرفه. وبدت كما لو أنها تتمتع ببعض الجاذبية للرجال التي لم أنعم بها في حياتي، لذلك دائمًا ما كانت تُكافَأ جهودها بالاهتمام. لكن لسوء الحظ، كانت دورة حياة الاهتمام الذي تحظى به لا تزيد على عُمر ذبابة الفاكهة.

أجابت مادي هاتفها عند الجرس الثاني، فقالت:

- مرحبًا بأميرة السراويل!

ابتسمتُ ابتسامة عريضة لتحيتها ثم أجبتُ:

- مرحبًا أيتها المثيرة!

- ماذا تفعلين الآن؟ لقد سمعت أن هناك أشياء جديدة تعدِّين لها.

فسألتها:

- هل تتمتعين بحواس الكلاب؟ أرى أن لديكِ قوى سمعية خارقة. كما ترين؛ فإنني أُعِد حلوى بودينج يوركشاير.

- ما هذا البودينج يوركشاير؟

سألت مادي.

- إنه نوع من الفطائر ...

قاطعتني مادي:

- أحب هذه الفطائر!

- ... عادة ما يجري خبزها في مرقٍ من اللحم البقري المشوي.

- اللحم المشوي مُقزز! لكنكِ لا تأكلين اللحم البقري المشوي.

- أعلم ذلك.

- ممم حسنًا دودي، ألا يعني ذلك أنكِ تعُدين الفطائر؟

تنحنحتُ مستنكرة ثم أجبتُ:

- أجل، حسنًا. لكنني أقرأ الآن ديكنز، وأرى أنه لا يُطلق عليها هذا الاسم. بل يُطلق عليها حلوى بودينج يوركشاير.

بالطبع تخليت عن فكرة إخبارها بأنه يُفضل أن يُطلق عليها اسم الحلوى الجافة، لأنها في الحقيقة ليست كذلك. حسنًا ربما كان شكلها الخارجي يوحي بذلك، لكن أي شخص قد أكل واحدة منها من قبل سيعرف أنها أفضل أنواع الخبز وأكثرها مثالية، حيث تغلفها تلك القشرة البنية الهشة بالكامل، وهي طرية قليلًا من الداخل. وعندما تخرج من الفرن أُفضِّل أن أغطيها بالزُبد أو ربما أستخدم بعضًا من التوت المُجفف من مزارع ميكون، أو ربما الرواسب الأخيرة من مربى الفانيليا والخوخ من «فوشون دين & ديلوكا». تركتُ الأفكار تسبح في رأسي وعُدتُ إلى محادثتي مع مادي.

- أين أنتِ؟

- أنا في الصالة الرياضية أحاول التخلص من فطائري بطريقة مختلفة.

- ماذا تفعلين؟

- أسير على جهاز المشي.

فأجبتُ متعجبة:

- مُدهش! تبدين رائعة.

- شكرًا لك دو. لكن لا تندهشي، لقد بدأت منذ ثلاث دقائق فقط، وهذا يعني أنني سأكتفي بميلٍ ونصف في الساعة الواحدة.

قاطعتُ الحديث عن الصالة الرياضية وسألتُ:

- كيف حال إله النشوة ديونيسوس الخاص بكِ؟

أجابت حالمةً:

- رائع! جلستُ أحملق لساعتين ليلة أمس إلى عينيه البديعتين التي لا بداية ولا نهاية لروعتهما ورموشه الداكنة الثقيلة. دائمًا ما تُشتت انتباهي عن الثرثرة والهذي الذي يخرج من فمه.

خرجت ضحكة ساخرة من فمي قبل أن أُجيبها:

- هذا غريب منكِ. أقصد أن من الواضح إليه أنكِ تعتقدين بأنه وسيم! ألم يشعر بالغرابة من التحديق إليه طوال هذا الوقت؟

- كلا، أعتقد أنه ظل يقول «رموشي جميلة للغاية، أليس كذلك؟ استمري في التحديق إلي؛ أعتقد أن هذا يساعدها على النمو».

أدرتُ عينيَّ ضاحكة:

- يمكنني أن أرى لِما أردتِ الانسجام معه إذًا.

- أجل! هذا هو السبب وراء كونه الرجل المثالي. فلنكتفِ بهذا القدر من الحديث عنه. المهم، أخبرتني أمي بأنكِ ستؤسسين مكتبة!

- أجل! أنا حقًّا متحمسة لذلك. تعرفين تلك الزاوية الضيقة في عُليتنا والكرسي الإسفنجي الذي اعتدتُ الجلوس عليه للقراءة؟ لقد أعددتُ زاويةً مثلها تمامًا في المكتبة هنا. وظللتُ أقطع اللوحات الفنية من مفكرات التقويم وأحولها إلى فواصل بين الكتب، حتى يمكنني أن أترك بعض الملاحظات لمن يقرأ الكتاب، أخبره فيه بالسبب الذي اخترتُ

لأجله هذا الكتاب. أتذكرين الغرفة الزجاجية الشمسية؟ هذا هو المكان الذي اتخذته لمكتبتي. أعتقد أنه مكانٌ رائع ومشمس، وتلك الأشجار من حوله تجعله بيتوتيًّا ومريحًا.

- يبدو كل شيء رائعًا. لا أطيق الانتظار حتى أراها. اسمعي، من الأفضل أن أبذل المزيد من الجهد في هذا التمرين وسأنطلق لتحقيق ثلاثة أميال في الساعة! استمتعي بروائع ديكنز حول الفطائر.

ثم ضحكت.

أدرتُ عينيَّ مرة أخرى ثم أردفتُ:

- شكرًا لكِ! أرجو أن تستمتعي بالتمرين.

- كما تشائين! وبالمناسبة، أراكِ الأسبوع المقبل.

- أعلم ذلك! لا أطيق الانتظار حتى نحتفل بعيد ميلادك.

وجهتُ حديثي إلى جيرالدين فقلتُ:

- إنها حقًّا تقترب، أليس كذلك؟

كانت رائحة الكُتب تعبق المكان بأكمله، وقد اصطفت الأرفف باستثناء سِلال الزينة التي سأضع فيها الكتب المصورة لأجل الأطفال حتى يبحثوا خلالها، واستقر أحد أرفف الكتب المنخفضة في إحدى الزوايا وقد حُشر جانبه كرسي إسفنجي، وتكومت فوقه حزمة من الكتب التي كان الغرض منها إغواء الآخرين الذين ليس لديهم أي فكرة عما يبحثون. وسأحافظ على تحديثها بكتبٍ جديدة عشوائية المواضيع؛ بعض من كتبٍ تصلح للقراءة على الشاطئ بقلم صوفيا كينسيلا أو هيستر براوني أو زان، وبعض من روايات نيكولاس سباركس المستدرَّة للدموع، وبعض من الروايات الأدبية الخيالية الجديدة التي حصلت على جوائز، وبعض من المذكرات والسير الذاتية الفاضحة. كانت بقية الكتب التي تضمها المكتبة مُقسمة إلى رواياتٍ خيالية وأدب روائي واقعي وكتبٍ مصورة؛ جميعها مُرتبة أبجديًّا في أرففها. ويمكن لأي أحد أن يصل إلى أي نوع يحبه من الكتب، وسيكون الصيد ممتعًا.

- إنها كذلك. لكن الغرفة تحتاج إلى شيءٍ ما.

أجابت جيرالدين بينما كانت إحدى يديها على أردافها ورأسها مائلًا وهي تتفحص جانبًا واحدًا من الغرفة.

- حسنًا! أريد أن أترك لوح الإعلانات فارغًا في الوقت الحالي، ويمكن للأطفال فيما بعد أن يملؤوه بطلباتهم ولوحاتهم وتلك الأشياء الجميلة.

كانت أفكاري تبتسم بالداخل عندما مرت عليها تلك الكلمات. كانت هناك خزانة كتب خشبية قد حصلتُ عليها في أحد المزادات، وكنتُ أنقلها من مكانٍ لآخر دون هدف لثلاثة أشهر - لا أصدق أنها الآن قد وجدت مأواها الحقيقي أسفل لوح الإعلانات. وأعلاها، يمكنني وضع سلةٍ صغيرة مكتوبًا عليها «**بطاقات التعليقات**» بها كومة من بطاقات التعليقات وأدسها داخل المظروف، ويمكنني من خلالها الحصول على **التعليقات والأفكار وقوائم الكتب المرغوبة** لأجل لوح الإعلانات. وتستقر حزمة كاملة من الأقلام الرصاص في عُلبة معجون الطماطم الإيطالية. وسيكون هناك أيضًا دزينة من أوراق التخطيط والرسم وصندوقان من أقلام التلوين.

- كلا، ليس هذا ما أقصده.

كانت جيرالدين تهُز رأسها، ورأيت شبح ابتسامة تحاول إخفاءه بينما تسترق النظر إلى الباب المؤدي إلى المنزل، وحينها أدركتُ أن كندرا قد اختفت خلاله منذ فترة ليست قليلة.

وبعد قليل، عادت كندرا تحمل شيئًا ما بين ذراعيها بحذر.

يا إلهي، كلا! أليس هذا ... أكانت ...؟

- هذا ما كُنا نفتقده!

صاحت كندرا كما لو أنها تستكمل الحديث الذي كان يدور بيني وبين جيرالدين.

حتى إن رؤيتي لذاك الإطار الخشبي على خلفية لوح الرسم تسبب في مفاجأتي وزوال ابتسامتي. ثم أدارت كندرا لوح الرسم، فأحكمتُ قبضة يدي حتى غرزت أظافري في لحمي من الغضب.

- أجل! هذا مثاليٌّ تمامًا.

صفَّقت جيرالدين.

كانت تقف هناك مُحدقةً إلى وجهي بتحدٍّ -إحدى لوحاتي- حيث تسبح اثنتان من عرائس البحر تُمسك إحداهما بيد الأخرى، كانت إحدى العرائس شقراء ذات شعرٍ يميل إلى الحُمرة، والأخرى ذات شعرٍ ذهبي بلون العسل، تتلاحق خصلات شعريهما وتلمع أعينهما المُرصعة بالنجوم كما لو أن الضوء ينبعث من داخلها. سقطتُ جالسةً على كرسي بحجم طفلٍ صغير أشعر به يتحطم أسفل مني. كانت ركبتاي ترتعشان وشبكتُ ذراعيَّ حولهما كيلا تلحظ أيٌّ من جيرالدين أو كندرا أيًّا مما يحدث لي.

لكن الحقيقة أنهما قد لاحظا ما كنتُ أمر به. كانت كندرا على دراية بلوحاتي الفنية من قبل -بالطبع عن طريق المصادفة عندما ذهبنا إلى عُليتي لجلب صناديق الكتب، وقد أشارت إلى صفٍّ وراء آخر من صفوف ألواح الرسم التي أدرتها لتواجه العوارض الخشبية- عندئذٍ شاركتُ معها قصة فشلي الباهر كفنانة ورسَّامة.

طوال تلك الساعات الطويلة التي قضيتها في إنجاز أعمال المعرض في نيويورك -من تبويب الكتالوجات وتعبئة المظاريف وإدخال عناوين البريد- كنتُ أعتني بموهبتي الصغيرة كرسَّامة، مُضحية بكل ليالي الثمالة مع أصدقائي حتى أدخر من أجل الألوان والفرشات ولوحات الرسم الجديدة، وذاك الركن في شقتي الصغيرة الذي كنتُ قد كرَّسته لحامل لوح الرسم وحجم العمل الذي يتزايد.

في أحد تلك الأيام سمح لي أخيرًا مالك المعرض الذي كنت أقضي فيه فترة تدريبي أن أعرض عليه بعضًا من أعمالي. وعندها نصحني بأن «ألتزم بوظيفة إدخال البيانات». أذكر حينها أنني قد تظاهرتُ بالغثيان، حتى أعود إلى المنزل وأبكي طوال العطلة الأسبوعية، إلى أن عاد دانيل من رحلته الاستكشافية لعرض الأزياء في المغرب.

- ماذا حدث؟

سألني دانيل عندما اتصل بي من سيارة الأجرة. كانت علاقتنا لا زالت في مهدها، وبالوضع في الحسبان كم كانت شقته رائعة؛ لم يكن من المنطقي أن نقضي وقتًا في شقتي، لذلك لم يكن دانيل قد اطلع على أي من أعمالي الفنية مطلقًا.

اعترفتُ:

- أخبرني مديري بأنه يكره لوحاتي.

- ماذا؟ هذا غير معقول. دعيني أرى ما رآه، وأعدكِ أن أخبركِ برأيي دون مجاملة.

وأصر دانيل على ذلك. أخذت نفسًا عميقًا ثم أجبتُ:

- حسنًا.

وبعد ثلاثين دقيقة ألقيت فيها تعويذة سحرية واحدة للتنظيف، قرع جرس المنزل.

- أتمزحين دودي، لديكِ موهبةٌ واضحة في لوحاتك.

كان هذا تعليقه على لوحاتي عندما اطلع عليها. كان قد سحب نصف دزينة منها خارج الطبقات الدقيقة لألواح الرسم التي كنتُ قد رتبتها بعضًا إلى جانب بعض على الأرض حول الحامل. ثم أضاف:

- إنها مختلفة عن أي شيء قد رأيته من قبل، ويمكنكِ القول إنني قد رأيت *الكثير* من اللوحات الفنية.

- حقًّا؟

سألتُ غير مُصدقة.

- أجل!

بدا مستغرقًا في التفكير قبل أن يستأنف حديثه مرة أخرى:

- اسمعي، دعيني أتحدث إلى بعض الأصدقاء ولنرَ إذا كان من الممكن عرض لوحاتك على شخصٍ آخر.

اعتقدتُ أن دانيل قد وقع في حب تحدٍّ جديد، لأنني وفي غضون شهرٍ واحد كنتُ قد تمكنتُ من الحجز في أحد العروض الجماعية في أحد المعارض الصغيرة التي تحظى بالتقدير والاحترام في تشلسي.

ولاختصار رحلة الألم الطويلة، كان دانيل وأصدقائي وعائلتي قد أحبوا أعمالي الفنية. أما عن صحيفة *التايمز* فقد أطلقت عليها «صبيانية وعاطفية»، وهناك أيضًا مجلة نيويورك، فقد وضعت مقالها عن أعمالي الفنية في عمود الثقافة المُقززة على مصفوفة القبول مُلحقًا بالتعليق «فن الطفل المبهم من أشخاصٍ يزعمون أنهم بالغون». كان من المفترض أن أشعر ببعض الإرضاء لكوني قد ذُكر اسمي في بقعة أسطورية –وقد أصرَّت سوليفان على أنه «حتى تلك الأعمال المُقززة تبدو رائعة»– لكنني لم أشعر بأي من ذلك. أما عن المراجعات الأخرى فلم تختلف كثيرًا عن قريناتها؛ بعضها قد تحدث عن الكيفية التي تُشرق بها أعين المجسمات ببهجة لا يمكن أن تُوجد في عالم تُدهس فيه الجراء، ومنهم من سخر من الفنان الذي يبدو وكأنه محبوس داخل فقاعة غريبة من التفاؤل.

كانت مادي قد تلفظت بكلماتٍ بذيئة أربع عشرة مرة متتالية مُحاولةً إقناعي بأن صحيفة نيويورك المملة عليها أن تتوقف عن استخدام مؤخرتها الكبيرة في التفكير، وتتوقف أيضًا عن كتابة المراجعات في أثناء تلك الصدمات التي تحدث بعد الإفراط في تناول المخدرات.

كان هناك صديق لدانيل قد أرسل إليَّ قدرًا من الأجبان المُعبأة والجاهزة للشحن. فقررتُ حينها أن أحبس نفسي داخل شقتي لعطلة أسبوعية أخرى تملؤها الدموع، وحزمتُ كل ألواني ولوحاتي وأغرقت أحزاني في قطع الفاكهة والجُبن القديم من النوع تووم. كان من المهم حينها أن أصارح نفسي بأنني لا أمتلك الموهبة لأكون رسَّامة، ولستُ عديمة الحِس أيضًا حتى أتغاضى عن كل الانتقادات التي أقابلها. كان عليَّ الاعتراف بأن ما يقوله الناس يترك جرحًا غائرًا داخل نفسي. بدا الأمر لي وكأنه هجوم واعتداء، ليس على أعمالي الفنية فقط، بل على طريقتي في رؤية العالم. في داخلي كنتُ أتمنى لو أن أبي –الذي ليس أبي– ربما يفتخر بنجاحي –أو بإخفاقي كما اتضح الأمر– حتى

يُفكر في الاتصال بي طوال تلك السنوات بعدما هجرني وعائلتي. والحقيقة أنه بالفعل لم يُحاول قط الاتصال بي بعد العرض أو في تلك المراجعات المُهينة.

طرحتُ حينها ذاك السؤال على دانيل: «ماذا يتعين عليَّ أن أفعل الآن؟» كان جزء مني حينها يريده أن يُجيب: «الأفضل أن تأخذي راحة لبعض الوقت ثم نعود للرسم مرة أخرى. لا يهم ما يقولونه على أي حال».

إلا أن جوابه كان:

- كنتُ قلقًا من أن يحدث هذا، وقد حدث.

أجبتُ:

- ماذا؟ المراجعات السيئة؟ لماذا؟

افترضتُ حينها أنه يقصد تلك العادة التي يتبعها بعض النقاد من إحباط الأُناس الجُدد لأجل المتعة. لكنه لم يقصد ذلك!

- أريد أن أراكِ سعيدة دو. لكن ربما يكون من الأفضل أن نتقبل حقيقة أن لوحاتك ليست جيدة بما يكفي، بدلًا عن أن تقضي سنواتٍ تُحاولين فيها تحقيق ذلك، أليس كذلك؟

فغر فاهي، ورحتُ أردد كلماته: ليست جيدة بما يكفي؟ هذا ما كان يُفكر فيه؟ وعلى الرغم من ذلك سمح لي بأن أعرض أعمالي على العالم؟ كنتُ أريد حينها أن أقول: «اعتقدتُ أنكَ قد آمنت بموهبتي»، لكن لم يكن هناك جدوى من ذلك. كان مقصد دانيل واضحًا، وكان قلبي مُحطَّمًا. وأدركتُ حينها أنه لم يعد بإمكاني الاستمرار في علاقة معه بعد كل هذا.

كنتُ قد سجلتُ في صفوف تعليم المُعلمين بعد أسبوع مما حدث، واعتقدتُ أن بإمكاني توجيه شغفي للرسم لمساعدة تلك الكائنات الصغيرة على تعلُّمه. واكتشفتُ أنني أحب ما أفعله الآن. لكنني لم أود قط أن أرى تذكيرًا على إخفاقي يرقد بين يدي كندرا. وبالطبع لم أستسِغ فكرة أن أُجبِر جميع روَّاد المكتبة على النظر إلى لوحتي أو يعتقدون –لا قدر الله– أنني أتباهى بها.

كانت كلٌّ من كندرا وجيرالدين قد تتبَّعا تسلسل ما شعرتُ على وجهي، حين ربتت جيرالدين على كتفي وجلست كندرا على كرسي الأطفال الآخر، تحمل اللوحة بين أحضانها وتُريح ركبتيها مقابل ركبتيَّ. كانت عرائس البحر تُحدق إلى عيني، فأغميت أعينها بيديَّ.

- دودي، تعلمين أن تلك اللوحة ستُدفئ من أجواء الغرفة بأكملها. ولن يعرف أي شخص أنكِ من رسمتِها. ويمكنكِ إخبارهم بأنكِ قد ابتعتها من أي مزاد.

قالت كندرا.

أجبتُ بصوتٍ منخفض:

مكتبة
t.me/t_pdf

- كلا! شكرًا لك!

لم تكن كندرا من النوع الذي يسهل ردعه عما يُقرره، لذلك تركت مجلسها وسارت باتجاه الحائط خلف مكتب التوزيع وهي تحمل اللوحة في الارتفاع الصحيح، ثم قالت:

- إنها لوحة بحرية وتمنحك الشعور بأنك تعيش في نيو إنجلاند. إنها مصنوعة بسعادة وحب. دو! إنها رائعة. عليكِ أن تعترفي بذلك.

إلا أنني تمتمتُ:

- لن أعترف بذلك. إنها لوحة صبيانة وعاطفية.

أجابت كندرا وهي تحاول ملاحقة عينيَّ والالتقاء بها:

- أنتِ لا تُصدقين ذلك، أليس كذلك؟

قلتُ وأنا أحاول حماية ما تبقى من نفسي:

- ليس من شأني أن أُصدر الأحكام على اللوحات.

- جيد! دعي روَّاد المكتبة يُقررون ذلك!

كانت جيرالدين تحثني على القبول.

- لم يكن هذا ما أقصده!

كانت كندرا مُحبة للجدل خاصة إذا وصل الأمر إلى حد الإقناع بأمر تؤمن به:

- قد لا يكون هذا مقصدك، لكن هذا ما قلتِه بالضبط! اسمعي دو، ليس علينا أن نفعل ذلك إذا كنتِ لا تريدينه. ولكن قبل كل شيء، عليكِ أن تعلمي أنك ستولينها ظهرك طوال الوقت تقريبًا.

وجلست كندرا إلى مكتب التوزيع لتُريني ما تقصده، ثم استأنفت حديثها:

- بالإضافة إلى ذلك (وقد ضيَّقت كندرا عينيها كما لو أنها على وشك الذهاب إلى الصيد) سمعتُ إلميرا تقول في أحد الأيام إن عرائس البحر هي مخلوقاتها الأسطورية المفضلة. وأنا على يقين من أنها ستشعر بمزيد من الترحاب إذا رأت تلك اللوحة هنا.

تنهدت يائسة أو ربما بدأت التفكير في الأمر؛ كانت سعادة إلميرا أكثر أهمية من مخاوفي، بالإضافة إلى أنني قد خططت لإحضار قطعة فنية – بريشة شخصٍ آخر– لاستبدال لوحتي المبتذلة في أقرب وقتٍ ممكن.

في ليلة الجمعة كنتُ قد أقمتُ حفل افتتاح بسيط لأجل المكتبة، وكنتُ أود لو حضرت عائلتي، لكن مادي وعائلتي رفضوا المجيء بلطف إلى هنا، والذي اتضح بعد ذلك أنه أمر جيد، فلم يكن هناك متسعٌ في الغرفة لمزيد من الأفراد. وبما أن الحال كان كما كان، تناوب الروَّاد في الدخول إلى الغرفة. ولم يُبدِ أحدهم استياءً من ذلك. كنتُ قد علَّقتُ بعض المصابيح الورقية على الأشجار خلف المنزل حتى يتمكن الناس من التجمع بالخارج والاختلاط بعضهم ببعض. وعلى الرغم من كل شيء كان هناك أمر واحدٌ فقط قد انتقص من فرحتي وبهجتي تلك الليلة: حال إلميرا وهي تتطلع إلى نافذة غرفتها وتحلم بالحضور إلى المكتبة معنا. وفجأة أدركتُ أن فطائر الكانابيه[1] المحشوة بشرائح البط والجبن المُدخن قد أصبحت باردة بالفعل.

---

(1) الكانابيه: هي شرائح خبز مستديرة أو مربعة أو مثلثة، يوضع عليها كافيار أو شرائح أوز مسمن أو سردين أو سلمون مدخن. (المترجم)

قررتُ في ذلك الوقت أنني سأقيم احتفالًا صغيرًا لأجلها، وربما أُحضر بعض أكواب الكعك إلى المكتبة بعد أحد الأيام الدراسية. أما الآن فعليَّ الانتباه إلى ضيوفي الذين أتوا للاحتفال –الصداقات التي أحظى بها والصداقات التي سأُكونها فيما بعد حول أكوام الكتب– وستمحي حماستهم عني أي شكوك يمكن أن تغزو قلبي. ويمكنني أن أرى ذلك بعيني الآن: تلك المكتبة الصغيرة ستعود بالنفع على أُناس بلدة شاتسورث. أما مجرد التفكير في الأمر فقد جعل وجنتيَّ تتورَّدان وتُشرقان مثل نوافذ ملاذي الحبيب المغمور بالكتب؛ ذاك الملجأ في الليالي الخالية أو الأيام العصيبة لأي شخص يود الدخول إلى الجانب الآخر.

***

- عيد ميلادٍ سعيد مادي! أتممتِ الخامسة والثلاثين أخيرًا!

كان هذا أول ما نطقت به في الليلة التالية في نيويورك.

- شكرًا لكِ دو!

بدت مادي سعيدة، أو على الأقل بدا حاجباها سعيدين. لم أتمكن من رؤية بقية وجهها بسبب أبراج المحار الشاهقة أمامها، ولكن ما استطعتُ رؤيته كانت حلزونات البحر، وأرجل السلطعون، وجزءًا من سرطان البحر، وبعضًا من الروبيان منمنم الحجم، وبعضًا من المحار الصغير المستدير الذي لم أستطع التعرف عليه. ثم أتى صوتها مستأنفًا:

- يمكنكِ أخذ أي من الكائنات البحرية التي تريدينها.

وضلَّ صوتها طريقه وسط الثلج.

- أووه، لا بأس. سأكتفي بطبق جراد البحر حاليًّا.

أجبتُها بينما أنتزع لقمة من المحارة وأضعها في فمي ثم أطبق عليها. كان رئيس الطُهاة ديليان فريمايس نابغة المأكولات البحرية. أما عن مذاق جراد البحر هذا فقد تلمستُ فيه مسحة من زيت الزيتون وبعضًا من ملح البحر مالدون وفُلفلًا أسود مجروشًا وقليلًا من عصرات الليمون... وشيئًا آخر عجزتُ عن تحديده... مسحةٌ فنية بسيطة أمكنها أن تُحدِث كل الفرق بين

السحر الذي يُضفيه على الطبق في مطبخه ومأدُبة التقديم، لكن لا يمكنك استخلاص النتائج المثمرة من ناحيتي. ثم كانت الجدران المزخرفة التي تغطيها لوحات فنية عملاقة لأحد الحيتان التي تحوم فوقنا. وخدمة التقديم اللائقة. ناهيك بالأثر الذي ستتركه تلك الوجبة على حسابي البنكي.

- سنقتسم الوجبة.

كان هذا ما قالته مادي عبر الهاتف قبل شهر حتى أطمئن عندما أخبرتها بزيارتي إلى نيويورك لأحتفل معها، وسألتها عما إذا كانت ترغب في تناول العشاء في مطعمٍ بعينه. ثم أضافت:

- إنه عيد ميلادٍ مهم هذا العام، وأشعر أنني أود أن أُدلل نفسي، وكنتُ دائمًا أرغب في تناول وجبة في مطعم **ليه كروستيس**. موافقة؟

أطلقتُ تنهيدة طويلة. فسواء كانت وجبة واحدة أو وجبتين في مطعم **ليه كروستيس**، سأكون بالفعل غارقة في هوة الحساب البنكي حتى أعبأ بهذا الفرق. ومن المستحيل أن أسمح لمادي أن تشتري وجبة عيد ميلادها. فقد فقدت وظيفتها للتو... مُجددًا. هناك شيءٌ ما حيال مادي: إنها دائمًا ما تبدأ كل وظيفة بهالة كبيرة من الحماس التي تحملها على الاستمرار طوال الأسابيع القليلة الأولى. ولسوء الحظ لا تهتم مادي كثيرًا بالتفاصيل الصغيرة التي تتعلق بالوصول إلى مقر العمل في غضون ساعتين، أو الرد على رسائل البريد في غضون كذا... لم تهتم بأي من ذلك مُطلقًا. وعادة ما يفقد أصحاب العمل الجُدد حماسهم بسرعة رهيبة.

لذلك بعد الاندفاع إلى شراء الوجبات البحرية الثمينة، قررتُ أنني سأمتع نفسي أيضًا. ولم يكن عليَّ أن أقلق ما إذا كانت مادي ستستمتع باليوم أم لا.

- هذا أنتِ أخيرًا!

علَّقتُ عندما عاد وجهها للظهور مرة أخرى. كان برج المحار قد بدأ يتهاوى وينكمش، وقد امتلأ طبقها الجانبي بالقشور الفارغة. فصاحت:

- أووه مرحبًا! حسنًا الآن يمكنني أن أُخبركِ عن السبب الحقيقي وراء هذا الاحتفال الكبير.

- عيد مولدك المرموق؟

أجبتها بلطفٍ قبل أن أمنحها ابتسامة ساخرة.

- اصمتي!

أجابت ثم تابعت مبتسمة:

- واستمعي جيدًا إلى حكمة شقيقتك الكُبرى. إنني أحتفل اليوم بحريتي.

- حريتكِ من وظيفتك الكارثية الأخيرة؟ حرية إذًا؟ أهذا ما يطلقه شباب اليوم على الاستقالة؟

تجاهلت مادي سخريتي لكنها أجابت:

- أنا على أتم الاستعداد الآن أن أحتضن طبيعتي الطليقة خالية البال.

قرقعت كؤوسنا لكن شيئًا ما كان قد أقلق راحتي.

- أجل، صحيح ... مم، أخبريني عما تقصدينه. كيف اختلف هذا عن انطلاقتك وراحة بالك المعتادة؟

- حسنًا، الآن وكما تعرفين فقد أتممت اليوم الخامسة والثلاثين ولا زلت امرأة عزباء، وبناءً على كل الدراسات الطبية بدأت فرصي في الإنجاب تتضاءل، وبخاصة أن جدتنا قد حاولت الإنجاب في عمر الخامسة والثلاثين وعجزت عن ذلك. كانت قد أنجبت والدتنا وشقيقها تشارلي، ثم لم يُحالفها الحظ بعد ذلك.

سرت رعشة في جسدي أصابت رأسي، لكن ذلك لا يُثبت أي شيء على الرغم من ذلك. تابعت مادي:

- ولم تتمكن أمي من الإنجاب بعد عمر الخامسة والثلاثين أيضًا.

- عمَّ تتحدثين؟

- لا تُشيري بهذا الشيء نحوي!

قالت مادي، فانتبهتُ إلى مخالب جراد البحر في يديَّ اللتين ترتعشان.

فكررتُ على مسامعها:

- عمَّ تتحدثين؟

- كان هذا أحد الأسباب التي جعلت أبي الذي ليس أبي يتركنا ويهرب عندما كُنا صغارًا. كانت أمي تريد إنجاب المزيد من الأطفال، لكنه وبعد عامٍ من المحاولة، رفض أبي، الذي ليس أبي، ذلك.

كنتُ على وشك فقدان التوازن فقلتُ بوهن:

- حقًّا؟

كانت الأصوات في الغرفة تهدر مندفعة باتجاهي كموجة عالية، ثم هدأت، ثم عادت للهدير مندفعة باتجاهي مرة أخرى. وما كان مني إلا أن أنتبه إلى ما تقوله مادي.

كانت مادي تنظر في عينيَّ مباشرة بينما تُجيب:

- أجل. أعتقد أن الأمر صار منطقيًّا. بالطبع هو والدنا الحقيقي، لكنه من الواضح أنه لم يكن يرغب بنا.

زالت ابتسامتها وحلت محلها تجاعيد الحزن. وقد كان هذا ما انتزعني من صدمتي. لا يمكنني أن أدع مادي تشعر بالحزن في يومٍ كهذا حتى لو كان حديثها يُصيبني بالغثيان.

أجبرتُ الكلمات أن تخرج من فمي لأجيبها:

- حسنًا، متى سيأتي جزء الاحتفال؟

هزت مادي كتفيها كما لو أنها تنفض الحزن عنهما ثم انتعشت لتُتابع:

- حسنًا، يكمن جمال الأمر الآن في أنني قد بلغت الخامسة والثلاثين ولم أعد بحاجة إلى القلق بشأن ذلك فيما بعد. لقد اتخذت قراري وتقرر مصيري.

- هذا هراء!

خرجت ضحكة من بين شفتيَّ بدت مبحوحة بشكل مُريب، ثم استأنفتُ:

- هذا لا يعني بالضرورة أي شيء لنا ... مم – لكِ.

مالت مادي بجسدها نحوي كما لو أنها على وشك أن تُخبرني سرًّا، ثم قالت:

- وهنا يأتي الجزء الأفضل. لقد اكتشفتُ أنني لم أعد أهتم حقًّا! والحقيقة هي أنني أشعر بالارتياح. ما أقصده هو أنكِ لا زلتِ تمتلكين الوقت لذلك، لكنه بالتأكيد من حسن الحظ أنكِ لا تُربين طفلًا أيضًا.

- بالتأكيد من حسن الحظ؟ لماذا؟

كانت مادي تُراقب وجهي وقد طبعت على وجهها ابتسامة مفتعلة عندما لاحظت تغيُّر وجهي، حينها أدركتْ أن عليها تهدئة الأمر.

- لا عليكِ، دعينا نستمتع بشرائح الروبيان.

بينما تُلوِّح بيدها إشارة إلى المصالحة. لكنني أصررت على استكمال الحديث:

- كلا! أريد أن أعرف ما هو الشيء المؤكد في ذلك.

تابعت مادي:

- لديكِ الكثير من الأمور التي تجري في حياتك الآن، بدءًا من الاستقرار في شاتسورث حتى مكتبتكِ الجديدة، وبعض المواعدة التي آمل أن تحصلي عليها. هل ترغبين حقًّا –على الرغم من كل هذا– في أن تُربي طفلًا بمفردك؟

كان الصمت قد أطبق على حنجرتي لوقت طويل قبل أن أجيب:

- ما الذي جعلكِ تعتقدين أنني سأظل وحيدة؟

- أنا على يقين من أنك لن تظلي وحيدة، لكن ماذا لو حدث ذلك بالفعل؟

- تعلمين أن أمي استطاعت تربية أطفالٍ بمفردها لسنوات.

- أجل! لكن الأمر كان مقيتًا. ليس هذا كل شيء، الأمر هو أنكِ تُحبين الرسم أكثر من أي شيء آخر، لكنكِ تخليتِ عنه بعدما تلقيتِ بعض المراجعات السيئة. كيف تعلمين أنكِ ستُصبحين مثل أمي وليس مثل أبي الذي ليس أبي؟ أعلم أنكِ تُحبين الأطفال، لكن ماذا لو صار الأمر عصيبًا حقًّا ولم يعد هناك مخرج؟ كيف تعرفين أنكِ لن ترغبي في الهروب؟

- مستحيل أن أفعل ذلك أبدًا.

- أنتِ لا تعرفين ذلك بعد.

- بل أعلم ذلك جيدًا.

بدأ صوتي يعلو تدريجيًا. فأجابت مادي:

- كلا، لا تعلمين شيئًا.

- هل تعرفين أي شيء عني مطلقًا؟

- أجل، أعرف الكثير. وأعرف نفسي أيضًا. أعرفها جيدًا. دعينا نواجه الحقيقة. ربما تكون كوكو هي شقيقتنا الصغرى، لكنها الوحيدة من بيننا مَن يمكنها جمع شتاتها الآن حتى تُنجب طفلًا. أعلم أنني أنانية بدرجة تجعلني أعجز عن إنجاب طفل، وأنتِ تعيشين في عالمٍ خيالي حيث يأتي كل شيء بسهولة. ربما تعتقدين أن الجنيات السحرية ستسقط من القطب الشمالي وتعتني بطفلكِ بدلًا عنك إن عجزتِ عن ذلك.

صرختُ في وجهها:

- كُفِّي عن هذا مادي! لقد فقدتِ -ماذا- وظيفتكِ الثالثة والعشرين هذا العام؟ إذا كان أي منا سيتحول إلى شخصٍ كسول قاسي القلب مثل أبي الذي ليس أبي، فسيكون *أنتِ*!

اتسعت عينا مادي ذهولًا ... وكذلك كانت أعين كل من كان في المطعم. وشعرتُ بعدها بأحدهم يربت على كتفي، فتطلعتُ من وراء كتفي.

- عذرًا آنسة! هل يمكنني التحدث معكِ لدقيقة بشأن الحلوى؟

كان نادل المطعم يتحدث بهدوء. بالطبع كنتُ قد أعددت طلبًا بحلوى كروكمبوش[1] الخاصة من أجل مادي؛ واحدة من أبراج رقائق الحلوى المجنونة التي تربط بينها خيوط الكراميل اللذيذة بعد تجميدها.

---

(1) كروكمبوش: حلوى فرنسية من عجينة الشو مكدسة في مخروط ومربوطة بخيوط الكراميل. (المترجم)

كان وجهي مشتعلًا بالغضب والخجل معًا.

- آسفة سيدي.

قلتُ بهمسٍ بينما أُحدق إلى منديل المائدة، ثم تابعتُ:

- كنتُ وشقيقتي نُجري حديثًا وديًّا، إنه عيد مولدها.

قاطعتني مادي:

- هذا صحيح، لم تقصد أي شيء مما حدث.

- أجل. أتفهم ذلك، لا بأس. هل يمكنني دعوتكما لتناول الحلوى في مشرب الحانة؟ هناك طاولة لطيفة بالقرب من النافذة.

كان النادل يلفظ كلماته بوجه جامد لا يُظهر أي انفعال. وكانت مادي تميل باتجاه الطاولة لتسمع حديثنا. وألقينا معًا نظرة على مشرب الحانة. كم كان محرجًا! سيكون علينا أن نمر من بين كل طاولات روَّاد المطعم في طريقنا للذهاب والعودة إلى هنا. سنقوم بمسيرتين من الخجل والفضيحة بفضل اندفاعي وثورتي. ومن الواضح أن مادي كانت تُفكر بالشيء نفسه.

هزت مادي رأسها بالرفض ثم قالت:

- أُفضِّل إعدادها لنأخذها جاهزة إلى المنزل.

لم تعلم مادي ما أعددته لها، لكن لحسن الحظ لن تشاركني رؤيتي الحزينة الآن عندما تخيلتُ الهرم المتهدم، وفكرتُ أنه سيبدو -عند تهدمه- كما لو كان عجينة من الرقائق الهلامية التي تَنِزُّ بالكريمة. يكفي على الأقل أن مذاقه سيكون لذيذًا.

- بالطبع آنسة، سيكون من دواعي سروري.

أحضر النادل الفاتورة على الفور كما لو أنه قد توقع قرارنا، وتحركت بطاقتي الائتمانية بخفة ذهابًا وإيابًا، وظهرت أمام أعيننا حقيبة تشبه حقائب الجراء الصغيرة، مزينة بالأحرف الأولى لاسم المطعم إل وسي. ثم شققنا طريقنا في حرج نحو الباب.

انطلقت مادي مسرعةً نحو مترو الأنفاق عندما أصبحنا في الخارج، فكان عليَّ أن أركض حتى ألحق بها.

بدأتُ بالهذيان متقطعة الأنفاس:

- أتصدقين ما حدث؟ لم يسمحوا لنا حتى بتناول المقبلات أو الجلوس إلى طاولتنا من أجل الحلوى الخاصة التي طلبتها. ليس الأمر وكأننا حفنة من الرعاع المشاغبين.

التفتت مادي نحوي:

- دودي، اصمتي الآن. لا أريد حقًّا أن أسمع أي شيء يخرج من فمكِ الليلة.

- لكنكِ أخبرتِ النادل أنني لم أقصد أي شيء مما حدث!

- لم يكن هذا من أجلك. كان هذا من أجلي، لأنني أردت تناول بعضًا من فطائر الشوكولاتة بالرقائق الذهبية وصوص الكوليوس[1] على طبق راقٍ وليس في أطباق الفوم!

كان الغضب قد تملكها عندما صرخت بتلك الكلمات، فخرجت من بين شفتيها عبارات بذيئة لا يمكنني تكرارها.

- حسنًا، أنا آسفة. لكنكِ أيضًا قد ألقيت قنبلة ضخمة في وجهي الليلة عندما تحدثتِ عن الأطفال وعن السبب الذي جعل أبي الذي ليس أبي يتركنا، ولم تتركي مجالًا حتى تُهنئيني و ...

وضعت مادي إحدى يديها على فمي حتى أصمت.

- لا يحق لكِ اختلاق الأعذار. وتعلمين جيدًا كيف تتصرفين في المطاعم والأماكن العامة. أما عن الأطفال فإنهم ليسوا كل شيء في العالم.

كانت نظرة مادي نحوي تحديًا واضحًا وقد أرعبتني في الوقت نفسه. لم أكن على وشك البدء في اختلاق الأعذار فقلتُ:

---

(1) صوص الكوليوس: مصنوع من الخضراوات أو الفاكهة المهروسة والمصفوفة، يشتهر استخدامه مع أطباق الحلوى. (المترجم)

- اسمعي مادي، لا أريد أن أتشاجر معكِ في عيد ميلادك. دعيني أشتري لنا زجاجة ڤيوڤي، ثم نعود إلى منزلك لنستمتع بالحلوى. إنها حلوى الكروكمبوش! (امتعض وجهي بابتسامة مفتعلة ثم تابعت) دعينا لا نُفسد ليلتنا.

اقتلعت مادي الحقيبة من بين يدي وألقت بها في أقرب سلة قمامة ثم قالت:

- فات الأوان. لقد أفسدتِ عيد ميلادي بالفعل!

***

استلقيت على الفراش مستيقظة تلك الليلة بينما كانت أنفاس مادي تخرج على وتيرة واحدة. كان من الجيد أنها قد غطت في نومٍ عميق حتى لا توقظها دموع الندم التي ظللت أذرفها طوال الليل. كانت مادي حقًّا في حاجة شديدة إلى شيء جيد في حياتها بعدما فُصِلت من عملها. وكانت تعمل جاهدة لتنظر نحو الجانب المشرق. ربما كانت قاسية معي بعض الشيء، وكانت تعلم أن قليلًا من القسوة إلى جانب قنبلة العائلة ستؤثر في نفسي كثيرًا. مع ذلك ما كان من المفترض أن يصل الأمر إلى هذا الحد، فقد كانت ليلتها وحفلتها. وقد أفسدتُ كل شيء بثورتي المشحونة بحُمى الأطفال وموقفي الدفاعي.

لا يمكنني التصديق بأنني قد شبَّهتها بأبي الذي ليس أبي. فقد تركنا والدنا الحقيقي عندما كانت مادي في عمر السابعة، وكنتُ أنا في عمر الرابعة. أما كوكو فكانت تبلغ عامين فقط. وبخلافنا جميعًا كانت مادي تمتلك قدرًا كبيرًا من الذكريات معه، أغلبها يدور في إطار المشاجرات مع والدتي وصراخه الدائم عليها أو حضوره إلى المنزل لتبديل ملابسه بملابس نظيفة قبل «رحلة عمله» التالية. أما عني فقد منحني عقلي القليل من الذكريات المتفرقة معه وصورة ضبابية لوجهه. أما كوكو فلا تتذكره على الإطلاق. الحقيقة هي أننا لم نسمع عن أخباره شيئًا بعدما تركنا. ولأعوامٍ طويلة كانت أمي تخبرنا أنه يعيش في ترف وربما في فيلا في جنوب فرنسا. لكنها اعترفت لنا فيما بعد بأنها قد اختلقت تلك الأكاذيب حتى تعفونا من الحقيقة المُرة: حقيقة أن

منزله كان قاب قوسين أو أدنى من منزلنا طوال طفولتنا مع زوجته الجديدة وطفليه اللذَين كانا أصغر من كوكو.

أدركتُ الآن خطئي فما كان من المفترض أن أقول لمادي إنها ستتحول في النهاية إلى شخص يشبهه. ربما كانت ترتدي قناع الشجاعة واللا مبالاة، لكنها ترتعد من الداخل بسبب تقدمها في العمر. الحقيقة ليست أنه لم يكن يريد أطفالًا. بل الحقيقة هي أنه لم يكن يريدنا نحن.

لا يمكنني أن أُنكر بعض الحقائق فيما قالته مادي عني. ربما كنتُ أعيش في بعض الأحيان في عالم الأحلام، وربما بلغت الثانية والثلاثين وسأُعيد الكرَّة مرة أخرى. لكن شاتسورث هي المكان الذي طالما أردت أن أكون فيه. وكنتُ أشعر بذلك في أعماقي. والحق أنني قد عزمت على إنجاح مكتبة الاستعارة «الكتاب خانة». وعزمتُ أيضًا على أن أصبح أمًّا في أقرب وقتٍ ممكن، قبل أن يفوت الأوان.

***

هاتفتُ أمي في اليوم التالي بعدما عُدت إلى المنزل؛ كنتُ أريد التأكد مما قالته مادي في اليوم السابق

- أمي! إن مادي تقول إنكِ وجدَّتي لم تستطيعا إنجاب الأطفال بعدما بلغتما الخامسة والثلاثين. هل هذا صحيح؟

طالت فترة الصمت التي التزمت بها والدتي قبل أن تُجيبني، والحق أنها لم تكن تُنذر بالخير حتى قالت:

- أجل! ولكن دودي، كل شخص يختلف عن غيره. وهذا لا يعني أي شيء بالنسبة إليكِ. انظري مثلًا إلى فتيات عائلة كيمنسكي. سترين أن جِنا قد عانت كثيرًا في صراعها مع العقم لسنوات، لكن إلينور قد أنجبت طفلًا وهي في عمر الأربعين بينما كانت تقضي شهر عسلها.

الحق أن تلك الكلمات «*قد عانت كثيرًا في صراعها مع العقم*» لم تساعد في حل المشكلة. فسألتُ:

- لماذا لم تُخبريني بذلك من قبل؟

- لأنني لم أكن أريد إحباطك بشيء لا يمكنكِ التحكم فيه. أنتِ عزباء الآن، فما الذي يمكنكِ فعله حيال ذلك؟

أجبتُ:

- لا أعلم، لكن يحق لي على الأقل أن أفكر فيما يمكنني فعله.

***

قضيت بقية العطلة الأسبوعية في البحث. وكان من الواضح أن هناك بعض التحاليل التي يمكن أن تُحدد ما إذا كنتُ أمتلك رحمًا يمكنه استقبال طفلٍ أم أنني سأحتاج إلى أعشاب من أجل التكاثر. لذلك حددتُ موعدًا مع طبيب النساء والتوليد الخاص بي، الطبيب لين، وكان موعدي هذا هو الثاني في مدة الأشهر الست التي قضيتها في شاتسورث، لكنني الآن في حالة طارئة.

بعدما أخبرني الطبيب لين كل شيء عن الأمور الأساسية التي يجب أن أعرفها، أخبرته بأنني أريد الخضوع للتحاليل، فقال:

- من الممكن ألا يغطي تأمينك تلك التكاليف لأنكِ لا زلتِ صغيرة في العمر بالإضافة إلى أنكِ لا تُعانين العقم.

- أتفهم ذلك لكن الأمر يستحق بالنسبة إليَّ.

- حسنًا، ستحتاجين إلى العودة إلينا في أثناء الدورة الشهرية القادمة، وسنسحب عينة الدماء في اليوم الثالث منها. أما اليوم فيمكنني فحص مبيضيكِ ونُحدد في أي مرحلة من مراحل التبويض أنتِ الآن إذا كنتِ تُريدين المتابعة.

- أرجو ذلك.

- سأعود على الفور.

دخلت المساعدة إلى الغرفة وأعدت مسبار الأشعة فوق الصوتية، لكن كل ما كان يدور في ذهني هو أنني لم أتخيل قط أنني سأحتاج إلى استخدام أي من هذا إلا في مرحلة الحمل.

عاد الطبيب لين إلى الغرفة بعد عدة دقائق وبدأ في الفحص. لم يكن الاختبار مريحًا كما يبدو، لا سيما أنني كنتُ متوترة للغاية مما سيكتشفه.

حافظ الطبيب على صمته بينما كان يتطلع إلى الشاشة، ثم قال:

- لِمَ لا ترتدين ملابسكِ وسنناقش ما رأيته؟

قادتني المساعدة إلى غرفة مكتبه وفكرتُ في أنه إذا كانت الأخبار جيدة لكان سيتحدث عنها على الفور، إلا أن بداية الحديث كانت كما يلي:

- يبدو كلا المبيضين منكمشين في حجم أصغر من حجمها الطبيعي. بالإضافة إلى أنني وجدت عددًا قليلًا من حويصلات البويضة في كل واحد؛ ثلاثة على أحد الجوانب واثنتان على الجانب الآخر.

بدأت معدتي تتمخض كما لو أن أسرابًا من سمك السالمون تسبح فيها إلى الأعلى عكس التيار.

- ماذا يعني هذا؟ وما العدد الذي من المفترض أن تراه؟

- بالنسبة إلى أي شخص في مثل عمرك نتوقع أن نرى عددًا أكبر من الحويصلات. أما الآن فمن المحتمل أن تكون عملية الإخصاب في المختبر أكثر تحفيزًا لإنتاج الحويصلات، أو أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، وأن تكون دورة الإنجاب ضعيفة بالنسبة إليكِ. لكننا نُفضل أن نرى أكثر من عشرين حويصلة أو أكثر في المبيض.

- حسنًا، هذا يعني أن الأمر أصبح سيئًا، أليس كذلك؟

وبدأت الدموع تُهدد بالنزول.

- اسمعي، تقول الأبحاث الحالية إن السن هي أفضل عوامل التنبؤ بنجاح الإنجاب أكثر من التحاليل والاختبارات. وستكون الفرص جيدة بالنسبة إليكِ. ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من بويضة واحدة، لذلك أعتقد أنه من الأفضل البدء في إجراء تحاليل الدم حتى نستطيع الحصول على المزيد من المعلومات.

- حسنًا سأفعل ذلك.

هذا ما نطقت به، لكنني على الرغم من ذلك لم أكن متأكدة من أنني سأجري تلك التحاليل. ما الغاية وراء كل هذا؟ أقصد أنني بالفعل أرى الآن انخفاض نسبة الخصوبة لديَّ في عمر الثانية والثلاثين. ومن الواضح أنني عندما أبلغ الخامسة والثلاثين من المحتمل أن أكون في نفس الموقف الذي كانت فيه أمي وجدتي، الفرق الوحيد أنني سأكون دون أطفال.

***

- تعرفين أن سوليفان قد عادت من إثيوبيا برفقة الطفل، أليس كذلك؟

قالت كندرا في إحدى الليالي بعد إنهاء العمل في المدرسة بينما كانت تُرتب البطاقات المكتبية في أدراج مكتب التوزيع.

- مممم أعلم، إننا نتراسل.

أجبتُ دون انتباه وكنتُ أخربش الرقم خمسة وثلاثين على فراغ الورقة التي كانت أمامي. صار هذا الرقم حاملًا لكل المعاني المشؤومة الجديدة منذ حديثي مع مادي تلك الليلة.

- لا أدري ما الذي يحدث معكِ، لكن هل تريدين التحدث بالأمر؟

قالت كندرا أخيرًا، فربما استفزَّها نقص الحماس الذي بدا في صوتي.

- كلا إنه الطقس ما يُصيبني بفقدان الشغف.

حاولتُ التكتم والكذب.

- لكنكِ دائمًا ما تتحدثين طوال الوقت عن ولعِكِ بالشتاء، وكيف أن العالم بأكمله يصير مثل منديل المائدة المُطرَّز بالحَمامات التي تبني أعشاشها قرب حبات الكرز شائكة الأطراف.

علَّقت كندرا مبتسمة.

- أجل، لقد قلتُ هذا من قبل، أليس كذلك؟

أجابت كندرا بيأس:

- حسنًا كما تريدين، تعرفين أنني سأكون بجانبك إذا أردتِ التحدث عن الأمر.

- كلا. أخبريني كيف كان يومك.

- أووه كان جيدًا جدًّا. أقصد أنه بخلاف العشرين دقيقة التي قضيتها في الاستماع إلى موعظة بينتون حول سحر الرياضيات وكيف أنها تعويذة لقولبة عقول الصغار واقتراحه بأن نوفر المزيد من كتب الرياضيات في المكتبة. تخيلي في المكتبة! (كانت كندرا تهز رأسها رفضًا بينما تتابع حديثها) أي طفلٍ سيريد الاطلاع على مثل تلك الكتب؟

ربما كان بينتون مُعلمًا للصف الثالث، لكنه يأخذ مهام عمله على محمل الجد كما لو أنه أستاذٌ في الجامعة. وبالتفكير في تلك المفارقة، يمكنني القول إنه يرتدي ملابس تجعله يبدو مثل أستاذ في الجامعة. بالتأكيد يمتلك الكثير من المعاطف والسترات الداخلية وأنماطًا مختلفة من النظارات أكثر من أي شخصٍ آخر قد قابلته من قبل. وقد قضيتُ وقتًا طويلًا في بروكلين حتى أعلم ذلك.

- تبدو مثل متعة حقيقية تستحق القراءة.

كانت دعابة بيني وبين كندرا في أثناء لقائنا مع بينتون في استراحة المُدرسين، وبدا اللقاء وكأننا محتجزون في غرفة مع ببغاء عبقري. في بعض الأحيان كنتُ أتمنى لو استطعتُ إلقاء بطانية على رأسه حتى يصمت قليلًا عن سرد المناجاة التي يؤديها في أثناء حديثه. ولاحظت أن بداخله جهاز إرشاد يوجه الحديث بالأخص إلى كندرا. فبمجرد أن نخلص إلى الغداء، يأتي بقصة جديدة أو معادلة أو نظرية ... على الرغم من ذلك -لأكون منصفة- أحيانًا ما يستنتج تفاصيل مذهلة. مثل تلك الحقيقة التي أدركتها عندما أخبرني بأن منزلي يمتلك طرازًا معماريًّا خاصًا به؛ طراز الجاردن كورت المستوحى من الطراز المعماري لضاحية جاردن كورت في غرب ولاية فيلادلفيا والذي اخترعه رجل يُدعى كلايرنس سيجال.

- كيف حال والدتكِ؟

استكملتُ حديثي مع كندرا. كنتُ أعلم أنها كانت تعيش مع والدتها في شاتسورث طوال الأعوام السبع الماضية منذ أن تُوفي والد كندرا بسرطان

البنكرياس، لكن والدتها قد انتقلت إلى فلوريدا قبل أشهر قليلة من وصولي إلى المدينة.

- رائع! أرى أنها تتأقلم في المدينة بشكل جيد. إنها تحب مناخ المدينة وهناك الكثير من مراكز التسوق لتعويضها عن حقيقة أنها لم تعد في نطاق السفر إلى نيويورك بعد ذلك.

- ستزورينها في عطلة الكريسماس، أليس كذلك؟

- أجل، سأذهب لبعض الأيام، غير أنها ستذهب في رحلة نيلية مع صديقاتها هناك.

- تبدو فكرة مدهشة!

حاولتُ أن أغير من نبرة صوتي، لكن كندرا لم تنخدع بمحاولتي وقالت:

- ستكونين بخير، اتفقنا؟

وأحاطت كتفيَّ بذراعيها.

- أجل، سأكون بخير. شكرًا لكِ!

إلا أن كندرا كرَّرت مواساتها:

- حسنًا، سأكون حاضرة في أي وقت تحتاجين إلى التحدث عن الأمر.

- شكرًا لكِ كيه. أعلم ذلك.

كنتُ قد توقفتُ عن خربشاتي في الورق أمامي وتركتُ مجلسي لفتح صندوق الكتب التي تم التبرع بها. انتابني شعورٌ بالراحة عندما فكرتُ في هؤلاء الأشخاص الذين سيكتشفونها على الأرفف أو تلك المتكومة فوق أرفف الكتب العشوائية.

الفصل الخامس

أخرجني وصول إضافة مهمة إلى الحياة في شاتسورث من عزلتي مؤقتًا؛ صغير جدًا جدًا أثار الكثير من الإعجاب، بعد أسابيع قليلة من عودتهم من إفريقيا، كانت سوليفان جاهزة لتقديمنا لابنها المتبنَى.

قبل نحو عامين، عزمَت سوليفان في نفسها على أن تكون أمًّا عزباء. كان لديها حبيبة على المدى الطويل اسمها إليزابيث قبل أن آتي إلى المدينة، لكن خلاف كبير قد احتدم بينهما لدرجة أن إليزابيث انتقلت مرة أخرى إلى المدينة. لما شرعت سوليفان في بدء عملية التبني، عارضت إليزابيث اختيارها، ليس التبني بشكل عام، لكن الجزء المتعلق بإثيوبيا على الأخص. وجهت إليزابيث اتهامات بالأنانية إلى سوليفان لتبنيها طفلًا إفريقيًّا، وقالت إن الناس قد نظروا إليها بالفعل على أنها مختلفة لأنها اختارت ميولًا مغايرة، والآن ستجعل الأمر أسوأ باختيار طفلٍ ذي بشرة مختلفة اللون عنها. أخبرتني كندرا بأن رد سوليفان كان لا مثيل له، لكن أعتقد أنني قد فهمت ما في الأمر.

سبعة وعشرون شهرًا وأطنان من الورق ولاحقًا رحلتان إلى إثيوبيا، تُوِّجت سوليفان التي يلفها السرور بكونها أمًّا جديدة لطفل بعمر ثمانية أشهر يُدعى تيرابيثيا. تيرابيثيا! مثل رواية جسر إلى تيرابيثيا![1]

ظهوره الأول الكامل كان في منزل والدي سوليفان. وكان والد سوليفان، چيف، ووالدتها، ماكي، يحدوهما حماس بالغ بشأن الفرد الجديد الذي سينضم لعائلتهم، إذ إنهما أصرا على تنظيم حفل ترحيب ودعوة ما يقرب من خمسين شخصًا.

(1) «جسر إلى تيرابيثيا» هي رواية من أدب الأطفال من قبل الكاتبة الأمريكية كاترينا باتيرسون وأتى أول إصدار لها في سنة 1977. (المترجم)

في يوم الحفل، تزاحمت بداخلي الكثير من المشاعر فعليًا. لم يكن هذا بدافع أنني كنت على وشك مقابلة تيرابيثيا، أو بسبب أنني أعرف أن ماكي وچيف سيكونان جدًا وجدة يتعهدان حفيدهما بحكاية القصص فقط. كان هذا أيضًا بدافع أنني لم أطق الانتظار لرؤية النظرة على وجه سوليفان عندما فتحت الجزء الثاني من هديتي. كان الجزء الأول بطانية مصنوعة من أنعم الأقطان المصبوغة بدرجات من الأحمر والأزرق التي استخدمها الرسام تشايلد هاسم في لوحاته «فلاجس أون فايفث أفينيو» (أعلام في الجادة الخامسة).

كاد يفوتني الكشف الأكبر للجزء الثاني من هديتي. كنت ألعب (هذا الخنزير الصغير) بأصابع قدمي تيرابيثيا، وكانت ضحكاته تجعل بطنه تهتز مثل قمة وعاء الفشار في فرن الميكروويف.

أدركت ماكي أنني لم أكن أجلس في الدائرة المخصصة للهدايا عندما فتحت سوليفان البطانية.

- دودي.

دعتني لأحضر إلى هناك.

أجـــــــل! (فكرت). لففت تيرابيثيا وارتميتُ بثقلي على كرسي بينما أحاوطه بكلتا ذراعي. لم يبدُ عليه الانزعاج بانتهاء لعبتنا فجأة. كان يصدر أصوات هديل مقابل مرفقي.

لم يكن لأحد أن يرى الموجود تحت الورقة، لكن سوليفان ضحكت.

- بيي بيي تيبييز (صاحت). ما أريده بالتحديد.

الآن، ربما قد لا يوحي هذا أنها الهدية الأهم، لكنه كذلك. قمع أزرق صغير والذي قد يبدو أنك تستطيع أن تأكل منه مثلجات هاواي بغرض حماية وجوه الآباء والأمهات من تيار الماء المتدفق الطائش خلال تغيير الحفاض؟ ما الذي قد يكون أكثر مثالية من هذا؟

أفاق تيرابيثيا من غفوته القصيرة بعد دقائق عديدة. لقد حان الوقت كي أعيده إلى أمه. أردت الإبقاء على حمله بين ذراعي، لقد كان جديرًا بالحب للغاية. قريب جدًا. لقد حملته بالقرب من مستوى عيني.

- أنت طفل جميل. تلك هي ماما.

أخذته سوليفان بين ذراعيها. كان ينظر من فوق كتفها، ويكسو الحزن عينيه، كما لو أنه لم يرد أن يودعني أيضًا.

تألم قلبي. صغير مسكين. جرى الكثير من التغيير في حياته في فترة قصيرة. والآن لديه سوليفان وماكي وچيف. لكن لا يزال أمر الأم العزباء بالنسبة إلى سوليفان ليس بالأمر السهل. فكرت في أمي وكيف كانت صعوبة الخمس سنوات الأولى قبل أن يدخل زوج أمي، والتر، إلى حياتنا. فكرت في التورمات البارزة تحت عينيها إذ ساورها القلق حيال المال والرعاية، ذهابنا إلى المدرسة والإسراع في الذهاب إلى وظيفتها والعودة منها والحفاظ على كل الأمور في مساراتها الصحيحة. وطفَت ذكرى النظرة المفقودة المنسية لكوكو منذ عامين إلى سطح الذاكرة مرة أخرى، وأدركتُ أن بعضًا منها في تعبير تيرابيثيا الآن.

- إنكِ تروقين له حقًّا أيتها الخالة دودي.

ذكرت سوليفان ذلك بينما كنت أودعهم.

- ينتابه الخوف عندما يكون حوله أشخاص جدد حتى الآن.

- لا عجب؛ يحتاج إلى بعض الوقت كي يعتاد الوضع الجديد. إنه تغيير كبير لهذا الفتى الصغير.

قبّلت خدي قائلة:

- صحيح. شكرًا لمجيئكِ، وشكرًا على البيي بيي تيبيز. أحب تلك البيي بيي تيبيز. (وعلاوة على ذلك)، مَن لا يحب تلك البيي بيي تيبيز؟

وكشف وجهها عن ابتسامة عريضة. ابتسمت لها أنا أيضًا. تلك البيي بيي تيبيز تمنح المرء عند تلقيها نفس مقدار المرح الذي تشعر به عند استخدامها.

- حظًّا موفقًا مع ذلك الصغير اللطيف. وإذا كان هناك شيء يمكننا القيام به، فقط أخبرينا.

لوَّحت بيدي حتى أوجه حديثي إلى كندرا أيضًا.

أبدت حماسها قائلة:

- رائع! أنا متأكدة أنني سأحتاج إلى الكثير من المساعدة.

- ألن تكوني حقًّا بالمنزل في العطلات؟

سألت أمي بنبرة يعلوها الأسى والحزن للمرة الرابعة عشرة. كانت عشية عيد الميلاد على بعد عدة ليالٍ، لذا فقد كانت أخيرًا تتصالح مع الواقع.

- ستكون مادي طفلة وحيدة.

أضاف والدي علاوة على ذلك. لا يعرف أيٌّ منهما أن الأمور لم تكن على وفاق بيني وبين مادي. لقد تحدثنا مرات قليلة منذ عيد ميلادها، وقد اعتذرتُ لها اعتذارًا فاترًا. لا زلت أشعر بالإحراج بخصوص كم كنتُ أنانية، إذ كنت أفكر فقط في نفسي عندما كان الحزن يطوقها على الأغلب لأنها قد وصلت إلى نقطة كانت قد خسرت فيها طفلها. إلا أنه بطريقة ما، لم أستطع أن أُحيي الموضوع مرة أخرى، فأفضِّل التظاهر بأن الأمر لم يحدث. لم يكن هذا السبب في عدم ذهابي للمنزل بالطبع.

- أعرف، لكن بما أنَّه أول موسم عطلات لي هنا، لا بد أن أبقى هنا وأحافظ على إقامة المكتبة لتظل قيد العمل. لقد افتتحتها منذ بضعة أسابيع، وهذا الوقت من العام الذي قد يشعر فيه النّاس بوحدة شديدة ويحتاجون إلى كتاب جيد يؤنس وحدتهم.

أحزنني التفكير في البُعد عن عائلتي أيام العطلات للمرة الأولى، لكنني قد افتتحتُ المكتبة ولا يمكنني تركها في تلك اللحظات المهمة. ناهيك بأنني لا زلت مهووسة بالمكتبة مثل فتاة مراهقة مهووسة بحبيبها قائد الفريق المميز في كرة القدم الأمريكية الجديد. كنت أتمشى في أثناء نومي بالفعل في مكتبة الاستعارة أكثر من مرة واستيقظت لأجد نفسي منكمشة حول نفسي في كرسي متوسِّدة كتاب تحت رأسي.

- حسنًا عزيزتي. سنفتقدك، ارتدي الكثير من الملابس وابقَي دافئة.

أقرت أمي الأمر بعد وقفة طويلة. شعرت بقدر ضئيل من الإحباط عندما رنَّ أنوب الجرس.

- إليك، هذه من أجلك.

مرَّرت له طبق الكعك الذي خبزته. في المقابل، ناولني حفنة من بطاقات معايدة العطلات وشيئًا من كوكو! كان على واجهة بطاقتها البريدية الأخيرة رسمٌ لمارك. تحول وجهه للون الأرجواني كالباذنجان، وكان يشعر بالخجل الشديد، يشبه قليلًا «فيوليت بوريجارد» في رواية تشارلي *ومصنع الشوكولاتة*.

عزيزتي دوو:

أكل مارك الوردة التي كان من المفترض أن تصبغ ملابس زعيم القبيلة، بدلًا من الأخرى التي كانت ستُقطَّع مع السلطة. لا تقلقي، على الرغم من ذلك، يبدو الأمر أسوأ مما هو عليه. قالت روكيكي إن هذه الوردة بالأخص يمكنها إذابة الزائدة الدودية، لكن هذا أمر جيد، أليس كذلك؟ أقصد، أنا متعلقة بفكرتي نوعًا ما، لكن عدم وجود زائدة يعني أنها لن تنفجر على الإطلاق. إضافة إلى أن مارك قد قال إن الزائدة الدودية هي عضو تطوري لا وظيفة له. وعلى ما يبدو، أصابع الأقدام أيضًا بلا وظيفة، لكنني لا أنوي التخلي عن تلك. آمل أن كل الأمور تسير على نحو جيد في شاتسورث وأنكِ لا تحطمين قلوب جميع شباب البلدة الصغيرة. ينبغي التفكير في أمر زعيم القبيلة. إنه لأمر جيد أنه يحب صلصة تاباسكو؛ لقد أحضرت الكثير. قبلاتي. وداعًا.

أفزعني جرس الهاتف من نومي فهمهمتُ:

- مرحبًا.

- دوو!

قلتُ:

- كوو! (بينما أستيقظ من نومي) هل هذه أنتِ حقًّا! لقد تلقيت للتو بطاقتك البريدية.

- أنا هنا... أنا هناك... أنا في كل مكان! لا تستطيعين الهرب مني إن حاولتِ!

- لو كان هذا حقيقيًّا فقط ...

- أوه، لا تفيضي عليَّ بالمشاعر (قالت كوكو، لكن صوتها سرت فيه رجفة). كل دمعة ستكلفني ثلاثين دولارًا من رسوم الهاتف، وأنا أقف في كابينة تفوح برائحة مثل رائحة البول، وكأنها تُستخدَم كمرحاض.

ضحكتُ بينما أمسح دموعي.

- أخبريني كل شيء.

قالت:

- لقد كان الأمر رائعًا. ساعدنا في تطعيم ثلاث مدن بالكامل ضد شلل الأطفال. قبل بضعة أيام، حصل مريض كان يعاني عدوى مزمنة العام الماضي على شهادة السلامة الصحية أخيرًا. يا لروعة الأمر أن ترى ما يمكننا القيام به هنا! باستعمال المضادات الحيوية المتبقية التي قد يلقيها معظم الأشخاص بمجرد أن يشعروا بتحسن. ومارك، إنه يطوِّر من شخصيته كما لم تتخيلي من قبل. إنه يعمل بلا كلل. إنه...دودي، أقسم أنه يوميًّا يقوم بشيء يجعلني أفكر، *لهذا السبب* تزوجته.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة:

- هذا أمر عظيم، كوكو.

- كيف حالك؟ وكيف هي شاتسورث؟ هل تشعرين بالملل؟ بالوحدة؟

ضحكت. لطالما كانت كوكو لطيفة لكن صريحة. قلت:

- كلا، أنا سعيدة للغاية هنا. افتتحت مكتبة استعارة في فصلي...

- أجل، حصلت على بطاقتك البريدية. هذا ممتاز جدًّا. في البداية التدريس، ثم هذا الآن.

- حسنًا، ليس هذا الجزء الأكثر جنونًا حتى. بدأ الأمر يكبر، لذا نقلتها إلى منزلي.

- ماذا؟!

- في الغرفة الزجاجية الشمسية في الطابق السفلي، لذا ستكون منفصلة تمامًا. يعتريني حماس بالغ!

- لا أطيق الانتظار لآتي لزيارتك.

- إذن تعتقدين متى سيكون ذلك؟

استسلمت لأنانيتي.

- لا أعرف حتى الآن. لا زلنا نشعر أنه لدينا الكثير لنقوم به. أعني، من الواضح أنه إذا كان هذا هو الحال، قد نظل هنا للأبد. لكن أعتقد أننا نريد أن نتجه إلى بلد واحد آخر على الأقل قبل العودة إلى الوطن.

- أنتما الاثنان تقومان بالكثير من الأمور الجيدة. أنا متأكدة أنها صعبة للغاية أغلب الأوقات.

- إننا نستمتع بالأمر ونرى حياة الناس تتحسن، لذا فلا يبدو الأمر كتضحية. ما عدا، أتعرفين؟ كلما احتجنا إلى الذهاب إلى المرحاض، أو محاولة الاغتسال. وفي بعض الأحيان الوجبات. لكن أغلب الوقت، يبدو الأمر كأنه مغامرة كبيرة وفرصة للقيام بشيء من أجل الأشخاص الآخرين.

- هو كذلك كوكو. وعلى الرغم من أنكِ أختي الصغرى، أريدكِ أن تعرفي كم أنا معجبة بكِ.

قلتها لها وكنت أكررها طوال الوقت. كنت قد تخطيت مرحلة القلق، فقد امتلأت بذاتها من جراء كلامي. لم تكن كوكو كذلك.

- شكرًا دوو. اسمعي، عليَّ الإسراع بالذهاب. اعتني بنفسك، وحظًّا موفقًا مع المكتبة. سأتحدث إليك عما قريب.

- كوكو، أنا. . .

وددت إخبارها بشأن مادي بشدة. بشأن الساعة ذات الدقات. لكن لن يكون هذا عدلًا. لا أستطيع إبقاءها على الهاتف للتحدث عن مشكلاتي. تابعتُ:

- سأتحدث إليك قريبًا.

وكنتُ أعلم أن «قريبًا» التي نطقتُ بها هي أقرب بكثير في عقلي عن تلك التي قالتها.

- أحبك أنت ومارك.

- نحبك أيضًا، قبلاتي.

عُدتُ برأسي إلى الوراء واضعة إياه على الوسادة وزفرت تنهيدة عميقة. لقد اشتقت إليها بالفعل. «بلد واحد آخر» قد يعني هذا بالطبع عدة أشهر. أو حتى سنوات. تنفست بعمق. وتمنيتُ لو أنها تعود إلى المنزل، أعلم أنه بالتأكيد شعور أناني، لكنني لم أقوَ على مغالبته.

كان اليوم التالي هو يوم *حلقة القصة للمرة الأولى في المكتبة!* بعد حفلة الافتتاح، نُشِرَت ساعات العمل العادية: ستكون مفتوحة من تمام 4:00 عصرًا إلى تمام 7:00 مساءً طوال أيام الأسبوع ومن تمام 10:00 صباحًا إلى تمام 3:00 عصرًا في أيام السبت. يكون أول سبت من كل شهر هو يوم حلقة القصة؛ واحد للأطفال في الساعة 10:30 صباحًا وواحد للكبار في تمام الساعة 2:00 عصرًا.

في الساعة العاشرة والنصف في ذلك اليوم، كان هناك ثمانية أطفال في الحلقة مع آبائهم. على الأقل، بعض منهم كان في الحلقة يجلسون في حجور والديهم. وكان هناك طفل صغير يُسمى غيوم يفتش من كتب في أنحاء حقيبة الكتب خاصتي، بينما كان طفلان آخران يسحبان كل كتاب من على الأرفف أمامهم ويضحكان ضحكة مخلوطة بسعادة بالغة.

- مَن يريد أن يستمع إلى بعض الكتب حول الثلج؟

سألتُ. توقف الطفلان عن رمي الكتب على الأرض ورجعا حيث أقف لرؤية ما كان في يدي. أخذت غيوم أمه ووضعته إلى جانب ركبتيها.

قرأتُ لهم أولًا *أووه!* واعتراهم صمت بينما هم ينظرون إلى الألوان المريحة للعين وأنصتوا للكلام الهادئ المقفى عن الحيوانات في الثلج.

قلت:

- وهذا الكتاب يسمى *اليوم المثلج*.

مستمتعة تمامًا بالنظرات التي تعلو وجوههم بينما أقرؤها لهم.

بينما أُغلق الكتاب سألت:

- هل منكم مَن يعرف هذا الكتاب من قبل؟

- لا! (قال غيوم صارخًا). لكنني أريد ذلك.

- موجود لدينا بالمنزل.

قالت ابنة لولا؛ مارجريتا.

لم أستطع فهم التعبير المرتسم على وجه جيفرسون هندرو، لكنني كنت فضولية حيال ما يفكر به.

- هل تود إلقاء نظرة من كثب؟

بينما أعطيه الكتاب. قلَّب إلى أن وصل إلى الصفحة التي بها الولد الصغير؛ بيتر، وأمه.

- هذا يبدو مثلي أنا وأمي.

أدركت أنه لم ير من قبل كتابًا به أي أحد يشبهه.

ابتسمت له واعتراني شعور مباغت بالحزن. ذهب جيفرسون إلى إيجل ريدج، وليس شاتسورث. لم ترد كندرا أن تخوض كل تجارب التعقيدات الروتينية للميزانية قبل شراء المزيد من الكتب من أجل مكتبة مدرسة شاتسورث الابتدائية، لذا فقد اشترت *اليوم المثلج* ومجموعة من الكتب الأخرى بنفسها تمامًا بعد أن أصبحت أمينة المكتبة. كانت مكتبة إيجل ريدج أصغر من مكتبة شاتسورث، لكن ألم يكن بمقدورهم تخصيص المزيد من المساحات للكتب التي تمثل جميع الأطفال؟

لا بد لي من تغيير هذا، (فكرت).

- سأُريك بعض الكتب الأخرى الجيدة للغاية على الأرفف أيضًا.

لاحقًا في تلك الظهيرة، اختلط حاضرو حلقة القصة من البالغين في مساحة صغيرة بين الأرفف والطاولة في الزاوية. ساعدني بعض الأشخاص على سحب بعض من كراسي الأطفال بالإضافة إلى الأخرى التي جلبتها من حول طاولة المطبخ وحملتها إلى غرفة الشمس الزجاجية.

- يا لها من فكرة جميلة! مجموعة القصة من أجل الأشخاص التقليديين المحافظين مثلي!

قالت امرأة اسمها روبرتا مازحة.

شهقتُ في هلع. قالت:

- أنا أمزح.

كانت كندرا تضحك بشدة، كما كانت جيرالدين أيضًا، التي أتت بالفعل إلى مكتبة الاستعارة عدة مرات، لتقرأ ما يلزمها من الكتب حينما كانت مكتبة شاتسورث التي تعمل بها يُجرَى بها المزيد من التجديدات المكثفة. لم يكن هناك تقدم كبير حتى الآن من جانبها فيما يتعلق بهذا الوضع. قلت متداركة خطئي:

- أوه، بالطبع، حسنًا، خذي ما تشائين من مشروب اللبن والكحول المحلى ومكعبات مربى التوت بالشوكولاتة.

أشرت إلى حيث وضعتُها أنا وكندرا على طول قمة خزائن الكتب أسفل سبورة الملصقات الخاصة بالأطفال.

- دودي، أتريدين البدء بنا أولًا؟

اقترحت روبرتا.

- بالتأكيد. بداية، هل ذهب أحد منكم غيري؟ واحد للكبار أقصد؟

هزت الأربع عشرة امرأة الأخريات المتكدسات في المساحة الضيقة رؤوسهن بالنفي.

- حسنًا، جيد، بعض نوادي القصة تضم فقرة كتابة، ثم يتبادل الأشخاص قراءة ما قد كتبوه. يمكننا فعل ذلك، أو قص قصص من عقلنا مباشرة دون الكثير من التفكير. أقصد، دون أي تفكير. بشكل سطحي تمامًا. أيما كان!

كانت السيدات الثلاثة الشابات الأخريات الجالسات إلى جانب كندرا هادئات، كُن يتنازلن عن أدوارهن للسيدات الأكبر في المجموعة.

- دعونا نبدأ بسرد القصص.

قالت روبرتا.

- لمَ لا تبدئين أولًا؟

قالت كندرا مشجعة.

- حسنًا. (توقفت، ولملمت أفكارها) في البداية قابلت زوجي، راي، عندما كنا نعمل معًا في محل لوازم الحياكة. بالنسبة إلى المولودات منكم بعد عام 1960، محل لوازم الحياكة هو مكان تُباع فيه الأزرار والأشرطة والأغراض الصغيرة من هذا النوع. لم ينبس راي لي مطلقًا ببنت شفة في الثلاثة أشهر الأولى التي كنا نعمل فيها هناك. كان مرعوبًا حد الموت من الفتيات. جيد، حسنًا، كان مرعوبًا حد الموت مني.

كان لدي العديد من الأصدقاء المقربين من الأولاد تلك الأيام. لم يكن بوسعهم الانتظار حتى أنتهي من العمل لرؤيتي، لذا فقد كانوا في بعض الأحيان يأتون إلى المحل ويتظاهرون أنهم يريدون شيئًا ما لأمهاتهم. غازلتهم كثيرًا. لم أنتبه لرد فعل راي بطريقة أو بأخرى تجاه الأولاد. لقد كان حازمًا وجادًّا. في آخر اليوم، لم يكن ليغادر إلا والمكان منظم على أتم وجه.

بعد ثلاثة أشهر قضيتها من وقتي هناك، شعرت أني مريضة ومصابة بنزلة برد شديدة. تلك التي تجعل عظامك تئن من الألم، وبالكاد تقوى على رفع رأسك للأعلى. لكنني ذهبت إلى العمل على أي حال. كنت فخورة حقًّا بكوني أملك وظيفة.

كان يومًا من أكثر أيام العام ازدحامًا بالعمل —قرب عيد الميلاد، عندما كان الجميع يجددن فساتينهن وبذلاتهم القديمة. حتى لو كنت بصحة جيدة، بالكاد كان بإمكاني مواصلة العمل في التسجيل.

في آخر الليلة، أحصيت المال. أحصيته مرة أخرى. كان هناك شيء خاطئ تمامًا. كان هناك مبلغ خمسون دولارًا ناقصًا. إذا كانت موجودة في درج النقود كما هو مفترض، سيكون يومًا حافلًا وبارزًا. يوم المبيعات القياسية، حتى. لكن حاليًا، فقدان بضاعة بقيمة خمسين دولارًا كان كارثة.

لم أستطع مهما حاولت تخمين ما جرى. هل غادر الزبائن دون الدفع؟ هل دفعوا أقل من المبلغ المفروض دفعه؟ هل امتدت يد أحدهم إلى درج النقود بينما كنت غير منتبهة؟ كان رأسي مشوشًا ولا أستطيع التفكير بوضوح. جلستُ بتثاقل على الكرسي خلف طاولة البيع وحاولتُ التفكير فيما يمكنني فعله. أتى راي وسأل بلطفٍ بالغ:

- هل من خطب ما؟

اعتقدت أن الأشياء لا يمكن لها أن تسوء إلى ذلك الحد في هذه النقطة، لذا أخبرته.

- هذا سيئ حقًا (قال راي، لكن بطريقة حنونة) لنفكر فيما يمكننا فعله الليلة. ليس علينا إخبار السيد بيل بأي شيء حتى حلول الصباح عندما نعطيه الرقم الإجمالي على أي حال.

كانت تلك المرة الأولى التي تحدَّث فيها راي إليَّ، وشعرت أنني مطمئنة للغاية. لست مطمئنة للحد الذي لم يجعلني متيقظة طوال الليل أعتصر يديَّ على أي حال، لكن مطمئنة كفاية لأقنع نفسي بالقدوم إلى هذا الباب في الصباح التالي بدلًا من الاتصال بالهاتف وادعاء المرض لتأجيل طردي من العمل.

عندما حضرت إلى المكان، حدقت تمامًا إلى الأرض. كان راي يضبط ويسوِّي بعض سلال الأزرار العالقة على بطاقات لا تحتاج إلى المزيد من التعديل، وعندما قدم السيد بيل عبر الباب من الغرفة الخلفية، استنار وجهه مثل الشمس. وقال:

- عمل رائع روبرتا! لقد أخبرت راي أنني سأصحبكما أنتما الاثنين لتناول الغداء.

كان هناك عشاء صغير رائع مع بار مرطبات ومثلجات في قلب المدينة في ذاك الوقت. ذهبنا إلى هناك، وتناولت شطيرة سمك التونا بجبن الشيدر وتناولتُ شراب اللبن بالفانيليا بلاك كاو. لن أنسى كم كان هذا اليوم رائعًا ما حييت. وابتسم لي راي من خلف طبق الدجاج والأرز وشراب الصُّودا خاصته،

وحينها عرفت أنه على الرغم من أننا بالكاد تحدثنا مائة كلمة بعضنا مع بعض في ثلاثة أشهر، فقد أخذَ بالأمور إلى المسار الصحيح. اعترفت لنفسي أنه كان جزءًا من سبب قدومي للمحل على الرغم من أنني كنت مريضة للغاية. وعرفت أيضًا، من ليلة تخطي حاجز المبيعات القياسي وأشهر عملنا الهادئ الثابت معًا من قبل، أننا قد شكَّلنا فريقًا جيدًا.

كان راي رجلًا لطيفًا من جميع النواحي، وحتى على الرغم من أنني قد سألته عشرات المرات على مدار الأسابيع القليلة التالية -فلم يمكن لأحدنا الافتراق عن الآخر بعد هذا اليوم- رفض إخباري بطريقة حصوله على الخمسين دولارًا. قلت له إنه أعطاني أفضل هدية ليوم عيد الميلاد أردتها على الإطلاق. رد أنه يأمل أن أغير رأيي حيال الأمر، ثم أمسك بخاتم أمه وطلب مني الزواج به.

أول ليلة من زواجنا، قال:

- حسنًا زوجتي المحبوبة، إليك ما حدث. لاحظت أن كلًّا من السيد سلوكوم والسيد بارنز قد اشتريا مجموعات من مستلزمات الحياكة لزوجاتهم، لكن لم أتذكر أيًّا منهما يدفع. لذا فقد ذهبت إلى منزليهما وقلت بطريقة غلَّفها الأدب والوقار، إنه على ما يبدو يوجد سوء فهم وأنهما لم يدركا عدم وجود حسابات جارية في المتجر. هذا كل ما أردت قوله؛ ودفع كلٌّ منهما لي في الحال المال نقدًا في يدي، وهذه هي الطريقة التي عاد بها المال إلى الدرج، وكان العد الإجمالي كاملًا بحلول الوقت الذي دخل فيه السيد بيل.

توقفت روبرتا لبرهة لتنظر إلينا، يلفها شعور حالم.

- أخبرتكن يا سيدات، كنت على وشك الزواج به مرة أخرى في الحال.

بعد ذلك، اتفقتُ أنا وكندرا أنه كان نادي قصة رائعًا للغاية. وكان يلفنا شعور حالم ضئيل أيضًا.

- هل تتخيلين الوقوع في حب شخص قد عرفتِه لمدة ثلاثة أشهر فجأة مثل ذلك؟ وبخاصة إذا لم تتحدثي إليه من قبل؟

تساءلت كندرا.

- حسنًا، أفترض يمكن أن يحدث (تفكرتُ).

- أعتقد أني سأعرف عندما أعثر على الرجل المنشود. أنا لست الشخص المحب للرومانسية بطيئة التقدم، أُفضِّل تلك الرومانسية التي تشبه ضرب البرق أو تنتهي بالعاصفة.

- أجل، إنها أحد الأمرين دائمًا بالنسبة إليَّ أيضًا.

قلتُ متفقة مع كليهما. على الرغم من ذلك، كانت قصة روبرتا رومانسية بالتأكيد. أحببت حلقة القصة. أردت الذهاب إلى أحدها كل يوم! أو أفضل من ذلك، مرتين – مثلما فعلت اليوم.

- هل ذهبت إلى سوق كريسماس كرافت *ثانية*؟

تعجبت كندرا عندما اتصلتُ بها في طريقي للعودة للمنزل.

- أنت يهودية، صحيح؟

أستطيع فعليًّا سماعها تهز رأسها في إنكار.

- أجل، ماذا إذن؟ أحب النبيذ الساخن وكعك سبيكولوس! والأشجار والأكاليل والزينة...

كنت أتسوق في الواقع من أجل شراء زينة المكتبة. لدي بعض الأغراض من عيد حانوكا تخصني لأضعها هناك، لكنه بما أن أغلب سكان شاتسورث مسيحيون، أردت أن أجعل المكتبة مبهجة ولها طابع المنزل للزائرين الذين يأتون في الأوقات القريبة من عيد الميلاد. وخمنتُ أن من سيتردد على المكتبة كثيرًا في أواخر شهر ديسمبر قد يحتاج إلى قدرٍ من بهجة العطلة. سأضطر إلى استعارة بعض أغراض عيد الكوانزا أيضًا. لا أعتقد أن أحدًا في شاتسورث يحتفل بالانقلاب الشتوي، لكن كنت سأبقى سعيدة بوضع بعض من تلك الزينة، كذلك، إذا عرفت خلاف ذلك عندما سألت في محيطي.

- عليَّ الذهاب كندرا. ألتقي الآن بسوليفان وتيرابيثيا.

- أووه، استمتعوا! أوصلي لهم سلامي.

- سأفعل. وداعًا!

عندما ذهبت إلى مكان لقائنا، ملعب منتزه لتل دك، كان تيرابيثيا جالسًا على أرجوحةٍ بالفعل، وكانت سوليفان تدفعه. بمجرد رؤيتي، أبطأت الأرجوحة إلى أن أوقفتها.

- مرحبًا سوليفان. أنا متحمسة للغاية لرؤيتكم يا رفاق!

- أهلًا.

قالتها وهي تنظر إلى أسفل إلى تيرابيثيا. كان يتمعنني بعينيه كما لو أنه تذكرني بشكل غير واضح. بدا كما لو أنه مذعور قليلًا ثم ابتسم لي ابتسامة عريضة.

- مرحبًا تيرابيثيا.

ربت على تسريحة الآفرو. لقد كبرت. انبهرتْ لمدى سعادتي بهذا، هذا وحقيقة أنه كان يرتدي آفرول وثنية ساق البنطلون مرفوعة للأعلى وقميصًا أخضر فاتحًا تحت كارديجان من الصوف. ربت هو الآخر على ذراعي، مما جعل قلبي يطير فرحًا.

طلبتُ من سوليفان:

- أيمكنني دفعه؟

أومأتْ برأسها وتنحتْ جانبًا، مظللةً على عينيها بيدها. بدأتْ ببطء، ثم دفعت أقوى قليلًا عندما أطلق ضحكة ساخرة تملؤها السعادة. بعد فترة، حلت أصوات النخير محل الضحكات الساخرة المليئة بالسعادة.

- هذا يعني كلا.

أوضحتْ سوليفان، ممسكةً بالأرجوحة لإيقاف الحركة سريعًا ولتثبت تيرابيثيا. رفعته خارجًا من المقعد. تجعد وجهه كما لو أنه قد أكل ليمونة. إنه يحبها ثم بعدها يبدأ في المعاناة من دوار البحر نوعًا ما.

- أوه.

لم يخطر ببالي ذلك.

- سأضعه في عربته، وسندفعها به في الأنحاء حتى يرجع لطبيعته.

قالت سوليفان، وارتسمت ابتسامة صغيرة على حواف شفتيها.

- إذن أخبريني، ماذا يحب؟

سألت بينما كنا ندور حول البركة. بدت المياه خضراء عن بعد، لكن لما اقتربنا، كانت صافية. تنمو أعواد القصب الطويلة من القاع، وتتمايل برشاقة مثل شعر حورية البحر. وكان عدد قليل من البط يدور باسترخاء، ريشاتهم تلمع بينما يغطون برؤوسهم تحت سطح الماء باحثين عن السمك. تدفقت المياه على ظهورهم وهم يمشطونها بمناقيرهم.

رددتُ:

- ماذا يحب؟

- أجل، ما طعامه المفضل؟ ما كتابه المفضل؟ أشياء من هذا القبيل؟

- حسنًا، إنه يحب البطاطا الحلوة المهروسة. وطعام الكمثرى والتفاح للصغار. إنه لا يزال صغيرًا للغاية، لذا لم أعرِّفه على الكثير من الأشياء بعد.

- بالتأكيد.

- بالنسبة إلى الكتب، يجعلني أقرأ سرير *بامبلبي* مرارًا وتكرارًا. وأجزاء من حيث تكون *الأشياء البرية*. يدمدم *دمدمة عالية عند هذه النقطة. إن الأمر مضحك للغاية.*

ابتسم كل منا للآخر. كان تيرابيثيا يصدر صوت همهمة خافتًا نوعًا ما؛ يبدو أن الهواء البارد بجانب الماء ومنظر البط قد جدد نشاطه.

وضعت سوليفان يدها فوق عينيها لتشكل قناعًا واقيًا مرة ثانية.

- هل أنت بخير؟

سألتُ. كان الجو مشمسًا بالخارج، لكنها كانت تجفل.

- كانت عيناي حساسة اليوم.

- أنا آسفة.

- لا مشكلة (استهجنت). لا زلت أفقد نظاراتي الشمسية.

وقفت أمام عربة الأطفال ومشيت للوراء، مغطية وجهي لألعب الغميضة مع تيرابيثيا. استمر في إطلاق ضحكة رجل عجوز صغير شرير، كما لو أنه يراها للمرة الأولى.

- تعرفين كيف تتعاملين مع الأطفال (أشارت سوليفان). أعني، لقد سمعتكِ تتحدثين عنهم كثيرًا وعن تدريسك ومجالسة الأطفال مقابل بعض الطعام أو السكن، لكن من الجيد للغاية رؤية ذلك فعلًا.

- شكرًا لكِ سوليفان. من اللطيف سماع هذا.

- ستكونين مستعدة تمامًا لتكوني أمًّا عندما يحين دورك.

- إذا حان وقت ذلك

خرجت الكلمات من فمي. وضعت يدها على ذراعي وقالت:

- سيكون ذلك. قبل كل شيء، أنت صغيرة.

ازداد تجهمي بينما أفكر في أخبار مادي.

- ثانيًا قبل كل شيء، إذا لم تسِر الأمور معكِ بشكل طبيعي، يمكنك القيام دائمًا بما قمتُ به.

- ما فعلتِه كان أمرًا شجاعًا بشكل مذهل.

- حسنًا، أعرف ما أريده. لذا انطلقت إليه. أنا عاقدة العزم على أن أكون الأم الأفضل لتيرابيثيا قدر استطاعتي. وأنت تعرفينني؛ أنا شخص عنيد للغاية.

ضحك كلانا.

- آمل أنني قد فعلت الشيء الصحيح بالنسبة إليه وليس فقط لنفسي.

قالت بهدوء.

- أنا متأكدة أنك ستفعلين كل شيء بمقدورك من أجله.

نزلت سوليفان على ركبتيها أمام عربة تيرابيثيا، وخفت حدة صوتها الجادة إلى أخرى مداعبة قائلةً:

- ماذا تعتقد بوو؟ هل أنت سعيد بوجودك هنا؟

لوَّح تيرابيثيا بذراعيه لأعلى ولأسفل بشدة كرد منه.

وافق الدكتور لين على إيجاد موعد لي في 23 ديسمبر لمراجعة نتائج فحوصات الدم.

- تشير مستويات الهرمونات لديكِ أن الحمل قد يكون أمرًا صعبًا بالنسبة إليكِ، فالمستوى الذي من المفترض أن يكون منخفضًا يقع في الجانب الأعلى بالنسبة إلى شخص بنفس عمركِ، ونود أن نرى رقمًا أعلى للهرمون الآخر بالنسبة إلى شخص بنفس عمركِ.

- أهناك شيء يمكن القيام به لعكسها؟

- لا، أخشى أنه لا يوجد. لكنني لا أريد أن أحذرك من عدم أخذ هذه الأرقام كنوع من التشخيص الحاسم. لا يمكن معرفة ما سيحدث. وعادة، كما قلت، ترتبط نسب النجاح بالعمر وليس بهذه الأرقام بدقة. أنت امرأة شابة بصحة جيدة، وقد لا تواجهين أي مشكلات على الإطلاق.

- ماذا عن مشكلات عائلتي؟

اعترضتُ.

استهجن مرة أخرى:

- لا يوجد أي مؤشر واضح على أنكِ تعانين تلك المشكلة. قد تكون مصادفة، أو لا تكون، فلا يوجد الكثير يمكنكِ القيام به، لكن لنرَ ما سيحدث عندما تكونين جاهزة للمحاولة. أو جمِّدي بويضاتك.

قلت بغضب مفاجئ:

- أجمد بويضاتي؟ هل يجب أن أفكر في القيام بذلك؟

- الأمر راجع إليك. كلما فعلت ذلك في سن مبكرة، من المرجح أن تكون البويضات صحية أكثر. أنت لا تزالين صغيرة جدًّا بعد، إلى المدى الذي يسمح به الأمر. لكنه خيار جدير بالتفكير فيه إذا لم تكوني مستعدة لمحاولة الحمل خلال العامين القادمين، وإذا كنتِ قلقة حيال المعوقات الجينية المحتملة للحمل.

بعبارة أخرى، لم يكن سيطمئنني أن أخبار مادي هي ضرب من الخيال السخيف بالتأكيد.

- كم، كم تكون تكلفة هذا؟

- نحن نتقاضى ثمانية آلاف دولار للدورة الواحدة.

شعرت بالرداء الورقي يرفرف بشدة بينما أثبِّت نفسي على كرسي الفحص. *لم* يكن تجميد بويضاتي خيارًا يمكنني التفكير فيه بالتأكيد. لم أكن أمتلك 8000 دولار، ولديَّ رهن عقاري، ومكتبة جديدة، وراتب كافٍ لكن ليس فائضًا بصفتي مُعلِّمة للرسم.

- سأفكر في الأمر.

تمكنتُ من الخروج، بينما أُقدم شريحة من القرع بقطع الشوكولاتة الصغيرة المزينة إلى الطبيب لين وزوجته من حقيبتي الواسعة.

بعد ذلك، بالكاد خرجت في العطلة. اتصلت بسوليفان مرة لإجراء فحص شامل لتيرابيثيا؛ أخبرتني أنه بحالة جيدة وأنهم كانوا يقيمون في منزل شقيقة ماكي حتى بعد حلول العام الجديد.

- عندما تكونين مستعدة لقضاء ليلة بالخارج، أو فرار بالنهار أو بعض الوقت لنقوم ببعض المشاوير؛ أخبريني. فلديكِ الكثير ممن لديهم خبرة في مجالسة الأطفال.

أخبرتُها.

قضيت أغلب اليوم في المكتبة أغيِّر أماكن الكتب (وأحيانًا أتشممها). تناوبت كلٌّ من كندرا وجيرالدين على الزيارة حتى يظلا برفقتي -حيث حدث، لم يأتِ الكثير من الأشخاص غيرهم بعد ذلك- وحاولتا إدراجي في أنشطة مسلية. اعتذرت، مدعية في بعض الأحيان أن لدي بعض الأمور المتعلقة بالمكتبة لأفعلها، في بعض الأوقات الأخرى كان الجو باردًا للغاية للمغامرة بالخروج. لكن عندما لم أكن أُلهي نفسي في المكتبة، أجد نفسي جالسة على أريكتي أشاهد بعض الأفلام الحزينة، أو -أسوأ من ذلك- قضاء الساعات

باحثة عن أسباب العقم على شبكة الإنترنت، محاولةً معرفة ما مدى أهمية الدور الذي تلعبه الجينات.

ورثت شعر أمي، والذي هو بشكل عام متساوٍ إلا أن يكون هناك أصغر قدر من الرطوبة في الهواء، وفي تلك الحالة يهيش ويرتفع مثل كعكة السوفليه. وطوال حياتي، جميع أقاربنا أشاروا إلى حقيقة أنني قد ورثت أعين جدتي. هل ورثتُ مبايضهن أيضًا؟ هل ورثتها كوكو؟ وهل فات الأوان حقًّا بالنسبة إلى مادي؟

كان الأمر وكأنه قد تم ضبط الوقت في مؤقت المطبخ، وأستطيع الآن سماع صوت دقاته.

أوقفي حفل الشفقة (فكرتُ في نفسي).

أحيانًا عندما تعلق أغنية ما في عقلك، تكون الطريقة الوحيدة لإخراجها هو تشغليها مرارًا وتكرارًا حتى تأخذ مسارها الطبيعي. عقدت العزم على اعتناق هوسي حتى أتخلص منه. بعد إغلاق المكتبة في إحدى الليالي، قدت السيارة إلى متجر روبشو للخردوات والمستلزمات الفنية.

- مرحبًا دودي. لم أكن أتوقع رؤيتك هنا الآن، لم تذهبي للمنزل من أجل العطلات؟

قال السيد روبشو.

اعتدتُ زيارة المكان خلال فصل الخريف. لم تكن ميزانية المدرسة قريبة من الكافية لتدعم مشاريعي الفنية الطفولية الطموحة إلى حد ما في بعض الأحيان، لذا استكملت مخزوني برحلات منتظمة إلى متجر الأغراض الحرفية المحلي.

- لا، في الواقع، أريد تقويمًا

قلت.

- تجدون لدينا تخفيضات ما بعد العطلات.

- أرشدني إلى الممر. أخذتُ واحدًا به تواريخ خمس سنوات. لن أحتاج حتى إلى تقويم عامين للغرض الذي برأسي. أحبطتني الفكرة. جلبت

بعض أقلام الرسم من السلال المجاورة لجهاز تسجيل أوراق النقدية، ألوان زاهية مثل الأحمر والبرتقالي والذهبي.

عندما ذهبت إلى جهاز تسجيل الأوراق النقدية، أشار إليَّ السيد روبشو حتى أمُرَّ.

- على حساب المتجر.

قال بهدوء حتى لا يسمع الناس المصطفون خلفي في الصف. في مرحلة ما في الأشهر القليلة الماضية، حاول أن يوضح لي أنه يتذكر مسار الأشياء في عقله، مثل بطاقات الجوائز، وإعطائي أغراضًا مجانية عندما ربحتها.

عندما بدأ يزداد كرمه بسرعة، بالأخير بدأ يخطر ببالي أنه لو أضفت مشترياتي في مقابل الهدايا الترويجية، ستتعدى الأغراض التي أهداني إياها ما اشتريته. عندما حاولت التلميح بذلك إليه، أشار لي بيده رافضًا ورمى حفنة أخرى من ملصقات مسيز جروسمان فوق كومة البضائع.

- شكرًا سيد روبشو.

قلتُ ملوِّحة بحقيبتي إليه.

في المنزل، فردت التقويم وبعض الأوراق على طاولة المطبخ. سحبت الستائر وأغلقت قارع الأجراس. ثم ببطء وصعوبة استدعيت مهاراتي الرياضية البالية تمامًا لإجراء بعض الحسابات.

حسنًا، (فكرت) حاليًّا نحن في 30 ديسمبر 2007، سأبلغ الخامسة والثلاثين في 17 فبراير 2010. لذا لدي أكثر من سنتين لأحب أحدهم حبًّا جمًّا وأتزوج وأصبح حاملًا. هذا ليس سيئًا تمامًا.

كنت على وشك تحديد 7 فبراير 2010 في التقويم. ثم أضعه تحت السرير وأَنسى أمره لمدة طويلة.

لكن انتظري. أنجبت كلٌّ من أمي وجدتي أطفالهما عندما كانتا بعمر الخمسة والثلاثين. عندما حاولتا بعد ذلك، لم تستطيعا الحمل بعد ذلك. لذا، ربما كان عليهما أن تحملا قبل بلوغ الخامسة والثلاثين. وربما لو كانتا

حاولتا في أي وقت بعد أن حملتا بالفعل، لم يكن لينجح لأنهما كانتا كبيرتين في السن جدًّا.

جميع تلك الفرضيات كانت ترهق عقلي. لكن كان هذا شأنًا مهمًّا. أردت طفلًا، ومن الأفضل أن آخذ الجانب الآمن بدلًا من التأسف. لذا عددت إلى الوراء تسعة أشهر من عيد ميلادي الخامس والثلاثين. ثم تذكرت رؤية برنامج حول صفار ثعالب الماء. على قناة ديسكفري، وذكر كيف أن حالات الحمل كانت بالفعل تزيد على عشرة أشهر (للإنسان، وليس لثعالب الماء، على الرغم من أنه كان حقًّا أمرًا مفاجئًا تمامًا كيف يمكن أن تكون فترة حمل ثعلب الماء طويلة بسبب تأخر تخصيب البويضة و ... حسنًا، لم يكن هذا بالمهم). لأكون في الجانب الآمن، عددت عشرة أشهر للخلف من يوم عيد ميلادي، مما وضعني في 17 مايو 2009. كان هذا على بُعد عام ونصف. مما بدا فجأة أقصر بكثير عن ذي قبل.

ارتشفت كوب ماء سريعًا، محاولة عدم الفزع. ما الذي كنت سأفعله؟

كنت سأفعل بالضبط ما كنت أنوي فعله. كنت سأحدد اليوم ذا الأهمية، ثم أضع التقويم بعيدًا ولن أفكر فيه أو أخرجه مجددًا لأطول فترة ممكنة. كنت أعلم أنه هناك، لكن لن أركز عليه. قطعًا لا. كنت سأفكر في أشياء أخرى، مثل جميع زائري المكتبة الذين سيأتون إلينا بعد العطلة! وجميع الأنشطة الشتوية المرحة القادمة! حيث قد أقابل رجلًا رائعًا يريد أن أحمل له بطفل في السبعة عشر شهرًا القادمة.

كان ينتابني الفزع. لكن إلى حد ما، كان تدريب التقويم موضحًا بعض الشيء. قد ألقي باللائمة على مبايضي أو حمضي النووي أو كروموسوم «واي» أو أي سبب يجعل منكِ سيدة، لكن لا يمكنني لوم الناقل بعد الآن. إلى جانب ذلك إنه موسم العطلات. حتى مع افتراض ذلك، يساورني إحساس أن الشموع الوحيدة التي أشعلتها شقيقتي في عيد حانوكا كانت معطَّرة بالسفرجل الأحمر وكان هدفها إثارة شهوتها من أجل انتصارها الأخير ... لكن أتمنى لو أنها تفتقدني وتستطيع المسامحة أيضًا.

- أهلًا ماد.

مكتبة
t.me/t_pdf

قُلت بينما هي ترد على الهاتف.

- أهلًا دوو، كيف الحال؟

أجابت.

- اسمعي، أنا آسفة كانت الأمور بيننا غريبة، كنتِ محقة. ولا يفيد التوجس. فليس من العدل لومك بخصوص أبي الذي ليس أبي أو فقدان صوابي بخصوص ما أخبرتني به. أنا موجودة هنا، وأهتم، وأعرف أنه من المحتمل أنكِ حزينة بشأن ما قد تعنيه هذه المرحلة البارزة. أردت التحدث عنك *أنتِ* وكيف تشعرين حيال الأمر.

- شكرًا لكِ، لقد عُدتِ إلى صوابك.

قالت مادي.

- اسمعي، فكرت كثيرًا حول الملابسات، وأدركت أنها كانت مصدر ارتياح نوعًا ما. لا أشعر بأي من الضغط بعد الآن، لكن شكرًا لسؤالكِ. إذن ما الجديد أيضًا؟ هل من علاقات حميمية؟

- حسنًا إذن، اعتقدت أننا كنا سنترك الماضي خلفنا تمامًا.

- فقط في عقلي (ردد تُ عشوائيًا).

- أووه...عُدِّيني مهتمة. أخبريني عنه.

- لا يوجد الكثير لأقوله.

- حسنًا، ابتكري شيئًا ما. أنا أشعر بالملل الشديد في انتظار مطعم الوجبات الخارجية البطيء، من أجل توصيل طعامي، إلى الحد الذي يجعلني آكل حذائي.

ارتسمت على وجهي ابتسامة من حديثها المتناقض وأخبرتها بمشهد الشعر القصير اللامع في مكتبة بيع الكتب.

- إنه غريب حقًا ماد، لأنه يساورني ذاك الشعور أننا قُدِّر لنا أن نتقابل.

- هذا غريب حقًّا دوو. لكن مجددًا، أنتِ تشتركين في مجلات الأطفال، وليس لديكِ طفل، لذا أعتقد أنه توجد أمور غريبة.

- لا أفعل.

نفختُ بينما أدفع نسختي من مجلة هابي تشايلد «الطفل السعيد» تحت الأريكة بأصابع قدمي كما لو أنها كانت سترُى. فقد كانت توزَّع مجانًا في متجر الأغذية، وانتابني الفضول.

- أيًّا كان. اسمعي، ربما تكون هذه إشارة. ربما قد قُدر لكما مستقبلًا من الحماقة.

- طريفة للغاية. إذن ماذا عنكِ؟ هل فاتني شيء مهم من جانبكِ مؤخرًا؟

- لقد قطعتُ عهدًا بالعزوبية بينما أركز على مسيرتي المهنية (قالتها بجدية).

- هل يوجد أي تقدمات؟

- ليس بعد، لكنني حصلت على فرصة عمل جزئي في شركة تشاو بيلا جيلاتو.

- رائع! هل هذا شيء تهتمين بمتابعته، مثلًا من ناحية التسويق؟

- كلا، أنا فقط أحب المثلجات المجانية. آمل لو أنني أكلت ما يكفي منه، سأمرض جراء ذلك لدرجة أنه لن ينتهي بي المطاف بإنفاق عشرين دولارًا أسبوعيًّا عليها لبقية حياتي.

- أجل، منطقي.

تردد صوت جرس بابها في الخلفية.

- عليَّ الذهاب؛ ها قد أتى تشكن تلل يو سيكن.

- ماذا...؟

كانت قد ذهبت بالفعل. أغلقتُ الهاتف بينما ترتسم ابتسامة عريضة على وجهي. عادت مادي! بعد قليل من النظرات الخاطفة على التقويم، دفعته بضيق شديد في الصندوق الموجود أسفل سريري. ثم -حينها فقط- شعرتُ أخيرًا أنني مستعدة لبدء العام الجديد.

الفصل السادس

يناير 2008

مع عودة الناس إلى المدينة، بدأت المكتبة تمتلئ بالزوار مع ظهيرة كل يوم. جاءت إلمبرا في اليوم الذي عادت فيه من إجازتها مع عائلتها.

سألتها:

- كيف كانت العطلة؟

- كانت جيدة، تركنا والداي مع جليسات الأطفال معظم الوقت، ولكن كان عليَّ قضاء الوقت واللعب مع أخي، لقد صار شابًّا لطيفًا الآن وأصبح يتحدث أكثر. كما أنني قد أنهيت قراءة ثلاثة كتب. «بيندريكس[1]» كان رائعًا! لا أطيق الانتظار حتى إصدار النسخة القادمة في أبريل.

- سأطلب المجموعة عند إصدارها (وعدتها بذلك وهي تعيد إليَّ الكتب).

- ماذا تقرئين؟

كنتُ قد انتهيت للتو من كتاب إديث وارتون «لمحات من القمر[2]»، والذي أُعيد قراءته كل بضع سنوات. إنها المفضلة لدي بقصورها الفينيسية والمنخفضات الباردة في بحيرة كومو والإقامة الباريسية والصراع الرائع بين نيك وسوزي وبين الحب والمال.

لفت إلميرا وشاحها حول رأسها.

---

(1) The Penderwicks by Jeanne Birdsall.

(2) The Glimpses of the Moon by Edith Wharton.

- هذا يبدو رائعًا. خمني ماذا؟ لقد أزعجت أمي حتى سمحت لي بالمجيء إلى هنا. أعتقد أنها شعرت بالارتياح لأنها ليست مضطرة لاصطحابي. والآن بعد أن وافقت، يمكنني المجيء هنا وقتما أريد.

- هذا جيد. أنتِ ركن ضروري لنجاح هذه المكتبة، في الواقع يمكنني عدُّكِ عضوًا مؤسسًا (قلتُ لها).

احمرت خجلًا وابتسمت ابتسامة كبيرة لم أرها منها من قبل.

كانت درجات حرارة البحر الأبيض المتوسط بالتأكيد في مخيلتي فقط، شاتسورث كان جوها شتاءً دائمًا. وبعد عدة أيام من الصقيع، سقط أول ثلج حقيقي في 8 يناير. كنت أجالس تيرابيثيا عندما وافقت سوليفان أخيرًا على عرضي لقضاء أمسية في الخارج لمقابلة بعض الأصدقاء لتناول العشاء.

- عليَّ أن أكون صادقة معكِ، كان بإمكاني أخذ إجازة.

قالت سوليفان عندما كانت تمر بالمكتبة هي وتيرابيثيا في وقت سابق هذا الأسبوع.

- أبي وأمي رائعان، ولكنني لا أريد أن أجعلهما يتحملان مسؤولية ليست مسؤوليتهما. أريد أن أجعله يعتاد أناسًا آخرين أيضًا. عند التبني، يوصي الخبراء بتقوية الصلة بين الطفل والوالدين في الأشهر القليلة الأولى قبل تقديمهم إلى الكثير من الناس، لذلك لم أستطع تخيل تركه مع أحد غير عائلتي أو الأصدقاء المقربين. يبدو أنه يشعر بالارتياح معك يا خالة دودي.

أحببت هذا الاسم!

- حسنًا، تشرفت بذلك. هل يمكنني مناداته «بوو» الآن؟

- بالتأكيد.

قلت له:

- ها أنت يا بوو.

واضعةً أمامه قطعة من ورق ملون وبعض أقلام التلوين، سرعان ما وضع قلم تلوين في فمه.

- كَخ!

قالتها سوليفان لتجعله يفهم أن أقلام التلوين ليست للأكل. ابتسم بوو وعلى أسنانه لون التوت البري.

- شكرًا لكِ دودي. أنا حقًّا أقدر ذلك.

ثم نظرت إلى العمل الفني الذي ابتكره بوو بأقلام التلوين. كانت إنديرا فارما تتجول في الأكشاك قلقة.

- هل كل شيء على ما يرام؟

اقتربتُ منها قائلة. مالت إنديرا نحوي وقالت:

- أنا لا أعرف ما يجب القيام به. الفتيات الأخريات في فصل أميشا دائمًا ما يضايقنها. إنها فتاة جيدة، وأنا أسمعها تبكي أحيانًا في الليل.

استشطت غضبًا فقلت:

- هذا مُقزز، أعني، أنا آسفة لسماع ذلك. لدي كتاب لها، سأعود.

ذهبت وسحبت كتاب *بلوبر*[1] من الرف، لم أكن أعرف ماذا أكتب على ظهر أحد الفواصل يدوية الصنع. في بعض الأحيان، كنت أكتب لماذا اخترت هذا الكتاب لهذا القارئ، على أمل أن يدفعهم ذلك إلى التفكير في الدروس التي قد يجدونها في الداخل. فكرت في وضع عبارة «صديق واحد جيد أفضل من عشرات الأشخاص السخفاء»، لكن ذلك بدا متكلفًا. وبدلًا من ذلك، كتبت على ظهر الفاصل والذي كانت عبارة عن جزء من لوحة فان جوخ الخشخاش والفراشات، «سيندي كروفورد، وبيل كلينتون، وجيسيكا سيمبسون جميعهم تعرضوا للتنمر وهم أطفال». شعرت أن هذا يغطي بعض المعاني الأساسية التي أردت إيصالها، اعتمادًا على اهتماماتها. من الواضح أنه لن يحل المشكلة ولكن قد يجعلها الكتاب تشعر بوحدة أقل...

---

(1) Blubber by Judy Blume.

أعطيتها لأمها التي قرأت الرسالة وابتسمت:

- حقًّا؟ كلهم؟ شكرًا لكِ.

- يمكنني أن أخبرك بناءً على خبرتي بأن الأمور تتغير بسرعة، وآمل أن تجد مجموعة جيدة تناسبها وسيتحسن كل شيء قريبًا لكن الأمر يستغرق سنوات لبعض الناس. أعلم أن «اصبر قليلًا» لن يحل أي شيء عندما تمر بشيء من هذا القبيل لها أو لك.

حاولت أن أتخيل مدى صعوبة ذلك، أن أكون أمًّا وأن أرى طفلي يتألم. أخبرتني سوليفان بأنها قلقة من أن يتعرض تيرابيثيا للتنمر عندما يصبح أكبر قليلًا لكونه مختلفًا ولأن أمه عزباء ومثلية الجنس ولا أب له، كان هذا علاوة على مخاوفها من أن يمر بوقت عصيب لأنه طفل مُتبنى.

قالت إنديرا:

- يبدو أن الكتب هي الشيء الرئيسي الذي ترتبط به أميشا هذه الأيام.

- لدينا الكثير منهم، سأفكر في المزيد في المرة القادمة.

قالت سوليفان:

- سنرحل دوو، أراك مساء غد.

- حسنًا، أراكِ لاحقًا.

بعد أن غادرت سوليفان لتناول العشاء، كنت أنا وتيرابيثيا نلعب لعبته المهووس بها، وهي نسخة مصغرة من لعبة الآركيد مع جرذ الأرض التي تقفز على رأسها عندما تظهر، في عمر عشرة أشهر، كان بإمكانه سحب أي شيء تقريبًا، وكان ثابتًا جدًّا على قدميه ما دام لديه شيء يتوازن معه، لكنه كان متحمسًا جدًّا عندما كان يمسك المطرقة لدرجة أنه كان ينقلب ويضحك عندما يهبط على مؤخرته. تبادلنا الأدوار في القفز بعيدًا، كان يصدر أصواتًا ضاحكة ليهتف لي.

رنَّ جرس الهاتف...

- مرحبًا؟

- دودي، هل كل شيء على ما يرام؟

بدت سوليفان قلقة.

- نعم، نحن نقضي وقتًا رائعًا، نحن نلعب لعبة جرذ الأرض!

- إلى الآن؟ منذ أن غادرت قبل ثلاث ساعات؟

لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا، نظرت إلى الساعة.

- أوه! الثامنة مساءً! كيف حدث هذا؟

- على أي حال، كنت أحاول الاتصال ولكن لم أتمكن من الحصول على إشارة، سيارتي عالقة في الثلج. حاولت الاتصال بأمي وأبي لاصطحابي، لكن هواتفهما لا تعمل، وأنا قلقة بشأن قيادتهما لمسافات بعيدة عبر المدينة لاصطحابي في هذا الطقس السيئ. على أي حال، لقد تركت رسالة تخبرهم بأن يقابلاني هناك حتى يتمكنا من مساعدتك في مجالسة تيرابيثيا إذا كنتِ في حاجة إليهما، لقد حصلت على ركوبة، لكن الثلج يتساقط بشدة لدرجة أننا قد نضطر إلى الانتظار حتى يهدأ قليلًا.

ثلج؟ نظرت من النافذة. يا إلهي! كانت هناك عاصفة ثلجية. وكانت الانجرافات قد تشكلت بالفعل على العشب.

- لا يبدو أنه سيتوقف قريبًا.

- لا، لن يتوقف قريبًا. سأحاول الوصول إلى هناك بأسرع ما يمكن. هل يمكنك إعطاء تيرابيثيا زجاجة الرضاعة ووضعه في الفراش؟

- بالتأكيد، لا تقلقي ولا تتعجلي، أراكِ قريبًا.

حسنًا، وضع تيرابيثيا في الفراش. يمكنني فعل هذا. أعطتني سوليفان التعليمات، وقد نجحت مرات عدة في أثناء مجالسة الأطفال. بالطبع، كان ذلك منذ سنوات لكن سوليفان وثقت بي. لنرى. . . من أين أبدأ؟ مممم، عن طريق إزالة فم تيرابيثيا من رأس جرذ الأرض.

- حان وقت زجاجة الرضاعة والسرير، بوو.

قلتُ له وأنا أحمله برفق.

- واااااء!

صرخ وهو يتلوى لينزل.

أووه. قالت سوليفان إنه عادة ما ينام بسهولة عندما يكون متعبًا، لكن ربما كان تيرابيثيا يحب الليل والسهر مثلي. ما الذي قالت بأن أفعله إذا لم يكن مستعدًّا؟ لقد قالت بأن أفرك ظهره ومن ثم سيهدأ وسيأخذ زجاجته، ثم سينام بعد فترة وجيزة.

في البداية، عندما كان يشرب، بدأت جفونه تثقل، نعم! كان ينام بسهولة، ثم كما لو كان حليبه ممزوجًا بالقهوة، فتح عينيه، وبدأ في الالتواء في حضني، محاولًا الإمساك بشعري، وأسقط الزجاجة الفارغة من يدي على الأرض، وانقلب على بطنه. أطلق صرخة عندما حاولت منعه من ترك حضني عندما حملته وأنا أصعد الدرج حاولت فرك ضهره، فركت ظهره كما لو كان مصباح جني، لكنني متأكدة من أنني لم أحصل على ما أردت. كان نحيب تيرابيثيا يعلو أكثر فأكثر، طفل مسكين. ربما كان في حيرة من أمره بسبب غياب سوليفان. وربما كان مرهَقًا حيث تجاوز موعد نومه الآن.

كان لديَّ أمل أن يعمل منظر غرفته المألوف على تهدئته ويستعد للنوم لكنه لم يفعل. لقد عادت قدراتي إليَّ عند ارتداء البيجامة كما لو كان لدي ذاكرة لمجالسة الأطفال. كان ذلك مفيدًا لأنه كان من الصعب التفكير جيدًا وهذا الطفل يصرخ بمستوى صوت ديسيبل.

ثم تذكرت شيئًا! الحفاض! لقد كان مبتلًا تمامًا. من الواضح أنني لم أمارس المهنة منذ فترة.

بفضل تقنية دودي فيرسيل الحاصلة على براءة اختراع في سرعة تغيير الحفاضات، تيرابيثيا كان جافًا في أقل من دقيقة لكنه لم يتوقف عن النحيب.

حاولت أن أغني له، وأخبرته قصصًا، وقرأت له ثلاثة كتب، نفس الكتب التي تقرأها سوليفان أو ماكي له كل ليلة. أعطيته بطانيته، فرمى بها من سريره، حاولت أن أجعله يستلقي. وضعت ضاغطًا باردًا على رأسه بالطريقة

التي اعتادت والدتي أن تفعلها لي عندما لم أكن على ما يرام، لكنه ألقى ذلك في وجهي أيضًا. كان يبدو كشخص مختلف؛ شخص لم أكن أعرف كيف أصل إليه، كان شعورًا فظيعًا. ظللت أتفقد ساعتي، كانت بالفعل الثامنة وخمسًا وأربعين. أعتقد أن الطرق سيئة حقًّا، لأن الأمر يستغرق ما يقرب من ساعة من الجميع ليقطعوا مسافة ميل أو ميلين.

وضعت وجه تيرابيثيا إلى جوار وجهي مباشرة ونظرت برفق في عينيه، أريده أن يهدأ. كان ينجح ذلك أحيانًا مع بعض الأطفال الذين كنت أعتني بهم من قبل. كانت عينا تيرابيثيا البنيتان الكبيرتان مليئتين بشيء أكبر من الدموع، كانتا مليئتين بالخوف، فجأة وجدتني أستوعب كل شيء. هذا الطفل المسكين، ربما كان خائفًا من أن سوليفان لن تعود أبدًا. لقد مرت بضعة أشهر فقط على تغير حياته الكبير. لم يكن لديه سبب حتى الآن للتأكد من بقاء الناس من حوله.

لا تنخدعي يا دودي لم يتم التخلي عن تيرابيثيا، كان من الصحي لوالدته أن تخرج وأن تقضي بعض الوقت بعيدًا.

في الساعة 8:53 (و41 ثانية) فُتِح باب الجراج. لقد كانت واحدة من أحلى الأصوات التي سمعتها على الإطلاق، كانت المساعدة في الطريق أخيرًا، لكنني لم أكن متأكدة مما إذا كان احمرار خدي تيرابيثيا وسخونة جبهته حمى أم أنها من كثرة الصراخ والنحيب.

لقد تجمع آل أوريلي معًا ومن الواضح أن ماكي وچيف قد انضموا إلى سيارة سوليفان وكانوا معًا في باقي الرحلة. وعندما فُتح الباب، بدأ تيرابيثيا في البكاء لكن هذه المرة بشعور أكثر اطمئنانًا لتأكده من أنه لم يتم هجره بعد كل هذا.

- هششش ...هششش. أنا هنا، أنا هنا الآن.

قالت سوليفان وهي تحمل تيرابيثيا حتى يهدأ.

- هل أنتِ بخير؟

سأل چيف وهو يربت على ظهري. أومأت برأسي لكنني لم أستطع النظر في عينيه؛ لقد قمت بعمل فظيع؛ لقد فشلت. لن يصبح تيرابيثيا رئيسًا الآن.

انتقل تيرابيثيا تدريجيًا من البكاء إلى النحيب، وسرعان ما نام على كتف سوليفان. وضعته برفق، وخرجت أنا وماكي وجيف من الغرفة على أطراف أصابعنا. قالت ماكي بعدما ترجلنا:

- سأعدُ الشاي.

- هذا الكائن الصغير يمكنه أن يصرخ بقوة، أليس كذلك؟

كان جيف لطيفًا جدًا بينما يُحاول طمأنتي.

- أجل لقد جربت كل شيء؛ الغناء، والقفز، والتجول به ... لكن لم يفلح أي شيء (قلتُ بهدوء).

- هذا يحدث كثيرًا عندما لا يكون معتادًا النوم دون أي منا. وأحيانًا تكون أسوأ الليالي هي تلك التي يتمتع فيها بأكبر قدر من المرح، لا يريد أن يفوت أيًا من الأحداث ويثير ضجة كبيرة.

بدأت أشعر بتحسن قليل وبخاصة عندما وضعت ماكي كوبًا من الشاي في يدي، بعضًا من شاي سورابايا المفضّل لدي من متجر مارياج فريريه في باريس.

- هل كانت الرحلة إلى هنا صعبة؟

- كانت صعبة بالفعل، لقد فكرنا فيما إذا كان من الأفضل النوم في صالون تصفيف الشعر والجلوس على أحد تلك الكراسي ذات المجففات الكبيرة (قال جيف مازحًا).

أنا أقدِّر مجهوده في محاولة التخفيف عني وعلى الرغم من الشاي، لم أستطع نسيان وجه تيرابيثيا الصغير الباكي غير السعيد. كان مشهدًا يتكرر مرارًا وتكرارًا في ذهني. ماذا لو أنني ألحقت الضرر به بشكل لا يمكن إصلاحه؟ أنا قلقة. ماذا لو لم يرغب في الوجود بجواري مرة أخرى؟

عندما انتهيت من تناول الشاي، قلتُ:

- يجب أن أذهب.

- هذا سخيف. لا يمكنك الخروج مرة أخرى الليلة (قالت ماكي).

- من المحتمل أن تبقى سوليفان هناك مع تيرابيثيا لفترة من الوقت، يمكنك النوم في غرفة الضيوف دون أي خوف من إزعاجه.

وضعت ماكي بعض البيجامات في غرفة الضيوف. لم أكن أعتقد أن طوق الكروشيه الوردي كان يليق بي، لكنني لم أكن على استعداد للمجادلة.

- تصبحين على خير.

قالت ماكي وهي تغلق الباب خلفها برفقة چيف، ثم نظرت إلى وجهي للحظة وقالت:

- لا تقلقي يا دودي، لن يتذكر حتى أنه كان مستاءً في الصباح، يحدث ذلك في كل وقت، سوف يكون على ما يرام.

كانت ماكي على حق. لم أكن بحاجة إلى الاستيقاظ في منتصف الليل وأنا قلقة من أنهم لن يسمحوا لي بمجالسة الطفل مرة أخرى، أو أن تيرابيثيا نفسه سيكسر صمته لينطق بكلماته الأولى قائلًا «دودي جليسة غير كفء؛ من فضلكم لا تدعوها تقترب مني»! عندما استيقظت في الصباح نزلت إلى الطابق السفلي، كان تيرابيثيا جالسًا في كرسيه مع بعض طعام الأطفال على وجهه، وعيناه تلمعان بشكل مؤذٍ تقريبًا. أضاء وجهه أكثر عندما رآني.

سألني جيف:

- هل نظرتِ إلى الخارج؟

- ليس بعد.

نظرتُ من خلال فتحات الستائر، كان المنظر رائعًا! تبدو الساحة بأكملها وكأنها جزء من كعكة نباتية كبيرة صُنِعت على البخار. ألهمني التفكير في الطعام، وسألتُ الجميع وأنا ذاهبة إلى المطبخ:

- هل تمانعون إذا صنعت شيئًا؟

أمسكت بأربع سلطانيات من الخزانة، بعد أن ارتديت معطفي ووشاحي وقبعتي وسحبت حذائي فوق سروال البيجامة، خرجت إلى الشرفة الخلفية مع السلطانيات في يدي بعد دفع الطبقة العليا من الثلج جانبًا، جمعت كومة من الأشياء الطازجة بداخل كل وعاء. بعد بضع دقائق، ظهرت سوليفان بعد أن نجحت في جعل تيرابيثيا يرتدي ملابس ثقيلة للبرد. كانت الانجرافات حرفيًّا تصل إلى خصرها. أخذ تيرابيثيا في الالتواء بين ذراعي سوليفان مشيرًا إلى الثلج، جثت سوليفان على ركبتيها حتى يتمكن الطفل من لمس الثلج. عندما لمسه، ظهرت على وجهه نظرة صدمة نقية شديدة كما لو أنه لم يرَ الثلج من قبل.

وهو ما كان واضحًا لي، من المحتمل أنه لم يلمسه من قبل؛ إنه طفل، أليس كذلك؟

يبدو أن تيرابيثيا قرر أنه لا يهتم بالثلج، كان يشير إلى الداخل. تبعتهم وأنا أوازن الأوعية الممتلئة، هرعت إلى الثلاجة وأخرجت علبة من الحليب وبعضًا من شراب الشوكولاتة من هيرشي وسكبت القليل من كل منها في كل الأوعية، وخلطت كل شيء جيدًا. كريم الثلج، تقليد عائلة فيرسيل!

شرب تيرابيثيا بسعادة جرعات كبيرة مما أكد لي أنه كان راضيًا للغاية.

عندما وصلت إلى المنزل، فتحت التلفاز على «فتاة النميمة» وأجبرت نفسي على الانتباه إلى الفواتير المستحقة.

لقد تعودت على التعامل مع فواتير الدفع كما أتعامل مع الضمادات، أمزقها جميعًا عن طريق فتحها ونشرها أمامي.

أوه يا إلهي! هاليفاكس. 2562 دولارًا على بطاقتي الائتمانية. 406 دولارات على فاتورة المرافق والهاتف بالإضافة إلى أنني مدينة بمبلغ 1,839 دولارًا مقابل الرهن العقاري الخاص بي. وصل هذا إلى 5807 دولارات. كان هذا... كثيرًا. كان ذلك... بالتأكيد أكثر مما توقعت. وأكثر مما حققته في شهرين تقريبًا. ماذا اشتريت؟ نظرت في قائمة الرسوم.

ما يقرب من مائة على كل من علب الطلاء وورق الحمام (تنتهي بسرعة مع كل هؤلاء الزوار الذين يتدفقون ويخرجون)! كان هناك حمام صغير بجوار المطبخ مباشرة على الجانب الآخر من باب غرفة الشمس. كان عليَّ أن أدفع لكي يقوم شخص ما بتثبيت باب إضافي لإنشاء ملحق حمام صغير يمكن أن يصل إليه زبائن مكتبتي دون أن يغريهم الاستمرار في السير لمسافة أبعد والدخول في منزلي. كان من غير المحتمَل أن يأخذ أي شخص حريته لهذا الحد لكن لأشعر ببعض من راحة البال، فعلت هذا للتأكد من أنه لن يسرق أي طفل ضال بعضًا من البسكويت المبرَّد من طاولة المطبخ، أو يشعر كأنه في منزله ويبدأ في مشاهدة برنامج الفضائح على التلفزيون في غرفة المعيشة الخاصة بي، في أثناء ما يتجاذب الآباء والأمهات أطراف الحديث دون وعي بين أكوام الكتب.

لقد أنفقت أيضًا بضع مئات على الستائر و500 دولار أخرى على السجاد لتدفئة المكان. كان هناك مبلغ كبير ومخيف لشحن بعض الكتب وطاولة «بريمفيلم فلي ماركت» وعلى الرغم من أن أرفف الكتب كان سعرها 50 دولارًا لكل منها، فقد أضاف ستة عشر منها ما يصل إلى 900 دولار.

أخذت نفسًا عميقًا من أنفي وأخرجته من فمي ببطء.

كان كل هذا فقط في الفاتورة الأولى، وذكَّرتُ نفسي مرارًا أن الأمر لن يكون بهذا السوء مرة أخرى. كانت هناك دائمًا مثل هذه النفقات في بداية المشاريع. تكاليف الاستثمار لمرة واحدة، إذا صح التعبير. من الواضح أنني لن أحتاج أبدًا إلى شراء ست عشرة حافظة كتب مرة أخرى. وما زلت أملك القليل من المال عندما كنت أستاذًا مساعدًا في أثناء برنامج الماجستير وأعيش على الطعام التايلاندي الرخيص في نيويورك.

بدأت نبضات قلبي تتباطأ. كانت فكرة إنفاق مائة دولار شهريًّا على ورق التواليت لا تزال صادمة، لكن إذا أبقيت النفقات الأخرى تحت السيطرة، يجب ألا يكون لدي مشكلة في النفقات الصغيرة الإضافية.

كما اتضح، لم أكن بحاجة حقًّا إلى أن أكون في دائرة رسمية لمشاركة قصص لأسمع كل شيء عن الحياة المثيرة للاهتمام ومشكلات الناس في شاتسورث. يبدو أن المكتبة تخرج كل هذه القصص وحدها.

- أعتقد أنه يجب عليكِ فقط الاتصال بها.

قلتُ ناصحةً للمرأة التي كانت واقفة على الجانب الآخر من مكتب التوزيع في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، لم تخبرني باسمها بعد، لكنها شاركتني بالفعل قصة انقطاع العلاقة بينها وبين والدتها. كان الأمر محزنًا حقًّا، لكن من الواضح أيضًا أنه كان سوء فهم.

- إليكِ هذا، اقرئي كتاب مايا أنجيلو الصغير هذا بعنوان الأم، فهو جيد جدًّا، وأنا متأكدة من أن والدتك تفتقدك. ربما قد تغير كلاكما منذ ذلك العراك قبل ثلاث سنوات، هل ستعطينها فرصة أخرى؟ (قلتُ).

لمعت عيناها وقالت:

- أجل، سأفعل. شكرًا لك دودي.

كانت على وشك المغادرة، ثم استدارت نحوي مرة أخرى لتقول:

- كدت أنسى الكتاب، يمكنني الحصول على ختم؟

من يحتاج إلى الرمز الشريطي؟ من وجهة نظري، كان الزائرون متحيزين لفحص كتبهم بالطريقة القديمة؛ كاملة مع تلك الآلية الرائعة التي تتيح لك نقل أحرف وأرقام الطابع كل يوم لتسجيل التاريخ.

- دودي؟ (قالت المرأة).

لم أكن أنظر إلى الختم، لم أكن أنظر إلى الكتاب بل كنت أنظر من النافذة إلى رجل ينظر إلى الداخل. على الرغم من أنه كان يرتدي قبعة صفراء صلبة وكان يخبئ وجهه خلف يديه لإخفاء وهج الشمس وانعكاس غروبها على النافذة، التقت أعيننا لفترة كافية لأدرك ذلك. . . لقد رأيته من قبل.

- أمم، دودي؟

حاولتْ المرأة لفت انتباهي مرة أخرى.

- معذرةً.

قلتُ ولم تبتعد عيناي عن النافذة.

- مهلًا!

اعترضت المرأة وأنا أختم يدها بدلًا من الكتاب.

- آسفة.

اعتذرتُ مرة أخرى.

قالت بلطف كما لو كانت تتذكر نصيحتي:

- لا بأس.

هل كان قادمًا؟ بدا وكأنه يتفحص ويدقق في عدد الأشخاص داخل المكتبة، فكرت في ذعر بالتأكيد إنها مزدحمة. كان الأشخاص المصطفون على المكتب يقفون بشكل جانبي حتى يتمكن الزائرون الآخرون من الوصول إلى الأرفف، ليس المكان المناسب لإجراء محادثة. وفوق كل ذلك، انتهزت جونا براونلي الفرصة في تلك اللحظة بالذات لتطلق صرخة مروعة في الوقت الذي قالت فيه والدتها إن أحدهم قد وضع على الرف بالخطأ «ذا جاشليكرامب» للكاتب إدوارد جور في سلة القراء الصغار. عُدت إلى النافذة لأرى القبعة الصفراء تتراجع.

كان يغادر، تقدمت إلى الأمام وقلت للشخص التالي في صف الاستعارة في عجالة:

- هل تسمح لي لحظة؟

لقد توسلت له ليمررني.

أردت أن أركض خلفه. لكن ماذا كنت سأقول له؟ كنت متوترة للغاية. بالإضافة إلى ذلك، كان لدي مكتبة لأديرها. هرعت إلى الحمام بدلًا من ذلك، وغسلت وجهي بالماء البارد، وتنشقتُ عبير شمعة «ديبتيك بابيه» الخاصة بي حتى شعرت أخيرًا أن بإمكاني أن أكون أمينة مكتبة مناسبة طوال الساعة وتسع وعشرين دقيقة التالية قبل أن أتمكن من إغلاق المكتبة الليلة.

في اليوم التالي، في الساعة 5:21 مساءً، كانت عيناي مثبتتين على النافذة. كنتُ أنظر إلى الباب ثم أنظر إلى النافذة مرة أخرى.

- ما الذي يحدث معك بحق السماء؟ (قالت كندرا متسائلة).

وكما وعدت، فقد ساعدتني كثيرًا في المكتبة، وبدا أنها تحبها بقدر حبي لها.

- عما تتحدثين؟ (سألتُ ببراءة).

- أنا أتحدث عن سلوكك المتقلب بشكل لا يُصدق اليوم. هل أصابك البرق بالأمس أو شيء من هذا القبيل؟

عَلَت وجهي ابتسامة، قبل أن أجيب ضاحكة:

- شيء من هذا القبيل.

- هل التقيت بشخص ما؟ تعالي إلى هنا؟ أخبريني بكل شيء!

جلستُ على حافة المكتب كما لو لم يكن هناك عشرات الأشخاص حولي. خفضت صوتي ووصفته ووصفت قبعته وعينيه.

- لم يدخل. لقد كان المكان مزدحمًا، وظلت جونا براونلي تصرخ «لا أريد أن أسقط من المزلقة! لا أريد أن أُسحَق تحت سجادة! ماذا لو سقطت من على الدرج؟»

قالت كندرا وهي تضحك بصوت مكتوم:

- سيعود، الرجل. ليست جونا براونلي، وربما هو أيضًا سيعود ولكن بعد أن يهدأ قليلًا.

- هل سيكون كثيرًا إذا تقدمت لخطبته عندما يعود؟ (قلت مازحة).

- أممم، نعم. لكن ربما يجب عليكِ فعل ذلك على أي حال. أو على الأقل مغازلته كبداية.

- كلا، لا أستطيع ... لا أستطيع.

أسندتُ ظهري إلى الوراء، كانت ركبتاي تشعران بالضعف لمجرد التفكير في محاولة إجراء محادثة معه.

- أجل، أنتِ تستطيعين فعل ذلك.

- كلا، لا أستطيع.

- هل تريدينني أن أخبره بأنه لم يتم صيانة المواسير لديكِ منذ أن انتقلتِ إلى شاتسورث وإذا لم يحضر قبعته الصلبة وأدواته وجاء إلى هنا، فمن المحتمل أن تنفجر؟

كان رأسي على المكتب. أردت أن أضحك، لكن كل الهواء خرج من رئتي. ماذا لو لم يعد؟

عندما انتهت كندرا من الضحك على نكتتها، ربتت على ظهري ونظرت إلى الساعة. وقالت:

- هناك دائمًا فرصة ثانية.

إلا أنه لم يكن هناك حقًّا، لأنها كانت تدير المكتبة بمفردها في الليلة التالية. سآخذ جيرالدين لتناول العشاء في عيد ميلادها.

تناولتُ برفقة جيرالدين وجبة كبيرة في مطعم هيباتشي-هو-يس، حيث كنا نلتقي في الأيام الأولى بعدما انتقلتُ إلى شاتسورث مباشرة. في تلك الليلة المهمة، توطدت علاقتنا بعدما اعترفت كل واحدة منًّا إلى الأخرى بأنها قد ادعت أن اليوم عيد ميلادها حتى يغني لنا طاقم المطعم أغنية التصفيق ويُحضِرون إلينا المزيد من الأناناس. وبدا من المناسب أن نحتفل بعيد ميلادها الحقيقي هنا أيضًا.

- إذًا ماذا تفعلين بينما لا تزال المكتبة العامة مغلقة؟

سألتُها، بينما كنتُ أغرس قطعة كبيرة من القريدس في صلصلة الزنجبيل.

- وضعٌ مقيت. أنا أحب العمل لدى ويندل ويز؛ إنه رجلٌ لطيف وشغوفٌ نحو ما يفعله، وبالطبع تعرفين أنني أُحب متاجر الكتب. لكنها لا تشبه المكتبة العامة (أجابت جيرالدين).

- أعرف.

- على الرغم من ذلك، فإن امتلاك مكتبة الاستعارة جعل الأمور أفضل.

أضافت جيرالدين بينما كانت تنحني مبتعدة عن اللهب وتُغطي حاجبيها حماية لهما عندما أشعل رئيس الطباخين النيران في كومة من البصل.

ابتسمتُ إليها، ثم أضفت:

- أنا أُقدر مساعدتك حقًا.

- بالتأكيد.

- هل تعتقدين أن مكتبة شاتسورث ستعود إلى العمل قريبًا؟ (سألتُها).

هزَّت رأسها نفيًا:

- يبدو الوضع فوضويًّا. في يناير كنتُ قد بدأتُ دورة تدريبية عبر الإنترنت لدراسة درجة الماجستير في علم المكتبات. وسأستمر في الدراسة حتى فصل الخريف، عندما يمكنني بدء الصفوف الدراسية إذا تم قبولي في واحد من البرامج الدراسية التي قدمتُ فيها حتى الآن.

- أنتِ لا تُضيعين وقتًا! (قلتُ مدهوشة).

- كلا. فكرتُ في أنه إذا أُعيد فتح مكتبة شاتسورث قريبًا، فسأستمر في الدورات التدريبية عبر الإنترنت بدلًا من ذلك. سأكون مرنة للغاية في كل تلك الأمور ما دمتُ أحافظ على التقدم للأمام.

- أعلم أنك تمتلكين أصدقاء كثيرين يعملون أمناء مكتبات حقيقيين، لكن إن كنتِ تُريدين أي خطاب توصية من أجل طلب التقديم الخاص بكِ، سأكون بجوارك لمساعدتك وسيكون مُحرِجًا بعض الشيء لكن أتمنى أن يكون دعمًا ذا نفعٍ في صالحك (قلتُ).

ضحكت جيرالدين:

- شكرًا لكِ. سأضع هذا في الحسبان.

بعد احتفالنا، بدأتُ تفحُّص هاتفي. كانت رسالة من كندرا. وحاولت معدتي الممتلئة تمامًا الاسترخاء برشاقة. إلا أنها تمنحني شعورًا يشبه غطس البطن.

«لقد أتى، يا إلهي ما هذا الجمال، إنه يشبه الحُلم. هاتفيني عندما تستطيعين».

كانت رسالة كندرا منذ ثلاث ساعات.

أطلقت كندرا صافرة تشجيع عندما أجابت هاتفها.

- ماذا؟ هل هو رائع إلى هذا الحد؟ متى حضر؟ هل تحدثتِ معه؟

- حسنًا، هدئي من روعك. أجل. حضر في الخامسة وواحد وعشرين دقيقة. وأجل (قالت كندرا ضاحكة).

- ماذا قال؟

- ليس الكثير. لقد قدَّمَ نفسه؛ كان اسمه شيب جيمسون (أجابت كندرا).

- مثل اسم ماركة الويسكي؟[1] (قلتُ).

- أجل، مثل ماركة الويسكي.

- هذا مثير.

- انتظري حتى تريه. لديه خصلاتٌ سميكة من الشعر الموجي.

- ماذا قال أيضًا؟

- حسنًا، كان يتطلع حوله كثيرًا، وقد كان تصرفًا غريبًا. كان يبدو كما لو أنه يبحث عن ... (انقطع صوتها).

توقفت أنفاسي. شخصٌ ما؟ هل كانت على وشك أن تقول « *شخصٌ ما*» ؟

- ألا تعتقدين ...؟ (تلعثمتُ).

- أعتقد أننا سنكتشف الأمر.

كان بإمكاني سماع صوت ابتسامتها عبر الهاتف.

- ماذا تعنين؟

- لقد طلب كتابًا، فأخبرته بأنه ليس متاحًا اليوم وسيكون متوفرًا غدًا.

(1) هناك ماركة تجارية للويسكي تحمل اسم جيمسون، مثل الاسم الأخير لشخصية شيب جيمسون. (المترجم)

- أي كتاب؟

- كتاب ستيفن كولبير.

كانت كندرا تتعمد تجنب عنوان الكتاب. كان الكتاب قد صدر في أكتوبر الماضي، لكنني لا زلتُ أنفجر في ضحكات هيستيرية في كل مرة أرى فيها عنوان الكتاب أو حتى أُفكر فيه.

- تقصدين كتاب *أنا أمريكا (وكذلك يمكنك!)*؟

وانفجرت ضحكة عالية حتى قبل أن أُنهي كلمتي.

- أوه، كلا، ها قد بدأنا (تمتمت كندرا من بين أنفاسها).

- انتظري لحظة؛ إننا نمتلك هذا الكتاب.

- كيف عرفتِ؟ (سألت كندرا ببراءة).

- لأن اثنين قد تبرعا بنسخهما الأسبوع الماضي. واحد منهما ربما لا يزال مُخبأ في أدراج مكتب التوزيع. لقد أخفيته هناك لأنه لا زال يجعلني أضحك، ثم نسيتُ أن أُعيده إلى أكوام الكتب. وعندما فكرتُ في الأمر، تذكرتُ أين كان (قلتُ).

- أجل. لقد تذكرت تلك النسخة اليوم أيضًا. وأعرف أيضًا بشأن الأخرى. لكن شيب جيمسون لا يعرف. ولحسن الحظ، لم يُفكر في البحث عنه في الأكوام. فقد صدق كلمتي بدلًا من ذلك.

- كلمتكِ الكاذبة المُخادعة؟

قلتُ ممازحةً إياها، لكن الامتنان قد حسَّن من نبرة صوتي، فتابعتُ:

- لقد فعلتِ هذا من أجلي، أليس كذلك؟ حتى يعود مُجددًا؟

- أجل!

- أنتِ صديقة رائعة.

- وأنتِ ستشترين لي بيتزا مستطيلة وتوتس هاش براون غدًا مكافأة لي. تُصبحين على خير! (صرَّحت كندرا).

كان من حسن الحظ أن احتفالي مع جيرالدين نتج عن السقوط في غيبوبة طعام، أو من يدري كم كنت سأستغرق من الوقت حتى أغط في النوم؟ كنتُ أحلم أنني أغوص عميقًا في غوَّاصة صفراء. ومما يثير الشك، فقد كانت تشبه لون القبعة الصلبة في الحقيقة. وربما ستمتلك مادي (وفرويد) يومًا حافلًا بهذا الحُلم.

لستُ في حاجة إلى القول إنه في مساء الجمعة، كانت مؤخرتي ملتصقة بالكرسي وعيناي مثبتتين على النافذة في تمام الساعة 5:20.

لا شيء.

حضرت ماكي إلى المكتبة لاستعارة كتابٍ كنتُ قد رشَّحتُه لها عن اضمحلال الجمهورية الثالثة في فرنسا. كنتُ قد دسستُ بداخله فاصل كتاب مقطوعًا من قطعة من لوحة للفنان جيمس تيسوت –كان المشهد في حفلة راقصة فاخرة بينما يلمع بريق الثُريا المُعلَّقة وامرأة في ثيابٍ فاخرة– وقد كُتب عليها «القليل من الانغماس في اللذة لا يضر».

- استمتع تيرابيثيا بأسبوعه كثيرًا.

قالت ماكي بينما كنتُ أُسلِّم إليها الكتاب، ثم أضافت:

- صار جسده يزداد حجمًا في كل مرة أنظر إليه.

ضحكتُ. على الأقل لم تؤثر مهاراتي الفاشلة في وقت النوم بالسلب على نموه. كانت ذكرى وجهه المرتعد في ليلة العاصفة الثلجية تُزيل الابتسامة عن وجهي في كل مرة أتذكر فيها ما حدث.

وبلطفٍ وضعَت إحدى يديها فوق يدي قبل أن تقول:

- هل أنتِ بخير دودي؟

- أوه، أجل، تمامًا. لقد شعرتُ بتيار هواء أو شيء من هذا القبيل.

- أجل، حسنًا، سنكون في منزل سوليفان هذه العطلة إذا كنتِ ترغبين في المرور (قالت ماكي).

- وقضاء الوقت مع رجلنا الصغير؟ بالطبع سأفعل! (قلتُ).

- ستكون سعيدة لسماع هذا، فهي تعرف أنني سأراكِ اليوم وأخبركِ بذلك. إن تيرابيثيا يمر بمرحلة التسنين، ولم يكن هناك فرصة حتى تُهاتفكِ.

- لا مشكلة (قلتُ).

لقد كنتُ سعيدة للغاية بأن أكون مدعوَّة في أي مكان يرغبون مني أن أكون فيه.

بعدما غادرت ماكي، تطلعتُ نحو الساعة. لم يمر سوى سبع دقائق فقط، وليس هناك شيء. هل يمكن أن أكون قد فوَّتُ تلك اللحظة؟ كلا. لأنه على الرغم من أنني كنتُ أستمع جيدًا وتمامًا بنسبة 100 بالمائة إلى كل كلمة نطقت بها ماكي، كنتُ أيضًا أتفحَّص النافذة من وراء كتفيها ولم أغفل عنها.

في الوقت الذي ضربت فيه عقارب الساعة السادسة والنصف، كنتُ قد بدأتُ أشعر بتفريغ الهواء من حولي. ماذا لو كان يزور ساتشورث فقط، وقد غادر المدينة، ولن يعود إلى هنا مُجددًا؟ ربما، ولكن لا يُحتمل أبدًا أن يقضي زائر ثلاثة أيام يراقب المكتبة ويُقلع عن فكرة المجيء إليها في اللحظة التي يسمع فيها أن الكتاب الذي يبحث عنه غير متاح. ولا داعي لذكر أن هناك شيئًا ما قد أخبرني أنه نفس الشخص الذي رأيته في متجر الكتب ويندل ويز، على الرغم من أنني لستُ متأكدة فقد كان شعره مُغطى. وهذا يعني أنه كان في شاتسورث لأكثر ما يزيد على شهر.

وفي الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وقبل النداء الأخير للإغلاق، فُتح باب المكتبة. وبينما كان يتجه نحو مكتب التوزيع، امتلأ المكان برائحة نفَّاذة غير معتادة؛ رائحة النظافة التي تنبعث من هذا النوع من الصابون الأيرلندي الترابي يدوي الصنع. كنتُ أعاني مشكلة في التنفس. وكانت رائحته ناعمة، مثل ثوبٍ ترغب في احتضانه والغرق فيه على الفور.

- مرحبًا.

- مرحبًا. كيف يمكنني مساعدتك؟

- هذا سيكون رائعًا. أخبرتني أمينة المكتبة بالأمس بأن الكتاب الذي أبحث عنه سيتوفر هنا اليوم.

- حسنًا. هل تعتقد أنها قد وضعته قيد الحجز لأجلك؟ إن أعطيتني اسمك، يمكنني التأكد من ذلك.

- شيب جيمسون (قال).

- مساء الخير. أنا دودي.

يا إلهي! من أكون؟ الكونت دراكيولا؟

- هل تأخرت؟ إنكم تغلقون قريبًا (سأل شيب).

حاولتُ تحديد لون عينيه. وأضاءت في عقلي رؤية للوحة انطباعية لجانب من البحر قد رسمها يوجين بودين، كانت الأمواج خضراء لامعة تميل إلى الزرقة، تميل إلى الزرقة أكثر مما تظهر بها الخضرة.

- لا مشكلة.

ابتسمتُ إليه. إلى شعره في الحقيقة.

أولًا، لأن النظر إلى شعره كان آمنًا أكثر من النظر إلى عينيه. وأيضًا لأن شعره كان داكنًا ممتلئًا ومموَّجًا قليلًا لكنه يميل إلى أن يكون شعرًا أشعث – تمامًا مثلما توقعتُ بطريقة ما أن يكون. لا يبدو مثل الرجل الذي يُنفق أمواله على منتجات الشعر بدلًا من الطعام. والآن عندما سقطت القبعة الصلبة، ليس هناك شكٌ في أنني أقف أمام الرجل ذي الشعر الفاتن الذي كان في متجر الكتب ويندل ويز.

كان يتجول بين أكوام الكتب وحولها، ومن وقتٍ لآخر يُلقي بنظرة إلى الوراء باتجاهي. كان من الواضح أنه قد خرج لتوه من الاستحمام، لكنني لم أستطع أن أدع نفسي أفكر في الأمر. وحاولتُ التفكير في شيء مُبتكَر لكتابته على فاصل الكتاب بدلًا من ذلك. كان عقلي مُصمتًا تمامًا. أخذتُ فاصل كتاب مقطوعًا من لوحة مُلوَّنة رسمها ريتشارد ديبنكورن وكتبتُ ببساطة «شيب جيمسون» على ظهرها. ولدقائق قليلة تالية، تظاهرتُ بقراءة فقراتٍ من كتاب

وصفات *الطبَّاخ*. كان من المستحيل عادةً إلهائي عن أمرٍ يتعلق بالكعك، ولكن بطريقة ما عجزت تلك الكعكات عن جذب انتباهي وتشتيتي.

- تفضل الكتاب.

أعطيته الكتاب عندما عاد مرة أخرى إلى الطاولة الأمامية.

- شكرًا لكِ. هل تعتقدين أن بإمكانك ترشيح بعض الكتب الأخرى؟

كان يقف أمامي مباشرة مرة أخرى. رفعتُ عينيَّ ببطء عن المجلة، بينما أتلذذ بشعور الحماس في تجويف بطني.

- بالتأكيد. ما نوع الكتب الذي تُفضله؟

كان يلعق شفته السفلى مُفكرًا.

- كي أكون صريحًا معكِ، لستُ من القرَّاء النهمين (اعترَف).

- عندئذ، ما الذي تفعله في مكتبة الاستعارة؟

قلتُ مازحة، بينما يتخللني شعورٌ بالفخر، فقد استطعتُ المغازلة عمليًّا.

- لقد أردتُ أن أرى علام كانت تلك الضجة. منذ أن أتيتُ إلى شاتسورث للعمل على إنشاء المركز التجاري الجديد، كان الجميع يتحدث عن المكتبة.

- وماذا تعتقد؟

- أعتقد أن عليكِ طردنا الآن، وإلا ربما ينتهي بكِ الحال في وجود ضيوف طوال الليل.

كان شيب يتطلع حول المكتبة إلى الزائرين القلائل الذين يتجادلون حول خياراتهم، والتي – لحسن الحظ – قد منعته من رؤية احمرار وجهي حتى أخمص قدمي. ضيوف الليل – يا إلهي! سنرتدي ثياب النوم! أو ربما من الأفضل ألا يكون هناك ملابس نومٍ على الإطلاق!

- صحيح. أمامكم خمسُ دقائق من فضلكم.

صرَّحتُ بينما أحاول أن أُلملم شتات نفسي.

- إن خطر ببالكِ أي اقتراح لما يمكن أن أقرأه فيما بعد، هل يمكنكِ اقتراحه عندما أُعيد هذا الكتاب؟ ربما رواية؟ لقد قرأتُ كتاب دون كيخوتي منذ عدة سنوات واعتقدتُ أن هذا كان ممتعًا.

- بالتأكيد.

سيكون هناك مرة أخرى! لم يكن يستخدم حيلة بيع الكتب في الخارج!

كنتُ أرغب في الاندفاع لسؤاله: «*متى سيكون هذا؟*» لكنني فكرتُ أنه ربما قليل من الغموض لن يضر.

الفصل السابع

كانت محفظتي بالتأكيد قد تلقَّت ضربة مُروعةً عند بدء المكتبة. والآن كنتُ على وشك اكتشاف بأنه ليس من الزهيد صيانة واحدةٍ أيضًا. كانت الدفعة الثانية من الفواتير أفضل قليلًا من الدفعة الأولى، لكنها ليست أفضل بالقدر الكبير الذي تمنيته. لا زال هناك الكثير من النفقات. وبخاصة إذا كنتُ أريد شراء أي من الإضافات الترفيهية، والتي –في رأيي– لا يجب أن يعيش الزائرون دونها. لم أكن متأكدة إذا كان المتبرعون وراء هدايا المكتبة –الذين كنتُ أُخطط لتقديم المشروع لهم– سيوافقون، لكن الأمر لم يعد مهمًّا لأنني فوَّتُ المواعيد النهائية جميعها للعام الجاري، وسيكون عليَّ الانتظار حتى الخريف قبل أن تفتح عملية التقديم أبوابها مرة أخرى.

وبالتنقيب في جيوب حقيبتي، كنتُ أطمئن دائمًا من وجود المخزون الطازج من بسكويت مخبز بيليبي في يدي والكثير من مشروب التفاح الساخن لتدفئة الجميع. والآن وبما أن والدة إلميرا قد علمت أن المكتبة على بعد مسافة يسيرة يمكن قطعها سيرًا، أصبحت إلميرا عمليًّا تمثالًا ثابتًا في المكتبة. كانت دائمًا تعرض ببهجتها الحانية المشروبات المُرطِّبة على الآخرين بمجرد ولوجهم إلى الداخل. وأحيانًا ما كانت تأتي بعد انتهاء المدرسة لمساعدتي في إعادة ترتيب الأرفف أو تنظيمها أو أحيانًا للدردشة فقط، وفي أغلب الأوقات تجلس في أي زاوية وتفقد ذاتها داخل كتاب آخر يتجاوز عمرها على نحو يثير الإعجاب بها. ستلوح ابتسامة من بين شفتيها عندما تقرأ شيئًا مضحكًا، أو ستقطب حاجبيها بتركيز إذا كانت تقرأ شيئًا جدِّيًّا. وعندما تغلق أي كتاب تقرؤه، ستضمه إلى صدرها. تمامًا مثلما أفعل.

***

- ما رأيكَ في هذا الكتاب؟

سألتُ شيب عندما أتى ليُعيد كتاب *الوعد عند الفجر* للكاتب الفرنسي رومان جاري – بعد أسبوع. كنتُ قد تمنيتُ لو أكون أنا من أعطيته الكتاب بنفسي، لكنه كان قد أتى في يوم عطلتي، لذا تكفلت كندرا بإعطائه الكتاب بدلًا عني وأرفقته بفاصل الكتاب المطوي بداخله والذي كان قد رُسم عليه شروق الشمس المتوهج. كنتُ أيضًا قد تحليتُ بالشجاعة حتى أكتب تلك الكلمات «مرحبًا بالبدايات الجديدة» على فاصل الكتاب.

وضع الكتاب على مكتب التوزيع وخفت صوته بينما تلتقي أعيننا ثم قال:

- لقد كان ...

سرت قشعريرة سريعة أسفل ظهري. كانت يداه قريبةً للغاية حتى إنه كان بإمكاني لمسها. وتخيلتُ كيف سيكون ملمس راحته دافئًا. كانت يده مستقرةً على الكتاب، لكنه وعندما لاحظ تعبيرات وجهي، ارتعد مبتعدًا كما لو أن الكتاب قد حرق يديه.

- آسف!

قال شيب بضحكة متوترة بدت كما النُباح، ثم أضاف:

- الأمر هو أن عينيكِ ليستا زرقاوين الآن. بينما ترتدين تلك السترة، تبدو عيناكِ وكأن لونهما نوع من الأخضر الذهبي. إنهما يُذكرانني بتلك اللوحة التي رأيتها ذات مرة ... كان قد رسمها فنانٌ فرنسي. لكنني أعجز عن تذكره الآن.

أخذتُ نفسًا عميقًا وبطيئًا قبل أن أُجيب:

- نحتاج إلى أن نُوفر لك كتابًا جديدًا (واندفعتُ نحو المكتبة).

تمتم شيب:

- إنهما يُطلقان على تلك العينين عينان صاخبتان.

احمررتُ خجلًا حتى أخمص قدمي وكنتُ ممتنة لأنني وجدتُ رواية *جاك القدريّ* للكاتب دنيس ديدرو – تُلامس أطراف أناملي مباشرة.

تابعتُ حديثي:

- ستُحب هذا الكتاب أيضًا مثلما أحببتَ دون كيخوتي للكاتب الإسباني ميغيل دي ثيربانتس. أعدكَ بذلك. إنها تشبهها في العبثية وتحوي ما هو أكثر ذكاءً وفطنة. إن كاتبها هو أحد الفلاسفة الفرنسيين والذي كان واحدًا من مؤسسي الموسوعة الأولى.

عادت نبرة صوته طبيعية تمامًا وهو يقول مازحًا:

- أهذا ما تقدمونه لكل عملاء البناء؟

- كلا. فقط المُميزون منهم.

قلتُ بينما كنتُ أتحدى نفسي للتحدث بهدوء وصدق مثلما يفعل. ثم مرَّرتُ إليه الكتاب من فوق المكتب. وإذا به يلتف للخروج من المكتبة، أدركتُ شعوره بالحرج في تعبيره.

***

في الجلسة الأولى لنادي الكتاب لعُشاق الطعام، كانت لولا ذات حضور طاغٍ، فقالت:

- أتعلمون؟ يبدو الأمر مضحكًا. فكل ما يتحدث عنه أي شخص هو كعك المادلين المُحلى. فأنا شخصيًا ممن يفضلون الشوكولاتة، لذا فإن الكعك المغطى بكريمة الفانيليا بأكمله ليس شيئًا يمكنني تحمله حقًا. ولكن بعيدًا عن هذا، يتعلق الأمر كُليًا بأوراق الشاي الذي يغمسها مارسيل فيه. *أوراق الزيزفون* التي يترجمها الناس عادة إلى شاي أزهار الليمون. لكنها ليست نفس الشجرة التي تُنتج الليمون الذي نعتاد تناوله، أليس كذلك دودي؟ (ثم نظرت إليَّ باحثةً عن التأكيد).

اتسعت ابتسامي حتى وصلت إلى أذنيَّ. إنني أحبُ شاي أوراق الزيزفون. وفي جميع المقاهي التي تنتشر حول باريس، يمكنك أن تطلب *نقيع الزيزفون*؛ إنه فعليًا أوراق الزيزفون الجافة المنغمسة في الماء الساخن، لأجل مذاق يتلمس جميع خلايا التذوق في لسانك مثل انفتاح البتلات، مثل الطبقات التي تقفز للخارج من الفطيرة المنقوعة في فنجان مارسيل. عندما كنتُ جليسة

أطفال، كنتُ أُدلل نفسي بفنجانٍ من الشاي وفطيرة ملفوفة في كل مرة أتمتع فيها بعطلة نهارية.

- أليس كذلك دودي؟

كررت لولا بإصرار أكثر تلك المرة.

- أجل، هذا صحيح؛ إنها زهور الزيزفون.

اندفعتُ قائلة بينما كنتُ أستقر بسفن عقلي التي سافرت (ممم ... أو أيًّا ما يكن) على أرضه الصلبة في شاتسورث.

- زهور الزيزفون؟ ما هذا؟ (قالت جيرالدين).

- كان مارسيل الصغير متوترًا تمامًا، وكان يُعتقد أن أوراق الزيزفون ملائمة للاسترخاء، وأحيانًا للتخدير. وربما أعدَّها أحدهم من أجل تهدئته. أليس هذا رائعًا؟ (أجبتُ جيرالدين).

- أعتقد أنه يجب أن أُجرب هذا في بعض الأحيان مع ديندرا، وسأكون سعيدة إذا ما زرعتُ إحدى أشجار الزيزفون في حديقتي منذ أن تكون حبة في التربة، حتى لو كان هذا لأجل عطلة أسبوعية وحيدة أنام فيها (قالت ماليسا).

- حسنًا، إن أشجار الزيزفون تكبر بمقدار قدمين في العام، لذلك ستحتاجين إلى الانتظار عدة سنوات أخرى قبل أن تتمكني من النوم بفعل أوراقها (قال سام –خبير البستنة المُقيم في البلدة– ثم ضحك هو وضحك الجميع).

دائمًا ما سأحتفظ بمكانٍ خاصٍ في قلبي لأجل كعك المادلين المغموس في الشاي، والذي كان قد فتح أبواب ذاكرة مارسيل على مدينة طفولته مثل كتاب سحري مفتوح. وبالطبع إذا اخترنا فطيرة فرنسية مماثلة للموت، سيخسر كعك المادلين أمام تلك المنافسة. ربما سأراهن على طبق الحلوى المتغطرس في قوائم الحلوى بالمقاهي: تارت تاتان – الكراميل البرتقالي السميك الذي يتجمد حتى يصبح هلامًا يُحيط بكتلٍ منفصلة من التفاح ومن فوقها طبقة رقيقة مقرمشة من المعجنات. طبق عظيم من الحلوى يسمو بنفسه. الأهم

أنني أدركتُ حقيقة أن نادي الكتاب لعُشاق الطعام سيصبح فرصة لمشاركة بعض الكنوز غير المعروفة حتى نتذوقها أيضًا.

ارتفعت قرقرة صاخبة من مكان ما في معدتي. كنتُ أعرف أنني سأحب هذه المجموعة. لقد كان نادي القراءة الأول الذي طالما حلمتُ به على الفور بعد افتتاح المكتبة، لأنه ... حسنًا، إذا كان هناك شيءٌ واحد أعرفه وأشعر بالراحة عند الحديث عنه، فهو الطعام.

كانت كندرا قد اقترحت عليَّ في أحد الأيام بينما كنتُ أهذي بحماسٍ عن الشوكولاتة الداكنة وإكلير الكراميل المُملَّح الذي كنتُ قد أكلته:

- لماذا لا تبدئين نادي قراءة يتعلق بالطعام؟ (قالت كندرا).
- أنتِ على حقٍّ تمامًا. الكتب والطعام، من أكثر الأشياء تفضيلًا في حياتي! ما الذي يمكن أن تطلبه أي فتاة أخرى أكثر من ذلك؟

زمَّت جانبًا من شفتيها لأعلى، وكنتُ أعرف جيدًا ما الذي تُفكر فيه. وبعد عدة دقائق، كان عليها أن تخطف صورة قديمة لابن أخيها الرضيع من بين يدي، بينما كنتُ أصرخ:

- يا إلهي، انظري إلى تلك الأظافر الصغيرة الرقيقة! هل ترين تلك القبعة الصغيرة المُطرَّزة بحوتٍ أزرق وكيف أنها تجعل رأسه صغيرًا؟ لا يمكنني التصديق بأن عمره صار عامين بالفعل. انظري إلى بشرته المثالية وحمرتها الهادئة. هل هي حقًّا ناعمة مثلما تبدو؟

ربما يمكن لأشيائي المفضلة الأخرى -الأطفال- أن تصبح جزءًا من النادي أيضًا؟ بالطبع لم أرغب حقًّا في فعل ذلك؛ الأطفال والطعام والكتب، هذا خليط قليل الشبه لكتاب هانسل وجريتل.

استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا حتى أتمكن من إقامة نادي الكتاب هذا -أطول مما استغرقه نادي القصة، لأن ما كنتُ أريده حقًّا أن يصبح كل شيء صحيحًا ومثاليًّا- أن أختار الكتاب الذي سيشعل المحادثة ويزيد من حماس الحضور حول ما هو آتٍ. والآن، وفي اجتماعنا الأول، بدا جميع الأعضاء حقًّا كما لو أنهم يتركون بصماتهم في النقاش. ليس مجازًا فقط، وإنما كنتُ قد

شجعتُ السيدات على البدء بمساهماتٍ بسيطة في الطعام، لذلك أعدَّت سام بسكويتًا مستوحى من رواية بيت صغير *في البراري*، والذي كان مذاقه في الحقيقة أسوأ مما يبدو عليه. لكن الفكرة نفسها تُحسَب لها على أي حال!

وبدافع احترام جهود سام، انتظرتُ حتى انتهى الجميع من تناول البسكويت قبل أن أُحضر طبقًا آخر مستوحى من ممر جميل في العالم الآخر في رواية *طريق سوانز*. اتكأت السيدات للأمام للمناظرة عند تقديم الأطباق الممتلئة بأوراق الهليون المغموسة بقطعٍ مبشورة من جبن البارميزان. وقد أحضرت سام كلَّ الطعام.

وبينما كانوا يمضغون الطعام بشهية، قرأتُ بصوتٍ مرتفع:

«إن أكثر ما يُدهشني هو أوراق الهليون، المصبوغة باللونين الأزرق المائي والقرنفلي الوردي الذي يمتد من الرأس، وتنتشر الزخارف المُنقَّطة بدقة باللون القرنفلي والأزرق السماوي خلال سلسلة من التغيرات الدقيقة غير الملحوظة على جذورها البيضاء، والتي لا زالت مُلطَّخة قليلًا بتربة الحديقة: جمالٌ صعبُ المنال يستحيل أن يكون جزءًا من هذا العالم.»

***

كان من بين الحضور أيضًا امرأة تُدعى كلوي، وكانت تمتلك متجر أطعمة شهية. أول مشاركتها كانت تنهيدة صدرت عنها عندما انتهيتُ من قراءة فقرتي السابقة. كنتُ جالسة بجوارها. وخططتُ للجلوس بجانبها في كل تجمع من تجمعات نادي القراءة لعُشاق الكتب. كان هذا لأسبابٍ أولها أنها دائمًا ما تستمع بهدوء، وعلى الرغم من أنها لا تتحدث كثيرًا، فإن آراءها ثاقبة عندما تتحدث. أما السبب الآخر فهي فرنسية.

كانت رائحتها دائمًا مُذهلة. عطرها يُذكرني بواحدٍ من شوارعي المفضلة في باريس ... رائحة عيد الميلاد والشاي والطعام المُعلَّب.

- احم!

تنحنحت كلوي بلطف، بصوت هادئ يكفي لأسمعه وحدي. كنتُ شديدة الميل نحوها حتى كاد كرسيٍّ أن ينقلب. وحينها اعتدلتُ في جلستي. لم يكن

أي أحدٍ ينظر إليَّ، بل كانوا جميعًا يفكرون في أوراق الهليون البنفسجية. وفي الجانب الآخر وبالقدر الذي كان معه كتاب بروست طويلًا وعسيرًا، فقد وعد كل واحد من الحضور أن يقرأ عينة شكرٍ لما سمعوه وتذوقوه في نادي القراءة.

اللعنة على منظفات الأنابيب اللامعة! كنتُ أخوض حربًا مع مجموعة منها في محاولة بائسة لابتكار مشروع جديد لأجل صفوف الرسم في المدرسة في الوقت الذي هاتفتني مادي فيه. إما أنها كانت تحاول الوقوف على آخر المستجدات بشأن موقف شيب، أو أنها شعرت بافتقارها إلى المستجدات.

لم يكن هناك شيء يمكن أن يثير حب مادي سوى التحدي، وبخاصة عندما يتصل الأمر بالتعامل مع الرجال.

- مرحبًا، لدي فكرة. ما رأيكِ أن أحضر إليكِ العطلة القادمة لنطرح الأفكار حول المناورة التكتيكية القادمة لأجل عملية العُمال؟ ولنحتفل أيضًا بعيد ميلاد أحدهم (قالت مادي).

- لا تُذكريني (زجرتُها).

ثم وبختُ نفسي «*لا تكوني هادمة اللذات!*»

ثم أضفتُ:

- كلا، الحقيقة، يبدو هذا رائعًا. وأعتقد أن هذا سيساعدني على تخطي التفكير في مسألة العُمر.

لم أكن متأكدة من أنني صدقتُ فيما قلته، لكن ربما عندما قلته بدا صحيحًا. الحق أن لدي الكثير من الأسباب لأشعر بالبهجة؛ أصدقائي، عائلتي، منزلي، مكتبة الاستعارة.

ومع ذلك بعدما أغلقت مادي الخط، أخرجتُ الصندوق المغطى بالقماش الشفاف من أسفل الفراش، وفتحتُ الغطاء، أخرجتُ التقويم الذي بداخله، وللمرة الثانية منذ أن أبلغتني مادي بالأخبار، وضعت علامة X على شهرٍ آخر قد انقضى، والذي يعني أنه على الأكثر ليس أمامي سوى خمسة عشر

شهرًا لأصبح حاملًا في الوقت المناسب حتى أستطيع أن ألد طفلي بحلول عيد ميلادي الخامس والثلاثين.

لم يكن انقطاع شيب عن المكتبة أمرًا ذا فائدة لأي شيء. كنتُ أعرف أنه حافظ على مسار قراءاته المثير لأنه قد أرسل صديقه مايك ليطلب مني كتابًا عن السيرة الذاتية للشاعر النمساوي راينر ماريا ريلكه، والذي كنتُ قد أخبرته من قبل بأنني أحب أشعاره. ابتلعتُ ريقي بصعوبة بالغة عندما رأيتُ الطلب على الورقة، بينما كنتُ أحاول استنباط أي نوع من الرسائل يريد أن يُخبرني بناءً على اختياره.

- تفضل مايك!

أعطيته كتاب ريلكه وثلاث مجلات هزلية أيضًا. ابتسم مايك لي. كان رجلًا وسيمًا في أوائل الأربعينيات، ذا بشرة ناعمة الملمس كما الأطفال على الرغم من سنوات عمله تحت الشمس مباشرة في مواقع الإنشاء. كنتُ قد رأيته عدة مرات في ميدان المدينة الصغيرة أيام العطلة الأسبوعية يلاحق أطفاله بينما كانت زوجته لولا -التي تحضر نادي الكتاب لعُشاق الطعام- تمنع ضحكة عالية مثل ضحكة الفوز بالجائزة الأولى من خلف مجلة شعبية.

- شيب لديه ذوقٌ شعريٌّ رائع لا يوحي بعامل إنشاءات. لا أعلم من هو ريلكه هذا، لكن شيب بدا حريصًا على معرفة المزيد عنه (قال مايك وهو يومئ ناحية الكتاب).

صدرت عني ضحكة متوترة، وتساءلتُ ما إذا كان شيب قد قرأ فعلًا أيًا من قصائد ريلكه بعد. مثل تلك القصيدة التي شبَّه فيها الفراش بالزهرة. وظهرت في عقلي فجأة صورة بمشهدٍ كنتُ فيه برفقة شيب ورائحته قد علقت في فراشٍ مغطى ببتلات الأزهار.

في طرفة عين كان مايك قد رحل، تاركًا إياي وحدي برفقة أفكاري وأصوات الأخوين واتسون، جوي وساندرا، وهما يتعاركان حول من سيحصل على *هل أنتِ أمي؟*[1] ومن سيحصل على *الكلب الصغير الكريه*. ومثل أي

---

(1) Are you my Mother?: هل أنتِ أمي؟ كتاب للأطفال من قبل بي جي إيستمان.

مساعد مؤتمن لأمين المكتبة، تمكنت إلميرا من حل النزاع حتى قبل أن تسنح الفرصة بذلك.

حضر شيب إلى المكتبة في الليلة التي تسبق وصول مادي. كان يرتدي معطفًا ورابطة عنق وبنطالًا داكنًا من الجينز. توقفت أنفاسي عند رؤيته. وسعلتُ لأخفي ما حدث. كانت نظرات عينيه مبهمةً إليَّ؛ إما متحمس أو محموم.

- ذاهبٌ إلى مكانٍ فاخر؟ (قلتُ ممازحةً إياه).

- أجل، أنا ... مم ... (قال شيب متأتئًا ثم تنحنح ليحاول من جديد).

قال أخيرًا:

- أنا ذاهب لمقابلة والدي ... صديقتي ... الحميمية.

كان بإمكاني الشعور بأن عضلات وجهي تنحدر نحو الجاذبية. وفكرتُ «*بالطبع هذا ما يحدث*».

بدا مصعوقًا من ردة فعلي. وفي محاولة مني للتغطية قلتُ مرتجلة:

- آسفة، إنني فقط أعاني تلك الآلام الغريبة طوال اليوم ... في منطقة الطُحال.

وبينما أنا غارقةٌ في اضطراب من المشاعر المتفاوتة، ومن بينها جملةٌ كاملة من الإحباط غير المُبرَّر، وجدتُ نفسي أضحك بطريقة ما على عذري الواهي. وقد جعلني هذا أتذكر البطاقة البريدية الملحقة التي أرسلتها كوكو.

أجابني شيب بابتسامة مترددة. ثم ارتعش شيء ما في وجهه كان غريب الشبه بالإحباط أيضًا. وكان كلانا مثل مجموعة معتادة من حلقات المزاج المتفاوت.

- لا تقلق؛ أنا متأكدة أن الأمر بسيط. وبالنسبة إلى موعدك، فهذا رائع، شيب.

كان هذا هو ردي على ابتسامته المترددة، وقد كان ردًّا كاذبًا. ثم أضفت:

- إذًا كيف يمكنني أن أساعدك؟

حتى أُعجِّل من لحظة مغادرته الآن.

دار بعينيه حول الغرفة كما لو أنه قد نسي السبب وراء مجيئه من الأصل، ثم قال:

- أنا ... ممم ... أردتُ أن أقول إنني سأمرُّ على المكتبة غدًا لأنني أحتاج منكِ إلى ترشيح بعض الكتب الجديدة.

هل أتى حتى يخبرني بأنه سيعود غدًا ليطلب مني بعض الترشيحات؟

- لن أكون موجودة هنا غدًا، لكن كندرا ستكون موجودة إذا أردت أن تتحدث معها عن هذا الأمر.

قدمتُ إليه اقتراحي على مضض.

عبس شيب وقال:

- حسنًا. متى ستعودين؟

- الثلاثاء.

- هل ستذهبين إلى مكانٍ ما لأجل العطلة الأسبوعية؟

سأل شيب بينما كان يحاول جاهدًا ألا يتطلع إلى ساعته. وتساءلت لما كان يُماطل ويتباطأ في الحديث. لذلك قررتُ أن أنقذه من تلك الحيرة بالقدر المستطاع من الكرم المتبقي نحوه.

- أجل. هل ستقابل ... هم ... في السابعة؟ عليك الإسراع إذا كنتَ ستفعل. لم يتبق سوى أربع دقائق ...

- أنتِ على حق. حسنًا، إلى اللقاء دودي. استمتعي بعطلتك.

- أنت أيضًا شيب. أراكَ لاحقًا.

تلك الدقائق الأربعة التالية التي مرت قبل أن أُغلق المكتبة ربما لم تكن كافية حتى يصل شيب في موعده، لكنها بالتأكيد كانت طويلة أبد الدهر بالنسبة إليَّ.

***

أطلقت مادي بوق السيارة عند الساعة العاشرة صباحًا بينما كانت تدخل بسيارتها إلى ممر السيارات.

- مَن هناك؟

قلتُ، ثم أضفتُ عندما رأيتُ مادي:

- متى استيقظتِ باكرًا؟

- أجري الحسابات بنفسك ... إن أمكنكِ ذلك. والآن مرحبًا بدودة كتبِ عيد الميلاد.

أجابت مادي خلال فقاعة وهمية من العلكة بينما كانت تسير خلال الباب الأمامي، ألقت بحقيبة المبيت الخاصة بها بجانب السُّلم. كنتُ أمتلك واحدة مماثلة لها، مغطاة بزهورٍ وردية وأوراقٍ خضراء. فابتسمتُ لها، مادي.

- مرحبًا، زوجتي في الترحال!

قالت مادي وهي تعانقني.

- مرحبًا، زوجتي في الترحال!

قلتُ مكررة كلامها مثل الببغاء بينما تتسع ابتسامتي.

كنتُ ومادي قد قررنا منذ سنوات أن هناك الكثير من الأشياء الرائعة لنشاهدها ولنفعلها في هذا العالم، أكثر مما يحتمل انتظار فرد آخر عاقل معقول من الجنس الآخر حتى يمكننا مشاركته إياها. لماذا علينا الانتظار حتى نذهب إلى الأماكن الرومانسية – والتي كانت بالطبع واحدة من أفضل البقع جمالًا وسحرًا وتميزًا – حتى تظهر علاقة الحب؟ كانت صداقتنا الأخوية بعضنا لبعض مميزة وساحرة وجميلة بالقدر الذي يكفينا نحن.

والأهم من ذلك أننا كنًا رفقاء سفر رائعين. كنا ننطلق في الرحلات إلى باريس –والتي أحبتها مادي بشدة بقدر حبي لها تقريبًا، إذا كان ذلك ممكنًا– وإسبانيا وإنجلترا والكاريبي ومجموعة من المواقع الأخرى معًا. لقد شاهدنا غروب الشمس في ألوان لوحة هنري إدموند كروس – يزحف عبر السماء وتتمايل أشجار النخيل أو الذبابات الطائرة تتجول أو نافورات المياه تغوص من أسفلها. وتشاركنا غرف النوم في النُّزل الرخيصة التي كانت ضيقة جدًّا

حتى تتسع لفردين أو كبيرة جدًّا وممتلئة بغرباء عشوائيين يتحدثون طوال الوقت. لم أشعر قط بالحرمان عند غياب رفقاء السفر من الرجال. ومهما يكن وحيثما كان – والحق أنني آمنت بوجوده، حتى لو كان شخصًا غير متأكد مما يفعله وفي طريقه للالتقاء بعائلة صديقته الحميمية – سيشاركني ذكرياتٍ جديدة سنصنعها في تلك البقع الرائعة وأماكن أخرى. على الأقل أتمنى لو ينتهي الأمر على هذا الحال.

- يا إلهي! إنكِ مُدهشة دوو! أرى أن حياة الريف تلائمكِ حقًّا!

أوضحت مادي بينما كانت تتفحصني من أعلى رأسي حتى أخمص قدمي. صفعتها على مؤخرتها ثم قلتُ:

- ظريفة للغاية. ستجدين كندرا في المطبخ، وأرى أنها تتشوق لرؤيتك. تحركي بسرعة إلى الداخل.

حاولَت مادي إغاظتي فقالت:

- فقط إذا وعدتِني أنكِ ستحركينني بيديكِ مثلما تفعلين عادةً. والحق أنكِ لم تبدئي بداية جيدة.

ثم نزلَت بصفعة عنيفة على مؤخرتي في اللحظة التي استدرتُ بها لأحضر حقيبة سفرها، حقيبتي سفر أُخريين وحقيبة من قماشٍ صوفيٍّ خشن.

- مرحبًا كندرا. لقد سمعتُ الكثير عنكِ.

- مادي. تمامًا مثلك! سعيدة بلقائكِ.

- هل تنتقلين إلى هنا؟

قالت كندرا بوجهٍ جامد، بينما يتجه وجهها نحو الحقائب في مدخل المنزل.

- كلا، الأمر هو أنني لا أستطيع الوثوق بأنكم تمتلكون شيئًا ذا نفعٍ هنا.

قالت مادي منتقدة. فتفاجأت كندرا قليلًا وأُخذت على حين غرة. لكنها سترى قريبًا أن شقيقتي تمنح أفضل ما تحصل عليه.

- مواطنة نيويورك المتفاخرة (تصديتُ لها).

فأجابت مادي بخيلاء وتفاخر:

- إنني على وشك إتمام الثلاثة عشر عامًا فيها. ثم أنه إن كان بإمكاني أن أذكِّركِ، فأنتِ أيضًا مواطنة نيويورك المتفاخرة.

- لستُ كذلك!

حاولت مادي استدراج عطف كندرا فقالت:

- كم مرة قد اشتكت دوو إليكِ بأنه لا يوجد أي طعام ماليزي جيد هنا؟ أو أنها ترغب في وجود مراكز مجتمعية يمكنها أن تُقيم استعراضات أوبرا *لا ترافيتا*[1]؟

ابتسمت كندرا ابتسامة عريضة بينما كانت تنظر إلى مادي باندهاش وتنظر نحوي بعطف ومودة.

- سحقًا لكما أنتما الاثنان.

قلتُ ضاحكة. ثم سكبتُ بعض الشراب على فطائر عيد الميلاد المزينة برقائق شوكولاتة الموز الجميلة التي كانت قد أعدتها كندرا لأجلنا، وقدمتُ طبقًا منها إلى مادي.

وبينما كانت الاثنتان تتمازحان وتتبادلان القصص الساخرة، كنتُ راضية بالإنصات إليهما. كنتُ أعرف أنهما سينسجمان على الفور، فقد كانت كل واحدة منهما تُذكرني بالأخرى بشكلٍ ما.

في تلك العطلة أخذتُ مادي في جولة حول المدينة لأريها مجموعة من البقع المفضلة لدي. لقد أحبت شاتسورث. وفي يوم السبت، انطلقنا بالسيارة إلى عدة مدن صغيرة من مدن كونيتيكت للتجول في متاجرها.

وبطبيعة الحال أردتُ تفقُّد جميع مكتبات بيع الكتب، وبخاصة تلك التي تُسمى جريجورسون. تلك اللافتة الأمامية بدت وكأنها منحوتة في العصور الوسطى لأجل إحدى الصيدليات أو ورش الحِدادة. وفي حالة من الحماس

(1) لا ترافياتا: هي أوبرا في ثلاثة أعمال قام بها جوزيبي فيردي، وهي مبنية على فيلم La Dame aux camélias، مسرحية مستوحاة من رواية ألكسندر دوماس فلس. كانت الأوبرا في الأصل بعنوان Violetta، على اسم الشخصية الرئيسية. (المترجم)

والتوقع فركتُ يدي معًا. إنني أُحب تلك الأماكن، البقع الصغيرة التي تنبعث منها رائحة التاريخ.

أصدر الباب صريرًا عند فتحه، وعندما دخلتُ برفقة مادي استقبلتنا واحدة من الروائح المفضلة لنا في العالم؛ رائحة الخشب المحترق، الرائحة المفضلة الأولى والأخيرة لنا. وتبعها عبقٌ وردي شهي ينبعث من باقات الزهور الجافة في أركان الغرفة والتي تتدلى من العوارض الخشبية التي تبدو وكأنها قد نُقلت من مرأب. والواضح أن جميع الكتب الموضوعة على الأرفف القليلة القائمة قد تم اختيارها بعناية.

مررتُ بأناملي على كعوب الكتب كلما اتجهت للداخل. كان الكثير منها ذا أغلفة جلدية ومختومة بالذهب.

وقعت عيناي على كتابٍ في آخر الصف. يستكين بين بحث في الاتفاق الجديد ونسخة من رواية *حكايات كانتربري* - كان كتابي المُفضل في العالم بأكمله. قصة حزينة مكتملة الأركان يملؤها الحب المغفل والاشتياق الذي أُسيء فهمه والتضحية بالنفس والجمال، حتى إنني في كل مرة أقرؤها تتركني وحيدة في حالة من السمو والانكسار في الآن نفسه، تتركني محطمة ومدفوعة بالحماس لأصير الأفضل، لأصير إنسانًا إيثاريًّا يُحب الغير. إنه الكتاب الذي خطه بيديه ألكسندر دوماس الابن، والذي لم يُذَع صيت كتابه ولم يقرب حتى من مقدار الشهرة التي حظيت بها أعمال والده مثل *الفرسان الثلاثة* أو كونت مونتي كريستو. كانت تلك القصة هي العمل الذي استندت إليه أوبرا لا ترافياتا، واحدة من أشهر أعمال الأوبرا على مر الزمان، والرواية الوحيدة التي طالما سخرت مادي من تعلقي بها في كل مرة أسحبها من يديها في مرتين على الأقل من كل عشر مرات أراها فيها في متحف المتروبوليتان للفنون. وعلى الرغم من ذلك لا زال الكتاب مغمورًا؛ نادرًا ما تصدر له ترجمة بلغة أخرى ومن الصعب أن تجده في الولايات المتحدة. كان هذا الكتاب هو *غادة الكاميليا*.

سحبته خارج الرف. وبينما كنتُ أُفكر في كتبي المفضلة، سريعًا ما أُفكر في استعارة هذا الكتاب إلى شيب؛ بالطبع أمتلك نسخة منه في المنزل لكن

لا أعرضها في المكتبة لأنه كنزٌ بالنسبة إليَّ. لكنني لم أجرؤ على ذلك. كانت القصة مليئة بالآلام الوحشية التي أخاف أن تشي بقدرٍ كبير مما أنا عليه وما أشعر به. أصبحتُ خائفة من أن يكتشف مشاعري المتزايدة نحوه، فحينها سيكون من المستحيل أن نظل أصدقاء. هل سيبدو موقفي سيئًا إن اشتريتُ نسخة أخرى من الكتاب لأحتفظ بها؟ فقط في حالة ما ... في المستقبل ...

فتحتُ غلاف الكتاب. كان الصمغ يطقطق قليلًا اعتراضًا على تلك الخطوة، فقد بدأت الصفحات في الانفصال بعضها عن بعض بعدما كانت مضغوطة لوقتٍ طويل على ذاك الرف. وفي الصفحة الأولى بخطٍّ يدويٍّ صغير يمكن أن يكون عمره عِقدًا أو ربما قرنًا من الزمان. قرأتُ تلك الكلمات:

إلى إس.

مع حبي، دي.

تباطأت أنفاسي تمامًا، فضممتُ الكتاب إلى صدري وحملته إلى أمين الخزنة. وعندما رأت مادي أنني قد انتهيتُ من رحلتي في متجر الكتب، وضعت أحد كتب الشواطئ التي كانت تتصفحها على الطاولة على طريقة (الصفحة الأخيرة أولًا!) وصاحت:

- هديتي.

لم أكن واثقة من نبرة صوتي، لذلك أومأت برأسي إيجابًا. لاحظت مادي:

- أنتِ تمتلكين هذا الكتاب بالفعل. إنه من كتبكِ المفضلة.

- ليست تلك الطبعة الخاصة.

ما صدر مني لم يكن سوى صوت صرير!

رفعت مادي كتفيها استهجانًا ثم قالت:

- دعينا نأكل ونُفرط في طعام عيد الميلاد!

تشاركنا حينها خليطًا من باستا المشروم البري بجبن الماعز وأرز القرع بالجوز إلى جانب الصلصلة الناعمة، أما بالنسبة إلى الحلوى فاخترنا كريمة

بوراتا الموتزريلا. بالطبع هذه شراهة مفجعة تتزامن مع حس الفكاهة الحاد الذي تتمتع به مادي.

بعدما وصلنا إلى البيت متأخرين، قصدنا غرف النوم على الفور. وفي الصباح التالي، ظهرت مادي أخيرًا بينما كنتُ أُنهي قسم مراجعة الكتاب في البحث أمام طاولة المطبخ.

- مرحبًا أيها البحار العظيم. تشربين شايًا؟

ومررتُ إليها فنجان الشاي الخاص بي.

- لاحقًا. أريد أن أرى المكتبة! (قالت بينما كانت تفركُ عينيها).

- على تلك الحالة؟ (مازحتُها).

كان شعرها يتوالد حتى بدا أشعثَ مثل شعر الأسد، وكان ساقا ثوب نومها محشورين في جوارب وبرية مثل بناطيل القراصنة، ثم أضفت:

- أقصد أن اليوم هو السبت، وأعلم أن هذا جزء ممتد من منزلي، لكن المكتبة مفتوحة اليوم لأنها عطلة أسبوعية.

- فكرة جيدة. سأذهب لأرتدي ملابسي.

- ألا تريدين تناول الفطور أولًا؟ (سألتُها).

- هل تمزحين؟ أريد رؤية المكتبة في الحال.

ابتسمتُ وعادت هي إلى الطابق العلوي.

- رائع! لقد نفَّذتِ الأمر حقًّا دوو!

ظلت مادي تُرددها بينما كانت تتجول بين أكوام الكتب وتُلقي نظرة على الأرفف المكتملة. ليس وكأن الأمر قد استغرق وقتًا طويلًا في مكانٍ صغير كهذا. لكنها –على الرغم من ذلك – بدت مندهشة.

حركتُ كتفي إلى الخلف مثل دجاجة تفخر ببيضها، قبل أن أقول:

- شكرًا لكِ!

كان زوج لولا –مايك– وابن عمه رامون –الذي كان في فريق الإنشاء مع شيب– يسألان كندرا عن أي كتبٍ جديدة قد وصلت إلى المكتبة هذا الأسبوع.

انتفض قلبي عندما رأيتُ زملاء شيب هنا دونه. ربما لن يعود قبل يوم الثلاثاء. لم يمكن للأمر أن يستغرق الكثير من تفكيري حول ما إذا كان يضبط أوقات زيارته مع وجودي أم لا. بدا الأمر جيدًا لدرجة لا أُصدق معها أنه حقيقي. الحق أنني أحتاج إلى تذكير نفسي بأن الأمر لم يعد مهمًا لأنه -بكل بساطة- مرتبط.

مباشرةً قبل أن نستغرق في النوم تلك الليلة، رن هاتف مادي. فلمعت عيناها عندما رأت الهاتف وهي تضغط زر مكبر الصوت.

- خمني مَن أنا؟ (جاء صوتٌ مشوَّش قليلًا).

- من الصعب جدًّا أن أُخمن إذا رأيتُ رقمًا دوليًّا يظهر على هاتفي! (مزحت مادي).

بالطبع مع كل أصدقائها العالميين، سيكون من الصعب عليها أن تُخمن ذلك بسهولة.

- مرحبًا أختي. أين أنتِ؟ (قلتُ).

- بِنين. كيف حال أمين المكتبة المفضلة لدي؟

- رائع!

- وكيف حال صديقكِ الجديد مادي؟ (قالت كوكو).

- أيهما؟ (قالت مادي بابتسامة مصطنعة، ثم أضافت) أمزح معكِ. لم أحظ بأي موعد غرامي خلال الأسبوعين الماضيين!

لم أكن أمتلك جوابًا على هذا.

- اسمعن يا فتيات، كنتُ لأحب الحديث معكن أكثر، لكنني لا أعرف إلى متى سيبقى معي ذلك الخط، لذلك أريد أن أشارك معكن بعض الأخبار (قالت كوكو).

- أخبرينا الآن (قالت مادي).

- قررتُ أنا ومارك أن نتبنى طفلًا.

- حقًّا؟

مكتبة
t.me/t_pdf

قلتُ بينما انفجر الألم في معدتي، في الوقت الذي صرخت فيه مادي:

- كنتُ أعرف ذلك!
- قررنا أن نُقدم طلبًا لأجل التبني الدولي.
- رائع. هل هو طفلٌ قد قابلتِه بينما كنتِ هناك؟ (سألتُها).
- كلا، كلا، سنُقدم طلبًا عن طريق النظام في ليبيريا. هناك الكثير من الأطفال الذين يحتاجون إلى منزل يحتضنهم وينتظرون بالفعل في ملاجئ الأيتام.
- كيف يبدو جدول المواعيد؟
- ربما يستغرق الأمر عامين. ويمكن أن يزيد على ذلك لأننا لا زلنا هنا. وسيكون من الصعب لنا أن نُتم كل المعاملات الورقية التي نحتاج إليها، ولا داعي لذكر الزيارات المنزلية، لأننا لا نمتلك محل سكن ثابتًا في الولايات المتحدة بعد. لكننا سنبدأ في الأمر ونقوم بما يمكننا فعله (أجابت كوكو).
- إننا متحمسون تمامًا لأجلكم. لذا دعونا نرى إن كان هناك ما يمكننا مساعدتكم به من هنا. تعلمين أن دوو جيدة جدًّا في التعامل مع المعاملات الورقية، وأنا جيدة حقًّا في التعامل مع الأناس المزعجين حتى أجبرهم على فعل ما أريد (قالت مادي).
- شكرًا لكما! ربما حقًّا أستعين بكما في ذلك. اسمعا، يجب أن أغلق الخط الآن. أريد أن أهاتف أمي وأبي وأخبرهما أيضًا (أجابت كوكو).
- لا داعي لذلك. مُبارك لكما. إنه قرارٌ كبيرٌ حقًّا. ولا أُطيق الانتظار حتى نتحدث أكثر عن الأمر (قلتُ في نفسٍ واحد دون انقطاع).
- أجل. أحبكما.

أغلقت كوكو الخط بعد كلماتها تلك.

غرقت مادي في نومٍ عميق مباشرة بعدما انتهت المكالمة بينما تسللتُ أنا إلى الطابق السفلي وتجولتُ في غرفة المعيشة. لم أكن أتوقع هذا قط. أعلم أن

كوكو ومارك سيكونان أبوين رائعَين ومُحبَين يتحملان المسؤولية، ولم أتفاجأ قط من حقيقة أنهما مستعدان لبدء عائلة جديدة عندما يعودان إلى هنا. لقد تساءلتُ ما إذا كانا قد قررا أن التبني هو الطريق الصحيح لأجلهما أم أنهما قد حاولا إنجاب الأطفال ولم ينجح الأمر معهما.

ماذا لو أصبحت كوكو أمًّا قبل أن أصير أنا أيضًا؟ أو في أي وقت يصبح الأمر صعبًا معي؟

بعدما فكرتُ في هذا لم أشعر سوى بالبُغض. وبدلًا عن ذلك، سأُركز على روعة تلك الحقيقة التي سينتهي معها الأمر أن أحظى أنا وكوكو معًا بأطفال لهما نفس العمر.

***

هاتفتُ كندرا بعدما رحلت مادي يوم الاثنين بعد الظهيرة.

- كيف سار الأمر معكِ بقية الأسبوع؟

- كانت مكتبة الاستعارة مكتظة تمامًا، وكنتُ أحاول مساعدة الجميع، إلا أن مُعلمنا الفصيح المفضل الذي يخاطب الصف الثالث –السيد بينتون– كان قد حضر يوم السبت باحثًا عن أي كتاب يتحدث عن نظرية الأوتار –والتي ندمتُ على إخباره بأننا لا نمتلك أي كتب تتحدث عنها– ثم قضى بعد ذلك خمسًا وأربعين دقيقة يحاول شرح نظرية الأوتار لي وعلاقتها بالسفر عبر الزمن على الرغم من أنني لم أطلب ذلك.

- إنه آتٍ إلى المكتبة الآن؟ يا إلهي، لا بد وأنه مُعجبٌ بكِ حقًّا. ولا يُطيق الانتظار ليراكِ في اليوم الدراسي التالي (قلتُ).

أشعر وكأن بإمكاني سماع عينيها تدوران يمينًا ويسارًا قبل أن تقول:

- أعتقد أنه يتمتع بتعذيبي داخل المدرسة وخارجها. إنه دائمًا ما يأتي باحثًا عن بعض الكتب العشوائية. وفي كل مرة، يجب عليَّ أن أعض على لساني لأتجنب إخباره بأن يبحث في مكتبة شاتسورث للغموض.

لكنني أعلم أن هذا ليس لطيفًا وأنكِ لن تتفوهي بشيء مثل هذا لأي من زائري المكتبة.

- هذا صحيح. نريد أن ندفعهم للعودة حتى إذا لم نكن نمتلك الكتب التي يبحثون عنها (قلتُ موافقة إياها).

- حسنًا، لا أعرف إن كنتُ حقًّا أريد أن أدفع بينتون للعودة إلى هنا. لكنني أشعر وكأننا اكتفينا من فنجانه ومواصفاته في المدرسة.

أجابت كندرا قبل أن تصمت قليلًا، وعلى الرغم من أنني لم أسألها، فإنها قالت:

- لم يأتِ.

صدرت عني تنهيدة خفيفة مُدركةً أنها تقصد شيب، ومدركةً أنني لستُ متأكدة مما إذا كان ما يُخالجني شعور بالرغبة في أن يكون قد مرَّ على المكتبة أو بالارتياح من أنه لم يأتِ، ومتمنيةً أن يأتي عما قريب.

- اسمعي دودي، عليَّ الرحيل الآن. فقد اتصلت بي ماكي لأمر ما.

بعد ساعة عندما كنتُ جالسة في المكتبة أُغربل بطاقات التعليقات في المظروف عندما سمعتُ طرقة على باب الغرفة الزجاجية الشمسية. كانت كندرا تقف على عتبة الباب بقبضة ممتلئة بالمناديل الورقية، كانت جميعها مثل فوضى مبتلة مشبعة بالماء حتى إنها عجزت عن أن تُجفف الدموع التي تنهمر على وجنتيها.

- ما الخطب كندرا؟

كنتُ أحثها على الحديث بينما أقودها إلى الكراسي المُجنَّحة وعُلبة المناديل الورقية إلى جانبها.

- إنها سوليفان (قالت كندرا).

- يا إلهي، كلا، ماذا حدث؟

- إنها... إنها... إنها...

تلعثمت كندرا قبل أن تسحب رئتاها نفسًا عميقًا لتقول:

- لقد ماتت.

اختنقتُ وكأن الهواء جميعه قد اختفى من الغرفة، وتمايلتُ لأسقط على كُرسي. كانت كندرا تسحب مناديل ورقية أخرى لتكبس بها أنفها وعينيها المُقطرتين بالدموع والمخاط، قبل أن تخرج مني كلمة واحدة:

- كلا.

مرَّرتْ عُلبة المناديل إليَّ، فقد بدأت الدموع تنساب من عينيَّ إلى وجنتيَّ، وأخيرًا سألتها:

- ماذا حدث؟

- لقد كان الأمر مُجرد تمدد وعائي.

- يا إلهي! (صرختُ، وعدت أُكررها ثانية) يا إلهي! هل كانت برفقة تيرابيثيا في ذلك الوقت؟

- كلا، كان ماكي وچيف قد اصطحباه إلى متحف الأطفال، وكانت سوليفان من المفترض أن تلتقي ببعض الأصدقاء على الغداء، وعندما لم تصل، اتصلوا بچيف، وعندما وصل إلى منزلها وجدها على هذا الحال. كان الأوان قد فات على إنقاذها بالطبع؛ لا بد وأن الأمر كان قد انتهى في أقل من ثانية. وقد تحددت مراسم التأبين غدًا. أرادتني ماكي أن أخبركِ بالأمر؛ لم تتحمل أن تُخبركِ بنفسها، وقد اتصلت بي فقط لأن سوليفان كان من المفترض أن تمرَّ عليَّ هذا الصباح حتى نتسامر معًا.

وانهمرَت دفعة جديدة من الدموع على وجنتيها بعدما أنهت جملتها الأخيرة.

شعرتُ بالخدر يسري في جسدي، كان الأمر أشبه بكابوس شنيع. صديقتي. كيف ترحل هكذا؟ بتلك السهولة؟ المسكين تيرابيثيا. المسكينة ماكي والمسكين چيف.

بعدما غادرت كندرا، هاتفتُ ماكي. كنتُ أحاول التماسك لأجلها ... لأجلي. لم أتوقع أن تُجيب على الهاتف. لكنها على الرغم من كل شيء فعلت.

- ماكي، أنا آسفة حقًّا لأجلك (قلتُ).

شهقت ماكي بوداعة الحَمل أن:

- *شكرًا لكِ.*

- هل هناك شيء يمكنني فعله لأجلك؟ (سألتُها).

كانت معدتي تنضح ألمًا عندما تذكرت الطريقة التي أجفلت فيها سوليفان في ضوء الحديقة. وأمرتُ نفسي *أن تتوقف عن التفكير في الأمر*. من تلك المحادثات العشوائية المذهلة التي يُلقيها علينا بينتون، كنتُ قد عرفت أن التمدد الوعائي أحيانًا ما يستحيل توقعه، وأنه في بعض الأوقات ليس هناك ما يمكن فعله لمنع حدوثه أو إنقاذ الشخص الذي يُصاب به.

- كلا، أعتقد أننا قد تكفلنا بالأمر بأكمله. ستُقام الجنازة في إيترنل ريست في العاشرة غدًا، ومراسم الدفن في مقابر أزالية، وبعد ذلك يمكن أن يحضر الناس إلى المنزل من أجل الطعام (أجابت ماكي).

- من فضلِك، امنحيني شيئًا أفعله.

صمتت لبرهة قبل أن تُجيب:

- تعرفين تلك الكعكة التي بنكهة الموز والأناناس التي تعُدينها بكريمة الجبن المُجمدة؟

- أجل، كعكة هامنجبيرد.

كانت تلك الكعكة هي الحلوى المفضلة لسوليفان. كانت تقول إنها خليط غريب من النكهات التي تتناغم بعضها مع بعض بطريقة ما. ثم كانت ترمقني بابتسامة خبيثة كما لو أنها تُفكر أن هذا الوصف يليق بي أنا أيضًا.

- إذا لم يتسبب الأمر في أي مشكلة لكِ، وأردتِ أن تُحضري واحدة منها ... أو أي شيء. أو بسكويت التوت الأحمر الذي تعدينه أو البسكويت برقائق الشوكولاتة المحشوَّة بطبقتين من زبدة الفستق. أو أيًّا ما تريدين ... عليَّ الذهاب الآن (قالت ماكي).

اندفعتُ قائلة:

- أجل، بالطبع. عاودي الاتصال بي إن كان هناك شيء آخر تحتاجين إليه.

كنتُ أتجول بين ممرات السوق المركزي ألتقط المكونات مثل مسوخ الموتى الأحياء، وتساءلتُ ما إذا كان تيرابيثيا قد بدأ يفتقد أمه بعد، أم أنه قد أدركَ بأن حياته قد تغيرت تمامًا. عندما عدتُ إلى المنزل، بدأتُ العمل وأفقتُ على ذاك المشهد الذي صرتُ فيه غارقة بين أواني البسكويت ورقائق البسكويت وخليط الكعك. تعمدتُ إبقاء نفسي منشغلة حتى وقتٍ متأخر من الليل. كان عقلي يتجول بين الذكريات التي عشتها برفقة سوليفان في مدرسة الفنون وفي نيويورك وفي شاتسورث. ظل عقلي يعرض لقطات من الماضي ولقطات تظهِر الخوف في عيني تيرابيثيا في الليلة الأولى لتساقط الجليد، وكانت كل تلك اللقطات أشبه بسكينٍ قد غُرز في قلبي دون أن يُدميه؛ ذاك السكين الذي ظل يُسدد الطعنات واحدة وراء الأخرى حتى سقطتُ بعد ساعاتٍ طويلة أتقلب فيها على الفراش يمينًا ويسارًا. لا بد وأنني بكيتُ حتى أُغشي عليَّ.

الفصل الثامن

كان المقعد الخلفي مغطى بالكامل بأطباق من المخبوزات الملفوفة بورق الألمونيوم. «ربما بالغتُ في الخبر قليلًا!» اعترفتُ وأنا أحاول إظهار ابتسامة بجهد كبير حتى أصبح وجهي يؤلمني.

ربتت كندرا على ذراعي قائلة:

- سيكون الجميع جائعين.

وبدت الجملة غريبة لكلينا على الرغم من معرفتي أنها محقة. دائمًا ما كان هناك شيء مُريحٌ في تناول الطعام عندما يعم الحُزن فيجعل العالم بأكمله يبدو بعيدًا وغير حقيقي.

كانت الكنيسة شبه فارغة عندما وصلنا. ومن خلف الكنيسة، رأيت رأس چيف بخصلاته البيضاء ينحني على رأس تيرابيثيا بشعره الذي يشبه لونه فنجانًا من الاسبريسو. كنتُ خائفة من رؤيته لأنني لم أرغب في جعل الموقف أسوأ. رأيتُ ماكي واقفة تستقبل الضيوف بابتسامة شجاعة على وجهها بينما تمسح طرف عينيها الحمراوين.

بعد أن قبّلنا خديها أنا وكندرا وأخبرناها مجددًا عن مدى حزننا ويأسنا لخسارة سوليفان، جلست كندرا على مقعد في صفٍّ خلفي. فقد أردت الذهاب لإشغال تيرابيثيا ليتمكن چيف من القيام بواجباته، ولكن كندرا شعرت بأنه من الأفضل ألا نجتمع حول الصغير حتى لا يزداد الزحام الذي يُحيط به بالفعل منذ وقوع الحدث المأسوي. مقارنة بي، كانت كندرا لا زالت غريبة عن تيرابيثيا لذا ذهبت أنا إليه.

- مرحبًا چيف (قُلتُ ثم التفتُ نحو تيرابيثيا) مرحبًا بوو.

ابتسم إليَّ تيرابيثيا ورفع عينيه الشبيهة بلوحة لجويا مناديًا «دادا!»، كان هذا أقرب ما يستطيع نطقه لاسم دودي، ولكنه لا زال في نظري عبقريًّا لقدرته على النطق في عمر العام الواحد.

- مرحبًا حبيبي.

قلتُ ثم احتضنته وأنا أحاول ألا أعتصره بين ذراعي، ثم سألته:

- ماذا تفعل؟

رفع سيارته القرمزية اللامعة:

- موووووم مووووم.

فقلدته قائلة:

- ڤروووووم.

فمنحني ابتسامة ندية.

ربت چيف على كتفي وأومأ ممتنًا ثم ذهب ليستقبل المُعزِّين مع ماكي.

بحلول الساعة التاسعة وخمس وأربعين، كانت كل الصفوف ممتلئة. فقد كان لسوليفان العديد من الأصدقاء بسبب نشأتها في المدينة، وعلى ما أظن الكثير من عملائها قد حضروا أيضًا. هل هذا...؟ كلا، مستحيل. ولكن، نعم لا بد أنه هو... فيمكنني التعرف على هذا الشعر في أي مكان. التفتُّ والتقت أعيننا. امتلأت عيناه بالقلق. هل كان شيب يعرف سوليفان؟ لم أكن أتوقع هذا ولكن شاتسورث بلدة صغيرة.

في الساعة العاشرة، بدأ الكاهن مراسم الجنازة. كانت كنيسة «الراحة الأبدية» منفتحة وهادئة مما جعلها مكانًا تزوره سوليفان منذ مرحلة مراهقتها. فقد أخبرتني من قبل بأنها لم تشعر قط بالحكم عليها هنا وأن روَّاد الكنيسة الآخرين هم أشخاص من مختلف نواحي الحياة، وهذا بالضبط ما شعرت أنه يجب أن تكون عليه أي نوع من العبادة.

وإذ عدتُ إلى جلستي، لاحقني شعورٌ بالدوار من كثرة ما أفتقدها، كان صوت الكاهن يأتي مريحًا، على الرغم من صعوبة ابتلاع بعض كلماته مثل «أنه حان وقتها» و «أن غاية الرب أكبر من فهمنا».

الشيء الوحيد الذي طمأنني فيما قاله هو تكراره لجملة «رحيلها كان سريعًا». كان من المهم جدًّا التصديق أنها لم تعانِ جسديًّا أو ذهنيًّا ولم تضطر ولو للحظة التفكير في مستقبل تيرابيثيا دونها. وفي اللحظة التي ضربت فيها تلك الأفكار مخيلتي، كان قلبي كصخرة كبيرة تحترق.

انتهت المراسم وخرج الجميع عدا شيب الذي حام بالخلف يقرأ كتيبات الكنيسة الموجودة على المنضدة. لم أكن قادرة على التحدث ولكنني لم أستطع أو أريد تجاهله. سألتُ ماكي:

- هل تحتاجين إلى مساعدتي في أي شيء؟

- لا، شكرًا. أنتِ تعرفين الطريق، صحيح؟ (أجابت ماكي).

- أجل، سأراكم هناك.

استدار شيب وأوقع الكتيب من يديه ثم اقترب مني. يا إلهي كم هي عطرةٌ رائحته!

- كيف حالكِ؟ (سألني قاطبًا حاجبيه في أسف).

- أنا...أنا..

ابتلعت ريقي بصعوبة وشعرت حينها بوجهي مشتعلًا ملونًا بحُمرة الطماطم. وبتصرفٍ عفوي عانقني شيب مُعزِّيًا إياي ثم سحب نفسه سريعًا عندما وجد جسدي متصلبًا من الدهشة. لملمتُ شتات نفسي وسألته:

- هل كنتَ تعرف سوليفان؟

أجاب:

- كلا.

- آه، إذًا أنت تعرف ماكي وچيف؟

- لم أقابل ماكي من قبل ولم أتحدث مع چيف سوى بضع مرات. في الحقيقة لقد جئت من أجل ...

في ذهول قاطعته:

- هل ستأتي إلى المقبرة؟

- من أجل ... (أكمل شيب وهو يراقبني عن قرب) الجنازة. لا أعتقد أنه من الجيد أن أحضر الدفن.

وجدتُ نفسي أقول:

- أرجوك تعال.

وافق بسرعة كأنما ينتظر دعوة.

- حسنٌ سأراكِ هناك.

سألتني كندرا بينما نقود وننضم لصف السيارات:

- عمَّ كان هذا؟

اعترفتُ:

- ليس لدي أدنى فكرة.

في أزالية، وقفنا أنا وكاندرا على الجانب الآخر من چيف وماكي وتيرابيثيا بينما تتعانق راحة أكفهم وتفصل بيننا حفرة مستطيلة عميقة. ثم أتى شيب ووقف مشدودًا ورائي.

نظر تيرابيثيا إلى ماكي بينما يتم إنزال التابوت. وشد على ذراعها سائلًا:

- أين ماما؟ أين ماما؟

انهارت ركبتاي ولحقني شيب بذراعيه وقد ربط على خصري، فأسندتُ رأسي على كتفيه. حاولتُ التنفس عميقًا قدر استطاعتي بينما أُصر على الوقوف بشكل مستقيم حتى لا أجذب الانتباه. أخذت كندرا بيدي وأطبقت عليها بين كفيها.

كانت صور سوليفان وتيرابيثيا تغطي غرفة معيشة ماكي بالإضافة إلى طاولة مغطاة بقماش كريمي تعلوها مختلف أنواع الطعام التي أحضرناها.

حين حملت تيرابيثيا واتجهنا إلى الطاولة أشار إليها بأعين متسائلة ثم أصدر صوتًا وهي طريقته الرئيسية في التواصل مع الآخرين بالإضافة للإشارة.

ترجمت قائلة:

- أتقصد أين ما خبزته؟

ظل يحدق إليَّ بعينيه الواسعتين.

- هيا نحضر طبقًا لذيذًا متنوعًا.

وضعت على طبقه بعضًا من بسكويت التوت البري، وقطعة من كيك الموز، وقطعة صغيرة من كعكة الشوكولاتة بالنعناع، مع كوكيز الشوكولاتة وزبدة الفول السوداني. بمجرد أن نظرت إليه، وجدته يتذمر ويومئ برأسه تجاه كوكيز الشوكولاتة وزبدة الفول السوداني وعندما أملت الطبق لأريه أنني وضعت قطعتين منها بالفعل تذمر مرة أخرى بلا مبالاة. أخبرته:

- حسنًا سأضع واحدة أخرى.

حينها لوَّح بذراعيه برضا. على الأريكة، أجلسته في حضني وأمسكت الطبق بإحكام حتى لا يركله بساقيه المتأرجحة.

وضع تيرابيثيا إصبعه في طبقة كريمة الفول السوداني ونظر سعيدًا عندما أزال كل الحشو. أعطيته قضمة من بسكويت الشوكولاتة وعندما تذمر مشيرًا إلى الكيكة أعطيته قضمة منها أيضًا. بعدها حاول هرس الكيكة ولكنني بسرعة وضعتها كلها في فمه. لم يتبق من الطبق أي شيء عدا بعض من كريمة السكر التي أخيرًا لطخت ثيابه وسترتي، وتنورتي، وحذائي.

أتى ماكي وچيف عدة مرات ليطمئنوا علينا. وقبل مغادرة الضيوف بنصف ساعة أصروا أن آخذ استراحة وأتحدث مع بعض الكِبار. واجهت صعوبة في التحدث مع الآخرين على غير العادة ووجدتني أجاهد لإجراء محادثة صغيرة. عندما كنت في طريقي للمغادرة، جذبني ماكي وچيف من ذراعي وقالت ماكي:

- لم نكن لنستطيع الاستغناء عنكِ أو إكمال اليوم دونك يا دودي.

وكما لو كان مؤكِّدًا، تمسك تيرابيثيا بساقي فرفعته وقبلته قبلة كبيرة وفوضوية على خده. ضحك ثم غطت وجهه سحابة مفاجئة. تمنيت لو بإمكاني الدخول إلى رأسه الصغير لأعرف ما الذي خطر بباله في هذه اللحظة.

- يسرني ذلك.

أجبتها وأنا أمسح عيني بيدي، ثم أضفتُ:

- أريد المساعدة بأي طريقة ممكنة. أتسمحين لي بزيارته؟

بمجرد أن نطقت بالسؤال شعرتُ بالقلق من أن ينتابهم إحساس بالاضطرار للموافقة، إلا أن ماكي ضغطت على يدي وقالت:

- كنتُ آمل أن تقولي هذا. تعالي لزيارته في أي وقت.

بعد عدة أيام من الجنازة، حاولت الذهاب إلى المكتبة بُصحبة كندرا حتى تدعمني إذا فقدت أعصابي. كانت طريقتها في التعامل مع الحزن هو إشغال نفسها. كان بينتون هناك أيضًا لأنه على ما يبدو كان يحاول أن يكون في المكتبة في نفس الوقت الذي تأتي فيه كندرا. بعد نحو ساعة، انهارت أعصابي.

- دودي.

نادتني كندرا بلطف وهي تأخذ كتابًا من يدي.

- أنتِ تبللينه بدموعك.

كان الحق معها. بل وجدتُ أنني بللت مجموعة كاملة من الكتب.

- بالإضافة إلى هذا، أعتقد أنك تُخيفين رُوَّاد المكتبة.

- أنا آسفة. لا أستطيع التوقف عن التفكير في سوليفان وتيرابيثيا (قلتُ).

- اذهبي لزيارته (أصرت كندرا).

- نعم، سنتولى نحن العمل.

قال بينتون وهو يخرج من بين أكوام الكتب حاملًا مجموعة منها لإعادة ترتيبها.

رفعت حاجبي ونظرت إلى كندرا فهزت كتفيها وهي تبتسم لبينتون وتقول:

- صحيح. سنتولى نحن كل شيء.

بعد هذا، تولت كندرا المزيد من نوباتي في المكتبة مدعية أنها بحاجة إلى ساعات إضافية للاستمرار بالتعلم وأن ذلك يساعدها في تشتيت نفسها عن حزنها بفقدان سوليفان. حاولت ألا أفكر في حقيقة أنه، على العكس مني، كانت كندرا خبيرة وحاصلة على شهادة عُليا في علم المكتبات. ربما كان عليَّ الارتياح لأن مكتبة الاستعارة في أيدٍ أمينة، ولكن جزءًا مني ظل خائفًا من أن تتوقف المكتبة عن احتياجي. مع هذا، استمرار المكتبة بالعمل كان أهم من كبريائي ولهذا كنتُ في حاجة إلى مساعدة كندرا.

على مدار الأسابيع القادمة، ذهبت لزيارة ماكي وچيف كل يوم تقريبًا. بعد العمل، أُهرع إلى المنزل لتبديل ملابسي ثم أتوجه إلى هناك وأنا أحمل غالبًا هدايا لتيرابيثيا أو وجبات للجميع.

يوبخني چيف قائلًا:

- أنتِ تدللينه كثيرًا.

ولكنني أعرف أنه لا يمانع، وأن ذلك مجرد شيء يقال عندما يكون لدى الطفل بالفعل كل شيء، لدرجة الخوف من أن يُصيبه الطمع، وهذا بالطبع لا ينطبق على تيرابيثيا.

- وستُصيبنا بالتُخمة.

تابعت ماكي وهي تربت على خصرها الصغير. على العكس من هذا، كنت خائفة أن ما أعده من طعام لهم كل ليلة بعد العمل، هو الطعام الوحيد الذي يتناولونه منذ انتهاء الوجبات التي أحضرها الأصدقاء والعائلة في الأسبوع الأول بعد وفاة سوليفان.

شعرتُ بغصة في قلبي عندما خطر ببالي أنه ليس باستطاعتك حماية أحد مهما كنت تحبه. جعلتني تلك الفكرة أحتضن تيرابيثيا بشدة لدرجة أنه أطلق صرخة قصيرة ونظر إليَّ بارتباك. شعرت بالدموع تملأ عيني وقبل

أن أستطيع إيقافها، انهرتُ في البكاء. بدأت شفتا تيرابيثيا بالارتجاف وأخذ يصرخ ويبكي.

- هاتيهِ (قالت ماكي). لا تقلقي عليه وعودي إلى منزلك وارتاحي.

عندما اتصلت أمي لتطمئن عليَّ، كنت في حالة هيستيرية.

- لقد بكيت أمام تيرابيثيا. كان عليَّ أن أسهل عليهم الأمور وها أنا أجعلها أسوأ. سأكون أمًّا فظيعة.

تنهدت أمي قائلة:

- أوه دودي. لا تقسي على نفسك. أنتِ تهتمين بمن حولك وهذا ما تفعله كل أم جيدة. بالإضافة لذلك، لا أحد يعرف ما هي أفضل طريقة للتعامل في مثل هذه الأوقات. عندما يموت أحدهم في سن صغيرة كهذه، نشعر بأن كل شيء بلا معنى ولهذا عليك التعامل مع هذا الأمر بالطريقة المناسبة لكِ. وحاولي أن تعذري نفسك.

مارس 2008

بعد مرور أسبوعين، كنت جالسة في غرفتي بالطابق العلوي أرتب بعض صور تيرابيثيا في ألبوم حتى أهديه لماكي وچيف. كان هناك بعض الصور الحديثة لسوليفان والتي كان عليَّ التقاطها خلسة نظرًا لأنها كرهت كل صورها بمقدار حبها لصور صغيرها بوو. كانت الساعة السابعة مساءً وكانت المكتبة على وشك الإغلاق. تمشيت للنافذة ورأيت أعلى رؤوس بعض الأطفال والأهالي وهم يغادرون، ورجلَي إطفاء يمزحان بشأن شيء ما بينما يضرب أحدهما ذراع الآخر. كما رأيت إلميرا وهي تفتح حقيبة ظهرها لتضع كتابين بها وبدأت في المشي وهي تفتح كتابًا ثالثًا في يدها الأخرى. ظلت تقرأ وهي تمشي. علت ابتسامة وجهي. كم افتقدت المكتبة والناس! عليَّ العودة للعمل بالمكتبة.

في اليوم التالي وبعد عودتي من المدرسة، وجدت شيب ينتظرني لأفتح له باب الغرفة الزجاجية الشمسية. لم يكن معتادًا الزيارة بهذا الوقت المبكر

وظل يتأرجح على قدميه. وأنا ذاهبة لأفتح له الباب سمعتُ چيفيرسون هيندرو، الطفل الصغير من حلقة القصة، يهمس لأمه:

- ماما، لماذا يتراقص هذا الرجل أمام المكتبة كأنه يريد التبول؟

حينها انفجرتُ في الضحك. لم يكن شيب قد سمع چيفيرسون لذا نظر إليَّ بارتباك.

- أهلًا، تعال.

- شكرًا.

رد وهو يسير بالقرب خلفي لدرجة أنني كتمت نفسي لأتجنب شم عطره الصابوني الجميل. لن يكون أمرًا جيدًا إذا رميت نفسي لأقبِّل شخصًا مرتبطًا أمام چيفيرسون هيندرو وأمه.

بمجرد انشغال چيفيرسون وأمه في قسم الأطفال، جلس شيب أمامي على المكتب الدائري.

- كيف حالك؟ هل أصبحتِ أفضل؟

سألني وهو يحرك ساعته أعلى وأسفل ذراعه. حاولت ألا أنظر إلى معصمه، فآخر مرة فعلت هذا، تصببت عرقًا. اعترفتُ قائلة:

- ما زال الأمر صعبًا. ولكنني قررت أنه حان وقت العودة إلى العمل ومحاولة التركيز على المكتبة.

- طبعًا، طبعًا. أعتذر عن السؤال وتذكيرك بالأمر. (رد شيب مُحرَجًا).

هززت رأسي نفيًا ليعرف أنني لم أقصد هذا.

- إذًا دودي، هل لديكِ ترشيحات جديدة لي؟

هززت رأسي بنعم وأنا أفكر في الحقيبة الورقية البيضاء بالأعلى والتي تحتوي على نسخة من كتاب «غادة الكاميليا» والتي ربما لن أملك الشجاعة الكافية لأعطيها له. في الحقيقة، بالإضافة لتلك النسخة وضعت بكل حب، نسختي القديمة المهترئة. كم أنا مثيرة للشفقة!

- تفضل.

أعطيته كتاب «المنزل الكئيب» بدلًا عن الكتاب الآخر. كنت بحاجة إلى التأكد من تفضيلاته في القراءة لأعطيه كتابًا لتشارلز ديكينز، فإيستر ساميرسون كانت إحدى الشخصيات المفضلة لي على الإطلاق، كما أن الكتاب، اعترفتُ سرًّا، كان الكتاب جميلًا وطويلًا.

فبقدر ما أحببت رؤيته بانتظام، أدركت في الوقت والمسافة التي قضيتها بعيدًا الأيام الماضية أنه من الأفضل ألا يأتي شيب إلى المكتبة بانتظام. ناهيك بأن ماكي أيضًا أخبرتني نفس الشيء بالضبط «من الأفضل ألا يأتي شيب إلى المكتبة بانتظام». لن أستطيع جرح مشاعره بالتلميح من قريب أو من بعيد بأن عليه تقليل زيارته للمكتبة، لذا فهذه أفضل فكرة أتت على بالي. في الواقع، أفضل فكرة خطرت ببالي هي أن أعطيه رواية «الجبل السحري لتوماس مان» بعدد 720 صفحة، ولكن على الرغم من أنها أصغر، فهي أثقل من رواية ديكنز، كما أعتقد أن تلك الرواية ستقتل فرصة أي مستقبل رومانسي ممكن بيننا، إذا أصبح شيب عازبًا ثانية، حيث إنها عن مصحة السل.

عندما أعطيته الكتاب، قطب شيب حاجبيه. سألته

- ما الأمر؟

- لا شيء، أنا فقط ... سيكون هذا الأسبوع مليئًا بالعمل في الموقع، لذا أعتقد أنني غالبًا سأحتاج إلى بعض الوقت لأنهي هذا الكتاب.

- ربما ستتفاجأ وتجد نفسك تُنهيه بسرعة.

لم أشعر أنني أقنعته كفاية، فأضفتُ:

- لكن ربما من الجيد أنه سيأخذ منك بعض الوقت.

تبًّا، لم يكن يجب أن أقول هذا بصوت عالٍ.

- لماذا؟ (سألني بسرعة).

حاولت تغطية ما قلته فأضفتُ:

- لأنه كتاب يجب عليك قراءته ببطء وتأنٍ لتستمتع به.

- لقد استمتعت بإنهاء الكتب بسرعة (قال وهو يحدق بتركيز إلى عيني).

ابتلعتُ ريقي محاولة ألا أنظر بعيدًا وسألته:

- لماذا؟

- أعتقد أنني مُعجب بـ ...هذه المكتبة (وأضاف) لديكِ ذوق رائع في اختيار الكتب.

بالطبع فكرت بينما كنت أرغب في تقبيله بشدة لدرجة أنني نظرت بعيدًا ثم أجبت:

- شكرًا.

في تلك اللحظة تمنيت من كل قلبي شيئين؛ أن يرحل وبيأس تمنيت أن يبقى. بعد لحظات طويلة قال شيب:

- عليَّ الرحيل الآن يا دودي.

- إلى اللقاء.

وجدته ما زال يقطب حاجبيه فأخبرته بسرعة:

- أتمنى أن تجد الوقت اللازم لتنهي الكتاب خلال هذا الأسبوع.

- آمل ذلك (قال ثم غادر).

ابتسمتُ وأنا أفكر في الجملة المكتوبة على فاصل الكتاب الذي خبأته بين الصفحات: «الأمل هو أحد الأشياء الثمينة التي تُثري الحياة».

بعد مرور عدة ساعات، أغلقت المكتبة وأعدت ترتيب الكتب التي تمت إعادتها. ما زلت أشعر برائحة شيب في الهواء تجتمع مع الرائحة المريحة للكثير والكثير من الكتب بانتظار قراءتها.

جلست على الكرسي الناعم وأخذت أقرأ بطاقات التعليقات اللطيفة المتروكة من قبل الزبائن. تنفست كل هذا حتى حان وقت الذهاب إلى السرير. أول يوم للعودة إلى العمل وبالفعل أشعر أنني أفضل وأخف بسبب مكتبتي الحبيبة. لقد ساعدتني بالفعل.

الفصل التاسع

أبريل 2008

كانت المكتبة هي مُخلِّصي الآخر بجانب المدرسة. تحولت من المشي كأنني نائمة إلى الجري في كل مكان كدجاجة قُطع رأسها.

- هلا أعطيتِني الغراء آنسة فيرسيل؟

سألني جونا براونلي بينما يمسك بين أصابعه ضفدعًا ورقيًّا مجسمًا واقعيًّا لمجموعة متنوعة من الأشجار الزرقاء السامة. أعطيته الغراء ووجدته يضع القليل منه ليثبت الضفدع والأشجار في المجسم الكبير الخاص به.

- هل يجب على شعر حواء أن يكون أطول؟

سألتني اسكايلر وهي تشد كم قميصي. واو، فاجأتني هذه المجسمات بتفاصيلها التشريحية المتقنة مقارنة بأنه مشروع فني للصف الثالث الابتدائي. من الواضح أن هؤلاء الأطفال شاهدوا الكثير من الأفلام، وتجمعات للعراة، لم تكن متاحة لي في عمري.

- نعم، بالطبع. أترغبين في مزيد من حرير الذرة؟

أسرعتُ تجاهها وأنا أحمل الصندوق المليء بها.

- آنسة فيرسيل، آنسة فيرسيل.

أتى صوت كاميرون عاجلًا من الجانب الآخر للغرفة لدرجة أنني خشيت من أن يكون آذى نفسه باستخدام المقصات الآمنة للأطفال.

- ما رأيكِ؟

سألني بمجرد وصولي للجانب الخاص به.

- هل يبدو صارخًا لكِ؟

كان واضحًا على المجسم أنه بُني من قبل طفل استنشق كفايته من الجليتر وتربى على يد والدين يعملان في مجال الترفيه. لقد أحببته.

- رائع!

من المؤكد أنه هو الذي أحضر القماش المعدني اللامع الذي يُحيط الراقصين من منزله. ابتسمت لأن الأطفال كانوا مندمجين للغاية لهذا المشروع. اليوم هو اليوم الثالث وبدأت مجسماتهم في التشكل.

- آنسة فيرسيل، هل هناك المزيد من المفارش الدانتيل القديمة لأقطعها وأستخدمها؟ (سألتني لاڤينيا).

- آنسة فيرسل، آنسة فيرسيل، هلا نظرتِ إلى هذا؟

استمرت الأسئلة حتى انتهاء اليوم الدراسي. كان انشغالي لهذا الحد مُريحًا حيث إنه يخفف من الحمل الثقيل على كتفي قبل الذهاب لبيت ماكي وچيف. كما ساعدني أيضًا على التركيز حتى اللحظة التي أصل فيها إلى المنزل في الظهيرة. لم يكن من الصواب أن أشعر بقلبي يقفز في صدري تجاه شخص مرتبط. والأكيد أنه لم يجب أن يغمرني الأمل بعد زيارة صديقه مايك.

- مرحبًا دودي، كيف حالكِ؟

رحب بي مايك بعد اختياره لمجموعة من كتب الرسوم المتحركة لتفقدها.

- آه، كما تعلم، أحاول الصمود. كيف حالكَ أنت؟

- عظيم. حصل الأطفال أخيرًا على درجات جيدة بالمدرسة مما جعلني أنا ولولا سعداء للغاية.

كانت عيناه تلمعان وهو يُخبرني بمعلومات لا تهمني، ولكنني لن أحسده فقط لأن عينيَّ لم تلمع منذ وقت طويل... جدًّا.

- هذا جيد! أممم... كيف هي الأمور في موقع المركز التجاري؟

أجاب مايك:

- لا بأس بها. هناك بعض التوتر في العمل. يبدو شيب على حافة الانهيار مؤخرًا.

- هل كل شيء على ما يرام؟ هل هو بخير؟ أعني... آمم...

كان مايك ينظر إليَّ بتركيز كأنه يعرف شيئًا مما اضطرني لكبح جماح قلقي.

- أجل، أجل هو بخير. أعتقد أنه وصديقته يتشاجران كثيرًا هذه الأيام.

«هدية الحانوكا في إبريل؟!» فكرت لنفسي، ثم فكرت بعدها: «اصمتي؛ هذا ليس لطيفًا».

- يبدو أنها أخبرته بأن ذهنه كان مشتتًا أمام والديها واتهمته بأنه لا يبالي بعلاقتهما (قال مايك، ثم تابع قائلًا) فمثلًا هي لا تعتقد أنه ... أعتذر يا دودي، لم أقصد أن أُشعرك بعدم الراحة. سأصمت الآن. تُخبرني لولا دائمًا بأنني أتحدث زيادة عن اللازم.

على الرغم من هذا، أخبرتني ابتسامته الماكرة أن هذه الثرثرة لم تكن بالخطأ. يا إلهي! هل يعلم شيب بمشاعري؟ هل هو الذي أخبر مايك؟ عليَّ التصرف بلا مبالاة.

- لا تقلق.

أكدتُ عليه وأنا أضع فواصل الكتب التي كتبتها للناس في الكتب الخاصة بهم.

- سأنسى هذه المحادثة بأكملها.

إلا أن احتمالية نسياني لهذه المحادثة مساوٍ لاحتمالية التعرض لهجوم سمكة القرش في أثناء الوقوف على اليابسة. مسكين شيب. آمل أن تسير الأمور على ما يرام، أيًا كان ما يعنيه هذا له. على الرغم مني، لم أستطع التوقف عن التفكير بالوميض الذي رأيته في عينيه عندما تحدث عن الكتب. لم أشعر أنه مُشتت حينها. تردد في ذهني أيضًا ما قاله مايك عن روح شيب الشاعرية.

كان من المهم تذكر أن شيب ما زال مُرتبطًا وأنني بحاجة إلى مقابلة شخص متاح. ولكن، هل سأوذي أحدًا إذا أعطيت لنفسي، أسبوعين أو ثلاثة، فرصة للاستمتاع بذكرى رائحته الصابونية العطرة وهو يتبعني داخل المكتبة أو التفكير بكيف تتحول عيناه من لون المحيط إلى أزرق داكن عندما تؤثر فيه جملة بعينيها في كتاب؟ حسنًا، ربما سأعطي لنفسي مدة شهر على سبيل الاحتياط.

في يوم الاثنين التالي، كنت أقرأ بصوت عالٍ لكلوي مقتطفات من قصة الحب بين كيتي وليفين من نسخة تم التبرع بها مؤخرًا من كتاب *آنا كارنينا*. كان الفاصل بداخل الكتاب مطبوعًا عليه إحدى لوحات القش لمونيت بضوئها الذهبي واللامع، وقد أضفتُ إليها جملة «قصص الحُب الهادئة هي أفضل ما يمكنك الاستمتاع به».

- هل اقتنعتِ بمحاولة قراءته مرة أخرى؟ (سألتها ثم نظرتُ خلفها وصرخت) لا يا چوي! أيمكنك من فضلك التلوين على الورق المقوى بدلًا من كتاب كيف *سرق الجرينش* عيد *الميلاد*؟ وشكرًا لمساعدتك ساندرا، أعتقد أنك رويتِ تلك النبتة بما يكفي الآن.

لم تبدُ كلوي مقتنعة وسخرت قائلة:

- الانتحار بالقطار؟ كم هذا مهين!

ولكنها فتحت الكتاب لي لأختمه على أي حال.

أوه! كلا. صابون عطري أيرلندي. بدأ قلبي بالخفقان فرفعت عيني لأعلى.

- مرحبًا دودي. هل لديكِ أي من هذه الكتب؟

أعطاني شيب قائمة بترشيحات أصدقائه. سألته:

- هل انتهيت من *المنزل الكئيب*؟

- كلا، ولكن يبدو أنه سيستغرق مني بعض الوقت، لذا سأقرأ كتبًا أخرى معه. (ابتسم لي ابتسامة مُغرية).

تفحصتُ القائمة محاوِلةً ألا أسأله عما فعله في إجازة الأسبوع الماضي.

- ليس لدي هذه الكتب هنا (قلت له) إلا أنني انتهيت للتو من قراءة *أناقة القنفذ* حتى إنها ما زالت على منضدة السرير. ستُضحكك وستحطم قلبك. أنا لا أفعل هذا عادة، ولكن يمكنني إعارتك نسختي إذا وعدتني بالحفاظ عليها.

في الواقع كانت معظم الكتب في مكتبة الاستعارة تخصني، لذا لم يكن هذا تمييزًا كبيرًا، ولكن ربما راقت لي فكرة أن نتشارك أنا وهو سرًّا معًا. وبالنظر إليه، بدا أنه أيضًا أحب الفكرة. وعلى الرغم من أنني لستُ متأكدة نظرًا لمرور زمن طويل على مواعدتي لأحدهم، فإنه بدا كأنه يتساءل عن منظر منضدة سريري وباقي غرفتي.

سألته:

- هل تمانع في أخذ مكاني هنا؟ سأذهب لأحضر لك الكتاب وأعود حالًا.

- تفضل الكتاب.

قُلت وأنا أتمنى لو كان لدي الوقت الكافي لأختار فاصل كتاب واقتباسين مثاليين ومناسبين.

بمجرد رحيله، تساءلت لو ارتكبتُ خطأ. فكلا الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية كانتا فتاتين، إحداهن منعزلة وغريبة والأخرى دودة كتب انتحارية عندها اثنتا عشرة سنة. ربما لا تناسب الرواية ذوقه إطلاقًا.

ولكن عندما عاد شيب في نهاية الأسبوع، اختفت الهالات السوداء من تحت عينه وبدا مرتاحًا وأخف.

- أريد أن أشكرك؛ هذا الكتاب كان مؤثرًا للغاية.

- يسرُّني ذلك.

عرض قائلًا:

- هل يمكنني اصطحابك للعشاء في عطلة هذا الأسبوع لأشكرك؟

يا إلهي!

- أنا لست متأكدة...أقصد، ربما من الأفضل...

حاولت الحذر على الرغم من صراخ كل ذرة بي «وافقي أيتها الغبية»! ولكن ربما ما زال مرتبطًا بصديقته، وربما كان يشعر بالحزن إذا انفصل عنها مؤخرًا.

ولكن مجددًا، ربما لا.

- حسنًا (قُلت قبل أن يتراجع في دعوته).

لم يقل شيئًا ولكن ابتسامته المفاجئة ملأت صدري بالحماس. سيأتي الوقت المناسب ليلة السبت لأعرف ما الذي حدث في علاقتهما.

قبل إغلاق مكتبة الغرفة الزجاجية الشمسية، علَّقت بعض الرسومات التي رسمها الأطفال على لوحة الإعلانات. بدت لي رسوماتهم أشبه بلوحات مونيت. وكمراهقة واقعة في الحب، قبَّلت كل كتاب قبل إعادته لرفه. فعلى أي حال، كانت الكتب أطفالي وكانت رائحتهم جميلة.

جاءت كندرا يوم السبت لغرضين: التطوع للقراءة للأطفال في حلقة القصة؛ أداؤها لقصة وأغنية *رقصة الحيوانات* كانت ستحطم المكان، ولآخذ رأيها فيما عليَّ ارتدائه بعدها. جلست بصبر شديد بينما أقلب دولابي وتسريحتي بأكملهم بحثًا عن الطقم المثالي.

- هذا هو!

تنفستْ الصعداء وهي تنظر إلى البلوزة البنفسجية اللامعة التي ارتديتها مع تنورة رمادية تصل إلى ركبتيَّ. أنا متأكدة أن هذه هي أول بلوزة جربتها ولكنني كنت متأكدة أيضًا أنها محقة. فالطقم بأكمله أشعرني بالراحة.

- هيَّا اذهبي له يا فتاة! سأغادر.

قالت كندرا وهي تحاول العبور من بين أحزمتي الملقاة على الأرض.

- دودي؟

- نعم؟ (أجبتُ).

- ربما عليكِ إخفاء هذه.

اقترحتْ وهي تشير إلى نسخة من مجلة العائلة التي انسلت بين مجلتين للموضة. احمر وجهي ورميتها في سلة القمامة دون أن أنظر إلى كندرا.

- غريب أنهم منحوني اشتراكًا مجانيًّا لتلك المجلة بعد اشتراكي في مجلة الديكور.

- آها... (قالت كندرا).

أتى شيب في الوقت المحدد ورن جرس الباب. عندما فتحت الباب ابتسمت له بسرعة. لم أستطع النظر إليه ثانية حتى وهو واقف بجانب السيارة أو بينما يقود. عندما جلسنا بعضنا قبالة بعض في المطعم، اضطررت للنظر إليه على الرغم من إيماني بأن إعجابي الشديد به سيكون مطبوعًا على وجنتي. انشغلنا في قراءة قائمة الطعام ثم لمحت معصمه المثير وهو يُعيد قائمة الطعام فنسيت على الفور ما طلبته. سيطري على نفسك، قلتُ لنفسي: «إنه مجرد معصم! كما أنكِ تحدثتِ مع هذا الرجل اثنتي عشرة مرة تقريبًا».

- إذًا؟ (قال شيب).

- إذًا.

قبل أن أبدأ في الثرثرة لملء الصمت، سبقني شيب:

- عندما كنتُ صغيرًا، كانت المرتفعات تُخيفني، تُرعبني. اعتاد إخوتي السخرية مني بسبب ذلك. كان هناك جسر منخفض أعلى جدول ماء قريب من المكان الذي اعتدنا الذهاب إليه كل صيف في ماساتشوستس، جميعهم قفزوا من فوقه إلا أنا، على الرغم من أنه تكاد قدماك تلمس الماء إذا جلست على الجسر.

بعدها أدركت أنه إذا أردتُ العمل في مجال البناء، سيكون عليَّ التغلب على خوفي، لذا بدأتُ في التقدم للعمل في السقالات، وكنت مرعوبًا في المرات الأولى حتى أدركتُ أن كل خوفي ليس في محله. لا أقصد الخوف من الدوار أو شيئًا مشابهًا. ربما أنا –فقط– من أعتقد أن شيئًا كهذا يجب أن يكون مُخيفًا. ولكن الآن، أصبحت أرى المرتفعات مثلها مثل كل شيء.

- آسف، لستُ ثرثارًا في العادة.

- حقًّا؟ أنا أتحدث كثيرًا طوال الوقت!

قلتُ مازحة للتخفيف عنه. لا، هل سيشعر بالإهانة لأنني وافقته بأنه يتحدث كثيرًا.

- أعتقد أنني... متوتر لا غير (اعترف قائلًا).

تنفستُ للداخل وللخارج من خلال أنفي خمس مرات ببطء وبعمق. ثم أجبته:

- أنا أيضًا.

كانت يده قريبة للغاية من يدي حتى كادا يتلامسان. ثم -لستُ متأكدة كيف- لمستُ يده.

نظرتُ إلى عينيه أخيرًا وسألته:

- إذًا ما الذي أتى بك إلى شاتسورث؟

- سمعتِ عن بناء المركز التجاري الخارجي الجديد، صحيح؟

بالفعل سمعتُ عنه. في البداية تذمرت من هذا الأمر مدافعة عن سحر شاتسورث ولعدم حبي لفكرة سلاسل المطاعم -راقية أم لا- التي ستغير طبيعة البلد وستنافس المحلات التي تديرها العائلات في الشارع الرئيسي. أخبرتني سوليفان بأن أكف عن الغطرسة. «ستزيد متعتنا كما ازداد العدد!» ربما كانت محقة. علمتُ أن كلًّا من مايك ورامون يعملان في هذا الموقع. وطبعًا ازداد حبي للمكان بعدما عرفت أنه السبب في إحضار شيب هنا.

- إذًا، هل أنت مختص بعمل شيء معين؟ لستُ متأكدة كيف تسير الأمور في مواقع البناء. (اعترفتُ له).

- أنا أعمل في كل شيء تقريبًا، ولكنني أحب التفاصيل الخاصة بالنجارة والبلاط والعمل مع هؤلاء الأشخاص في أواخر مراحل البناء. إن لم يذهب الكثير من أبناء عائلتنا إلى الجامعة، لكنتُ اتجهت إلى مدرسة الهندسة المعمارية؛ أحب تصليح الأشياء.

- مثل ماذا؟

أجاب مُبتسمًا:

- القوارب.

- القوارب؟

- أجل. لقد تربيت في نيو لندن على بعد خمس دقائق من الماء. كطفل، كان الأمر مجرد عمل لكسب المال ولكن بوصولي للمرحلة الثانوية، أصبحتُ شغوفًا بالأمر، أما الآن، فتصليح القوارب أصبح أكبر هواياتي.

- إذًا، هل تجد العيش في شاتسورث غريبًا؟

- حسنًا، لسنا محاصرين هنا تمامًا. فهناك ورشة لصنع القوارب بالقرب من الماء على بعد عشرين دقيقة في إيجل ريدج كما أنه يبعد نصف ساعة فقط عن الساحل.

- أكيد. ولكن أليس من المعروف أنك لن ترغب في العيش في مكان آخر بمجرد تجربة العيش بالقرب من الماء؟

- هذا حقيقي تمامًا. نظريًّا، فعملي هنا في شاتسورث مؤقت.

لا أصدق. إذًا كل شيء حدث بيننا أتى بتاريخ انتهاء.

ابتلعتُ خيبة أملي وسألته:

- كم من الوقت متوقع أن يستغرقه بناء المركز التجاري؟

- عام تقريبًا. ولكن يمكنني التقديم على مشروع آخر إذا أحببت المكان هنا، كما أتوقع.

كان هذا أملًا كافيًا لي.

بعد ذلك، سرنا معًا حتى باب منزلي وأخبرني بهدوء:

- أود إعادة هذا الكتاب إلى مكانه.

تفاجأت بموافقتي. لم يزر أي رجل غرفتي منذ ارتباطي بدانيل منذ سنوات.

أخذ شيب ينظر إلى غرفتي بلهفة. الفضول الواضح على وجهه جعلني أبتسم. وضع الكتاب على منضدة السرير بجوار المزهرية التي ملأتُها بورود أذن الفأر الزرقاء أملًا بأن أجد نفسي في مثل هذه اللحظة.

نظر شيب إلى سريري. ضحكت بعصبية محاوِلة التماسك والتنفس من أنفي ببطء للداخل وللخارج لتهدئة نفسي. لم أقابل أحدًا معجبة به بشدة هكذا منذ وقت طويل. وجدته ينظر إليَّ كأنني حلوى المثلجات مما كان مشجعًا.

ولكن كان هناك شيء يضايقني؛ خوف.

- شيب، عليَّ سؤالك. اعتقدت أنك ...

- دودي (قاطعني بصوت منخفض). عند وفاة سوليفان، أصبح كل شيء واضحًا. أردت أن أكون بجانبكِ. لم يعد لي أي خيار آخر، أي شخص آخر. ذهبت إلى الجنازة ... من أجلك فقط.

- من أجلي؟! (تمتمت على الرغم من توقعي لهذا) ولكن كيف عرفت؟

- الأمر بسيط، فأنا أعرف أن سوليفان هي إحدى أصدقائك المقربين وأنها السبب في وجودك هنا في شاتسورث. هذه البلدة صغيرة للغاية، فعندما تفقدت أحوالك أخبرني نحو أربعة أشخاص بالخبر. كما أن لديك صورة لتيرابيثيا على مكتبك في المكتبة لاحظت أنكِ تنظرين إليها طوال الوقت.

دار بنظره في غرفتي وتوقف عند أربع صور أخرى لتيرابيثيا بجوار صور عائلتي.

احمر وجهي.

- تبدين جميلة عندما يحمر وجهك.

والآن اشتعلت وجنتاي. شعرت ببعض الحزن بسبب تذكري لسوليفان وتيرابيثيا، ولكن كل حزني اختفى بمجرد النظر إلى عيني شيب.

لفَّني شيب بين ذراعيه حتى كنت قريبة منه لدرجة شم الرائحة الصابونية العطرة بوضوح. كنتُ أستطيع سماع قلبي يخفق بشدة. قبَّلني بخفة على خدي ثم على شفتي.

في الأسابيع التالية وما إن لم أكن في المدرسة أو المكتبة أو مع تيرابيثيا (أو أتكلم على الهاتف مع مادي أو أبي وأمي المتحمسين للغاية)، لم نكن أنا وشيب ننفصل بعضنا عن بعض. قبل شيب كانت حياتي بسيطة ولذيذة مثل الآيس كريم بنكهة القهوة أو الآيس كريم بصوص الشوكولاتة. والآن، بفضل وجوده، ازدادت حياتي لونًا ونكهة بأشياء ليست فقط جميلة، ولكن جيدة لي. ليس كبذور الكتان مثلًا، بل كالأناناس والمانجو في موسمهم. نكهة مألوفة وغريبة في نفس الوقت. والأهم من هذا، أنها لذيذة أكثر بشكل لا يقاوم.

على الرغم من هذا كله، تساءلت عما حدث بينه وبين صديقته السابقة كوين. لم يذكرها شيب قط، ولكن لم يكن من الصعب إيجاد المعلومات الأساسية عنها في بلدة صغيرة كهذه، وبخاصة بفضل ثرثرة مايك في زيارته السابقة. كانت من بلدة تدعى ديربيشاير، كما أنهما تقابلا في الصيف الماضي في حفلة على مركب. في إحدى الليالي الأولى التي قضيناها معًا وبينما كنا ننام، سألته عنها.

كشر وجهه ولكنه أجاب بهدوء:

- كنا نريد أشياء مختلفة بعضنا عن بعض.

- مثل ماذا؟

شعرت بعدم رغبته في الكلام ولكنني كنت قلقة بالفعل بشأن مشاعري الجياشة تجاهه.

- أرادت كوين إنجاب طفل، ولم أكن مستعدًّا البتة لإنجاب طفل معها.

أومأت وأنا أفكر، هل غيَّر رأيه الآن بعد مرور شهر؟ هل كانت هي سبب رفضه؟ أم أنه يرفض إنجاب طفل الآن مهما كان الشخص؟

شعرتُ بأن إجابات تلك الأسئلة لن تُعجبني.

الفصل العاشر

مايو 2008

رأيت تيري باركس يتأمل ماليسا بويد في المكتبة عدة مرات من قبل؛ ابتسامة صغيرة ترتسم على وجهه بينما تقرأ لابنتها ديندرا. اليوم كانوا يقرؤون «**موو، باا، لاا لاا لاا**»[1] قطعة كلاسيكية تمامًا.

- تعرفان بعضكما، أليس كذلك؟ (سألته).

كنت سأعرفه عليها، لكنني رأيتهم يتحدثون قليلًا منذ بضعة أسابيع.

- أجل، حضرنا معًا صفًّا ليليًّا عن المحاسبة في كوميونتي كولدج إيجيل ريدج.

- هذا جيد. إذًا هل سبق وخرجتما معًا بعد الصف؟

بعد أن أصبحت أمينة مكتبة البلدة، أصبح جانبي الفضولي أكثر جرأة.

- تناولنا القهوة معًا مرات قليلة.

لكن وجهه كان يوحي بـأن «**أنا عالقٌ تمامًا في خانة الأصدقاء**».

قبل ذلك بأسبوع وفي نادي القراءة لعشاق الطعام، أخبرتني ماليسا بينما كنًا نتناول الكمأة والكاكاو الساخن المستوحى من الشوكولاتة بأن طلاقها كان فوضويًّا جدًّا وأنها مهتمة بالشوكولاتة أكثر من الرجال في الوقت الحالي. لكن الآن، كنت أنا وتيري نشاهد تشاننج روبينسون؛ أحد المستثمرين في مشروع المركز التجاري يربت على كتفها ويسألها سؤالًا. ضحكت. أوه، كان

---

(1) Moo, Baa, La La La by Sandra Boynton.

يغازلها. كان له وجه وسيم بطريقة لا تُصدَّق وغرور على ذات القدر. كان واضحًا أن ماليسا تستجيب له.

لم يعد تيري يبتسم، بدا وكأنه قد فوت الميعاد السنوي للحصول على بيضة الشوكولاتة الصغيرة من كادبوري[1]. (ما قد حدث لي ذات مرة، وأرسلت تعميمًا بهذا البلاغ لجميع أصدقائي بمدارس الفنون في جميع أنحاء الدولة. لحسن الحظ، صديقتي جيني دويج من لا هابرا بكاليفورنيا، وجدت موظفة بصيدلية تحاول إخفاء صندوق بأكمله لنفسها وتمكنت من الحصول على بعض الأكياس).

لم يكن تيري وسيمًا بقدر تشانينج، لكنه كان يملك عينين طيبتين ووجهًا لطيفًا وصبيانيًا. كان جادًّا ومتزنًا ويعرض المساعدة دائمًا لإفراغ طلبيات الكتب أو إصلاح المرحاض المسدود في الحمام، أو تغيير المصابيح فقط لأنه كان شخصًا لطيفًا يحب أن يقدم المساعدة (ولأنه كان معجبًا كبيرًا بالمكتبة). ذكرني بغابرييل أوك في «بعيدًا عن صخب الناس»[2]، الذي تجاهلته باثشيبا إيفردينل لاهتمامها بفرانك تروي الباهر والأناني.

رحل تيري قبل أن يرى ماليسا تعطي رقمها لتشانينج. لكن كندرا لاحظت، ونظرت بامتعاض إلي.

عند الإغلاق أخبرتها:

- تعلمين، عندما يطلب الأشخاص الكتب التي يرغبون بضمها للمكتبة بكتابتها في بطاقات التعليقات؟ أنا أفكر في أخذ خطوة للأمام وأضيف فكرة كتاب سانتا السري على مدار السنة.

- كيف ستفعلين هذا؟

---

(1) منتج شوكولاتة الحليب تُنتجه شركة كادبوري في المملكة المتحدة، وتُعد بيضة شوكولاتة الحليب هي شوكولاتة حليب صلبة مُغطاة بطبقة رقيقة من الحلوى الصلبة، وتُقولب في صورة بيضة صغيرة..

(2) Far from the Madding Crowd by Thomas Hardy.

- سأضع قائمة الأمنيات في مكتب الاستقبال، وعندما يرى الأشخاص كتابًا يمتلكونه بإمكانهم التبرع به بصورة مجهولة، هذا سيجعلهم يشعرون أنه هدية من جانب المعطي والمتلقي، أليس كذلك؟

- نعم، أظن ذلك، متى ستبدئين في تنفيذ الفكرة؟

- حسنًا، ربما سأبدأ بتبرُّعين سريين بنفسي هذا الأسبوع، وسأستمر قبل بداية الصيف.

- مثل...؟

اقتربتُ منها قائلة:

- سأعطي ماليسا نسخة من «**بعيدًا عن صخب الناس**».

رفعت حاجبي تجاهها. ابتسمت لي بسخرية:

- ربما يتوجب عليَّ التبرع بنسخة من إيما[1] لكِ.

- ماذا تعنين؟ (تظاهرت بالبراءة).

- أنتِ تعلمين تمامًا ما أعنيه، أنتِ على وشك خلق فوضى من وراء محاولة التوفيق بين شخصين، أليس كذلك؟

ضحكتْ:

- كلا طبعًا. أنا فقط لا أريد أن تفوت ماليسا فرصة الارتباط بتيري، هو كالجوهرة! بينما تشانينج روبينسون قطعة من الفحم.

- قطعة فحم لامعة للغاية، بوجنتين حادتين قادرتين على قطع الألماس (أضافت).

- وغرور قادر على خنق كناري.

قلبت كندرا عينيها:

- أعتقد أننا تمادينا كثيرًا في هذه الاستعارة حول التَعْدِين.

- أتفق. إذًا ما رأيك في فكرة كتاب سانتا السري، بصدق؟

(1) Emma, by Jane Austen

- أحببت الفكرة، ينبغي لكِ أيضًا تشجيع الناس على التبرع بالكتب إذا سمعوا أن أحدهم يرغب في قراءتها، سيتفاجأ الناس حتى لو لم يكونوا مسجلين على قائمة الأمنيات.

- بالطبع!

سأطلب من إلميرا تزيين قائمة الأمنيات، شعرتُ برعشة في ظهري عند التفكير في التبرعات وكيف سيشعر المتلقون عند استلام الكتب التي يرغبون فيها، أو كتاب هم بحاجة إليه لكن لم يكونوا يعرفون أنهم يريدونه قط.

تعمَّقت علاقتي بالمكتبة كما تتعمق مشاعرك نحو أحبائك كلما ازدادت معرفتك بهم. وفي كل مرة قبل أن أدخل، أقف في المطبخ وأختلس النظر من خلال باب غرفة الشمس. رائحة الليمون الخفيفة التي كانت تملأ المكان في بداية انتقالي، حل محلها رائحة الورق القديم تمامًا. كل يد لمست كتابًا أو قلبت الصفحات برفق أو ضغطت على الورق حتى يستقيم ظهر الكتاب أو حتى ثنت الغلاف على نفسه، كل واحدة من هذه الخطوات المفعمة بالتفاني تفوح بالرائحة السرية اللذيذة في الداخل.

في هذا الوقت كانت مكتبة شاتسورث معلَّقة بالكامل. أخبرتني جيرالدين بأن التمويل المخصص للإصلاحات نفدَ قبل أن يستطيعوا شراء أنظمة تدفئة أو تبريد هواء حديثة. مع انتهاء السنة الدراسية وبداية العطلة الصيفية على هذا المنوال، لم يبدُ أن أي شيء قد يحدث قبل الخريف.

- هل أنت بخير؟ (سألتُ شيب).

كان يحدق خارج نافذة المكتبة، يميل عنقه إلى جانب رأسه وكأنه يستمع إلى شيء ما.

- أوه، أجل، أنا بخير (نظر بعيدًا بسرعة).

شعرتُ برعشة حيث غُمرتُ بموجة باردة من الديجافو. لم تكن هذه المرة الأولى التي يتصرف فيها شيب بطريقة مريبة مؤخرًا. ولم تكن الثانية. بعد أسابيع قضيناها معًا ولم ننفصل فيها قط، أصبح الوقت الذي أقضيه مع شيب محدودًا جدًّا فجأة مع دخول الصيف. كان دائمًا مشغولًا، كان يحب

القوارب كما أحب الكتب، حتى إنه كان يبني قوارب صغيرة (صغيرة أي تسع لشخصين وليس صغيرة كالألعاب). كانت هناك رحلاته حيث يذهب إلى الإبحار، والعمل على قارب جديد كان يفكر في بيعه، بالإضافة إلى انفصالي عن ماكي وچيف لرؤية تيرابيثيا، ومحاولة متابعة شؤون مكتبة الاستعارة. الآن كنا في فصل الصيف ولا يوجد دراسة، مددت ساعات العمل من العاشرة صباحًا إلى السابعة مساءً من الاثنين إلى الخميس، ومن العاشرة صباحًا إلى الثالثة مساءً في أيام الجمعة والسبت.

- هل هناك خطب ما؟

- كلا، هل يجب أن أرتدي زي الكاكي الخاص بي يوم الجمعة؟

حسنًا، هو لم يرد أن يتحدث حول ما كان يشغله أيًّا يكن ذلك الأمر. ولم يبدُ الأمر مهمًّا كفاية حتى أضغط عليه، على كل حال ما زالت علاقتنا حديثة، لن أكون المتطفلة المزعجة مهما بلغ مدى فضولي. معظم الوقت الذي قضيناه معًا كان لطيفًا مثل كل ما كنت أحلم به في مُخيلتي المستوحاة من القصص الرومانسية الكوميدية، لذا بدا من الأفضل أن أدعه يفتح قلبه لي عندما يكون مستعدًّا، وأن أستمتع بكل لحظة نقضيها معًا في الوقت الحالي.

خططت أنا وشيب لقضاء ليلة جمعة فاخرة معًا، سنتذوق النبيذ، ونأخذ جولة في المعارض، وبعدها سنتناول العشاء في أحد المطاعم الفرنسية الجديدة يُدعَى الأبيقور. بعض من المتاجر القديمة في الشارع الرئيسي بمدينة شاتسورث أُغلقت مؤخرًا بسبب ارتفاع أسعار الإيجار وخلال السنوات الأخيرة افتتح بعض المشترين الجدد من بوسطن ونيويورك معارضَ للفنون، مما حوَّل جزءًا من مركز المدينة إلى مقصد ثقافي. كان الوضع هكذا عندما وصلت للمدينة السنة الماضية، لكنني لم أزر أيًّا من هذه الأماكن حتى الآن.

استغرقتُ الكثير من الوقت للاستعداد، صففتُ شعري ثم قمتُ بتجعيده وارتديت فستانًا جديدًا بلون الورد مزين بقسمات صغيرة رائعة بالقرب من الوسط، ولمسة خفيفة من التموجات على الأكمام.

لمعت عينا شيب عندما رآني.

- تبدين رائعة.

قالها وهو يقبل خدي، أخذ وقته حتى يستنشق عطري. قبَّلت عنقه.

- وأنت أيضًا (قلتها بالقرب من عنقه).

- هل أنتِ جاهزة؟

كان المعرض الأول يحوي صورًا رائعة بالأبيض والأسود لحيوانات برية، بينما المعرض الثاني به لوحات فن تجريدي بأسلوب ميرو. المعرض الأخير كان به لقطات بانورامية خاطفة للأنفاس من أمريكا الجنوبية شديدة الوضوح، حتى إنه يمكنك شم رائحة النار المشتعلة في منخفضات البامبا، أو الشعور بالهواء يصبح باردًا أكثر فأكثر بينما تصعد إلى أعلى سفوح جبال الأنديز. بدا شيب في غاية الاهتمام.

قال ونحن نتناول التين المُكرمِل مع جبنة غروييز وقليل من خل البلسميك على العجينة المورقة في مطعم الأبيقور:

- يا لها من مصادفة! رؤية هذه الصور الرائعة من أمريكا الجنوبية اليوم.

شعرت بقليل من الخوف عندما تذكرت نظراته الجافية خلال الأسابيع القليلة الماضية بدلًا من النظرة العميقة التي يرمقني بها الآن.

- ماذا؟ (سألته بمرح).

- تلك الصور من أمريكا الجنوبية. الأمازون. حلمي هو الذهاب إلى هناك. هل تتخيلين ما يمكنني تعلمه عن بناء القوارب هناك؟

- هذا سيكون رائعًا (وافقته).

أفكر في صمت في حمى الضنك والخفافيش الكبيرة جدًّا التي تستطيع حملك إلى الأدغال قبل أن تستطيع الصراخ «ساعدوني».

- أريد أن أحقق هذا الحلم قريبًا. ألن يكون هذا رائعًا؟ (سألني شيب).

كان واضحًا أنه لم يكن يستمع لي، إذ استخدمتُ نفس الكلمة للتو.

- بالطبع (قلتُ موافقة).

- إذًا، هل ستذهبين معي؟

- أوه. امم.. بالطبع.

قلت وأنا أتخيل نفسي أصارع أحد شراشف الفراش ذات الناموسيات الشفافة (المؤمَّنة جيدًا).

- هل تعرفين ما هو أكثر روعة؟ (سألني).

- همم؟

قلت وأنا آخذ آخر ما تبقى من خل من البلسميك مع قطعة من البريوش.

- العيش هناك لبضعة أشهر. كالحصول على منزل، القدرة على التنقل ورؤية كل العجائب الطبيعية. . .

تجمدت؛ بضعة أشهر؟ ليست إجازة فقط؟ استمر شيب في عرض الإيجابيات حتى لاحظ طريقة جلوسي والتي كانت تشبه وضع التصوير في القرن التاسع عشر.

- دوو؟ (تساءل).

- لا أريد أن أترك عائلتي ... أو ... أو ... تيرابيثيا ...

تلعثمتُ، خائفة من تحطيم حلمه لنا، لكن لم أستطع منع نفسي.

- أوه.. نعم، بالطبع.

تراجع شيب. بدا كطفل حصل على بيجاما أرنب وردية لعيد الميلاد بدلًا من مسدس ريد رايدر بي بي.

شعرت بأحشائي تتقلص. كان قلب شيب وعقله في مكان آخر، مكان لا أستطيع اللحاق به إليه. سيرحل، هذا ما فكرت به، في اللحظة التي توقعت أنني وجدته فيها ... سيرحل.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الحادي عشر

يونيو 2008

كانت عينا ماكي حمراوين عندما فتحت لي الباب بعد أيام قليلة. لقد اعتدت ذلك عقب وفاة سوليفان منذ شهرين ولم أتفوه بكلمة واحدة، عانقتها فحسب. أنا أيضًا أفتقد سوليفان كثيرًا، لكنني لم أرغب في زيادة عبء والديها.

«دادا! دادا!» كان تيرابيثيا يناديني بــ «اسمي» من الغرفة الأخرى. وكانت نبرة ندائه تعني أن أقترب أكثر، لا أن أنتظره حتى يأتي إليّ.

- إنه يلعب بالمكعبات. هيا ادخلي إليه، وسأُعد لنا بعض عصير الليمون.

رنَّ جرس الهاتف فاستأذنت ماكي معتذرة.

كان تيرابيثيا يضحك بمرح ويصفق في كل مرة أقوم فيها ببناء برج من المكعبات. وبلمعة في عينيه، كان يجرف البرج بذراعه، جاعلًا كل القطع تتساقط كالشلال على سجادة الأرضية.

كانت ماكي تقول:

- أجل، أجل، أنا متفهمة.

كان صوتها هادئًا على الرغم من أنني رأيتها تمسح دمعة وهي تقف عند الباب تراقب تيرابيثيا. تابعت ماكي:

- سأتحدث مع چيف بشأن ذلك، وسنعود للاتصال خلال يوم أو يومين. حسنًا شكرًا لك. وداعًا.

حدَّقت ماكي إلى الهاتف لفترة طويلة بعد إنهاء المكالمة.

لماذا كان تيرابيثيا منزعجًا الآن؟ أوه، لأنني سهوت وتوقفت عن تكديس المكعبات ليهدمها. كان يبدو كرئيس عمال صغير عازم على التدمير.

تسرَّبت أصوات سكبٍ وحركة مكعبات ثلج من المطبخ. جلست ماكي على الأريكة تنظر إلينا، وهي تمسك كوبًا من عصير الليمون ترتشفه على عجل. حبا بوو مستندًا إلى الأرض بكفيه الصغيرتين المستديرتين، وخطا إليها ببطء، يمد يده نحو الكوب.

صاحت قائلة:

- أوه، أنا آسفة جدًّا يا عزيزي. كم هي وقاحة مني أن أنساكما!

عادت ومعها كوب من الحليب لأجل تيرابيثيا وكأس من الليمون لي. لمع السائل المتكثف على الجانبين، ودارت بِتَرَاخٍ بعض أوراق النعناع الممزقة حول الثلج. شربنا جميعًا في صمت باستثناء صوت طقطقة الكوب على أسنان تيرابيثيا الجديدة من وقت لآخر.

بعد أن تحمَّم تيرابيثيا ووُضِع في فراشه، سألتُ ماكي بلطف:

- ماذا يحدث؟ إذا أردتِ أن تتحدثي لشخص ما عن ذلك ... أعني، إلى جانب چيف. . .

أزالت كلماتها مخاوفي بعيدًا حين أجابت:

- يسعدني أن أتحدث إليكِ؛ أنا أعدكِ جزءًا من عائلتنا الآن.

رائع. جزء من عائلتهم.

- من الواضح أن چيف وأنا لم نعد صغيرين مثلما كنَّا. أعني، نحن بصحة جيدة -وآمل أن يستمر ذلك- بالنسبة إلى أعمارنا ... ولكن رعاية طفلٍ لدوام كامل ... (قالت ماكي).

ثم توقفتْ قليلًا قبل أن تستأنف:

- نحن في منتصف السبعينيات من العمر. چيف يحتاج إلى جراحة استبدال مفصل الورك في العام المقبل، وسيظل لأكثر من شهر في مرحلة التعافي. تفاقمت الأزمة القلبية التي يعانيها، ويقول الطبيب

إنه ينبغي أن يجد طريقة لتقليل درجات التوتر لديه. ومع كون نظري على ما هو عليه، لا يمكنني القيادة بعد الآن. والحقيقة بقدر ما يؤلمني قول ذلك، فإن تيرابيثيا سيكون أفضل حالًا في منزل مع مقدمي رعاية أصغر سنًّا. لم أنم أكثر من ثلاث ساعات في الليلة منذ وفاة سوليفان. في البداية، كنت مستيقظة طوال الليل قلقةً بشأن تأثير فقدانها على بوو. ثم بعد بضعة أسابيع، بدأت أقلق من تأثير بقائه معنا؛ إذا ساءت صحتنا في غضون بضع سنوات، وهو لا يزال صغيرًا جدًّا فلا يدري بعد كيف يعتني بنفسه، ولكن حينها يكون قد فات الأوان بالنسبة إليه للعثور على آباء قد يعتنون به إذا حدث أي شيء لنا. لا نملك وقتًا كافيًا للانتظار. علينا أن نتخذ الخيارات الصعبة من أجل تيرابيثيا. وأعلم أن الأطفال يتأقلمون بشكل أفضل أكثر إذا تم تبنِّيهم قبل عمر سنتين.

توقف قلبي. حاولت التنفس ببطء. تبنٍّ؟ عندما رأتْ الرعب في عيني، انفجرت ماكي في بكاء يُعادل مخاوفي الكبرى.

- أعرف، مجرد فكرة ... أن يكون ... تير مع أشخاص آخرين.

كنت أبكي أنا أيضًا، وأتطلع إلى باب غرفة تيرابيثيا في ذعر كما لو أن شخصًا ما قد اختطفه بعيدًا بالفعل. في أعماقي، كنت أعرف أن هذا احتمالٌ قائم بالنظر إلى أعمار ماكي وچيف، لكنني لم أتمكن من إقناع نفسي بالتفكير في الأمر. كيف يمكنني؟ كان من المقرر إرسال تيرابيثيا بعيدًا حيث لن أراه مرة أخرى.

بعد دقائق طالت للأبد، مسحت ماكي أنفها وقالت بصوت أكثر اتزانًا:

- لا أدري ما الذي قد تطلب منًّا سوليفان فعله. لم أعتقد قط... لم أعتقد قط أن ابنتي ستموت قبلي.

وقفتُ بسرعة وقلت:

- أنا آسفة. لا أستطيع مواصلة الحديث أكثر من ذلك. سأتصل بك غدًا.

عانقتُ ماكي سريعًا، ثم انطلقتُ بعيدًا دون أن تفوتني نظرة الدهشة والأذى في عينيها. اضطررت إلى الخروج من هناك. لم أرغب في قول شيء

كنت سأندم عليه مثل «كيف تعتقدين أن سوليفان قد ترغب في أن ينتهي المطاف بطفلها مع مجموعة غرباء؟» كنت أعلم أن هذا غير عادل. لكن لم يسعني إلا الشعور بذلك.

اتصلت بماكي في صباح اليوم التالي. بعد أن أجاب تيرابيثيا على الهاتف مرتين بصوت غير مفهوم وأنهى المكالمة في المرتين بشكل هزلي، تحدثت مع ماكي لفترة كافية لأعتذر:

- أنا آسفة جدًّا على الليلة الماضية. كنت أنانية وبصراحة أشعر بالذعر من فكرة فقدانه. أنتِ وچيف تفعلان الشيء الصحيح.

هل صدقتُ ذلك حقًّا؟ طوال بقية عطلة نهاية الأسبوع، لم أتمكن من التوقف عن التفكير فيما قالته لي.

- دعيني أتعامل مع هذا، سأنهي مجموعة الكتب هذه (قال شيب).

عرض عليَّ شيب ذلك عندما أسقطتُ الكتاب السادس على التوالي بينما كنا نعيد ترتيب الكتب على الرفوف. ألْهتني مشاهدة معصميه في أثناء قيامه بالعمل برشاقة للحظات. ثم قال لاحقًا عندما كنا نغسل الصحون:

- يا دوو، لما لا نبدِّل الأدوار؟ سأغسل أنا، وتجففين أنتِ.

سألته:

- لماذا؟

وأنا أمسح بوحشية بعض الكاري الهندي العالق في قاع وعاء.

- لأنه يبدو أن لديكِ ثأرًا دمويًّا مع أطباقك، وأنا متأكد من أنك ترغبين حقًّا في الاحتفاظ بها.

توقفتُ، واعترفتُ له ولنفسي للمرة الأولى:

- أنا غاضبة.

ارتفع حاجبا شيب. لقد بدا وكأنني قد أعلنت له أنني نقار خشاب أصفر البطن يمتص لحاء الأشجار[1]، كما لو كان يعرف ما هو ذلك، ولكن ليست لديه خبرة في التعامل معه. سألني وهو ينقذ الأطباق مني:

- ممن أنتِ غاضبة؟

وارتميتُ على الأريكة.

- ماكي وچيف.

- ماذا؟ أنتِ لا تلقين عليهم باللوم، أليس كذلك؟

- أنا أفهم أنهما قلقان بشأن نوع الحياة التي سيعيشها تيرابيثيا معهما، لكنهما ليسا بذلك الكبر. أعني، نعم، أعلم أن ماكي تعاني مشكلات في الرؤية وأن چيف يعاني مشكلة في الفخذ وأزمة قلبية، وأنا أعلم أنهما سيبلغان تسعين عامًا أو نحو ذلك عندما يذهب إلى الكلية. (فكرتُ مندهشة: تسعون! كنت أفقد قوتي عندما خرجت الكلمات من فمي) ولكن بعد سبعة عشر عامًا! وكيف يمكن أن يتخيلوا السماح لأي شخص آخر بتربيته؟ مع العلم أن والديه الجدد قد لا يسمحان لماكي وچيف برؤيته بالقدر الذي يريدانه مع العلم أنهما قد يغيبان عن أول يوم له في روضة الأطفال... أول مباراة كرة قدم له... أول...

قاطعني شيب، حيث رآني أستعيد حماسي وعلم من خبرته معي أن بإمكاني الاستمرار لفترة طويلة.

- أنا أسمعك، وأنتِ على حق. ربما فكرا في كل ذلك. لذا انظري إلى الأمر بهذه الطريقة يا دوو؛ فكِّري كم هو شيء غير أناني ما سيفعلانه. ضعي جانبًا مدى اشتياقهم إليه، كل ذلك حتى يتمكن من الاستمتاع بحياة حافلة وأكثر أمانًا مع شخص آخر. إنها هبة من الصعب تصورها.

وضعت رأسي على صدره بمجرد أن جلس. واحتججت على رأيه:

- لكنهما الأسرة الوحيدة التي يعرفها، إلى جانبي بالطبع.

(1) فصيلة من طيور نقار الخشب تعيش في شمال شرق أمريكا الشمالية وتتغذى على لحاء الشجر. (المترجم)

تردد صدى كلماتي في ذهني. هناك فكرة تُشرق في رأسي. فكرت في التقويم الموجود أسفل سريري، الذي طغت عليه علامات خطأ (×) الحمراء التي كنتُ أتسلل أسفل فراشي لأضعها مرة واحدة في الشهر منذ ديسمبر الماضي.

إلى جانبي.

كان هذا الحل لجميع مشكلاتي -ومنها جهازي التناسلي الذي توقف عن العمل، ورغبتي المُوجعة في إنجاب طفل- وربما لمشكلات ماكي وچيف أيضًا.

دودي قادمة للإنقاذ!

بعد أن تلاشى قراري المبدئي المتَّقد بالغضب، بدأ المنطق يأخذ مساره بداخلي. هل كنتُ متأكدة من قدرتي على القيام بذلك؟ أن أكون أمًّا بمفردي معتمدةً على راتب التدريس ومع مكتبة تحتاج إلى رعايتي؟ كنت أقوم بالمماطلة كل شهر لمواصلة العمل واستبعدتُ إلى حد كبير إمكانية قضاء إجازة حقيقية لمدة عام آخر أو نحو ذلك. عندما نظرت في النفقات المرتبطة عادةً بالتبني -تكلِّف الزيارات المنزلية وحدها الآلاف- تساءلت عما إذا كنت ألزم نفسي بشيء لن أقدر على تحقيقه. بينما كان شيب في الطابق السفلي يشاهد مباراة البيسبول، توجهت إلى الطابق العلوي واتصلت بأمي، بحثًا عن قدرٍ من الواقع.

- ما أقل شيء أعجبك في كونك أمًّا؟ (سألتُ).

كانت صامتة لفترة طويلة حتى اعتقدتُ أن الخط قد انقطع.

- أمم؟ ... أجل حبيبتي، أحاول أن أتذكر.

انتظرتُ.

- أنتِ تعلمين، كل هذا يبدو سخيفًا جدًّا الآن. أعني، بالتأكيد كانت هناك أوقات عانت فيها مادي مغصًا رهيبًا أو كان لديكِ ارتجاع أو أصيبت كوكو بنوبة غضب وتدحرجت على أرضية متجر الأغذية، ولكن كان هناك الكثير من الأوقات السعيدة. في المرة الأولى التي كان شعرك

طويلًا بما يكفي لوشاح، كنتِ بلا أي شعر في أول عامين، أشبه بزغب الخوخ. والقصائد التي اعتدتِ كتابتها في المدرسة، ووجه مادي الصغير النادم بعد أن اضطرت إلى السير على الأسفلت كعقاب لها. والطريقة التي اعتادت بها كوكو الجري لمداعبة كيربي بعد ارتكابه لخطأ، كما لو أن إظهار عاطفة للكلب تثبت أنها لا تزال شخصًا جيدًا. (ثم ضحكتْ).

لم يكن ما تقوله يساعدني.

- ماذا عن الأوقات التي كنَّا فيها مرضى أو جرحى؟ عندما وقعنا من أسرَّتنا أو انسلخت أنوفنا أو أُصبنا بالتهاب الحلق العنقودي الرهيب؟

- أجل، كانت تلك أوقاتًا مروِّعة، وعندما رحل والدك بالطبع... كانت معايشة تلك الظروف تجربة صعبة والأصعب رؤيتكم جميعًا تمرون بها. لقد مررنا ببعض السنوات العجاف حقًّا، وأحيانًا شعرت أنني بالكاد استطعت الحفاظ على رجاحة عقلي. على الرغم من ذلك، كنت محظوظة لأنكن كنتن فتيات رائعات ولأن والتر شاركنا حياتنا عندما استطاع ذلك (أجابت).

ازداد إلحاحي:

- الأمومة قد تكون مخيفة جدًّا، أليس كذلك؟

- بالتأكيد.

أجابت ثم صمتت لبرهة بينما أحاول ألا أختنق من الألم الذي شعرت به عند التفكير في فقدان تيرابيثيا.

استأنفتْ:

- ومن ناحية أخرى، هذا الخوف، هذا الضعف، يذكِّرك بعمق حبك لأنه يوضح لك مقدار ما يمكن أن تخسريه.

تنهدتُ:

- أوه يا أمي.

تمتمتْ:

- لا بأس يا عزيزتي.

وأنا أحتضن شيب في السرير في تلك الليلة، أنصتُّ إلى تنفسه المنتظم. أصدر فرع شجرة صوتًا بارتطامه بالنافذة. بدا الصوت مثل زخة ثلجية. تردد مرة أخرى بصوت عالٍ. فزع شيب مستيقظًا. فكرتُ وأنا أغوص في النوم أنني لا أتذكر أبدًا أن فرعًا تسبب في ذلك من قبل.

بعد وقت قصير، شعرت أنه ينسل مرة أخرى تحت الأغطية. كان جسده صلبًا. سألته وأنا ناعسة:

- هل أنت بخير؟

- أجل.

- هل كان فرع شجرة؟

- كلا.

- هل كان ثلجًا؟

كان النوم ينحسر عني مثل رداء.

- لم يكن شيئًا عزيزتي.

- هل أنت متأكد؟

لا جواب. الآن كنت يقظة تمامًا. ذهبت إلى الحمام. ومن النافذة، لمحتُ وميضًا بنيَّ اللون؛ هناك طائر ليلي فضولي يحاول التجسس علينا، ثم يحلق بعيدًا أسفل الأشجار.

بحلول الوقت الذي عدت فيه إلى النوم أخيرًا، بدأ الضوء يتسلل بين الظلام.

ما الذي جعل أمي أمًّا عظيمة للغاية؟ سألت نفسي عدة مرات خلال الأيام التالية. كان من الصعب جدًّا محاولة تحليل الأمر بهذه الطريقة، ذلك أشبه بفصل جزيئات الماء عن المحيط. كانت هناك لحظات كثيرة أوضحت لي فيها ما يعنيه أن تكون سعيدًا وممتلئًا بالدهشة واللطف.

- يا إلهي، توقف يا والتر توقف!

هكذا هتفتْ في رحلة عودتنا إلى المنزل من مباراة كرة القدم لمادي، رافعة رقبتها لترى قوس قزح المترامي كاملًا من الأرض إلى السماء، وتختفي نهاياته في الأشجار البعيدة على كل جانب. كان القوس زاهيًا مثل بهاء شخصية رينبو برايت. وارتسمت على وجه أمي ابتسامة عريضة.

وهناك في ذاك الوقت الذي ذهبنا فيه إلى أتلانتيك سيتي. بعد أن لعبنا في آلات القطع النقدية جنبًا إلى جنب لفترة من الوقت، تركتها عند آلة تحمل صورة إلفيس بريسلي وتنقلت برفاهية إلى الممر التالي إلى آلة تحمل صورة حدوة الحصان. بعد أن استخدمت عددًا من أرباع الدولارات، عدت إليها.

كانت أمي تقف أمام الآلة وهي تشير إليها وتصفر ضاحكة. تدفقت أرباع الدولارات، مكررة ضوضاء الأزيز اللذيذة التي تعتقد أنها تحدث فقط في الأفلام. ونظرت إلى الملك بامتنان. اعتقدتُ أن آلته تستجيب لصوت ضحكات أمي المعدية (أو اختفاء ضحكاتها).

وضعنا العملات المعدنية في مجموعة من الأكواب البلاستيكية، وشعرنا أننا مشاهير بينما يتجمع حشد من الناس حولنا.

- كم المبلغ؟ (سألتُ).

- ثمانمائة رُبع! ومائتا دولار! (صاحت).

ثم توقفتْ عندما صارت نبرة صوتها أكثر جدِّية. يمكن أن تشتري لنفسها حقيبة جديدة أو فستانًا رائعًا. لكن بدلًا من ذلك، قالت:

- سأخبرك. لماذا لا أجعل لكِ غرفة تخصكِ في الفندق حتى لا يبقيكِ شخير والتر مستيقظة؟

***

مر أسبوع منذ الليلة المؤرقة مع شيب، وكان هادئًا أكثر من المعتاد مع هالات تحت عينيه تتناسب مع هالات عيني. لم أكن أعرف ما الذي يدور في رأسه. ربما يمنحنا إعداد العشاء في المنزل فرصة للإفصاح عما بداخلنا، حتى لو كان حديثنا بصدق، إلا أنني لم أكن أرغب في التحدث عن نفسي على الإطلاق.

- إنها معكرونة باباردیله الكوسة والليمون. (قلتُ بينما كنتُ أضعها أمامه).

ثم أمسكتُ المِبشَرَة فوق طبقه وسألت:

- جبن بارميزان؟

- ناوليني (قال وهو يفرك فخذي مبتسمًا).

نزلت كومة بيضاء من الجُبن على المعكرونة. تركتها تتراكم بالطريقة التي يحبها. ثم بدأتُ ببشر الجبن على طبقي الخاص.

- دوو، كنت أتساءل، كيف حالك؟

- بخير، كيف حالك أنت؟

- كلا، حقًّا، كيف حالك؟ أشعر أننا لم نتحدث بشكل كافٍ معًا منذ أن أخبرتني ... وكلانا كان ... مشغولًا للغاية لكنني أعلم أنك تواجهين أوقاتًا عصيبة مع علمك بخبر أن ماكي وچيف قد ...

- لا تقل ذلك! (صحتُ فجأة ورفعت يدي لإيقافه).

أخذها برفق وقبَّل راحة كفي.

- اتركي تيرابيثيا للتبني.

- أنا حزينة بسبب ذلك (أجبته).

قال وهو يلف ذراعيه حولي ويضغط برفق:

- أعرف.

شعرت بالضغط الناعم والقوي لشفتيه على جبهتي، مرة، مرتين، ثلاث مرات، كأنها تميمة من الحظ السعيد.

- تحدثي معي حول هذا الموضوع. قولي لي ما الذي تفكرين فيه.

تصلب ظهري وتخشَّب عمودي الفقري. لم أستطع قول الحقيقة له. كان سيظن أنني مجنونة إذا اعترفت أنني أفكر في محاولة تبني تيرابيثيا دون مدخرات، ودخل صغير يكفي لشخص واحد فقط، ومكتبة لم تكمل سنة واحدة، وتجربة رعاية أطفال واحدة فقط قبل تيرابيثيا.

كيف يمكنني التحدث عن مدى رغبتي في تيرابيثيا دون الاعتراف بمدى اشتياقي لأن يكون لي طفل بشكل عام؟ لم يكن من الصعب تخمين كيف سيكون رد فعل صديقي (المذهل بشكل لا يُصدَّق) منذ عدة أشهر فقط على هذا الاعتراف. قررت الاحتفاظ بذلك لنفسي.

- لقد مرَّ تيرابيثيا بالكثير؛ أن يفقد سوليفان وهو صغير جدًّا... فجأة تمامًا ... وهو غير قادر على التواصل. لا نعرف ما يفكر فيه أو ما الذي يجب فعله لمساعدته أو كيفية تحسين الوضع لأنه كيف يمكن أن تجعل موقفًا مثل ذلك أفضل؟ لن أستطيع جعله أفضل لأي شخص. ليس هناك معنى على الإطلاق. وهذا يعني على الرغم من أنه قد يجد بعض الآباء الجدد المحبين -جفلتُ خوفًا عندما قلت تلك الكلمات- سوف يفقد ماكي وچيف. حتى لو تمكنا من رؤيته بين الحين والآخر، فالأمر مختلف. سيضطر لأن يتأقلم على كل شيء مرة أخرى. المزيد من الخسارة. الطريقة التي يحبانه بها، حقيقة أنهما يريدان الاحتفاظ به ولكنهما يشعران أنهم لا يستطيعان منحه أفضل فرصة له في حياة رائعة؛ إن ذلك ينهكني.

أومأ شيب:

- ماذا عنكِ وكيف تشعرين حيال تيرابيثيا؟

كنت أعرف ما يقصده. ملأتني كلماته، والنظرة على وجهه ... بالحب. لقد رآني حقًّا؛ رأى من خلالي وأدرك أن هناك شيئًا ما كنت أخفيه. جوهر القضية: تيرابيثيا.

أبي الذي ليس أبي أيضًا.

أدركتُ أنه كان عليَّ أن أخبره عن أبي الذي ليس أبي في النهاية. لكن جزءًا مني كان خائفًا من أنه إذا علم أنني قد هُجرت من قبل، فسوف يغادر الآن بدلًا من أن يدعني أُصدق بأنه سيستمر في العلاقة لفترة طويلة.

تخلصتُ من هذه الأفكار المظلمة ونظرت إلى تلك الأعين المحيطية الجميلة، المليئة بالرغبة الجادة في سماعي. لم أستطع إخباره عن تيرابيثيا. شهرين معًا. كان ذلك سابقا لأوانه، هناك الكثير من المخاطر.

قلت بنبرة صوت خفيفة قدر الإمكان:

- سأكون على ما يرام. أنا فقط أحب هذا الولد الصغير.

أومأ شيب، كما لو أنه لم يصدقني لكنه لن يضغط عليَّ أكثر من ذلك. عانقته بحب ثم قلتُ:

- كفى حديثًا عني. ما أردتُ حقا أن أتحدث عنه الليلة هو أنتَ. يبدو أنك مشغول بشيء. هل كل شيء على ما يرام؟

اعترف وهو يحدق بعيدًا:

- أجل، أعتقد أنني مشتت الانتباه مؤخرًا.

ولم يدرك أنه كان يؤكد ذلك.

- ماذا يدور في رأسك؟

سألته خائفة أن تكون إجابته، تدريب عن بناء القوارب في نهر الأمازون. التقط خيطًا بدأ يُرْخي على بنطاله الجينز عند الركبة ثم قال:

- لا شيء محدد. أشياء تخص العمل في الغالب.

هذا عَنَى شيئًا آخر غير أمور العمل.

- هل كل شيء على ما يرام في الموقع؟

- أجل، الرجال يثيرون أعصاب بعضهم بعضًا، هذا يحدث كثيرًا في الصيف. يكون الجو حارًا جدًا أحيانًا، نحن نُخبَز في الشمس، والناس تغضب بسهولة من أشياء غبية.

- ماذا هنالك غير العمل؟

كان هذا مؤلمًا بشدة. كرهتُ الصراعات أكثر مما كرهت وجبة الديك الرومي، الذي يتغذى على المنشطات ويُشوى بطريقة رجل الكهف المخيفة، التي يقدمونها في منتجع عالم ديزني. سألته مباشرة عن الموضوع:

- ماذا عن أمريكا الجنوبية؟

كرر شيب مرتبكًا:

- أمريكا الجنوبية؟

- عندما كنا في مطعم لبيكيور، ذكرتَ. . .

تعجَّب كما لو كان يتذكر شيئًا حدث في الماضي البعيد وليس في الأسابيع الماضية.

- آه بلى. من يدري، عن ماذا كنت أتحدث؟ أحيانًا تدور في رأسي هذه الأفكار المجنونة، مثل خيالات الهروب ... كنت أقرأ هذا الأسبوع عن متحف سفن الڤيكينج في أوسلو[1]. على أي حال لا يهم. هل تريدين معرفة ما إذا كان هناك أي شيء جيد على التلفزيون؟

أومأت برأسي، سعيدة بإطلاق سراحي. فيما أنغمس في الموضع المثالي تحت ذراعه، أحسست أن هناك شيئًا ناقصًا. هل تخلى شيب عن فكرة أمريكا الجنوبية لأنني أخبرته عن احتمال تبنِّي تيرابيثيا؟ أم أنه نسي حقًّا بهذه السرعة؟ لأنه كان هناك شيء أكبر في ذهنه؟ ما الذي كان يحاول الهروب منه؟ بالنسبة إلى شخص مراوغ مثلي في هذه الأيام، كان لدي شعور خفي بأنه قد تم تجنب أسئلتي. كان خوفي من الإجابات أقوى على ما يبدو من رغبتي في اكتشاف السبب، لأنه عندما بدأ شيب في تمسيد شعري وأراح ظهري إلى الأريكة، نسيت كل شيء.

بعد أن أغلقت المكتبة يوم السبت، قضيت فترة ما بعد الظهر مع عائلة أورايلي.

- ماكي، أنتِ هادئة جدًّا اليوم.

أشرت إليها في أثناء اللعب بقطع التركيب المغناطيسية مع بوو. كادت ماكي ألا تنظر تجاهي منذ وصولي.

(1) متحف سفن الفيكينج هو جزء من متحف التاريخ الثقافي في مدينة أوسلو ويحوي عددًا من سفن الفيكينج. (المترجم)

- هل كل شيء على ما يرام؟

أجابتني بابتسامة فاترة:

- نعم، في الواقع هناك بعض الأخبار الجيدة بشأن جهة التبني.

غاص قلبي في صدري. بتلك السرعة؟ لا توجد أخبار تصلح أن تكون أخبارًا جيدة بشأن التبنِّي. إذن، هذا أناني جدًّا منك. فكِّري في تيرابيثيا!

- أوه حقًّا؟ وما هي؟

- هناك زوجان مهتمان. سوف نلتقي بهم أنا وچيف يوم الاثنين. هل أنتِ بخير يا دودي؟ تبدين شاحبة حقًّا.

- نعم، أنا ... حسنًا، من الصعب التفكير في ... كلا، أعني، إنه حقًّا، حقًّا...

يا إلهي! هل كنت على وشك البكاء؟ لا لم أكن! كَبتُّ غضبي وأطلقت صريرًا.

- هذا يبدو واعدًا.

قالت ماكي:

- لقد اعتقدنا ذلك أيضًا.

إلا أنها بدت بائسة بالضبط كما شعرتُ.

- إذًا تعرفين عنهم؟

- حسنًا لنرَ: الزوج يدرِّس علم الحفريات في جامعة فيرفيلد، والزوجة تعمل في مؤسسة غير ربحية متخصصة في التمويل المصغَّر لدول العالم الثالث.

ناولتني ماكي صورة، قائلة:

- هذان هما جِيد وإيلين.

بدا لائقًا مثل عدَّاء، بشعر مرتب، قصير جدًّا على الجانبين وكثيف في أعلى الرأس. كانت عيناه طيبتين. كان شعر زوجته غير عصري لكنها لم تبدُ سيدة مملة. كان هناك شيء ما في فمها بدا حاذقًا، وربما قاسيًا. كنت على

وشك الإفصاح عن قلقي عندما لاحظت تعبير ماكي. لم أستطع فعل ذلك. بدت متفائلة للغاية.

- يبدو أنهما سيكونان لطيفين، أليس كذلك؟

شيء ما انكسر بداخلي بينما همست:

- بالتأكيد.

بعد لحظة مخجلة، عرضتُ أن آتي يوم الاثنين.

- أشاركك أنتِ وچيف رأيًا ثانيًا؟ أو ... رأيًا ثالثًا؟ أو أعتني بـــ بوو حتى تتمكني أنتِ وچيف من التركيز؟

- شكرًا يا عزيزتي، سيكون الأمر على ما يرام. قد يكون من الأفضل ألا يوجد حينها الكثير منا حتى لا يتأثر تيرابيثيا. إلى جانب ذلك، إنه مفتون بكِ جدًّا لدرجة أنه ربما لن يهتم بجيد وإيلين.

- هل ستقدمينهما إلى تيرابيثيا؟

كان الأمر برُمَّته يمضي على نحو سريع للغاية. تجعد جبين ماكي.

- هل تعتقدين أن الوقت مبكر جدًّا؟ ربما ينبغي أن نلتقي أنا وچيف بهما أولًا، بعد أن ذكرتِ ذلك.

قلت بجدية:

- فكرة جيدة.

إذا التقى جيد وإيلين مع تيرابيثيا سيفشلان. لكنني سئمت من تخريب نفسي عند هذا الحد لدرجة أنني اضطررت إلى الخروج من هناك.

- اسمعيني، يجب أن أعود إلى المنزل، لكن دعيني أعرف كيف ستسير الأمور يوم الاثنين، حسنًا؟

- بالطبع سأفعل.

سألتها:

- متى سيكون موعد لقائكم؟ فقط بدافع الفضول.

نظرت إليَّ ماكي بغرابة. أوضحتُ:

- أريد أن أتأكد من عدم الاتصال بكِ حينها كيلا أقاطعكم.

- سيكونون هنا نحو الساعة الثالثة والنصف.

عانقتها وتمنيت لها حظًّا سعيدًا.

بعد المدرسة يوم الاثنين، كان يومًا لطيفًا خصوصًا لقيادة السيارة. أسرع طريق للعودة إلى المنزل سيأخذني نوعًا ما عبر منزل ماكي وچيف. لم يسعني إلا أن ألاحظ أن الساعة كانت 3:07. فكرتُ ربما ألقي نظرة خاطفة على جيد وإيلين. نظرة صغيرة فقط.

من الأفضل أن أكون متوارية عن الأنظار. لم أرغب في إفساد الأمور على الرغم من كل شيء (حسنًا حسنًا، لقد رغبت في ذلك نوعًا ما، لكنني في الواقع لم أكن لأتصرف بمثل هذا الجنون). لأكون أكثر حرصًا، أوقفت سيارتي في الشارع، وقفزت عبر السياج إلى ساحة الجيران، وتسللت حول مؤخرة منزل ماكي وچيف.

اختبأتُ مباشرة أسفل إحدى نوافذ غرفة المعيشة محاطة بفِرَاش من الزهور، وأنا حريصة ألا أوذي أيًّا من النباتات. تأخر جيد وإيلين دقيقتين. ها! يا له من انطباع أولي جميل، أخرجتُ كتابًا من القصص القصيرة من حقيبتي. من الأفضل أن أستغل وقتي.

بعد لحظة توقفت حافلة صغيرة زرقاء في الممر. لاحظت على مضض أنها تحوي مكانًا مخصصًا لطفل.

لم أتمكن من رؤية جيد وإيلين يدخلان المنزل دون مغادرة موضعي والمخاطرة برؤيتي عبر النافذة، لذلك انتظرت ثلاث دقائق مليئة بالعذاب في أثناء قيامهما بالتعارف في القاعة، ثم تقدما بصحبة ماكي وجيف إلى أريكة غرفة المعيشة. كان جيد يرتدي قميصًا شاحبًا باللونين الأزرق والأبيض وسروالًا أزرق سماوي. ارتدت إيلين فستانًا طويلًا بياقة وأكمام واسعة. بدت وكأنها هاربة من طائفة دينية من لورا أشلي[1]. هذا لا يعني شيئًا. أنتِ من بين

---

(1) لورا أشلي كانت مصممة أزياء من ويلز، امتازت تصميماتها بالأسلوب الرومانسي الإنجليزي واستخدام الأنسجة الطبيعية. (المترجم)

جميع الناس، يجب أن تعرفي ألا تحكمي على كتاب من غلافه. كنت سأكون محايدة، ولأجعل نفسي فخورة، عقدت العزم، وأنا أتجنب فكرة أن التجسس على اجتماعهم لم يكن بالضبط...

ماذا؟ ما هذا بحق هنري هيغينز؟[1]

انحنت ماكي والتقطت تيرابيثيا، الذي لا بد أنه كان في مشَّاية الأطفال. استغرق الأمر مني مجهودًا كبيرًا حتى لا أطرق على النافذة وأصرخ: «ظننت أنكِ لن تقدميهم!».

كان وجه جيد وإيلين مرئيًّا بشكل جزئي فقط، لكن وضع جسديهما أوضح أنهما كانا يذوبان في تيرابيثيا.

أعدت التفكير «فم إيلين لم يبدو قاسيًا في النهاية. قد لا تكون جذابة للغاية. لكنني لم أستطع أن أنكر أن أعينها بدت رقيقة أيضًا».

كلا ...

بعد بضع دقائق أخرى، بينما كنت أتنقل بين الشعور بالذعر والاطمئنان، استدارت ماكي، وكان تيرابيثيا يواجه كتفها الآن. ينظر إليَّ مباشرة، أو على الأقل أعلى رأسي ومقلة عيني. ابتسم ابتسامة عريضة، وانفتح فمه. لم أستطع السماع من خلال الزجاج العازل للصوت، ولكن عندما تحرك فكه وضمه مرتين، علمت أنه كان يقول «دادا»!

عفوًا. كانت هذه الإشارة التي أنتظرها. تراجعت بسرعة في طرفة عين وتقدمت حول الجزء الخلفي من المنزل.

ناداني چيف:

- هل هذا أنتِ يا دودي؟

وأنا على وشك القفز من فوق سياج الجيران. احتقن وجهي وقلت:

- أجل.

---

(1) هنري هيغينز شخصية خيالية تدرس علم الصوتيات في مسرحية بيجماليون لجورج برنارد شو. (المترجم)

- هل كل شيء على ما يرام؟ لم نكن نتوقع قدومك اليوم.

- كنت آتية لزيارة تيرابيثيا، لكن بعد ذلك تذكرتُ ...

توقفتُ قبل أن أكمل الكذبة. بالطبع لم أنس زيارة جيد وإيلين. لقد جئتُ لأعترف. قلت وأنا أشعر بالخجل:

- كنت أتجسس على جيد وإيلين.

تقطب جبين چيف.

- إنهما على وشك المغادرة. لماذا لا تجلسين في المطبخ، وسأرسل ماكي إليكِ عندما يذهبان؟

- حسنًا.

عندما جاءت ماكي، حاولتُ أن أُحجم لساني.

- كيف سار الأمر؟ (سألتُها).

ولكن بعد ذلك أفلتت مني الكلمات:

- اعتقدتُ أنك لن تُجري تعارفًا بينهم.

حسنًا، لم نكن سنفعل، لكن كنا سنحتاج إلى جليسة أطفال، و ...

- كنت سأكون سعيدة بمجالسته.

- أعلم ذلك، لكن ...

رفعت ماكي حاجبيها، قبل أن تقول:

- الأهم من ذلك، ماذا كنتِ تفعلين وأنتِ واقفة خارج النافذة؟ لماذا كنتِ تتجسسين؟

- لم أقدر على الانتظار لمعرفة ما حدث، لكنني أعلم أنك قلت إنه سيكون هناك الكثير منا، لذلك فكرت أنني قد أراقب من بعيد.

- دودي ... (قالت ماكي ثم تراجع صوتها قبل تتوقف) أعلم أن هذا صعبٌ عليكِ أيضًا.

- ماكي، لا أعتقد أنني أستطيع تحمل فكرة أن يكون تيرابيثيا في مكان آخر. أنا آسفة، أعلم أن الأمر أصعب بالنسبة إليكم كأجداد له مقارنة بي، لكن ... أنا حقًّا أريد أن أتبنى تيرابيثيا بنفسي.

قلت مندفعة:

- ما رأيك؟

رمشت ماكي سريعًا مرتين.

- يا إلهي دودي! هذا ... هذا كثير لنستوعبه. لقد بدأنا بالفعل السير في هذا المسار مع جيد وإيلين، لسبب واحد. وأنا لا أعرف إذا ...

هدأ صوتها، ثم بدت وكأنها تفكر بشكل أفضل فيما ستقوله.

- دعيني أتحدث إلى چيف حول هذا الموضوع وأعود إليكِ، حسنًا؟

أجبتُ:

- بالطبع.

لكن ما الذي كنت أفكر فيه حقًّا؟ أنتِ تعرفينني جيدًا. لقد رأيتِ مدى اهتمامي به. ماذا تريدين أيضًا؟ ولكن أنا أيضًا أنظر إلى الأمر بغير عدل ومع نفاد صبر لا يلائم الموقف. كان هذا هو الطفل الوحيد لابنتهم الوحيدة. ولن يكون هناك آخر بعد الآن.

الفصل الثاني عشر

يوليو 2008

- دودي؟ أنا أبحث عن كتاب *سارقة الكتب*، الذي كان على قائمة مجلة النيويورك تايمز لأبرز الكتب في العام الماضي، هل أجده لديكِ؟ (سألت جيرالدين).
- أجل، ستجدينه في قسم الكتب الخيالية (أجبتُها).
- لا، ليس هناك (صححت لي بأدب).
- الكتاب للمؤلفة هانا تينتي. هل بحثتِ تحت حرف التاء في الكتب الخيالية؟
- أجل. ولم أجده نهائيًّا.
- لا أعتقد أن أحدًا استعاره، على الأقل ليس وأنا هنا. دعيني أتأكد.

سحبتُ رزمة من بطاقات المكتبة من على زاوية المكتب. ابتسمتُ عندما رأيت وأنا أقلب البطاقات الأختام ذات اللون الأحمر الداكن التي كان بعضها من مكتبة الاستعارة والبعض الآخر من المكتبات الأخرى التي عاشت بها الكتب قبل أن تأتي إلى هنا. وعندما أدركت أن هناك إحدى عشرة رزمة أخرى من بطاقات المكتبة في الدُرج، توقفت عن تلك الابتسامة.

- لا يمكنني إيجاد رواية *نيزرلاند* أيضًا على الرغم من معرفتي أن لولا قد أعادتها الأسبوع الماضي. أتعرفين ما إذا كان قد استعارها أحدهم مرة أخرى؟ (سألت روبيرتا).

لم أكن أعرف. قلَّبتُ بطاقات المكتبة مرة أخرى دون جدوى. على ما يبدو، نظامي العشوائي المكوَّن من ختم وتجميع بطاقات المكتبة والاعتماد على ذاكرتي لتذكر من أخذ أي كتاب ليس جيدًا بما يكفي.

- تفضلي. (قالت إلميرا وهي تمسك بيدها كتابين).

- مرحبًا إلميرا. لم أكن أعرف أنكِ هنا.

- لقد وصلتُ منذ خمس دقائق. على أي حال، سمعت محادثتكم ووجدت الكتابين اللذَين تتكلمان عنهما. وجدتُ الأول على طاولة الكتب العشوائية والآخر كان في رف الكتب غير الخيالية بالخطأ (قالت إلميرا).

ثم قدَّمت إلميرا الكتابين لكلٍّ من روبيرتا وجيرالدين. فختمتُ بطاقتيهما وأعدت لهم الكتب وأنا أشعر ببعض الانزعاج من ارتباكي.

- شكرًا لكِ إلميرا. ماذا كان سيحدث للمكتبة دونك؟

ابتسمتْ كأنها فائزة بجائزة اليانصيب. اعتصر قلبي بصدري، كانت أقل الأشياء تُسعدها، أقل الأشياء، وعلى الرغم من هذا، دائمًا ما تخذلها أمها البائسة عاطفيًّا، فقد ألحقت إلميرا بمدرسة صيفية على الرغم من أن علاماتها كانت من بين الأفضل في صفها. وبتلك الطريقة لن تضطر هي وزوجها المُحب مثلها تمامًا من الانزعاج بتسلية إلميرا عندما يرغبان في التسكع بالقرب من مسبح نادي المدينة مع شقيقها الأصغر الذي قد ألقوا به في حضانة الرعاية هناك، أو –في حالة والد إلميرا– الصياح على مرؤوسيه في المكتب عبر هاتفه المحمول عندما يكون عند مسبح نادي المدينة.

- ربما كنتُ في حاجة إلى نظام تصنيف أفضل (قلتُ متسائلة).

- أو نظام تصنيف من البدء، نقطة ومن أول السطر (قالت إلميرا مازحة).

- أجل، أعتقد ذلك. هل لديكِ أي أفكار؟ (أجبتُها معترفة).

كان الحماس في عينيها قد اشتعل لذروته عندما قالت:

- ماذا لو أنشأنا نظام تصنيف عبر الإنترنت؟ وتوفير قارئ الرمز الشريطي؟ يمكنني البحث عبر جوجل عن كيفية ربط الاثنين بعضهما

ببعض. وأعرف جيدًا أنكِ لا تُفضِّلين استخدام الطرق الإلكترونية، لكنها ستُسهِّل الأمور هنا كثيرًا.

- ربما أنتِ على حق. لكنني لا زلتُ بحاجة إلى الختم الخاص بي.

- لا أحد سيأخذ الختم الخاص بكِ.

قالت كندرا عندما دخلت إلى المكتبة وجلست على حافة مكتب التوزيع، ثم وجَّهتْ الحديث إلى إلميرا:

- مرحبًا إلميرا. هل تُحاولين إقناع دودي بالدخول إلى القرن الواحد والعشرين أخيرًا؟

- لن ألغي الختم الخاص بي نهائيًّا (أعلنتُ لكليهما).

- لكنه سيكون قديم الطراز بمجرد أن تغْدي كل شيء على نحو إلكتروني (قالت كندرا).

- كلا، لن يكون قديم الطراز.

- إذًا اشرحي لنا (وجهتني كندرا للحديث).

كانت إلميرا تشعر وكأنها تقف في موقف حرج، وكأن روحها الرقيقة في صراعٍ شائك بين رؤيتي الرومانسية للمكتبة والحقيقة العملية لأوقات الذكاء التكنولوجي الحديث.

- يبدو ... حسنًا، تبدو مثل ... المملكة المتحدة (قلتُ متهتهة).

- كيف ذلك؟ (مازحتني كندرا).

- قارئ الرمز الشريطي مثل... مم... البرلمان. إنه نظام متوازن. ويبدو الأمر منطقيًّا. إنه أكثر... حداثة. لكن لا زال هناك مساحة لأجل... مم... الحُكم الملكي (قلتُ موضحة).

- إذًا فالختم هو ملكة إنجلترا؟ (قالت كندرا مستوضحة).

- أجل.

- أي واحدة؟ (سألت كندرا).

- ربما الملكة إليزابيث الثانية. على الرغم من أنني لا أعرف بالتحديد، فإن الملكة فيكتوريا كانت دائمًا الملكة المفضلة ... لذا من الصعب جدًّا الاختيار.

انفجرت كلٌّ من كندرا وإلميرا ضحكًا. يا إلهي! لقد كانت تسخر مني. كانت كلتاهما تسخران مني. احمرَّ وجهي، وبحركة لا إرادية أحكمتُ قبضتي على الختم الخاص بي بحماية.

- على أي حال. إلميرا، هل ترغبين في مساعدتي في إنشاء نظام تصنيف إلكتروني؟ (حاولتُ تغيير مسار النقاش).

- أجل! هل يمكننا أن نبدأ الآن؟ لا أحتاج إلى أن أكون في المنزل قبل ساعة أخرى.

دفعتُ جهاز حاسوبي المحمول إليها، ثم قلتُ:

- بالتأكيد. هل ترغبين في البدء بإدخال أسماء الكتب، ثم سنستكشف البقية لاحقًا؟

ساعدتُها في الجلوس إلى الطاولة وبجانبها كأسٌ من الماء البارد، وبدأت إلميرا في الكتابة وإدراج الكتب من الذاكرة. غمرني شعورٌ بالارتياح أن أمنحها شيئًا مفيدًا لتفعله، وسببًا لتبقى خارج المنزل أطول فترة ممكنة. كنتُ أشعر بسعادة مماثلة للتركيز على المكتبة فضلًا عما سيقوله ماكي وچيف ردًّا على اعترافي وعرضي المُرتجل. كنتُ قد قرأتُ صفحات قليلة من كتاب *حلول السلام* للكاتب المُعلِّم البوذي ثيت نات هانه، وحاولتُ عدم التركيز على الأمر.

***

بعد أيامٍ قليلة، هاتفتني ماكي وطلبت مني القدوم إليها.

عندما جلسنا على الأريكة قالت ماكي:

- لقد تُحدثت أنا وچيف بالتفصيل عما طلبتِه منَّا. ونتشرَّفُ بعرضكِ لتبني تيرابيثيا. هذه الخطوة تعني الكثير لنا. وأعلم أنها كانت ستعني الكثير أيضًا لسوليفان. لكن الآن، نشعر أننا في حاجة إلى التعرف أكثر على جيد وإيلين والتفكير في تبنِّيهما لتيرابيثيا.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة لم تخفَ على أحد قبل أن أقول:

- هل يمكنني معرفة السبب؟

- حسنًا، نعرف أن نياتكِ جيدة، لكن التبني أمرٌ كبير جدًّا فضلًا عن أن تطلبيه من أحدهم. وجيد وإيلين هما شخصان صريحان تمامًا بشأن حقيقة أنهما يُحاولان إنجاب طفلٍ منذ عشرة أعوام ولم ينجحا في ذلك، يرغبان في أن يُصبحا والدين لطفلٍ أكثر من أي شيء آخر في العالم. أعلم أنهما كانا يستعدان لتلك اللحظة منذ وقتٍ طويل. لحظة وجودِ طفل بحياتهما والاعتناء به وبمدرسته. أعلم أنهما الآن على استعداد لخوض الرحلة. بينما أنتِ! هل أنتِ متأكدة من رغبتك في تبني طفل؟

- أجل (أجبتُ بصدقٍ وحماس).

- لكن هل ترغبين في طفلٍ الآن؟ هل أنتِ مستعدة؟

عبس وجهي. أعلم أنها تسأل عن المال. والحقيقة هي أنني لا أملك رفاهية الإجابة بالموافقة في تلك اللحظة. لقد كانت الأمور صعبة عليَّ في تلك الفترة. وأحاول تغطية فواتيري وفواتير المكتبة لكن بالكاد يُفلِح الأمر.

عندما رأت ماكي تعبيرات وجهي، استمرت في حديثها بلطف.

- هل تُريدين فعل ذلك بمفردك؟ لقد بدأتِ للتو علاقة جديدة. وأتمنى لكِ أن يستمر الأمر. لكن أرجو أن تُفكري في الضغط الذي سيفرضه هذا الأمر على تلك العلاقة؛ ضغط وجود طفلٍ جديد. وماذا لو لم يُفلِح الأمر؟ لا يعني هذا أننا نرى أي أسباب نعتقد من خلالها أن العلاقة لن تنجح. هل أنتِ مستعدة لتكوني أمًّا عزباء؟

- لقد فعلت سوليفان ذلك من قبل.

- هذا صحيح. هذا ما اختارته بنفسها. وكانت تعرف جيدًا أنه سيكون من الصعب عليها أن تتعرف إلى أحدهم، وأنها طوال المستقبل القريب ستضع احتياجات تيرابيثيا أولوية عن احتياجاتها. أهذا ما ستختارينه؟ (قالت ماكي).

كنتُ صامتة. فقد كان هناك الكثير لأُفكر فيه. ومن الواضح أنني لم أُفكر في كل جانب من جوانب عرضي. لكنني الآن متأكدة مما أريده. كان هناك شيء واحد واضح لي وضوح الشمس: لن يمنحني ماكي وچيف مهلة انتظار حتى أتمكن من التفكير في الأمر. وأنهما سيستمران مع جيد وإيلين. وسيكون خطأ كبيرًا مني إن لم أدعم هذا الخيار. وبخاصة لأجل تيرابيثيا.

تنهَّدتُ قبل أن أسألها:

- إذًا ماذا سيحدث الآن؟

- سنبدأ في إجراءات المعاملات الورقية للتبني.

- أوه. رائع. هذا شيءٌ جيد، أليس كذلك؟

خرجت الكلمات من بين أسناني المنطبقة على بعضها.

- أجل، أعتقد ذلك.

- حسنًا، هذا جيد (قلتُ).

سادت فترة غريبة من الصمت بيننا، قبل أن تصدر عن ماكي نحنحة بسيطة. لذلك قررتُ أن أعفوها من الأمر.

- عليَّ الذهاب الآن. شكرًا لكِ على صدقكِ معي (قلتُ).

- شكرًا لكِ على محبة بوو وعلى عرضك الكريم لنا (قالت ماكي بينما كانت تربت على كتفي).

قبل أن أُغادر منحتُ تيرابيثيا عناقًا طويلًا، ثم اتجهتُ نحو المنزل.

بينما كنتُ أسكب لنفسي كأسًا كبيرة ممتلئة من النبيذ، رنَّ جرس الباب، فإذا به أنوب يحمل على وجهه ابتسامة عريضة.

- أنوب، أنا سعيدةٌ جدًّا لأجلك! كنتُ أتمنى أن أكون بالمنزل عندما تأتي لتسليم البريد حتى أُهنئك.

قلتُ بينما يعلو وجهي الابتسامة الأولى الحقيقية منذ أيامٍ طويلة.

- شكرًا لكِ آنسة فيرسيل. إنها فتاة محبوبة، وأنا رجلٌ محظوظ لأنها وافقت على الزواج (قال أنوب).

- يا لك من متواضع! إنها فتاة محظوظة أيضًا. وابتسامتك هي دليل ذلك.

كان أنوب يهز رأسه نفيًا:

- هذه الابتسامة لأجلكِ أنتِ. هذه البطاقة البريدية جاءت لأجلك.

سلَّمني أنوب تلك البطاقة بلهفة، ثم قفز نحو السُّلم ليقفز درجتين في مرةٍ واحدة.

كان الوجه الأمامي يحمل رسمًا مُبسطًا لطائرة. أما عن الوجه الخلفي، فبجانب عنواني، لم يحمل سوى ثلاث كلماتٍ فقط: «عائدون إلى الوطن»!

***

- كوكو العظيمة عائدة أخيرًا!

أخبرتُ شيب بينما كُنَّا نتناول أرز القريدس المقلي المخلوط بعصير الأناناس في تلك الليلة.

- رائع! متى؟ (قال مبتسمًا).

- بعد أسبوعين من الآن.

- لا أُطيق الانتظار حتى ألتقي بها وبمارك.

- ما رأيك أن تلتقي ببقية عائلتي؟ هل ستأتي برفقتي؟ (سألتُه).

أومأ شيب موافقًا:

- بالطبع.

بينما كان يُضيف المزيد من الأرز من المقلاة إلى طبقه وطبقي.

- مرحى لهذا!

غمرتني رعشة من الإثارة. لقد كان هذا أمرًا مهمًّا للغاية.

- أعلم ذلك! الحق أنني لا أطيق الانتظار حتى أُغادر المدينة.

ماذا؟ لم يكن هذا ما توقعتُ أن يقوله. على الرغم من أن الأمر حقيقي بالنسبة إليَّ أيضًا، وبخاصة بعد جواب ماكي.

- حقًّا؟ هل مفاتن الصيف في شاتسورث ليست كافية بالنسبة إليك؟ (سألتُه).

- كلا، لا يتعلق الأمر بذلك. لا أدري، لقد زادت الضغوط في الآونة الأخيرة.

- في العمل؟

- أجل، في العمل.

ظهرت على وجه شيب رعشة غريبة، ثم أطبق عليه الصمت لوهلة من الزمن قبل أن يُجيب.

- هل هناك شيء آخر؟

- كلا، إنها فقط أمورٌ تافهة (ثم لوَّح بيديه متجاهلًا الأمر).

- حسنًا، إن كان هناك أي شيء تريد التحدث عنه، ستجدني بجانبك.

قلتُ في محاولةٍ مني لاسترداد عقله المشغول.

- شكرًا لكِ دوو. أنا بخير حقًّا. وأشعر بالحماس كثيرًا لعطلة العودة إلى الوطن الوشيكة.

ربما كان الشيء المُطمْئن هو موافقته على المجيء معي دون التفكير في الأمر. أو فكرة أنه لن يكون عدلًا أن أُقحمه في عائلتي الثرثارة دون أن يعرف أي شيء عن تاريخنا. لقد حان الوقت لأخبره عن أبي الذي ليس أبي.

- شيب، هل تدري في كل مرة أُخبركَ فيها قصة عن عطف أبي، دائمًا ما تبتسم في وجهي وتقول هذا الشبل من ذاك الأسد؟

ابتسم شيب مُجيبًا:

- أنتِ كذلك.

- حسنًا، أنا لستُ هذا الشبل ولا ابنة ذاك الأسد.

- بالتأكيد أنتِ كذلك. وأعلم أنكِ متواضعة مثله تمامًا (قال شيب).

- كلا. في الحقيقة، إنه ليس ... أعني، والتر ليس أبي الحقيقي (قلتُ).

اتسعت عينا شيب على الفور، فأضفتُ موضحة:

- إنه زوجُ أمي.

- أوه. إذًا من يكون والدكِ الحقيقي؟

كان شيب يراقب تعبيرات وجهي بعناية.

- لقد تركنا عندما كُنتُ في عُمر الرابعة (أجبتُ).

لم ينِد عن شيب أي استجابة طوال دقيقة كاملة.

- هل أنتَ غاضب؟ (سألتُه).

- كلا. لكنني متفاجئ أنكِ لم تُخبريني بذلك في وقتٍ أقرب. لماذا لم تُخبريني بأي شيء من قبل؟

- لا أدري. لم أرغب في أن تشعر بالضغط وبخاصة أن الأمور لا زالت جديدة بيننا (قلتُ).

- ماذا تعنين بالضغط؟

- الضغط عليكَ للبقاء ... حتى لا تتسبب في جرحي.

ضحك شيب حقيقةً قبل أن يُجيب:

- دوو، هذا هراء.

- ليس كذلك. أنتَ رجلٌ لطيف، وإذا علمتَ أنني قد عانيتُ شعور الهجر من قبل، ربما ستظل بجواري حتى وإن كنتَ غير مهتم.

- ماذا؟ تقصدين للأبد؟ كلا. هذا تصرفٌ لن أفعله حتمًا. أو يفعله أي شخص أعرفه.

- إذًا هل أنتَ مهتم؟

قلتُ مازحة، فقد كنتُ في أمس الحاجة إلى تغيير النقاش.

- ليس تمامًا. فأنا هنا من أجل المخبوزات.

وكزته وكزة خفيفة.

- في الحقيقة، لديَّ بعض الأسئلة. هل رأيتِهِ منذ أن غادر؟ (سأل شيب).

- كلا، لم يعد جزءًا من حياتنا. ولم يكن من قبل (أجبتُه).

- هل رغبتِ مرة في التحدث معه؟ لترَي ما الذي كان سيقوله دفاعًا عن نفسه؟

- ليس تمامًا. فقد رفضني بالفعل من قبل. ولا أحتاج إلى إعادة تجربة هذا الشعور.

بدا شيب مستغرقًا في التفكير، كما لو أنه يُرتب الأمور بعضها مع بعض في رأسه.

- لا بد وأن هذا الأمر قد ترك أثره عليكِ.

- أجل، لقد ترك أثره. وصار من الصعب عليَّ الوثوق بأي شخص أكون على علاقة معه (اعترفتُ).

أخذ شيب بيدي ممسكًا إياها، ثم قال:

- هذا مفهوم. لكن يمكنكِ الوثوق بي. ويمكنكِ أن تتحدثي معي في أي شيء أيضًا، اتفقنا؟

كنتُ صامتة. ربما كان عليَّ إخباره بشأن تيرابيثيا. كلا. ما الفائدة من ذلك؟

- شكرًا لك!

- لا عليكِ. والآن أخبريني عن المنزل الذي نشأتِ به. هل سيكون هناك مُلصقات للفرق الموسيقية من الذكور على حوائط غرفتك؟ هل سأنام في غرفة بمفردي، أم سيسمح لي أبواكِ بمشاركة فراشكِ ذي القبة الصغيرة؟

***

- هل أنتِ متأكدة من أنها فكرة جيدة أن تتركي شيب مع مادي بعدما تعرفا بعضهما على بعض مباشرة؟

سألت أمي بينما كانت تُلقي نظرة على الحجرة، حيث بدا وكأن الاثنين يقضيان وقتهما في مسابقة إيماءة اليد الكُبرى.

ضحكتُ بينما كنتُ أُقلِّب صلصة السبانخ والخرشوف حتى ذابت كريمة الجُبن.

- ليس وكأنني أمتلك الخيار في ذلك. لا يمكنني أن أنطق بكلمة واحدة على كلا الجانبين. بمجرد أن علَّق شيب عما إذا كان فريق اليانكس

دائمًا ما يُزيفون اللعب الرديء في بداية العام للتخلص من المنافسة، لم تنتظر مادي واستمرت في التعليق على ريد سوكس بعدِّهم عديمي الفائدة ... لم أكن قط لأتدخل في نقاشٍ كهذا. الأهم هو أنهما يضحكان، لذلك لا أعتقد أن الأمر سيسوء إلى حد العنف.

رنَّ جرس الباب. فصِحتُ مسرعةً إلى الرواق ومندفعةً حتى أفتح الباب.

- كوو! (قلتُ).

- دوو! ماد!! (صاحت كوكو).

صارت شقيقتي بين أحضاني. شقيقتي الصغرى! وخلال دمعات الفرح المنهمرة على وجهي، كان بإمكاني أن أرى شعرها الذي كان طويلًا أكثر من أي وقتٍ سابق؛ بدا وكأنه على وشك الوصول إلى خصرها، وكان سميكًا وتظهر عليه آثار الشمس. وعندما انتهيتُ من عناقها، ألقيت بذراعيَّ حول مارك. كان شعره طويلًا أيضًا. كان أبي قد جاء ليلتحق بحفلة العناق المُقامة. أما شيب فقد وقف عند ممر الباب من الحجرة مبتسمًا وقد ترك لنا مساحة لنعيش تلك اللحظة.

- كيف حالكما؟ أخبرونا كل شيء!

قالت مادي بينما كنَّا نتجه جميعًا نحو الأرائك.

- إذًا أنتَ شيب.

قالت كوكو وكانت عيناها تلمعان بينما كانت تنقلهما ذهابًا وإيابًا بيننا.

- هذا صحيح. سعيدٌ بمقابلتكما أخيرًا.

في وقتٍ لاحق عندما كنتُ أنا وشيب نراقب كوكو ومارك في الحفل، همس شيب في أُذني:

- تبدو كوكو مختلفة عن الصور التي أريتني إياها. يبدو الاثنان مختلفَين.

كانت كوكو تُلوِّح لنا بكأسها. كان فستانها باللون الأزرق البرَّاق الذي يُظهر لون عينيها، وشعرها مسحوبًا إلى الخلف ليُظهِر تفاصيل وجهها بدبوسي شعر، الحرارة المرتفعة في الغرفة قد تسببت في هروب بعض

خصلات الشعر من دبابيس الشعر. وكانت يد مارك تستقر بلطفٍ على ظهرها أعلى خصرها مباشرة؛ كان الارتباط بينهما ملموسًا على الرغم من أن أيًّا منهما لا ينظر باتجاه الآخر.

تطلعت كوكو نحوي ثم غمزتني بعينيها. حاولت أن أغمزها بعيني أيضًا. وبينما كنتُ أراقبها وهي تكبح ضحكتها على حماقتي، لاحظتُ أن حولَ عينيها الجميلتين قد ظهرت مجموعة جديدة من الخطوط الدقيقة تخرج من زاوية عينيها. وكان مارك يمتلك زوجًا مشابهًا منها. كانت تلك الخطوط دقيقة حتى إنها ستبدو غير ملحوظة لأي شخص آخر عدا فرد من أفراد العائلة. وعلى الرغم من ذلك، إنهما هنا الآن، يرويان قصصًا لم نسمعها بعد عن تجاربهما في الغابات. كان شيب وأمي والجميع على حق؛ لقد تغيَّرا.

هناك شيء آخر أيضًا؛ قبل رحلتهما، كانت كوكو دائمًا تمتلك طريقة ما لتكون فاتنة ووديعة في الآن نفسه. وعندما تروي حكاية –وكانت راوية قصص رائعة– كانت دائمًا ما تُشير نحو بطنها، باتجاه جسدها، كما لو أنها تحمل سرًّا ما هناك أو –ربما– كما لو أنها مُحرجةٌ قليلًا لتكون مركز الاهتمام.

أما الآن، على الرغم من أن كتفيها يتدليان قليلًا من تعب السفر، كانت تتقاذف ذرات الهواء بأناملها مُكوِّنة دوائر كبيرة للخارج عندما كانت تصف التضاريس في هذه البلدة أو تلك، أو تصف هذا الشخص الذي ساعدوه أو ذاك. لقد كانت إفريقيا هي من منحتها مسحة الثقة بالنفس الجديدة. وكان مارك مثلها تمامًا.

مال مارك برأسه ليستمع إلى ما يقوله والدي. وقد كان مارك مستمعًا جيدًا. عندما كانت كوكو تتطلع نحوه وتبتسم، بدا كما لو أنهما يتشاركان سرًّا ما. واختنقت الأنفاس في حلقي.

- أنتِ بخير؟ (سأل شيب).

أومأت بالإيجاب. والحق هو أنني قد نسيتُ تمامًا أنه يقف بجانبي مباشرةً.

- أجل، أنا بخير.

قلتُ على عجل، بينما كان صوتي يتطور في معزوفة موسيقية.

كنتُ أفتقد تيرابيثيا بشدة. وفكرتُ فيما إن كان سيحاول الوصول إلى النوافذ في الأعلى حتى أرفعه ليلعب بمقابض النوافذ، بينما يهذي بتلك الكلمات: «رائع رائع رائع رائع» في كل مرة يفتح المقابض ويُغلقها. كم عدد المرات التي سنتمكن فيها من فعل ذلك معًا قبل أن يذهب؟ كم عدد المرات التي سأجعله يضحك بقهقهاته الرقيقة حتى تُهاجمه الحازوقة.

في تلك الليلة، نام الشباب في غُرف النوم بينما أقمتُ أنا ومادي وكوكو حفلة مبيت على الأرائك في الطابق السفلي. لكن أولًا، أقمنا احتفالًا بينما كنا نتناول بقايا الطعام – بالطبع بقايا الحلوى.

- تلك الكعكات لذيذة للغاية.

قالت كوكو بينما تضع إحدى الكعكات في فمها من الطبق الذي أمامها ثم تُضيف نصف دزينة منها إلى الطبق مرة أخرى.

- أجل (قالت مادي موافقة، ثم أضافت) ما الذي وضعتِه فيها دوو؟ مقرمشات؟

- أعتقد أنه اللوز. لقد استخدمتُ حلوى اللوز بين الطبقات، ثم أضفتُ لها من المشمش المُجفف.

- أعتقد أيضًا أنه ربما لعدم الوصول إلى هذا المستوى من الملذات منذ وقتٍ طويل (أضافت كوكو).

- إذًا، ماذا الآن؟ (سألتُها).

- سنعود إلى حياتنا هنا (أجابت كوكو).

- هل تعتقدين أن كل شيء سيكون مختلفًا؟

- بالطبع. سنصبح أبوين عما قريب (أجابت كوكو بابتسامة مشرقة).

- مهلًا، هل هناك أخبارٌ سعيدة؟

- ليس هناك شيء ملموس بعد. لكننا كنا ننتقل من مرحلة لأخرى كلما استطعنا، بينما كنُا بعيدًا عن المنزل. أما الخطوة التالية هي الزيارات المنزلية، وأتمنى قريبًا أن تحدث الإحالة (أجابت كوكو).

- ماذا يعني هذا؟ الإحالة؟ (سألت مادي).

- عندما يُحددون لنا طفلًا مُعينًا، ثم يرسلون صورته أو صورتها.

جلس ثلاثتنا في صمت مُطبق نفكر فيما سمعناه لوهلة. كيف سيكون شعورنا عندما نرى الطفل –طفلهما– للمرة الأولى. أضاءت صورة في ذهني: سوليفان وهي تتطلع إلى صورة تيرابيثيا للمرة الأولى. كان بإمكان عقلي استحضار الصورة بسهولة، لكن ما لم أستطع تخيله هو شعورها والحب الذي كان يكبر بداخلها وتعرُّفها على كلماته الأولى. ربما فكرت بينها وبين نفسها: *أجل، هذا هو طفلي. لا أطيق الانتظار* حتى *أُحضره*. كانت معدتي تبدو كما لو أنها أُصيبت بطلقٍ ناري. حاولت وضع ابتسامة على وجهي. لأنني على الرغم من كل شيء، كنتُ سعيدة لأجل شقيقتي، ولأجل طفلهما المستقبلي.

لم يبدُ أن كوكو قد لاحظت أي شيء خاطئ.

- ماذا عنكِ أنت وشيب؟ هل تحدثتما عن حياتكما معًا؟ (سألتْ كوكو).

- ليس تمامًا. أعلم أنه يريد الأطفال حتمًا، لكنني لا أعتقد أنه مُتعجِّل لإنجابهم (أجبتها).

أتذكر جيدًا ما قاله بشأن كوين. بالتأكيد ليس متعجِّلًا لإنجابهم.

- أعني الزواج، ولكن حسنًا. هل تحدثتِ معه عما تُريدينه؟

- كلا. لا أريد أن أُزيد من ضغوطنا بأمورٍ غير ضرورية الآن.

- لكن أنتِ ترين مستقبلًا لتلك العلاقة، أليس كذلك؟

- أجل.

- وهل تعتقدين أنه يرى ذلك أيضًا؟ (سألت كوكو).

- أتمنى ذلك حقًّا (أجبتُها).

- حسنًا، لا تنتظري وقتًا طويلًا حتى تعرفي ما إذا كان جادًّا في تلك العلاقة أم لا (نصحتني مادي).

أجفلتُ بانزعاج. من هي مادي -ملكة الواقع الدائم- حتى تُقدم لي نصيحة في العلاقات؟

- لا تقلقي، لن أنتظر (بينما أُجبر ابتسامة مرسومة على وجهي).

في طريقنا إلى المنزل، فكرتُ في خطط كوكو للتبني. لن يكون الأمر سهلًا عليهما، ولكن لا شك في أنهما مستعدان لذلك. إنهما يدعمان بعضهما بعضًا. والأهم من ذلك في تلك الحالة: لديهما أموال خالة مارك. وفكرتُ في نفسي أنه ربما *كان أمرًا بشعًا أن أُفكر في شيء كهذا*. لكنها الحقيقة. لقد أنفقا القليل جدًّا من هذا المال على رحلتهما الإنسانية. بالإضافة إلى أن ميراث مارك يعني أنهما يمتلكان الوسائل لتغطية تكاليف التبني بالإضافة إلى تربية الطفل. أذكر أن ماكي قد أشارت إلى الأمر فقط، لكن عندما تحدثتُ مع كوكو بدا كل شيء واضحًا: لن أتمكن من القيام بذلك دون الكثير من الأموال. وليس لدي الكثير لأحتفظ به.

***

كنتُ وإلميرا نثرثر أمام مكتب التوزيع عندما لاحظت إلميرا قدوم ماكي وتيرابيثيا خلال الباب. صفَّقت إلميرا بيديها قبل أن تقول:

- أخيرًا قابلتُ الطفل الصغير!

ضحكتُ كثيرًا على كلماتها، فقد بدت كما لو أنها أكبر عُمرًا مما هي عليه في بعض الأحيان. لا أُصدق حقًّا أنهما لم يتقابلا من قبل، لكن ماكي عادةً ما كانت تُحضر تيرابيثيا في صباحات السبت، عندما يكون في حالة جيدة قبل أن يحتاج إلى الاستكانة في قيلولته. وكانت إلميرا عادةً ما تأتي بعد انتهاء اليوم الدراسي وكان عليها أن تُنهي واجباتها المنزلية في العطلة الأسبوعية قبل أن تتمكن من التسلل إلى هنا.

- مرحبًا بوو.

أخرج ذراعيه ليُقابلني حتى أحمله، ثم قلتُ:

- أود أن أُعرفك على صديقتي. هذه إلميرا.

- مرحباااا (قال مُدندنًا بينما يُحاول الوصول إلى شعرها).

صافحته إلميرا قائلة:

- مرحبًا. سعيدةٌ برؤيتك.

طرف بعينيه طرفةً بطيئة وحاسمة. فقبَّلته على أنفه وحملته إلى زاويته المفضلة، حيث تصطف أحواض الكتب اللوحية على الأرفف السفلى، تحت لوحة الملاحظات.

- هل تريد الوصول إلى كتابك المفضل؟ (سألتُه).

فبدت ابتسامة عريضة ناعمة على وجهه. اختفيت داخل الأروقة حتى بدت أسنانه الأربع السفلية البيضاء على وجهه.

- ناوليني هذا الحوض (قلتُ لإلميرا).

كانت تضعه على الأرض أمام بوو. وكالعادة يُمعن النظر فيه أولًا قبل أن يُمسك بالحوض ليسحبه إلى جانبه ويقلبه حتى ترتطم الكتب بالأرض.

- المزيد! (أمرَنَا بوو).

فمرَّرتْ إليه إلميرا الحوض التالي. ومرة أخرى، يُلقي بالكتب على الأرض.

- ضفدع! ضفدع!

قال بوو هاتفًا بينما يُلوِّح بذراعيه كما لو أنه طائرةٌ على وشك الإقلاع. وهناك –يختلس النظر من أسفل كومة الكتب– كان كتابه المُفضل دائمًا كتاب *الضفدع المُغفَّل*. وفي كل مرة بعدما يُغادر، أدفن هذا الكتاب أسفل أكوام الكتب والأحواض حتى تصبح لعبة الغُميضة أكثر متعة في الزيارة القادمة.

ثم نبدأ في قراءة الكتاب. أما اليوم، فتولت إلميرا شرف القراءة لبوو.

- إننا محظوظون لأنكِ قد انتقلتِ إلى هنا وأنكِ تهتمين بنا إلى هذا الحد. ولا أقصد الكتب فقط (قالت ماكي).

رسمتُ ابتسامة على وجهي قبل أن أقول:

- شكرًا. هذا لطفٌ منكِ.

بطريقة ما بدت الكلمات جوفاء، كما لو أنها نوعٌ من جوائز التعزية، على الرغم من أنها كانت هذا النوع من الأشياء الذي كنتُ أشتاق إلى سماعه قبل أن يأتي تيرابيثيا مباشرةً.

الفصل الثالث عشر

t.me/t_pdf مكتبة

أغسطس 2008

كان شيب قد خطط لرحلة مفاجئة لأجل المناسبة نصف السنوية لنا معًا. (حسنًا، المناسبة نصف السنوية للقائنا الأول، وقال إنه يعجز عن الانتظار حتى المناسبة السنوية لموعدنا الأول ... والأهم هو مَن أكون حتى أُجادل في ذلك؟) لم يكن حتى مسموحًا لي أن أحزم أغراضي بنفسي، فقد كان مُصممًا على إبقاء جميع تفاصيل الرحلة سرية. وتساءلتُ إن كان سينتهي بي الحال مرتدية ملابسي التحتية في مكانٍ ما في الشارع. كان طلبي الوحيد هو ألا يأخذني إلى التخييم.

بدلتُ منامتي القطنية ذات الحيتان الوردية لأرتدي ثوبًا نهاريًّا وردي اللون. عندما هبطتُ إلى الطابق السفلي، بدا متحمسًا، بنفس الطريقة التي يكون عليها عند ذهابه إلى الإبحار على باخرة جديدة. كانت السيارة مُحمَّلة بالحقائب بالفعل، وهناك إناءان من عصيدة الشوفان المجروش –هذا النوع الجيد الذي يستغرق إعداده نصف الساعة– يتصاعد منهما البخار على الطاولة، وتعلوهما قطرات من السكر البني وحفنة من التوت الأزرق.

- ذكرى سنوية سعيدة حبيبتي (قال شيب ثم طبع قبلةً على وجنتي).
- ذكرى نصف سنوية سعيدة، شيب (أجبتُه).

كنتُ أشعر وكأن عيد الحانوكا قد أتى مُبكرًا. تناولنا فطورنا في صمت متشابكي الأيدي. كانت هناك وردية مؤخرًا. لكنه منذ اللحظة التي يعود فيها إلى المنزل برفقتي، يبدو أكثر مرحًا، أكثر حضورًا مرة أخرى.

لم تكن هناك سلال في مؤخرة السيارة، مما يعني أننا ذاهبان إلى مكان حيث الطعام الشهي اللذيذ. وعلى الرغم من أننا تناولنا طعامنا للتو، كنتُ متحمسة لاستكشاف الخطوة التالية في الرحلة.

- تبًا شيب، أنا آسفة. لم أقصد الاستسلام للنوم (قلتُ عندما استيقظتُ بعد أكثر من ساعة).

- لا عليكِ. أُحب أن تكون مفاجآتي ناجحة حقًّا (أجاب شيب).

- حسنًا، هذه المرة ستكون ناجحة، لأنني لا أدري مطلقًا إلى أين نحن ذاهبون.

في تلك اللحظة، كُنًّا ننعطف إلى ممر السيارة في حانة على الطريق. حاولت عيناي البحث عن أي لافتة في الطريق، إلا أن شيب أوقفني؛ قارئًا أفكاري:

- لا يوجد. لكنكِ سترينها بعد دقيقتين تقريبًا، وستعرفين أين نحن.

كانت ساحة الاستقبال مُغطاة بعارضات خشبية مطلية باللونين الأزرق النيلي والعسلي، وزخارف تاجية بيضاء رقيقة حول النوافذ. بالطبع إننا بالقرب من مسطح مائي!

- مرحبًا بكم في حانة ميستيك!

قالت امرأة ذات شعرٍ مُجعَّد تقف خلف طاولة الاستقبال لتحيتنا بينما تعلو وجهها ابتسامة دافئة، وجهها يحمل سُمرةً طبيعية وعيناها بلون أزرق أشبه بزهرة ندى العنبر -لون السماء في لوحات كونستابل- يتألقان كما لو أنَّ زيارتنا هي بهجتها الحقيقية.

- ميستيك!

صِحتُ بينما ألقي بذراعي حول شيب. لقد كان يُحب ميستيك. وكنتُ أتمنى لو أدفع حياتي مقابل زيارتها منذ أن بدأ يحكي لي قصص ذكريات طفولته هناك مع أشقائه ووالدته ووالده. عانقني شيب؛ عناقه الخاص الذي يجعلني دائمًا أنسى ما حولي، حتى نسيتُ وجود سيدة الاستقبال. كان شيب يتمتع

بالسلطة التي تجعله يُنهي بعض الأوراق في ملف ما، يستقر على مكتب الاستقبال، حتى إنه قد عجز عن إخفاء ضحكته.

- مرحبًا، أنا جيمسون. شيب جيمسون (قال شيب لسيدة الاستقبال).

كان شيب قد مدَّ يديه للسلام. بدت المرأة مندهشة على نحو غريب من طريقته الودودة لكنها سرعان ما عادت إلى وعيها لتُصافح يديه.

- تفضل. تمتعوا بيومكم. وإذا احتجتم إلى أي شيء يمكنكم الاتصال بي.

قدمت إلينا السيدة مفاتيح الغرفة مُعلَّقة في شريط من الحرير المُضلَّع باللونين الأزرق والأبيض.

- شكرًا لكِ (قلتُ أنا وشيب في تناغم).

دفعتُ الباب المؤدي إلى غرفتنا وتقطعت أنفاسي في اللحظة التي التقطت عيناي فيها منظرًا طبيعيًّا للميناء الذي يُطل عليه الفندق عبر النوافذ.

- شيب!

صِحتُ بينما أُسرع ليلتصق أنفي بزجاج النافذة.

- انظري دوو.

قال شيب عندما استكشف بقية الغرفة.

- مدفأة!

صفَّقت بيدي وجلستُ على ركبتيَّ أمام الموقد بينما أتخيل الدفء ينبعث باتجاهنا في وقتٍ ما من الليل. وكان شيب قد اختفى عبر بابين آخرين ليستكشف الحمام.

- حبيبتي، تعالي إلى هنا.

ناداني شيب وقد بدا صوته بعيدًا للغاية.

- ليس قبل أن تُنهي ما تفعله.

قلتُ مازحةً بينما أنعطف عند الزاوية وعندها توقفتُ فجأة:

- أوه! يا! إلهي!

كان شيب يومئ بابتسامة شريرة تعلو وجهه. كان هناك مغطس فاخر، وتلمع من فوقه فقاقيع لتغطية الرخام الأبيض البرَّاق، حتى ننزلق بداخله.

- يمكننا أن ... (اقترح شيب).

منحته قبلة عميقة ووجدتُ بداخلي المقاومة الخارقة لأقول:

- مممم ... سيكون لدينا الوقت الكثير بعد أن يُخيم الظلام علينا.

- ماذا لو لم أرغب في الانتظار؟ (قال شيب).

قلتُ مستسلمة:

- مممم، ربما تكون على حق.

عندئذ بدا شيب مترددًا:

- كلا، أنتِ على حق، علينا أن نذهب. لا أطيق حتى أُريكِ المدينة.

فكَّ سحَّاب الحقيبة التي حزمها لأجلي -والتي كانت تستقر على فراشٍ رائع بقُبة عتيقة ووسائد جاكارد وغطاء سرير قطني بنقوشٍ دوامية وشراشف مليونية الخيوط- ثم ألقى إليَّ سُترة خفيفة، قبل أن يقول:

- دعينا نذهب.

لم يكن الطقس ليكون أفضل من ذلك؛ باردًا وجافًا تتخلله نسمات مالحة آتية من البحر. شاركني شيب قصصًا عن عُطلات عائلته في ميستيك كلما توقفنا عند الأماكن التي يُحبها، مثل متجر الألعاب ومتجر الهدايا التذكارية البحرية ومتجر حلوى الفادج. (حسنًا، لقد فعلنا أكثر من المرور بالمتجر. بل دعانا المالك إلى تذوق عينة من كل الأطعمة، وانتهى بنا الحال إلى شراء رطلٍ لأنفسنا ونصف رطل لكل واحد من أصدقائنا المُقرَّبين الستة عشر في شاتسورث).

تمكنا من إيجاد مكانٍ مناسب لتناول لفائف الروبيان في مطعمٍ يُطل على الماء. الحقيقة هي أنكَ لن تتذوق لفائف الروبيان الحقيقية حتى تذهب إلى نيو إنجلاند. كانوا يميلون إلى استخدام كعكات النقانق المشوية المُغطاة بالزُبد، والتي ترقد على جوانب الطبق الرئيسي، ثم يتم حشوها باللحم

المُغطى بالقليل من المايونيز. كانت لفائف الروبيان الحقيقية مشهورة بالبساطة الجميلة للقشريات؛ لذيذة المذاق حتى إنكَ لن تضطر إلى ارتداء الثياب النفيسة لتناولها. الحق هو أنني تناولتُ كل قطعة من القطع المُقدَّمة في طبقي إلى جانب البطاطس المقلية قليلة التكلفة التي طلبتُها إلى جانب طبقي والكثير من طبق شيب.

كانت المفاجأة التالية التي خطط لها شيب هي قضاء نصف يوم في رحلة على باخرة كبيرة. اتجهنا بوجوهنا نحو الشمس، كانت رحلة مليئة بالملوحة والروبيان وهواء البحر الذي كنَّا نستنشقه في استرخاء كما لو أننا لم نكتفِ منه.

ما كان غريبًا حقًّا هو أنه في الوقت الذي عُدنا فيه إلى الميناء، كانت الشمس لا تزال في كبد السماء، وشحب وجه شيب بالقرب من أنفه. لم يبدُ شيب شاحبًا قط بالقرب من أنفه. وحتمًا لا يُصاب بذلك على متن قارب. (على عكسي تمامًا، وقد كنتُ أشعر بالقليل من الدوار، وكنتُ قلقة بشأن الخروج إلى المياه الهائجة في اليوم التالي بعد أي عاصفة، لكن شيب قد أكَّد لي أنني سأكون بخير).

- هل أنت بخير حبيبي؟ تبدو شاحبًا قليلًا (سألتُه).

هزَّ كتفيه قائلًا:

- أنا بخير. ربما كانت لفائف الروبيان كثيرة، وبخاصة إذا كانت بجانب كل تلك البطاطس المقلية.

الآن صار القلق حتميًّا. أولًا، يتمتع شيب بمعدة فولاذية تقبل جميع أنواع الطعام. وثانيًا، لقد أكلتُ الكثير من البطاطس المقلية من طبق شيب. ويعرف أنني قد أكلتها. كان هناك خطبٌ ما بخلاف الموقع الذي نقف فيه الآن.

التفتُّ حول نفسي باحثةً عن أي عضو من طاقم السفينة لأطلب منه زجاجة مياه، فربما بدأ شيب يشعر بالجفاف. كان الجميع قد هبط عن السفينة، إلا عضو طاقم السفينة الأقرب والذي كان يحاول عقد الحبل حول شيء من

المفترض أن يُربَط الحبل عليه، حتى يحفظ السفينة من الطفو بعيدًا عن رصيف السفينة.

- ابقَ هنا للحظة. سأحضر لكَ بعض الماء (قلتُ).

وعندما تطلعتُ نحو شيب، كان قد تحرك بالفعل. كان لا يزال بجانبي مباشرةً عدا أنه كان جالسًا على ركبة واحدة.

جلستُ أنا أيضًا. وبدأتُ في التقاط أنفاسٍ هادئة واحدًا تلو الآخر. أخذ شيب بيدي اليسرى بين يديه وقال:

- دودي.

فقط بتلك البساطة، مثل جملة كاملة، بكل الاطمئنان والصدق في العالم.

- من الواضح أنني لستُ الشخص المناسب للخُطب الطويلة، لكنني أعتقد أننا نفهم بعضنا بعضًا دون الحاجة إلى النطق بما نشعر به. أنتِ الشخص الوحيد الذي يعرف عني أكثر من أي شخصٍ في هذا العالم –جوانبي الجيدة والمظلمة– وأتمنى أن تمنحيني فرصة حتى تعرفي كل شيء عني طوال ما تبقى من حياتنا. وأنا أيضًا أعرفكِ جيدًا، وأعرف محاسنكِ، والحق أنني رجلٌ محظوظ لأنكِ أفضل شخصٍ على هذه الأرض وبالكاد أرى أي جوانب مظلمة بداخلك، فقط تلك الجوانب التي تجعل منكِ إنسانًا بشريًا في أعين الجميع عدا عيني أنا. وإلى جانب كل يوم من الأيام التي قضيناها معًا منذ أن التقينا، كانت الأوقات التي قضيتها في ميستيك مع عائلتي، من أفضل الأيام في حياتي. الحق أنني عجزتُ عن التفكير في أكثر الأماكن المثالية حتى أطلبَ منكِ أن نجعل هذا اليوم أفضل يومٍ جديد في حياتي، وأن أطلبَ منكِ قضاء ما تبقى من حياتي معكِ.

أدخل يديه في جيب معطفه وأخرج عُلبة من القطيفة أرجوانية اللون تبدو مثل عُلبة أثرية عتيقة. وفي تلك اللحظة، كنتُ قد توقفتُ عن التقاط أنفاسي عبر أنفي وحاولتُ جاهدةً ألا أفقد الوعي.

- دوو! (قال شيب بينما يفتح العُلبة باتجاهي) هل تقبلين الزواج بي؟

- يا إلهي! (قلتُ لاهثة).

أعدتُ تكرارها مرة أخرى! عانقته بشدة مُطوِّقةً إياه بكلتا يدي حتى اضطر إلى أن يربت على ظهري لأُحرره من بين أحضاني.

- أجل! أجل! أجل! أجل!

صحتُ مرارًا بينما كان يضع الخاتم في إصبعي.

طوال فترة ما بعد الظهيرة، كُنَّا نُحلِّق في حالة من الذهول مثل طفلٍ صغيرٍ مُصابٍ بالدوار. كُنَّا قد ابتعنا أقماعًا من القهوة مخلوطة بشكولاتة حبات الفاكهة، وفكرنا في الاتصال بوالدينا، إلا أننا قررنا الانتظار حتى ما بعد العشاء لنتمكن من التلذذ ببضع ساعات من فقاقيع البهجة البسيطة من حولنا، قبل أن تبدأ عائلاتنا في طرح الأسئلة التي تتضمن أسئلة من قبيل متى كان ذلك وأين وكيف حدث. كنتُ مبتهجة من الأثر غير المألوف الذي تركه الخاتم حول إصبعي في الوقت الذي يُمسك فيه شيب – خطيبي! – بيدي بين يديه.

كان شيب قد اختار مطعمًا للمأكولات البحرية قديم الطراز لأجل العشاء.

- سأتناول دزينتين من المحار وبعضًا من القريدس المحشي المُحمص ... وأرجو أن تترك لنا قائمة الحلوى حتى يمكننا الاطلاع عليها فيما بعد (قال شيب).

- لم تعد تبدو شاحبًا بالقرب من أنفك.

قلتُ ساخرةً منه بعدما طلبتُ حساء الحلزون الصدفي وسمكة قديدة مشوية.

- كلا. إلى جانب ذلك، عليَّ تعويض البطاطس المقلية خاصتي التي أكلتِها بدلًا عني من قبل (عارضني شيب – خطيبي!).

بعدما تناولنا كل هذا الطعام ومقرمشات الفاكهة الصيفية، عُدنا مرة أخرى إلى الحانة. لم أُطق الانتظار أطول من ذلك حتى أُهاتف والديَّ.

- كنتُ أتمنى لو أن هناك طريقة لنقوم بمكالمة هاتفية جماعية مع شقيقاتي (قلتُ).

استغرق الأمر عدة أجراس حتى يُجيب أبي على الهاتف. ربما كانوا في طريقهم إلى المنزل بعد العشاء ومشاهدة أي فيلمٍ مع أصدقائهم، إنها طقوس ليلة السبت.

- مرحبًا عزيزتي. كيف كان يومك؟ (قال أبي).

- أبي، لقد تمت خِطبتي!

صحتُ عبر الهاتف بصوتٍ عالٍ يكفي حتى تسمع أمي التي تجلس على الكرسي بجانب أبي.

- مرحى، دودي وشيب!

قالت أمي كما لو أننا قد فزنا بمسابقة للتو. والحقيقة هي أننا بالطبع قد شعرنا كما لو أننا فزنا حقيقةً بمسابقة.

- أنا سعيدٌ للغاية لأجلكما. صافحي شيب من أجلي حتى أراه.

كان صوتُ أبي دافئًا ورصينًا. والحق أنني كنتُ سأفعل أكثر من ذلك بكثير عندما نعود إلى الحانة، لكنني لن أفعل ذلك نيابةً عن أبي.

- عانقيه من أجلي أيضًا! (قالت أمي بحماس. ثم أضافت) مرِّر إليَّ الهاتف، مرِّر إليَّ الهاتف.

قاوم أبي، فقال:

- أنا أيضًا أود سماع القصة بأكملها.

كان بإمكاني سماع همساتهما بينما كانا يتجادلان.

- يا رفاق! لماذا لا تتصلان بي عندما تعودان إلى المنزل؟ عندئذ يمكن لكل واحدٍ منكما استخدام أحد الهواتف فتسمعان القصة في الوقت نفسه مثل العادة.

كانت مادي بالخارج، لذلك حاولتُ الوصول إلى هاتفها المحمول. أما كوكو ومارك فقد طارا فرحًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وأعتقد أنني سمعتُهما يتصافحان مصافحة عالية بالكف. يبدو أمرًا تافهًا لكنه لطيفٌ ورائع.

ثم هاتف شيب والديه. قال والده بلباقة وجدية:

- هذا رائع يا بُني.

أما والدته فقد بكت وطلبت التحدث إليَّ لتُخبرني كيف هي سعادة شيب برفقتي. ثم هاتفنا جميع أشقائه. وبعد ذلك، عاد والداي للاتصال بنا، فأخبرتهما القصة بأكملها. باستثناء تلك اللحظة التي قلتُ فيها «تبًّا!»؛ كنتُ وشيب قد اتفقنا بالفعل على أننا سنحذف هذا الجزء من التاريخ الرسمي لنا، لكنه مرحَّبٌ به لاستخدامه مثل قوة نافذة عندما نتزوج إذا أصررتُ على اصطحابه إلى الأفلام التي تهتم للمرأة بدلًا من مشاهدة مباراة كُبرى.

وبعد ذلك أعطيته هدية الذكرى نصف السنوية؛ نسخة من كتاب *غادة الكاميليا* التي كنتُ قد ابتعتها عندما كنتُ برفقة مادي قبل أن نلتقي أنا وشيب، ثم قلت:

- هذا كتابي المفضل.
- أوه، رائع، حقًّا؟ الكتاب المفضل لأمينة المكتبة؟ لقد رأيتُ هذا الكتاب في كومة القراءة لكنني لم أكن متأكدًا إن كنتِ قد قرأتِه بعد أم لا (قال شيب).
- أنا أُعيد قراءته كل فترة.
- لا أُطيق الانتظار حتى قراءته أيضًا.
- إنه كتاب رائع، لكن حزينٌ للغاية. لذلك ربما ليس الآن، ليس ونحن نحتفل بخِطبتنا! (قلتُ ضاحكة).
- كنتِ جميلة وحزينة عندما التقينا أول مرة (قال شيب حالمًا بينما يُمسِّد يدي).
- لقد كنتُ كذلك بالفعل.
- هل أنتِ سعيدة الآن؟ (سأل شيب).
- كثيرًا (ثم توقفت لأقول ...) أنا أفتقدها.
- أعلم أنكِ تفتقدينها.

- كانت سوليفان لتكون مستاءة للغاية إن علمت أنني كنتُ أتحدث عنها الآن من بين جميع الأوقات بدلًا من الاستمتاع باللحظة (لم يسعني سوى الابتسام).

- أجل، وستكون على حق.

- إذًا دعنا نتوقف عن الحديث، وننزل إلى الجاكوزي! (قلتُ).

أصررتُ على العودة إلى المنزل يوم الأحد؛ كان جزء من الأسباب يدور حول شيب، فقد كان يستحق فترة من الراحة بعد تخطيطه الرائع لتلك العطلة... وجزءٌ آخر كان بسبب أنني قد حرمته تمامًا من النوم طوال ليلتين كاملتين.

أسندتُ يديَّ مباشرة إلى عجلة القيادة مما منحني منظرًا رائعًا للخاتم اللامع. كان شيب قد اختار خاتم أميرة فيكتورية، وجوهرة ألماسية صغيرة جميلة تستقر على مهدٍ من الأوراق المُزخرفة، كان المظهر بأكمله لطيفًا حتى لا يكون سخيفًا أو مبالغًا فيه حول إصبعي. كان بإمكانه أن يتقدم لخطبتي بخاتم تنظيف المواسير وهذا ما كنتُ أهتم به؛ أن يتقدم للخطبة. ولكن ما فعله كان يعني لي الكثير، فقد اختار ما كنتُ سأرغب فيه من بين آلاف الأنماط والمظاهر المختلفة.

- لا أصدق أنك احتفظت بالسر. لم يكن لدي أي فكرة. أين كان هذا الخاتم طوال الوقت؟ (قلتُ).

- لم أدعه بعيدًا عن ناظري، فقد كان في جيب سترتي.

- تعلمين أنني اعتدتُ أن أُعاني دوار البحر.

- بالمناسبة ... كيف أمكنك أن تعرف أنني لن أتقيأ في القارب؟

- لم أعرف.

- ماذا لو كنتُ قد تقيأت؟

ضحك شيب:

- ما كنتُ لأتقدم لخِطبتك عندئذ.

رنَّ جرس هاتفي.

- مرحبًا ماكي. هل سمعتِ الأخبار خلال شائعات شاتسورث؟ لقد كنتُ على وشك أن أُهاتفك.

- هل سمعتِ الأخبار؟ (سألت ماكي).

فقطب حاجباي، وفكرتُ *«ماذا؟»*

- أخبار خِطبتنا. أنا وشيب متحمسان للغاية (تعثرتُ قليلًا).

- خِطبتكما؟

- أجل!

- هذا... هذا رائع. أنا سعيدة للغاية لأجلكما.

قالت كما لو أنها مُجبرة على ذلك، فقد كانت هناك نبرة غريبة في صوتها، انقبضت معدتي على إثرها.

- هل كل شيء بخير؟ هل أنتِ وچيف بخير؟ كيف حال بوو؟ لا أُطيق الانتظار حتى أخبره!

- أجل، أجل، جميعنا بخير. هل يمكنكِ أن تُهاتفيني غدًا؟ عليَّ الذهاب الآن. مُبارك لكما. إننا سعداء لأجلكما (كررت ماكي قبل أن تُغلق الخط).

- دوو؟ ماذا يحدث؟ (سأل شيب بينما يتطلع نحوي).

- لا أدري. لقد بدت غريبة.

- ماذا قالت؟

- إنها سعيدة لأجلنا ...

- هذا منطقي.

- وشيء آخر عن أخبار جديدة.

- أوه، هل تعتقدين أنها بشأن تبني تيرابيثيا؟

- ربما (أجبتُ بينما كان صوتي يتصدع متقطعًا).

ربت شيب على يدي قبل أن يقول:

- هذه ستكون أخبارًا جيدة، صحيح؟

كنتُ صامتة طوال حديثه.

- صحيح؟ (قال شيب مرة أخرى بإصرار).

- أجل! (أجبتُ بصوتٍ مرتفع حتى قفزنا معًا).

كانت ماكي قد قالت «هاتفيني غدًا» لكن لا يمكنني النوم حتى أعرف ما الذي يحدث.

- دودي، مرحبًا. آسفة عما حدث من قبل.

- لا عليكِ. هل هناك ... أي شيء أردتِ أن تُخبريني به؟ قلقتُ من أن تكون لديكِ أخبار جديدة وقد قاطعتُكِ عنها.

- هناك أخبارٌ جديدة في الحقيقة (قالت ماكي ببطء).

كان قلبي يرتعش مكلومًا.

- قرر جيد وإيلين متابعة التبني، وقد أنجزا بالفعل سلسلة من الزيارات المنزلية، وسيبدآن الآن المعاملات الورقية النهائية، مما يعني أنه في خلال ثلاثة أسابيع سيكون التبني رسميًّا، وتيرابيثيا سيكون ...

كنتُ وماكي نشهق من النحيب. لم تستطع قط إنهاء عبارتها.

تيرابيثيا سيكون ... لهما.

تيرابيثيا سيكون ... قد غادر.

بعدما أجبرتُ نفسي على تهنئتها، وتظاهرت ماكي بالامتنان، أغلقت الخط وجلستُ مُحدِّقة إلى الهاتف حتى سحبه شيب من بين يدي.

- هل عملية التبني مستمرة؟

- أجل (أجبتُ).

ضغط على كتفي، ثم قال:

- سيكون كل شيء بخير.

- أعلم.

قلتُ بينما كنتُ أقف حتى أنظر إلى عينيه. كنا قد احتفلنا كثيرًا بخِطبتنا، فظللتُ أذكّر نفسي بذلك.

ثم انحنى شيب وهمس في أُذني:

- إننا سنتزوج.

وكان من الصعب ألا أبتسم بعد عبارته. مسَّد شعري بيديه، وقد ذُبت في ملمسها، بينما يميل وجهي لأعلى حتى أُقبل زوجي المستقبلي.

***

كنتُ أُحدق إلى السقف منذ الصباح الباكر، بينما أُبدِّل وضع جسدي كل فترة قصيرة على أمل أن أغط في النوم. لكن لم يُحالفني الحظ. طبعتُ قبلة على خد شيب، وبعد قضاء عدة ثوانٍ ممتعة أتذكر فيها كيف بدا الحال بينما أرقد في الفراش مع خطيبي(!)، ارتديتُ ثوبي وتوجهتُ نحو المكتبة. كان الكتاب الذي أردتُه هو *البتلات القرمزية والبيضاء*. أعدتُ قراءة المشاهد التي كنتُ أبحث عنها، تلك المشاهد التي تهتم فيها بطلة القصة بفتاة صغيرة ليست ابنتها. وكالعادة، كانت البطلة –شوجر– عاهرة (لكن لديها قلبًا من ذهب!)، وكانت قد اختطفت الطفلة. لم يدرك أحد كم هي أمٌّ جيدة عندما كانت تؤدي دورها كأم أفضل من والدي الفتاة أو أي شخصٍ آخر في الرواية.

سمعتُ طرقات على النافذة.

- إنها هنا!

كانت هناك ضحكات وشيء ما يشبه الصرير. فنهضتُ.

- ها هي العروس الجديدة.

كانت كندرا وجيرالدين يصيحان في تناغم عبر النافذة:

- افتحي الباب!

ابتسمتُ:

- ادخلا!

انقضَّت الفتاتان على جسدي في عناق جماعي. كانت كندرا تبتسم من الأذن حتى الأذن، بينما كانت تحمل في يديها حقيبة.

- لقد فكرنا في إحضار بعض الاحتفالات قبل أن تبدئي الحمية الغذائية للزفاف.

قالت كندرا مازحة، فقد كانت تعلم أنني لن أستطيع الابتعاد عن الطعام عالي السعرات لوقتٍ طويل، ثم أضافت:

- إنها من ...

صرختُ:

- بيليبي.

- بالطبع ستتعرفين على الشرائط الخضراء على الحقيبة!

نقلتُ ثلاثية *سيد الخواتم* التي تركها أحدهم على الطاولة لتوفير مساحة كبيرة لأجل حفلتنا الارتجالية. سحبت كندرا إناءً مُغطى بالبلاستيك. لقد اشتريا لأجلي حلوى البودينج بالموز! مرحبًا بك أيها الفطور! ثم ألقت كندرا إلى كل واحدة منّا ملاعق بلاستيكية، واتخذنا طريقنا في الإناء.

- هل أنتِ متحمسة؟

- بالطبع!

- ماذا حدث؟ (سألت جيرالدين).

- لا شيء! لا زلت في مرحلة المفاجأة (أجبتُ).

- أجل، يمكنني أن أرى كيف أن رجلًا مثله -مثير مُموَّج الشعر أزرق العينين مائلين للخضرة يُحب الكتب وذو مظهر رجولي سيصبح زوجك- يمكن أن يفعل هذا بأي فتاة. لا يعني هذا أننا لم نتوقع حدوث الأمر (قالت كندرا ممازحة).

- حقًّا؟ لأنني لم أتوقع.

- حسنًا، فقد كنتِ منشغلة حقًّا بصديق آخر صغير مؤخرًا (أوضحت كندرا).

تساءلتُ ما إذا كانت قد سمعت الأخبار من ماكي بعد. وبعد دراسة تعبيرات وجهها، أعتقد أنها لم تسمعها بعد.

- إذًا هل فكرتِ في موعد الزفاف؟

سألت جيرالدين، بينما سقطت قطعة من الموز على الطاولة، وضعتها على الملعقة ثم ابتلعتها.

- يععع (قالت كندرا).

- ماذا؟ قاعدة الثواني العشر.

- أُفكر في الخريف القادم (أجبتها).

- حفلات الزفاف في الخريف رومانسية للغاية! (قالت كندرا).

مكث أصدقائي لساعة واحدة، كنَّا نُثرثر عن الطراز الذي سأُصمم به زفافي وكيف سأضع الكتب في حجر الزاوية. كانت أفكاري تسبح في مسارها.

لم أكن متأكدة لماذا لم أُخبرهم عن تيرابيثيا. لا زلتُ لم أُصدق الأمر. قضيتُ بقية اليوم أتجول بالملعقة في حلوى الموز، بينما القلق يساورني ويغمرني من حقيقة أن ماكي وچيف قد أخذا تيرابيثيا لإنهاء بعض المعاملات الورقية لأجل التبني، مما يعني أن يومًا قد مرَّ دون أن أراه من بين الأسابيع الثلاث القصيرة أو شيء من هذا القبيل.

عندما عاد شيب بعد مباراة كرة سلة مع رفاقه، حاولتُ إضفاء البهجة على وجهي وبدأتُ التفكير في خطط الزفاف. وعلى الفور، كان قد لحق بي.

- دوو. أعلم أنكِ متحمسة بشأن خِطبتنا. وسيكون لدينا الوقت الكافي للاحتفال. أما الآن، فإنه من الجنون أن نُنكر حزنك. أمامنا شهورٌ طويلة للتخطيط للزفاف. أما الآن، عليك التركيز على تيرابيثيا. وأعتقد أن عليكِ قضاء المزيد من الوقت معه بقدر ما تستطيعين (قال شيب بثِقل).

- شكرًا لك.

تمتمتُ بينما أُلقي بذراعي حوله. وربما كان الأمر متعلقًا بتفهمه ومراعاته لشعوري. أو ربما حقيقة أننا الآن من المفترض أن نفعل كل شيء معًا، بما في ذلك اتخاذ القرارات. لقد مرَّ وقتٌ كافي على ذلك.

- شيب، هناك شيء ... (تابعتُ).

رنَّ جرس هاتفي من مكانٍ ما بين وسائد الأريكة.

- آسفة، امنحني لحظة.

وبعدما أخرجتُه من بين الوسائد، قلتُ:

- إنها كوكو، هل تمانع إن أجبت على تلك المكالمة؟

- كلا، تفضلي.

قال شيب بينما يُحاول الوصول إلى جهاز التحكم، وسريعًا ما اختفيتُ من مخيلته بطريقة يفعلها الكثير من الناس (بما فيهم أنا) عندما يشاهدون المباريات الرياضية.

- مرحبًا (أجبتُ الهاتف ثم حييتُها).

- اسمها سيانيه! وأنا الآن أمتلك صورة لها!

- يا إلهي! يا إلهي! هل جاءت الإحالة؟

- لقد جاءت الإحالة!

- أرسلي إليَّ صورتها على الفور! سأضعكِ على مُكبر الصوت حتى يمكنني الدخول إلى جهاز الحاسوب.

- دوو، لم لا تشترين هاتفًا ذكيًّا؟

- أعرف، أعرف. فقط أرسليها إليَّ عبر البريد الإلكتروني. وأخبريني المزيد عنها.

- إنها ألطف فتاة على الإطلاق! انتظري حتى تريها. يمكنني أن أُخبركِ الآن بأنها فتاة جميلة وتبلغ ستة أشهر من بلدة في منتصف دولة ليبيريا.

- هل هذا يعني أن بإمكانك الذهاب لمقابلتها؟

- أجل، وكالة التبني ستساعدنا في البدء في الترتيبات. دوو، لا يمكنني التصديق. كل شيء يحدث بسرعة. وسألتقي بها في غضون أسابيع فقط! (قالت كوكو).

- يبدو وكأنكِ قد بدأتِ الإجراءات منذ وقت قصير. ألا يستغرق الأمر وقتًا أطول لأجل الإحالة؟

- أجل، عادة ما يستغرق الأمر وقتًا، إلا أن ليبيريا تميل إلى أن تكون أوقات الانتظار أقصر من دول أخرى مثل إثيوبيا مثلًا، لكن مع ذلك لا يزال الأمر سريعًا.

- لماذا تعتقدين ذلك؟

- كنتُ أتساءل إن كان هذا بسبب بعض الأشخاص الذين التقينا بهم عندما كنا هناك. لا أدري ما مدى تأثير هذا الأمر، لكن في اليوم الذي يسبق يوم مغادرتنا، انتهى بنا الحال إلى تناول الغداء مع بعض الأشخاص الذين يتولون مناصب عالية في الحكومة هناك.

- رائع. كيف حدث هذا؟ (سألتُها).

- تعرفين أن جدة مارك بيسي كانت ليبيرية؟ وقد اعتادت أن تحكي لوالد مارك وعمته روس كل القصص عن الفقر هناك، وعن محاولاتها الدائمة لإرسال المال إلى عائلتها بعدما جاءت إلى أمريكا، حتى في البداية عندما كانت هي وجده كامبيلي لا يملكان شيئًا بعد. كانت روس تدرس في الخارج في مونروفيا في أثناء دراستها الجامعية. وقد اعتادت أن تذهب إلى ليبيريا كل بضع سنوات، وبدأت في التبرع بالكثير من الأموال إلى الجمعيات الخيرية الليبيرية عندما صارت ثرية.

كنتُ أضغط الأزرار بجنون بينما كانت كوكو تتحدث، في محاولة بائسة مني للوصول إلى الصورة وتحميلها وفتحها.

أوه، يا قلبي. كانت تُحدق إليَّ من الصورة ... سيانيه. ورأيتُ على الفور ما كانت تعنيه شقيقتي. كانت سيانيه تتطلع إلى الكاميرا بينما كان رأسها يميل قليلًا إلى الجانب كما لو أنها تقول «*أسرتُ قلبك!*» للمُصور الفوتوجرافي بدلًا

من أي طريقة أخرى. كانت هناك بادرة ابتسامة على جانبي شفتيها، وكانت عيناها دافئتين تعلوهما نظرة جادة بدت قوية ومباشرة على أن تصدر من طفلة ابنة ستة أشهر. ابنة شقيقتي دائمًا. ابنة أختي المستقبلية.

- ماذا يعني اسم سيانيه؟

- رحلةٌ جميلة.

قالت كوكو بهدوء، بينما كان صوتها يتصدع حتى الصمت.

الفصل الرابع عشر

سبتمبر 2008

- مرحبًا ماكي!

- هل تتحدثين عبر مكبر الصوت؟

- أجل، آسفة. إنني أقود السيارة الآن.

فقد كنتُ في طريقي إلى المنزل عائدةً من المدرسة.

- أوه، حسنًا انتبهي لنفسك. هل تودين إعادة الاتصال بي في وقت لاحق؟

- كلا! (صحتُ دون تفكير، ثم أضفت) أقصد ألا تقلقي، فأنا أفعل ذلك طوال الوقت. وعلى أي حال فقد أوشكتُ على الوصول إلى المنزل. هل كل شيء على ما يُرام؟

- أجل، كل شيء بخير؛ الأمر هو ... أنني وچيف نحتاج إلى الذهاب إلى البنك لاستخراج بعض المعاملات الورقية لأجل سوليفان من الخزينة هناك. أتعتقدين أن بإمكانك المجيء إلى هنا ومراقبة تيرابيثيا حتى وقت العشاء؟

كان من المفترض أن أفتح المكتبة هذا المساء. فقد كانت كندرا في عطلة لزيارة والدتها في فلوريدا، وإلا كنتُ قد طلبتُ منها أن تحل محلي. أما جيرالدين فقد كانت تحضر صفًّا من صفوف دراسة الماجستير في علم المكتبات. لن يتسبب الأمر في أي ضرر بالنسبة إليَّ إن فَوَّتُّ أحد الأيام في المكتبة. لذلك قررتُ أن أمُرَّ على المنزل وأضع اللافتة ثم أتجه إلى منزل ماكي.

- بالطبع، سأكون عندكِ في غضون عشرين دقيقة.

في الوقت الذي عادت فيه ماكي وچيف، كنتُ قد أطعمتُ تيرابيثيا بعض معكرونة الباستا الممزوجة بالصلصة والجبن. كانت تملأ صدريته ووجهه وأصابعه. وكان يُلوِّح بملعقته قائلًا:

- باستا لذيذة دادا، باستا لذيذة دادا. المزيد! المزيد!

انحنت ماكي لتُقبل جبهته ثم سألته:

- هل تستمتع بالعشاء؟

- أجل (أجاب تيرابيثيا).

- أنتِ دائمًا على طبيعتك معه.

هكذا علَّقت ماكي بينما كنتُ أضع بعض قطعٍ صغيرة من المعكرونة في الطبق أمامه.

انتفض قلبي فرحًا، حتى إن أبسط الإشارات التي لاحظوها بيننا تُخبر كم أن العلاقة بيننا قوية، والأهم أنها قد منحتني الأمل. ربما أملٌ لا يرتكز على أي أدلة، لكن مع ذلك لم أستطع مقاومته.

- لقد أحضرنا جواز سفره من خزينة البنك. كان على سوليفان أن تستخرج واحدًا حتى تتمكن من إحضاره إلى هنا من إثيوبيا. بالطبع يبدو الأمر منطقيًّا، لكن الحقيقة هي أنه لن يخطر ببالك أبدًا أن طفلًا رضيعًا قد يحتاج إلى جواز سفرٍ، أليس كذلك؟ (قال چيف).

- هل لي أن أراه؟ (سألتُ چيف).

- بالطبع.

مرره چيف نحوي عبر الطاولة متجنبًا بمهارة قطرات الصلصة والجُبن. فتحته. كان بوو رافعًا رأسه قليلًا، ربما أعلى من الكاميرا حيث كانت سوليفان تقف تحمل في يدها لُعبة أو ربما تصنع تعبيرات بوجهها حتى تجعله يضحك. كانت عيناه برَّاقتين، وبدا سعيدًا في تلك الصورة.

غمرتني موجة من الغيرة تجاه وضع كوكو. كان بإمكانها أن تتطلع إلى صورة طفلها، وكانت تلك بدايتها معه. لكنني هنا الآن أتطلع إلى صورة تيرابيثيا، وأحاول الاستعداد لوداعه قريبًا.

كيف سأتمكن من تخطي الأسابيع القليلة القادمة؟

أتتني إلميرا بعد انتهاء اليوم الدراسي، كانت عيناها متسعتين كما لو أن الخوف يقفز منهما.

- هل ستفتح المكتبة اليوم؟

- أجل، لقد طرأ أمرٌ ما بالأمس في اللحظة الأخيرة (أجبتُها).

كنتُ ساخطة في ذاك الوقت، لكنني تمنيتُ لو أنها لم تشعر بهذا السخط في نبرة صوتي. لقد مرَّ يومٌ واحد فقط. هل كان الأمر مهمًّا لتلك الدرجة؟ أعني أن مُلاك المتاجر والمتطوعين الآخرين يتشاجرون طوال الوقت. والأهم هو أنني قد وضعتُ لافتة للاعتذار.

- حسنًا. جيد، لأنني أحتاج إلى بعض الكتب من أجل مشروعي على ...

قالت إلميرا بينما تسحب أنفاسًا عميقة، ثم توقفت. كانت خائفة من أنها ربما تُعطلني بعض الشيء. اعتقدتُ حينها أن التعبير على وجهي لم يكن ودودًا. ثم استأنفتْ:

- حسنًا، على أي حال، سأراكِ هناك (لتُنهي حديثها).

وبينما كانت تبتعد إلميرا، كان بينتون قادمًا باتجاهي. ربما أراد تقريرًا كاملًا عن عطلة كندرا. وكان هذا هو الشيء الذي لا أمتلكه حينها. لقد فوَّتُّ مكالمة منها عندما كنتُ في منزل ماكي وچيف، وكنتُ متعبة للغاية حتى عجزتُ عن معاودة الاتصال بها عندما عُدتُ إلى المنزل.

- مرحبًا دودي!

- مرحبًا بينتون.

- هل كل شيء بخير في المكتبة؟ (سأل بينتون).

- أجل. لما لا تكون الأمور بخير؟

- أوه، لقد مررتُ بالأمس ورأيتُ اللافتة. أردتُ فقط الاطمئنان إلى أن كل شيء بخير (أجاب بينتون).

ماذا كان هذا؟ استجواب عن جدول أعمال دودي فيرسيل؟

- لا تقلق؛ المكتبة بخير، ولا أدري كيف تسير عطلة كندرا. لستُ مسؤولة عن كل شخص وكل شيء في المدينة. لذلك لا داعي لسؤالي (ألقيتُ تلك الكلمات في وجهه ثم استدرتُ مبتعدةً عنه).

احتجَّ بينتون قائلًا:

- لكنني لم أسأل!

حبستُ نفسي داخل حمام استراحة المدرسين ورششتُ الماء على وجهي. ما الذي يحدث لي؟ لماذا أتصرف بتلك الوقاحة؟ وعلى الجانب الآخر، لماذا لا يمنحني الآخرون وقتًا مستقطعًا حتى أتمكن من التقاط أنفاسي؟

***

كنَّا أنا وماكي وچيف غارقين في الضحك حتى عجزنا عن التقاط أنفاسنا. كانت خطة تصوير الأطفال الصغار قد تم إلغاؤها، لذلك انتهى بنا الحال بأن أقمنا جلسة تصوير كبيرة لوداع تيرابيثيا. كل ما كُنَّا نريده هو أن نتذكر تيرابيثيا –في هذا العمر– عندما كان معنا هنا. وربما في حالتي هي التحديق عند التقاط الصور لأجل الرقم القياسي العالمي في الاستهلاك العلاجي للآيس كريم بعد ذهابه.

كان المُصوِّر قد أحضر دُمية دبدوبية كبيرة. ووضعها لتواجه تيرابيثيا متطلعةً إليه في هدوء. كان تيرابيثيا متحمسًا بينما كان يُحدق إلى الدمية وهو جالس في حجرها، يتلمس أنفها، وتخرج الكلمات من شفتيه مبعثرة قليلًا «مرحبًا يا دُمية. ابتسمي يا دُمية. قولي بطيخ يا دُمية. بييز يا دُمية!» لم تبدُ الدُمية متحمسة لذلك، أما نحن فكُنَّا.

- يا إلهي! إنها الرابعة والنصف بالفعل!

تعجبتُ عندما ذهب المُصوِّر لتغيير المشهد إلى قوالب أ ب ت كبيرة يمكن لتيرابيثيا أن يجلس عليها. سيستغرق مني الوصول إلى المنزل عشر دقائق على الأقل إن غادرتُ الآن.

- اذهبي، اذهبي الآن.

دفعني چيف للرحيل، فقبَّلتُهم وقبَّلتُ بوو على وجنتيه. وفي اللحظة التي غادرتُ فيها بدأت وصلة بكاء بوو ليقول:

- لماذا دادا تُغادر؟

هنا لطمتني آلام مُبرحة في الصدر. أسرعتُ إلى المنزل، لكن الساعة كانت قد قاربت على الخامسة عندما وصلتُ إلى الغرفة الزجاجية الشمسية وأزلتُ قفل الباب استعدادًا لاستقبال الزائرين. كان عدد من الأصدقاء بانتظاري عند السلالم الأمامية.

- آسفة للغاية.

- لا عليكِ دودي.

قال مايك رابتًا على كتفي بينما تتسلل ابنته الصغيرة أمامي لتتجه نحو أقلام التلوين الخشبية وأوراق الإنشاء.

- لا مشكلة.

علَّقت مارفيلا جيفيرز بينما تضع كتب الحياكة على الطاولة للبحث عن كُتبٍ أخرى جديدة.

انتابتني مسحة من الشعور بالذنب. ربما مرَّ بعض المتأملين الآخرين ولم يتمكنوا من الانتظار أمام المكتبة. لكن في الوقت الذي اندفع فيه المزيد من الأشخاص إلى الداخل وشُغِلت الكراسي، عاد إليَّ الطنين المُشرق لعشق المكتبة ليطرد الظُّلمة التي تغمر السماء خارج النوافذ، وبدا كما لو أن كل شيء سيعود إلى سابق عهده على الرغم من كل ما حدث.

***

تحدد الموعد: كان من المُقرر أن يحضر كلٌّ من إيلين وجيد لأخذ تيرابيثيا في الثالث من أكتوبر. ظللتُ أُذكِّر نفسي: «*ليس أخذه. بل منحه منزلًا جديدًا ودودًا*». وعلى الرغم من ذلك لم تكن الكلمات ذات نفع في تلك الحالة. لقد تخيلتُ بعضًا من المشاهد الدرامية البائسة التي تتضمن قيلولة بوو. وعجزتُ عن الاستغراق في تلك المشاهد. وتمنيتُ لو أنني أحظى بفرصة لتبني بوو لنفسي. الحق أن شعوري بدا وكأنني أهجره بطريقة ما، وأهجر سوليفان أيضًا.

الغريب في الأمر أن ما شغل أفكاري عندما كنتُ أتوقف عن التفكير في تيرابيثيا – كانت ذكريات أبي الذي ليس أبي التي قضيتها معه قبل أن يُغادر مباشرة. وفي أحد الأيام، عندما كنتُ أُعيد ترتيب أرفف الكتب في المكتبة، تعلَّقت عيناي بالنافذة. كان المطر ينهمر طوال اليوم، والأشجار تخضبت بالخضرة النضرة التي يُظهرها دائمًا الضوء الرمادي. كنتُ دائمًا ما أعتقد أن تلك الأيام تُشبه أيام الريف الإنجليزي. لامستُ بأطراف أناملي زجاج النافذة كما لو أن بإمكاني الشعور بقطرات المطر ترتعش على الجانب الآخر.

كانت دائمًا ما تُذكِّرني بشيء ما، فأغلقتُ عيني وتخيلت نفسي مرتديةً مُشمَّع مطر أخضر اللون يتصل به غطاء الرأس ومنتعلةً حذاءً ذا رقبة طويلة باللون الأخضر والأصفر يتماشى مع ثوب المطر. كانت ذراعي تؤلمني بسبب تعلقي لأعلى طويلًا؛ كان أبي الذي ليس أبي طويلًا للغاية، وكانت راحة كفه تستقر داخل راحة كفي.

- سأصحبكِ إلى مكان أعلم أنكِ ستُحبينه (قال أبي الذي ليس أبي).

كانت دقات قلبي تتسارع مثل أرنبٍ صغير متحمس. لم أحظَ *قط* بصحبته ليومٍ واحد بمفردي! والآن قد أعدَّ مفاجأة لأجلي أيضًا!

بدا وكأننا قطعنا أميالًا لا حصر لها سيرًا. لكن ما كنتُ متأكدة منه أن الأمر لم يتعدَ بضعة مبانٍ، إلا أن الوقت والمسافة يتمددان دائمًا عندما نكون صغارًا ولا ندري إلى أي وجهة نتجه.

راقبتُ أسراب البط فوق قدمي بينما كنَّا نعبر الشارع ونلتقي بالرصيف الجانبي.

- انظري! (قال أبي الذي ليس أبي).

بجوار الرصيف الجانبي، يقف شيء مستطيل أحمر اللون لا يخفى طوله. كانت كابينة هاتف عمومي! مثل تلك التي أراها في كتابي حول الفتاة الصغيرة في لندن التي أنقذت الجراء من المُلاك الوقحين! أسرعتُ نحوها مُتلصصة من بين جميع زجاج النوافذ الصغيرة التي يحجبها المطر. كان الطلاء *أحمر اللون*، مثل حُمرة الطماطم، مثل حُمرة سيارة الإطفاء، مثل يوم سعيد تتخلله مفاجآت سعيدة وهدايا بأغلفةٍ حمراء!

أبقى الباب مفتوحًا لأجلي. كان بإمكاني حينها أن أرى ما أخفاه المطر داخل الكابينة، على كل سطح تقريبًا، كانت الكتب تصطف بعضها فوق بعض. وبالقرب من أسفل الكابينة كانت تستقر الكتب المُصورة، وكان الكثير منها يستقر على جانبه حتى يُلائم تلك الأرفف الضيقة. أما عن الأرفف الأخرى فكانت تحمل كُتبًا من أجل البالغين؛ العديد من الروايات ذات الأغلفة الورقية، والقليل من الكتب ذات الأغلفة الكرتونية وصور لرجالٍ ونساءٍ لطفاء حسني المظهر على كعب الكتاب وحتى بعض من كُتب الطبخ. صفَّقتُ بيديَّ فرحًا وظللتُ أدور حول نفسي في دوائر داخل الفراغ، متعجبةً ممن قد فعل ذلك، ممن أنشأ مكتبة رائعة داخل كابينة هاتف صغيرة حتى يستخدمها الجميع!

عادت الأمطار تنهمر بشدة تلك المرة، وكان يقف بالخارج، فلم تكن الكابينة تستوعب سوى فرد واحد فقط. وتتساقط قطرات المطر على مظلته، قائلًا:

- حان وقتُ الذهاب.

بذلتُ مجهودًا مُضنيًا لأتذكر جميع المحاور التي مررنا بها حتى نصل إلى المنزل. ربما سيأخذني إلى هناك. كان من الجيد أن أعرف الطريق على الرغم من كل شيء. ليس الأمر وكأن بإمكاني الذهاب بمفردي عندما كنتُ في الرابعة من عمري، لكن في حالة ما إذا كانت أمي لا تعرف أين تقع الكابينة.

في ذلك الوقت كان نادر الحديث مع أمي. هناك شيء سيئ قد وقع بينهما وقد عجزتُ عن فهمه حينها.

وبعد ثلاثة أيام، رحل أبي الذي ليس أبي.

رنَّ جرس الباب الأمامي، موقظًا إياي من أحلام يقظتي.

- كندرا! مرحبًا بعودتك.

- مرحبًا دوو.

بدت ابتسامتها متوترة، ثم قبَّلتني على وجنتي. عرضتُ عليها:

- تُريدين فنجانًا من القهوة؟

- بالتأكيد.

قالت كندرا ثم وضعت حقيبتها على الكنبة في غرفة المعيشة.

- كيف حال والدتك؟

- رائع. إنها تتلقى دروسًا في الكراف ماجا (أجابت كندرا).

- مم ... ماذا؟

- فن قتالي للدفاع عن النفس. فنون قتالية كما تعرفين (أجابت كندرا).

بالطبع لم أكن أعرف أيًّا من هذا.

- لقد أوضحت لي كيفية خنق المهاجم بقميصه الخاص (قالت مبتسمة).

- يبدو هذا ... مفيدًا (أجبتُ).

- حسنًا، لم تبلغ أمي الآن سوى أواخر الخمسينيات، وتعيش في بوكا، لكنها تريد أن تكون على استعداد عندما تُصبح سيدة عجوز.

لم أكن أدري حقًّا كيف أُجيب على ذلك، فغيَّرتُ دفَّة الحديث:

- هل استمتعتِ ببعض الوقت الجيد على الشاطئ؟

- لقد ذهبنا فقط إلى المسبح. وكان هناك مشرب بجانب المسبح في المجمع السكني. لم يخطر لي قط أن يُغازلني هذا القدر من الرجال في المنظمة الأمريكية لتمكين من هم فوق الخمسين (أجابت كندرا).

ندت عني ضحكة صاخبة:

- لا بد وأن هذا كان مُعززًا كبيرًا للغرور.

- أجل، في الحقيقة كان الأمر كذلك.

- اسمعي، دعينا نتناول الشاي في المكتبة (قلتُ بينما أُمرر لها فنجانًا من الشاي).

توجهنا نحو اثنين من الكراسي المُجنَّحة في الزاوية، ودفعتُ جانبًا كَومة من الكتب على الطاولة لأُفرغ مساحة من أجل فناجين الشاي وطبق من بسكويت رقائق الشوكولاتة التي ابتعتها من المتجر، لم يكن أمامي الوقت الكافي حتى أخبز منذ وقتٍ طويل. ارتشف كلانا الشاي في صمت طويل دام لعدة دقائق، وكانت كل واحدة منًّا غارقةً في أفكارها.

- دودي، هناك شيء أود أن أتحدث معكِ بشأنه (بادرت كندرا).

- بالتأكيد. ماذا هناك؟

- أخبرتني ماكي أن عملية التبني مستمرة (أجابت كندرا).

- أجل. أعلم ذلك.

- لماذا لم تُخبريني؟ (سألت كندرا).

- لم يمُر سوى بضعة أيام.

نظرت كندرا نحوي بعينين نصف مغمضتين. شعرتُ بتغير لون وجهي حتى بدا شاحبًا قبل أن أُجيب هامسةً:

- أنا ... أنا ... أعتقد أنني لم أرغب في تصديق ما يحدث.

ألقت كندرا بذراعيها حولي وعانقتني عناقًا خفيفًا ثم قالت:

- أعلم جيدًا كم كنتِ قريبة منه. لا بد وأن الأمر صعبٌ جدًّا عليكِ.

- شكرًا لكِ.

- لقد كنتِ مشتتة الذهن حقًّا (قالت كندرا).

- لا أعتقد أنني كنتُ مشتتة الذهن إلى هذا الحد.

- مممم ... (أومأت كندرا).

عبستُ:

- هل تعتقدين أنني كنتُ مشتتة؟

- هل تعلمين أنني أواعد أحدهم هذه الأيام؟ (سألت كندرا).

- حقًّا؟

- سأعُد إجابتك نفيًا (أجابت كندرا).

- أنا آسفة كندرا. من يكون؟ يا إلهي، لا بد وأن موتورموث بينتون في حالة فوضى عارمة الآن.

انتابتني مسحة من الشعور بالذنب بسبب فظاظتي معه عندما كان يتحدث عن كندرا.

لم تضحك كندرا على دُعابتي ثم أجابت:

- في الحقيقة، هو لا يهتم للأمر.

- أخبريني عن هذا الرجل الجديد!

- ليس الآن. هناك شيء آخر أهم من ذلك أحتاج إلى التحدث معكِ بشأنه (استأنفت كندرا).

- حسنًا (قلتُ وأنا أشعر بالغثيان يتملَّك معدتي).

- إنه هذا المكان (وأشارت كندرا بيديها حول الغرفة الزجاجية الشمسية).

- ماذا عن هذا المكان؟

- حسنًا، لقد التقيتُ بلولا صدفةً في المتجر بالأمس، وذكرتْ أنها قد جاءت إلى هنا عدة مرات مع الأطفال في أيام الأسبوع بعد انتهاء اليوم الدراسي وكان المكان مغلقًا.

- في الحقيقة كان يوم عمل واحد فقط عندما كان عليَّ الإغلاق، ويوم آخر عندما تأخرتُ ساعة في فتح المكتبة (أجبتُ).

تجاهلتني كندرا وتابعت:

- عندما كنتُ في مكتبة المدرسة في أحد الأيام، ذكر كاميرون أنه ووالده قد حاولا المجيء يوم السبت لكنهما وجدا المكان مغلقًا تمامًا. وفي تلك العطلة الأسبوعية لم تكن خدمة الشبكة لديَّ في أفضل حالها، لكن عندما عدتُ إلى المنزل، رأيت رسالة منكِ تقول ... (حاولت كندرا الوصول إلى حقيبتها لتقرأ نص الرسالة) «لا يمكنني فتح المكتبة الليلة. هل يمكنكِ أن تحلي محلي اليوم؟ شكرًا جزيلًا».

وبعدما أنهت حديثها رفعت حاجبيها في ترقب.

عندما عُدتُ إلى المنزل من حديقة ليتل داك، تفاجأت بالحقيقة المرعبة، وهي أن المكتبة كانت لا تزال مغلقة. لم يكن لدي أي فكرة عن أن كندرا ستسافر بعيدًا مرة أخرى بعد عودتها من فلوريدا. كنتُ أعتقد أنها ستكون بالجوار لأنها دائمًا ما تكون كذلك. بالطبع، في تلك اللحظة التي أدركتُ فيها ما حدث، تمنيتُ لو أن الآلهة المتقلبة للرسائل النصية قد ابتلعت رسالتي وأن كندرا لن تعرف أبدًا عن إخفاقي.

- ما كان عليَّ أن أفترض هذا (اعترفتُ إليها).

- كلا، ما كان عليكِ ذلك. لو كنتُ أعرف ذلك سلفًا، لكنتُ حاولت التصرف في الأمر، على الرغم من أنه لا يمكنني الوعد بأن أترك كل شيء قبلها بساعة واحدة. وكما حدث، لم يكن لديَّ فكرة عن الأمر، ولا أي شخص آخر في المدينة ممن قطعوا الطريق إلى هنا حاملين آمالهم بين كفوفهم (أجابت كندرا).

فكرتُ في وجه إلميرا المضطرب في اليوم الذي صحتُ فيه في وجه بينتون. كان هذا المكان هو مهربها. وبسببي أنا، كانت المكتبة مغلقة طوال يومين دون تفسير وقد فُتحت متأخرة في يوم آخر، وكان كل هذا في أسبوع واحد. لم يكن هذا جيدًا. كنتُ أتعامل مع المكتبة كما لو أنها امتياز يخضع إلى جدول أعمالي، في حين أنني قد افتتحتها لتكون حقًّا لأهالي شاتسورث حتى يمكنهم الاعتماد عليها.

- يا إلهي! هذا أمر بشع (قلتُ بتأوه).

ارتسمت على وجه كندرا ابتسامة تعاطف قبل أن تقول:

- اسمعي، لقد حدث ما حدث. ومع ذلك ... حتى نتأكد من عدم تكرار الأمر مرة أخرى ...

- يا إلهي، لن يتكرر! سأتأكد من عدم تكراره مرة أخرى (أجبتُها).

- كيف ستفعلين ذلك؟ إنها الثلاثة أسابيع الأخيرة لتيرابيثيا معنا (قالت كندرا فاقشعر بدني ووقف الشعر في مؤخرة رقبتي).

أسرعت كندرا مضيفة:

- في تلك الحالة، ستنشغلين أكثر مما كنتِ عليه. ستريدين قضاء جميع أوقات فراغك معه، وليس هنا في المكتبة.

- هذا ليس صحيحًا. يمكنني فعل الاثنين معًا.

- حسنًا، لم تتمكني من فعل الاثنين معًا على نحو جيد مؤخرًا، ويمكنني قول ذلك مما أراه الآن. ولا أقصد الإهانة (قالت كندرا).

لن أُنكر أنني شعرتُ بالانزعاج، فأجبتُها:

- اسمعي، لقد كانت ثلاث مرات فقط. وكنتُ أُسرع إلى المنزل بعد اليوم الدراسي حتى يبقى هذا المكان مفتوحًا بصرف النظر عن رغبتي الشديدة في الوصول إلى ثياب نومي المريحة أو الذهاب إلى الصالة الرياضية أو إعداد خبز الموز المضاف إليه مُثلَّج كريمة الجُبن أو التسكع في الأنحاء طوال العطلة الأسبوعية. هذا المكان يستهلك الوقت والمال، والأمر ليس وكأنني أحصل على المقابل المادي لفعل ذلك مثلك. أتمنى لو أن الجميع يتركني وشأني!

كانت كندرا هادئة بينما كنت أشتعل من الداخل والخارج. وبعد مرور دقيقة بدت كأنها الدهر، قالت كندرا:

- حسنًا. كل هذا صحيح. وأعلم أنكِ لا تحتاجين إلي حتى أُذكرك بأنكِ من اخترتِ ذلك. إنه مسؤولية كبيرة. وسواء كنتِ تعلمين مقدار المسؤولية التي تتحملينها منذ البداية أم لا، فإنكِ تشعرين بثقلها الآن. ومن

الواضح أن الأمر قد بدأ يترك أثره عليكِ. لم أركِ من قبل قط ... حسنًا، بهذا الغضب والحنق.

- لا أعتقد أنني كنتُ بهذا الغضب والانزعاج من قبل (وافقتُها بيأس).

- حسنًا، السبب الرئيسي الذي جعلني آتي إلى هنا اليوم هو أن أُخبركِ بأنه على الرغم مما يبدو أنكِ تفكرين فيه، ليس عليكِ أن تفعلي هذا بمفردك. لذلك سأطرح عليكِ فكرتي. ورغبتي هي أن أُساعدكِ بطريقة أكثر رسمية. دعيني أتولى أمر المكتبة عنكِ لمدة من الوقت. تعلمين أنني أُحب المساعدة. وسأكون سعيدة إن فعلتُ ذلك لأجلك (قالت كندرا).

فغر فاهي طويلًا قبل أن أُغلقه مرة أخرى لأُجيب:

- هل تعتقدين أنني بحاجة إلى شخص يتولى عني أمر المكتبة للأبد؟

- بصراحة، أجل (أجابت كندرا).

- اسمعي، أنا أُقدر عرضكِ كثيرًا، لكن الأمر ليس ضروريًا. أجل أود الحفاظ على مساعدتكِ التي تقدمينها إليَّ، لكنني لن أتنازل عن المكتبة إليكِ (أجبتُها).

كنتُ أعلم أنها تحاول المساعدة، لكن التفكير في الأمر جعلني أشعر كما لو أنني سأتقيأ. مكتبتي. لا يمكنني تحمل أن يُفكر أي شخص في إخفاقي في الحفاظ عليها. لا يمكنني أن أدع أهالي شاتسورث يفكرون بتلك الطريقة، أو أدع نفسي لذلك.

- لِمَ لا؟ سيكون الأمر مؤقتًا. حتى بعد رحيل تيرابيثيا، ممم ... (تساءلت كندرا).

رفعتُ يدي حتى تتوقف قبل أن تُكرر تلك الجملة، ثم أجبتُها:

- شكرًا لكِ كندرا. حتمًا سأُفكر في الأمر.

- أنا لا أمزح دودي. هذا أمرٌ مهم.

- أعلم ذلك. ولهذا أسستُ المكتبة وعملتُ بجدٍّ حتى أُحافظ عليها طوال العام الماضي.

- لا تستائي مُجددًا. لا أرغب سوى في المساعدة. ويمكنكِ طلب المزيد من المساعدة، تعلمين ذلك.

- أنتِ تساعدينني بالفعل. وأُقدر كثيرًا أنكِ تتولين بضع ورديات طوال الأسبوع.

- ليس هذا ما أعنيه. هناك طرقٌ أخرى يمكنني المساعدة بها (قالت كندرا بينما كانت تنظر إليَّ من الجانب الآخر).

هل تقصد المساعدة بالمال؟

- ماذا تقصدين؟ (سألتُها).

شكرًا لكِ، لكنني أرفض.

لا يمكنني قبول المال منها. أعلم أن هذا سيُعقِّد من صداقتنا.

- لِمَ لا؟

- أريد أن أقوم بالأمر بنفسي. الحقيقة أن عليَّ فعل ذلك. حتى يظل هذا المكان قائمًا مستمرًا. وإلا سيكون –لا أقصد الإهانة– الأمر أشبه بضمادة جروح.

- دودي، إن الأمر لا يتعلق بالوقت أو المال. هناك شيء ما يحدث معكِ. أعلم ذلك. ولا يتعلق الأمر بتيرابيثيا فقط. ما الذي يحدث معك؟

لم يعد الأمر مهمًّا الآن إذا أخبرتُ أحدًا. كان الضغط الذي شعرتُ به لإخفاء الأمر أشهر طويلة أشبه بالهواء الذي يستمر أحدهم بضخه داخل البالون أكثر فأكثر. حتى صار الآن مستعدًّا للانفجار، وبمجرد أن لامست كندرا ذاك الوتر الحساس، انكشف السر أخيرًا:

- إن الأمر متعلقٌ بتيرابيثيا. كنتُ أرغب في تبنيه!

لقد نطقتُ بها بأعلى صوتي! واندفع بداخلي إحساس بالارتياح. هناك شخصٌ ما يعرف ما أشعر به!

- أعلم (أجابت كندرا).

رفعتُ حاجبيَّ في اندهاش.

- أقصد أنني اكتشفتُ الأمر. دودي، أنتِ شخص عطوفٌ يهتم كثيرًا لأمر غيره. وأعلم كم كنتِ تُحبين سوليفان. لكن التبني ليس مجرد مكتبة، أو وظيفة، إنه إنسانٌ، وسيستمر للأبد.

- بالطبع إنه كذلك، وسيكون كذلك. كان هذا ليكون ما تريده سوليفان. شيءٌ دائم. وشعرت بالجُبن حين عجزتُ عن توفير ذلك لتيرابيثيا أو ماكي وچيف. أشعر بالإخفاق (قلتُ).

- لماذا؟ كيف تعتقدين أن هذا كله خطؤكِ؟ (سألت كندرا).

- أعتقد أنه ليس خطئي. لكنني أشعر بذلك، لا أدري، ربما لو كنتُ قد عملتُ في عدة وظائف ووفرتُ بعض المال بدلًا من الذهاب إلى كلية الفنون ... أو إذا قضيتُ وقتًا أقل في القراءة ... أو ...

- كفى دودي. كيف يمكنكِ أن تتنبئي بحدوث هذا الوضع؟ كيف يمكنكِ أن تلومي نفسك على محاولة فعل ما تُحبينه أو محاولة اكتشاف ما تُريدين أن تكوني عليه في الحياة؟ (قالت كندرا).

كنتُ أعلم أنها على حق. لكن هذا لن يُغير أي شيء. غمر الإحباط قلبي. وقد تجلَّى أمامي الآن ما كنتُ أُفكر فيه. أدركتُ أن إخبار أحدهم بالأمر لن يساعد في شيء. ولا يعني الأمر سوى أن أحدهم يعلم الآن بإخفاقي.

- ما رأي شيب في الأمر؟ (سألت كندرا).

شِحتُ بنظري عنها.

- يعتقد أن الوقت ليس مناسبًا، أليس كذلك؟ (أجابت كندرا).

- حسنًا، في الحقيقة لم أخبره بالأمر ... (اعترفتُ إليها).

- ماذا؟

- لم أخبره بعد أنني كنتُ أُفكر في تبني تيرابيثيا (أجبتُها).

- لماذا لم تُخبريه؟ أعني أنه خطيبكِ الآن، أليس كذلك؟ (قالت كندرا).

- أجل، ولكن ...
- هل كنتِ حقًّا ستُفاجئينه بفكرة أن هناك شخصًا آخر سيصبح جزءًا من عائلتك في اللحظة الأخيرة؟ (علَّقت كندرا).
- كلا. حتى لو صار الأمر على ما يُرام، سأُخبره على الأقل قبلها بعدة أسابيع.

بدت كندرا كما لو أنها تريد أن تلكمني حتى أفيق.

- هذا جنون. ما تقولينه قد تخطى حد الجنون. عدة أسابيع؟ تعتقدين أنها مدة كافية. هذا طفلٌ ما تتحدثين عنه.
- أعلم. لكن الأمر لم يعد مهمًّا على الإطلاق على أي حال.

أجبتُ بينما كنتُ أبتلع ريقي بصعوبة حتى أتغلب على الدمعات المتساقطة من عيني. لقد انتهى الأمر.

***

في أثناء الأسابيع القليلة التالية، بذلت جهودًا مضنية حتى ألتزم بجدول المكتبة، لكنني عجزت عن رسم الابتسامة في وجوه الزائرين الذين كانوا يقابلونني بابتسامات فرِحة. كان صدري يضيق بالسخط. كان هناك حدثٌ كبير يأخذ مجراه في حياتي، ولم أكن أقضي وقتًا كافيًا مع بوو مثلما كنت أرغب لأنه كان من المتوقع أن أكون في المكتبة.

على الرغم من ذلك كان هناك صوت رقيق يُغريني؛ لو أنني توقفتُ الآن عن التمسك بالكبرياء؛ لو أنني كنتُ قليلة التمسك بالكبرياء، لكنتُ تمكنتُ من تسليم المفاتيح لكندرا. وطوال الأيام القليلة الأولى بعدما تحدثنا، عرضت عليَّ مرة أخرى أن تتولى المزيد من الورديات في المكتبة. وعندما رفضتُ عرضها للمرة الثالثة، توقفت كندرا عن المحاولة. أعلم جيدًا أنها ستأتي الآن إذا طلبتُ منها ذلك فقط. لكنني لن أفعل. كان عليَّ أن أعلم جيدًا ما إذا كان بإمكاني تسوية جميع الأمور في حياتي؛ وظيفتي بالإضافة إلى المكتبة بالإضافة إلى خطيبي بالإضافة إلى طفلٍ جديد (والذي لم يكن حتى مُقيمًا معي بعد، لذلك لا يمكنني وضعه في خانة المشكلات تمامًا).

عندما أضفتُ كل تلك الأمور بعضها مع بعض في رأسي، بدا الأمر جنونيًا حتى بالنسبة إليَّ. كنتُ متعبة للغاية. حاولتُ ارتداء وجه الشجاعة لأجل شيب عندما يعود من العمل لمساعدتي في ترتيب الأرفف وتنظيف المكتبة أو حمل صناديق الكتب التي تم التبرع بها حديثًا إلى المكتب الأمامي، حتى يمكن تصنيفها. وفي وقتٍ لاحق عندما شعرتُ بيديه على ظهري بينما بدأتُ في الانجراف إلى مرحلة النوم المضطرب، غمرني دفء يديه وسار في جسدي، وتمنيت القدرة على البقاء مستيقظة لوقتٍ أطول حتى أذكره كم أحبه. الحقيقة هي أننا بالكاد كُنَّا نرى بعضنا بعضًا في أثناء النهار، وإن حدث والتقينا، كان رحيل بوو الوشيك يرقد ثقيلًا وكأنه عازلٌ بيننا. كان من المفترض أن أكون أسعد عروسٍ قادمة في العالم. وبدلًا عن ذلك كان مجرد التفكير في زيادة همومي بمسؤولية أخرى جديدة يجعلني أود الصراخ رعبًا مما أمرُّ به.

حين تغمرني الهموم، كنتُ أُذكِّر نفسي أنه لم يعد سوى بضعة أسابيع أخرى، لكن مجرد التفكير فيما سيحدث في نهاية تلك الأسابيع لم يكن أمرًا مطمْئنًا حتمًا.

الفصل الخامس عشر

أكتوبر 2008

مضى الأول من أكتوبر. وأتى الثاني من أكتوبر.

- هل أنتِ متأكدة من فكرة مجيئي إلى هنا في صباح الغد؟

سألتُ ماكي، بينما كان صوتي يهتز وأنا أُبدل ملابس بوو ليرتدي منامته.

- بالتأكيد، سننتظركِ عند الساعة التاسعة. فجيد وإيلين سيصلون في العاشرة.

قالت ماكي بينما كانت تربت على كتفي. لم أحتمل وداع بوو قبل يوم واحد حتى من رحيله.

في العاشرة! فرجتُ ما بين شفتي فقد كنتُ على وشك أن أسألها إن كان بإمكاني الحضور في الثامنة، أو السابعة، أو الخامسة.

وفي المنزل، وضع شيب فيلم *لم تُقبِّل من قبل*، معتقدًا أنه ربما يُفرِّج عني. لكنه لم يفعل. كنتُ متعبة ومُشتتة في الآن نفسه. وضعني شيب على الفراش قبل أن ينتقل إلى مرحلة الاستحمام. لملمتُ جسدي واستسلمتُ للفراش في محاولة بائسة للراحة ووقف عقلي عن العمل، لكن ذكريات تيرابيثيا كانت تتصاعد مثل أبخرة الماء. صوت ضحكته في حفلة وصوله الأولى. أصابعه التي تغرس في قطرات زُبدة الفول السوداني على البسكويت بعد عزاء سوليفان. جلوسه معقوف القدمين على الأرض في مكتبة الاستعارة بينما يُلقي بأحواض الكتب حتى يجد كتاب *الضفدع المغفَّل*. اللحظات التي كنتُ أدفعه فيها على الأرجوحة منذ أول رحلة لنا في حديقة ليتل داك عندما كان كتلة صغيرة خاملة إلى الآن عندما أصبح يُجدِّف بساقيه ليذهب بالأرجوحة

إلى أعلى فأعلى. كان جزء منه يخصني، لكن بعد غد سيكون خارج نطاق وصولي إليه. ملأتُ رئتيَّ بالهواء، في محاولة يائسة لتهدئة أعصابي برائحة الاطمئنان التي تُبعَث من شعر شيب المُبلل بجانبي. كانت الساعات تزحف ببطء.

في الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة في الصباح التالي، كنتُ أستقل سيارتي.

- هل تريدين مني أن أذهب معكِ؟

جاء صوتُ شيب أجش. ربما كان يبدو كما لو أنه فارس الظلام الخاص بي، لكنه بدا مثل ملاك مُثير يُغطي نصفه السفلي المُمتع شراشف رقيقة فقط.

- كلا، أكمِل نومك. سأعود إلى المنزل بعد انتهاء الأمر، أعدك.

- حسنًا. وسنذهب إلى تناول الطعام الشهي في مطعم كبير.

كانت يداي ترتعشان بينما أُدير المفاتيح لتشغيل المُحرك. حاولتُ التركيز على الموسيقى المنبعثة من المذياع. كان ينبغي لي أن أوافق على مرافقة شيب لي، أو كندرا. لم أكن أدري إذا كنتُ أستطيع القيام بهذا الأمر بمفردي. كلا، عليَّ أن أفعل ذلك، لأجل بوو. لأجل ماكي وچيف أيضًا.

وصلتُ إلى ممر السيارة في الساعة 8:59 تمامًا وضغطتُ زر الجرس. لم يُجب أحدٌ. وكان هذا غريبًا.

هبطت ماكي وچيف من الطابق العلوي. أصابتني نوبة هلع فقلتُ مسرعة:

- أين بوو؟ هل أتوا مُبكرًا؟ هل رحل للأبد؟ يا إلهي، لقد رحل، ولم أستطع وداعه.

- كلا، إنه هنا. لقد وضعتُه في الفراش؛ كان ناعسًا طوال الصباح وبالكاد استطعتُ إيقاظه في المرة الأولى.

- استريحي دودي (قال چيف).

شيء ما حتمًا قد وقع. بدا على ماكي وچيف الهدوء والارتياح، الهدوء الشديد. دخلتُ مباشرة في صُلب الموضوع:

- ماذا حدث مع جيد وإيلين؟

تبادلت ماكي وچيف نظرة ذات معنى.

- ماذا؟ هل سيأتون؟ لن يأتوا؟ ماذا يحدث؟ أخبريني من فضلك. أشعر أنني سأنفجر من القلق.

تصاعدت نبرة صوتي لكنني عجزتُ عن فعل أي شيء حتى تهدأ.

- لن يأتوا ... لأن إيلين حامل.

ترنحتُ حتى سقطتُ في الكرسي ...

- ماذا؟ لقد اعتقدتُ ... اعتقدتُ ... (قلتُ متلعثمة). ألم يكونوا عاجزين عن إنجاب الأطفال؟ (سألت چيف).

- أجل.

- يا إلهي ... هذا ... مم ... غير متوقع. إذًا ما الذي يعنيه هذا بالنسبة للتبني؟ (قلتُ).

- لم يتخذا القرار النهائي بعد. لكن من المحتمل ألا يُتابعوا إجراءات التبني الآن (أجاب چيف).

- حقًا؟

مسحة من الارتياح كانت قد غمرتني كما يغمر وجهي الماء البارد.

- ليسوا متأكدين من إمكانيتهم لدعم طفلين في الوقت الحالي، طفلين، وبخاصة إن كان الطفلان أحدهما طفلٌ مُتبنى -على الرغم من أن تيرابيثيا كان سريع التأقلم هنا، قد يكون من الصعب عليه الانتقال إلى منزل جديد مرة أخرى- إلى جانب رضيع حديث الولادة. والوضع المالي مهم أيضًا. أعلم أن دخلهما السنوي جيد ويكفي للمعيشة، لكن سيصير الحال أكثر ضيقًا مع وجود طفلين.

تطلعتُ إلى وجوه ماكي وچيف:

- هل أنتما بخير؟ أعني أن هذا بلا شك مفاجأة كبيرة لكما.

بدا الاستغراب على وجهي، فندت عن چيف وماكي ضحكات متتالية. كانت ضحكات عصيبة لكنها على الرغم من كل ذلك نابعة من قلوبهما.

اعترف چيف:

مكتبة
t.me/t_pdf

- نشعر بالارتياح لأن الأمر قد انتهى.

فغر فاهي:

- هل هذا يعني أنه سيبقى معكما؟ (سألتُهما).

عبست ماكي قبل أن تُجيب:

- كلا، لا زلنا نعتقد أنه من الأفضل لو أن شخصًا أصغر منًّا سنًّا قد تبنى تيرابيثيا. أعتقد أننا لم نكن مستعدين بعد. ولهذا فنحن ممتنون للوقت القليل الإضافي الذي سنقضيه برفقته.

- أنا أيضًا (قلتُ بصعوبة حتى إن ماكي وچيف قد ضحكا مُجددًا).

حاولتُ إيقاف نفسي من قول أي شيء. فلم يكن التوقيت مناسبًا. لكنني عجزتُ تمامًا عن إغلاق فمي.

- أرجو أن تُفكروا في. أنا آسفة؛ توقيتُ سيئ، صحيح؟ لكن فكروا في الأمر. من فضلكما.

فركت ماكي مقدمة رأسها ثم ارتسمت على وجهها ابتسامة مُتعبة، قبل أن تقول:

- إذا كُنا سنُفكر في الأمر بجدية، فسنعاملكِ مثلما نتعامل مع أي مرشح آخر للتبني. حسنًا، ليس تمامًا مثل الآخرين، فهناك بعض الأشياء نعرفها بالفعل، مثل مدى حُبكِ للأطفال، وبخاصة بوو، وكم ستكونين أمًّا عظيمة وحنونًا.

انسكبت الدموع من عيني. هل يعرفان ذلك عني؟

- ومن الناحية الأخرى، علينا أن نتأكد أن هذا هو الوضع الأفضل لأجل تيرابيثيا. وأنه سيكون آمنًا وسيتم الاعتناء به على أكمل وجه والأهم

هو أن يكون الأولوية القصوى للشخص أو الأشخاص الذين يُربونه. إذًا سنطرح عليكِ بعض الأسئلة الصعبة، أسئلة تطفلية. عن العلاقات والزواج والتمويل وأفكارك حول تعليمه. هل أنتِ مستعدة لذلك؟

كنتُ أومئ برأسي إيجابًا. بالطبع أنا مستعدة. كان عليَّ التفكير في كل تلك الأمور الآن. كل تلك الأمور. الكثير من الأمور. لكن هذا طبيعي عندما يكون في حياتك طفل. عليكَ أن تُقسِّم الموارد؛ الاهتمام والمال والوقت، وتتأكد دائمًا من أن طفلك يشعر بالحب والعناية.

وعليَّ أن أُخبر شيب. أعلم أنه كان من المفترض أن أُخبره قبل خِطبتنا حتى لا يشعر أنه مُلزم بالأمر. لكنني دائمًا ما أجد الأعذار؛ أنني كنتُ خائفة من الإخفاق، وأن جيد وإيلين كانا سيتبنيان تيرابيثيا. والآن الطريق صار ممهَّدًا. وأخيرًا قلتُ:

- هل يمكنني البقاء حتى يستيقظ بوو؟
- بالطبع.
- دودي، ماذا حدث؟ لقد وصلتني رسالتك. لا يمكنني تصديق التزامن الذي حدث (سألني شيب عندما دخلتُ من الباب).
- شيب، هناك شيء يجب أن أخبرك به. أنا أريد تبني تيرابيثيا لنفسي. لا يمكنني المرور بهذا مجددًا وأنا على علم بأنه ربما يذهب بعيدًا للأبد (قلتُ دون تفكير).

كنتُ أتمنى لو لم أكن بهذا الاندفاع بعدما انتظرتُ طويلًا لأخبره، لكن لم يعد هناك وقت لأُضيعه.

كان شيب صامتًا كما لو أن لحظات طويلة من الألم تمرُّ في بطء.

- لكن هذا ليس سببًا كافيًا حتى تتبنيه لنفسك.

أخيرًا نطق لسانه.

- هذا ليس السبب الوحيد، فأنا أحبه (أجبته).
- بالطبع أنتِ تُحبينه. لكن هل أنتِ مستعدة حقًّا للاعتناء به؟

- أجل (قلتُ دون تفكير).

- لتكوني أمه؟ (سأل شيب).

- أجل. أعلم أن بإمكاني فعل ذلك.

- أنا آسف، لكن كيف تعرفين ذلك؟ من تجاربك في مجالسة الأطفال؟

لم تُعجبني نبرة صوت شيب.

- آلاف من النساء اللائي يصبحن أمهاتٍ للمرة الأولى لا يمتلكن خبرة مثل تلك التي أمتلكها (قلتُ موضِّحة).

- ربما يكون هذا صحيحًا، لكن مما يمكنني أن أراه مع أبناء وبنات إخوتي، أن تصبح أبًا أو أمًّا هو أمرٌ يستهلك كل قوتك. وأنتِ الآن تمتلكين المكتبة... ووظيفتك... و...

- أريد أن أصبح أمًّا أكثر من أي شيء آخر (قلتُ).

طرفت عينا شيب قبل أن يرتفع بنظره نحوي ليقول:

- أكثر من رغبتك في أن تكوني زوجتي؟

- ما الذي يعنيه هذا السؤال؟

- لقد قلتِ إنكِ تريدين أن تُصبحي أمًّا أكثر من أي شيء آخر. ونحن مخطوبان. إذًا هل هذا يفوق كل شيء آخر؟ ألهذا كنتِ تؤجلين تحديد موعد زواجنا؟ (قال شيب).

- كلا، ليس كذلك. أعني أنني لم أؤجل شيئًا. هل تطلب مني الاختيار؟

على الرغم من أنني قد أنكرتُ ذلك، كنتُ أعرف أن هناك بعض الحقيقة فيما نطق به. كان جزء من السبب الذي جعلني أُحدد موعد الزفاف في *الخريف القادم* هو أنه موعد بعيد فلن أُضطر إلى القلق بسبب تفاصيل هذا بعد. ومع ذلك، لا أصدق أن هذا هو ما يُركز عليه شيب الآن.

- هل تطلب مني الاختيار؟

أطلق شيب سهام كلماته، قبل أن يُضيف:

- هذه هي المرة الأولى التي أسمعكِ فيها تتحدثين عن تبني تيرابيثيا. ماذا عن مشاعري تجاه الأطفال في المطلق؟ أو الآن؟ أو التبني؟ أو تيرابيثيا؟ هل يحق لي إبداء رأي في هذا؟

- بالطبع. لم أُرد أن أفترض أنك ستوافق على هذا الموضوع (أجبتُ).

- حسنًا، لكن إذا كان هذا صحيحًا، ماذا لو لم أوافق؟ ما الذي سيعنيه هذا بالنسبة إلينا؟ (سأل شيب).

كان سؤالًا منطقيًا. السؤال الوحيد الذي لم أسمح لنفسي حقًا بأن أُفكر فيه. وغضبه -والذي كان من الواضح أنه يزداد كلما تجسد التسلسل الزمني في رأسه- كان منطقيًا ومعقولًا أيضًا.

- هل توافق؟

- هذا ليس المقصد من سؤالي. ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة إلينا إن لم أكن موافقًا؟ (سأل شيب).

- إذًا أنت تطلب مني أن أختار، بينك وبين تيرابيثيا؟

تنهَّد شيب قبل أن يقول:

- دودي، أنا لا أطلب منكِ الاختيار. ليس الآن. لكن لن أعدكِ أنني لن أطلب منكِ الاختيار. أنا هنا أحاول فهم تلك الأخبار التي ألقيتها في وجهي. أعني، كم مضى من الوقت بينما كنتِ تفكرين في هذا الأمر؟

حاولتُ التملُّص منه. هل عليَّ أن أُخبره أنه كان هناك بصيص من تلك الفكرة يتمحور في عقلي منذ وفاة سوليفان؟

- منذ فترة.

- ومتى كنتِ تُخططين أن تُخبريني؟

- عندما يُصبح الأمر مؤكدًا بعض الشيء (أجبتُه).

- عندما يُصبح نهائيًا لا رجعة فيه؟ (قال شيب).

- كلا، بالتأكيد لن أفعل ذلك. اسمعني شيب، لا أدري إن كان ماكي وچيف سيُفكران في السماح لي بأخذ خطوة إلى الأمام في هذا الأمر.

- لكنكِ تحدثتِ معهما في هذا الأمر؟

- أجل. أخبرتهما بشيء من نياتي عندما قابلا جيد وإيلين للمرة الأولى. لكنهما أوضحا لي أنهما لن يستطيعا التفكير في الأمر. أما الآن فربما يُفكران (اعترفتُ له).

- هل تحدثتِ معهما قبل أن تتحدثي معي؟

أومأتُ بالإيجاب. بدا الأمر سيئًا عندما نطق به بتلك الطريقة.

- هل تحدثتِ معهما في الأمر معهم اليوم؟

- أجل. لكنني كنتُ أعرف أنني سأتحدث معك بالأمر قبل أن يحدث أي شيء (تابعتُ سلسلة الاعترافات).

نهض شيب واقفًا ثم دار حول الغرفة في دائرة كاملة، بينما يُمسِّد شعره بأنامله.

- لا أُصدق أنكِ لم تُخبريني. أنا هنا الآن أضع التصورات لحياتنا معًا، وأنتِ تفكرين في إحضار طفلٍ إلى حياتنا لكنكِ لم تُكلفي نفسك مشقة التحدث عن الأمر؟ لماذا؟ (قال شيب).

- بصراحة لأنني كنتُ خائفة من ردة فعلك بتلك الطريقة. ومن الواضح جدًّا أنكَ لست سعيدًا بالفكرة (أجبتُه).

- أنا لا أعرف حتى ما الذي أشعر به نحو الأمر بأكمله. أحتاج إلى أكثر من خمس دقائق حتى تري ردة فعلٍ حقيقية. أحتاج إلى التفكير في الأمر.

- حسنًا (قلتُ).

كان هذا طلبًا منطقيًّا، لكن أكثر ما كان يُخيفني هو أنني أصبحتُ مُحصَّنة من الداخل بالفعل. كما لو أنني قد غلفتُ قلبي بالفولاذ حتى إن فكر في إحباطي أو ربما حتى الرحيل. لم يكن من المعقول أن أتوقع منه الموافقة على الفور. كان جزء مني قد فكَّر في أنه ربما يوافق على الرغم من كل ما حدث.

طبع قبلة روتينية على خدي، قبل أن يقول:

- سأُهاتفكِ غدًا.

ستكون تلك هي الليلة الأولى التي نقضيها منفصلَين منذ أشهر.

- حسنًا (أجبتُ).

بمجرد أن أغلق الباب خلفه، هاتفتُ كوكو وتركتُ لها رسالة. أنا متأكدة من أنها ستُعطيني رأيها الصادق. وكنتُ أتمنى لو تمنحني بعض الطمأنينة. ويمكنني أخيرًا أن أُخبرها بأنني أُخطط للتبني أيضًا. كانت كوكو تستعد للسفر إلى ليبيريا، وأعلم كم هي مشغولة الآن. لكن هذه حالة طارئة. وبعد ثلاث ساعات، بعدما أعدتُ ترتيب جميع المجلات الفارغة التي كنتُ أبتاعها من المتاحف، أقلعتُ عن الانتظار واتجهتُ نحو الفراش.

في اليوم التالي، عاد شيب أخيرًا في وقتٍ متأخر بعد الظهيرة؛ غير حليق الوجه وتُبطن عينيه هالاتٌ داكنة تماثل تمامًا تلك التي تُبطن عينيَّ.

أعددتُ مشروب الشوكولاتة الساخنة بالنعناع، ووقف شيب في صمت يُراقبني وأنا أُقلِّب الخليط. حاولت ألا أُفكر فيما إن كان يُلقي نظرات على خاتمي كما لو أنه يتساءل بينه وبين نفسه إن كان من المفترض ألا يُعطيني إياه في المقام الأول.

عندما جلسنا، كان شيب يعض على شفتيه قبل أن يقول:

- لستُ متأكدًا دوو.

حاولتُ الحفاظ على هدوئي:

- مني؟ من علاقتنا؟

- كلا، أنا متأكدٌ من علاقتنا. لكني لستُ متأكدًا من استعدادنا لوجود طفل. لستُ متأكدًا ما إذا كنتُ مستعدًّا.

- لكنني مستعدة (أجبتُ).

- أعلم أنكِ ... مستعدة.

هل كانت فترة الصمت تلك تعني تعتقدين أنكِ مستعدة لكنكِ لستِ مستعدة؟

- إذًا ماذا يعني هذا؟

- صراحةً لا أدري. أعتقد أنني بحاجة إلى المزيد من التفكير في الأمر (قال شيب).

- حسنًا.

اختنق حلقي يأسًا، وبطريقة ما، طوال الوقت الذي تأخرتُ فيه عن مصارحته بالأمر، لم أُفكر كُليًّا فيما إن كان سيتخلى عن علاقتنا بسبب ما أريده أنا. أعلم أن هذا سيكون من حقه.

- لا أريد أن أخسرك شيب (تابعتُ).

- لا أريد أن أخسركِ أيضًا (أجاب شيب).

فكرتُ في نفسي بكل ما أمتلكه من كيانٍ داخلي. «*لكن هذا أنا. هذا ما أنا عليه وما أريد أن أكون عليه.*» إلا أنني بدلًا عن ذلك قلتُ:

- ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟ هل تُريدني أن أُعلِّق سير خِطبتنا حتى تُقرر؟

انعكس الغضب في عينيه:

- كلا، لم أكن أُفكر في ذلك.

تراجعتُ قليلًا:

- أنتَ بحاجة إلى التفكير في الأمر. ليس علينا أن نُقرر أي شيءٍ الآن. دعنا نرى كيف ستسير الأمور، وسنُفكر في القرار الصائب عندئذ.

كنتُ أدين له بالوقت الذي يحتاج إليه للتفكير، فقد استغرقتُ الكثير من الوقت لنفسي قبل أن أُخبره. وشعرتُ بالغثيان من التفكير في الخيار الذي ربما أُضطرُّ إلى اتخاذه قريبًا.

هاتفتني كوكو في الصباح التالي. قبل أن تتمكن من الحديث، مازحتها:

- حسنًا، أرى أن أحدهم كان مشغولًا.

كنتُ في حاجة إلى هدوئها وآذانها المصغية، وكان قد مرَّ يومان على ما حدث.

سمعتُ صوت اختناق قبل أن تتمكن كوكو من الحديث.

- دوو ... أنا .... الـ ...

بالكاد تمكنتُ من فهم ما تقوله على الرغم من نحيبها:

- كوكو، ماذا يحدث معكِ؟ هل حدث شيء للطفلة؟ هل هي بخير؟

سحبت كوكو أنفاسًا متقطعة عدة مرات، ثم تمكنت من ترتيب كلماتها:

- الـ ... طفلة ... بخير. لكن والديها قررا أخذها.

كلا، كلا. لا لا لا لا.

- هل أنتِ متأكدة؟ (شعرتُ بالغثيان يضرب أمعائي).

من ناحية أخرى، إذا كان والدا الطفل الحقيقيان قد غيَّرا رأيهما، وقد كانا متأكدين من قدرتهما على الاعتناء بالطفلة، فحسنًا، يمكن فهم ذلك. لكن ماذا عن شقيقتي المسكينة؟ وهذه الطفلة الرقيقة؟ وكل أشهر الانتظار تلك؟ وكل الوقت الذي قضته الطفلة في ملجأ الأيتام ولدى وكالة التبني الدولية؟ لم تكن ستُوكل كفالة الطفلة إلى أي عائلة هنا ما لم يتخلَ الأبوان رسميًا عن حقوقهما.

- أجل، أنا متأكدة. لقد تصالح الأبوان الحقيقيان بعد سنوات من الانفصال، ويريدان البدء من جديد. وكانت الوكالة قد أخبرتنا بأن بإمكاننا المحاربة لأجلها وأنه ربما يكون الفوز حليفنا استنادًا إلى تلك الخطوات التي قطعناها في عملية التبني، حيث إنهم قد صادروا حقوق الأبوين الحقيقيين. ولكن كيف يمكننا فعل ذلك؟

- كوكو، أنا آسفة للغاية.

ظللتُ أُكرر على مسامعها كلمتي مرارًا وتكرارًا.

لم أستطع أن أحمل نفسي على سؤالها عن الخطوة التالية. من الواضح أن الخطوة التالية هي الحزن. وفكرتُ في تلك الصورة التي قد أرتني إياها كوكو للرضيعة الجميلة؛ سيانيه. لا يمكنني سوى التفكير في عدد المرات التي تطلعت فيها إلى تلك الصورة.

كانت تبكي ثم بدأت تهدأ خطوة بخطوة.

- ما الذي يمكنني فعله؟ يمكنني أن أقفز إلى السيارة الآن وآتي لرؤيتك؟ (سألتُها).

- شكرًا لكِ دوو. أنا أُقدر اهتمامك. لكنني أعتقد أنني ومارك ربما نحتاج إلى الاختباء قليلًا والحزن لما حدث.

- بالطبع. أنا هنا عندما تكونين مستعدة. يمكنني أن أحضر إليكِ أنا ومادي ونُعد بعض الأكلات لأجلكما والاعتناء بكما قليلًا –أو ربما البكاء معكما– عندما تكونان مستعدَّين لاستقبال صُحبة (قلتُ).

- شكرًا لكِ. هل تتصلين بأمي وأبي ومادي وتُخبرينهم؟ (قالت كوكو).

- أجل. دعيني أعرف إن فكرتِ في أي شيء آخر يمكن أن يساعدكما.

- أريد أن ... (بدأت كوكو نوبة بكاء جديدة).

انتظرتُ طويلًا، لكن كان هذا كل ما في الأمر.

- أعلم كوو. أعلم.

أطلقت مادي فيضًا من الكلمات النابية عندما أخبرتها، قبل أن تسأل:

- كوكو المسكينة. هل تعتقدين أن بعضًا من الجُبن سيساعد في ذلك؟

- ماذا؟ (سألتُها).

- أقصد أن نُرسل إلى كوكو ومارك سلة من الجُبن.

- مم ... حسنًا. ليست فكرة سيئة في الحقيقة (أجبتُ).

- هل ستذهبين لزيارتها؟ (سألت مادي).

- في غضون أيامٍ قليلة. سيحتاج كوكو ومارك إلى بعض الوقت لأنفسهما أولًا.

- حسنًا، أعلميني عندما تذهبين أنتِ وشيب، وسنلتقي هناك (قالت مادي).

- أنا ... لا أدري إن كان شيب سيُرافقني.

- لمَ لا؟ إنه خطيبكِ (قالت مادي).

لا يزال ... على الأقل حتى الآن.

- دوو، ما سبب هذا الصمت؟

- أنا وشيب نمر ببعض المشكلات.

- هل تشاجرتما بسبب الزفاف؟

- كلا. بل بسبب تيرابيثيا.

- هل يشعر بالغيرة لأن تيرابيثيا سيبقى معكما؟ لأنه إن كان يشعر بالغيرة، سأسحق ... (قالت مادي).

قاطعتُها:

- كلا. إننا نمر ببعض المواقف المؤلمة.

لا يمكنني تحمل فكرة إخبارها عن خطتي لتبني تيرابيثيا وكيف كانت ردة فعل شيب عندما علم بذلك. ليس الآن، ليس في الوقت الذي تمر فيه كوكو بأسوأ آلامها.

- أنا هنا لأجلك متى تشعرين برغبتكِ في الحديث عن الأمر. أنا أتحدث بجدية. دون أي تهديدات جسدية مؤلمة. فقط مجرد آذان مصغية تمامًا.

ارتسمت ابتسامة بسيطة على وجهي. بقدر حبي لمادي، لم أكن أدري إن كانت ستتفهم السبب وراء أهمية هذا الأمر بالنسبة إليَّ. لا يمكنني التحدث مع كوكو في هذا الأمر الآن. والشخص الآخر الذي أرغب بشدة في التحدث معه عن الأمر، الشخص الوحيد الذي سيفهمني أكثر من أي شخص آخر – كانت سوليفان.

الفصل السادس عشر

سواء استطعتُ الحصول على مساعدة شيب ودعمه أم لا، كان الوقت قد حان لوضع عملية تبني بوو قيد التنفيذ. الآن وإلا فلا. وبمجرد أن غادر شيب للعمل يوم السبت، بعدما تناولنا فطورًا وديًّا غريبًا في مارفيل بيتي، اتخذتُ موضعي أمام مكتب التوزيع وأخرجتُ ورقةً وقلمًا، لأبدأ في إجراء الحسابات.

كانت نفقات المكتبة قد استمرت في الارتفاع أعلى مما توقعت. وكما حدث، لا زال الآخرون في حاجة إلى ورق الحمام. وعلى الرغم من أنني صرتُ أخبز أقل بكثير من المعتاد، لا تزال هناك تكاليف أخرى بسبب البلى والاستعمال لم يكن عليَّ القلق بشأنها في البداية، أما الآن فقد جاء وقت الحقيقة. اكتشفتُ أيضًا أنني لا زلت بحاجة إلى نحو 1000 دولار شهريًّا لتغطية تلك النفقات. وإذا أضفنا إلى ذلك نفقات معيشتي ورسوم المحاماة التي أحتاج إليها لأجل التبني، مبلغًا كافيًا من المال لأجل تيرابيثيا على الأقل لعدة أشهر أخرى، وهذا الجزء الذي سأسدده مقدمًا لأجل قاعة الزفاف، والتي أحتاج إلى حجزها على الفور، حتى أطمئن إلى أنني وشيب سنتزوج في الخريف المقبل. ثم جدولنا زيادة قليلة لأجل نفقات التبني غير المتوقعة. سيصبح الإجمالي ... 11,023 دولار. ما هذا الهراء؟

لم أكتفِ بذلك. أجريت الحسابات مرة أخرى. أولًا أنهيتُ الحسابات باليد. ثم أجريتها على آلتي الحاسبة القديمة من الطراز تكساس إنسترومنتس، ثم على هاتفي، ثم على الإنترنت. اكتشفتُ أنني قد نسيتُ إضافة أحد الألوف. يا إلهي، أصبح الإجمالي 12,023 دولار إذًا. هذا قدرٌ كبير من المال. على الرغم من ذلك، سأجد طريقة. ويجب عليَّ أن أكون واسعة الحيلة.

بعد أسبوعين، فاجأتني كندرا في المكتبة. كانت تتجول بين الممرات لتختار الكتب التي تود قراءتها. ثم وضعت أمامي كتبًا منها «*أحب الذي* تكون برفقته[1]» و «*الشفق*[2]» و «*التكفير*[3]» على المكتب لفحصهم.

- انتظري!

قالت كندرا وقد سحبت كُرسيًا لتجلس أمام مكتب التوزيع حتى يمكننا التحدث بهدوء. أوه-أوه. هل أنا في مشكلة؟

- ما هو أمر المُربى؟ لأنكِ في حاجة إلى ابتكار أفكار جديدة أفضل من ذلك (سألت كندرا).

- أي مُربى؟

رفعت حاجبيها اعتراضًا. وبصمتٍ رفضت الإجابة عن السؤال لأسباب تتعلق بعدم تجريم نفسي[4]. فتنهدت كندرا قبل أن تقول:

- المُربى التي من الواضح أنكِ تحاولين إنتاجها على قدر واسع ... بمفردك.

- أنا لا ...

- كفي عن الهراء دودي. لقد سمعتكِ تتحدثين مع كلوي من نادي القراءة لعُشاق الطعام، ثم أراكِ تحضرين إلى هناك بينما تعلق في شعرك قطع من التوت الأحمر، ولا داعي لذكر الرائحة التي تنبعث منكِ طوال الوقت وكأنكِ تعيشين في حديقة ماريا أنطوانيت.

---

(1) Love،the One You're With: كتاب من قبل إميلي جيفين. ترجمة العنوان اجتهادًا من المترجم.

(2) Twilight: أربع روايات رومانسية من قبل ستيفاني ماير. (المترجم)

(3) Atonement: رواية من قبل إيان ماك إيوان. (المترجم)

(4) التعبير الأصلي هو pleaded the fifth: ويُقصد به The Fifth Amendment التعديل الخامس لدستور الولايات المتحدة الأمريكية، والذي ينص على رفض الإجابة عن السؤال أمام المحكمة لأسباب تتعلق بعدم تجريم النفس، وبخاصة في القضايا الجنائية. (المترجم)

تنهدتُ.

- إذًا ...؟ (حثتني على الجواب).

- كنتُ أصنع مُربى التوت الأحمر. وقالت كلوي إنها ستبيعها في متجر الأطعمة الشهية الخاص بها. كل ما في الأمر أنني أحاول توفير المزيد من المال. تعلمين أن هناك الكثير من النفقات المُلزمة مني الآن.

- بالتأكيد. إلى جانب المكتبة وكل شيء آخر يحدث (قالت كندرا).

- صحيح.

صمتتْ لوهلة بدت وكأنها دقيقة كاملة قبل أن تعاود الحديث:

- هل يتعلق هذا الأمر بوضع تيرابيثيا؟

- ربما.

- أرجوكِ أخبريني أنكِ قد تحدثتِ مع شيب في الأمر حتى إن كنتِ تُعيدين النظر في الأمر من بعيد ...

توقفتْ عن إكمال جملتها، بينما تتطلع من وراء كتفيها في كلا الاتجاهين لتطمئن من أنه ليس هناك من يتنصَّت إلى حديثنا.

- أجل، لقد تحدثت معه (أجبتُها).

- يمكنني القول من تعبيرات وجهك إنه لم يتقبل الأمر بالطريقة التي كنتِ تأملينها؟

هززتُ رأسي قبل أن أجيب بحذرٍ شديد:

- إذا ... من الناحية النظرية ... كنتُ لا أزال في حاجة إلى دراسة تلك الاحتمالية التي ذكرتها ... المهم، هل لديكِ أي أفكار مبتكرة لسداد النفقات؟

- كلا (هزت كندرا رأسها نفيًا).

عاود الألم ضرب معدتي. الحق هو أنه مجرد الاقتراح قد زرع بداخلي آمالًا عالية، أو ربما يأسي المتزايد إذا أردتُ أن أكون صريحة مع نفسي.

- ليس لدي أي جيوب.

أجابت كندرا بينما تشق ابتسامة ساخرة طريقها وهي تقلب الشال الذي يُحيط بها لتُريني أنه لا جيوب به. ثم أضافت:

- فكرتي العظيمة لكِ حتى تحصلي على التمويل اللازم لأي خطة تضعينها هي في الحقيقة تقف خلفكِ.

التفتُّ إلى الخلف. لم يكن هناك شيء سوى لوحة الأختين الحوريتين التي ظللتُ أتجاهلها بصمود منذ افتتاح المكتبة.

باستثناء أنها *لم* تكن لوحة الأختين الحوريتين. لقد كانت لوحة أخرى قديمة من صنعي أيضًا، لفتاة تتطلع إلى جروها النائم بين أحضانها ووجهها ينضح بالحب المحفور بداخلها. ما هذا السُّخف؟!

- أنا مشوشة حقًا. هل تخلصتِ من لوحة الحوريتين واستبدلتِ بها تلك اللوحة هذا الصباح؟ (قلتُ متأتئة).

- كلا. لقد وضعتُ تلك اللوحة بالأمس.

- ماذا حدث للوحة الحوريتين؟

سألتُ على الرغم مني. لم أكن أريد النظر إليها -وكنتُ قد تمكنتُ من تجاهلها لأشهر طويلة على الرغم من أنها مُعلَّقة فوق كتفي- لكن شعورًا بالحزن تخللني حينما تخيلتُ أنها قد عادت مرة أخرى إلى العُلِّية لتُغطى بالقماش.

- أنتِ تمزحين، صحيح؟ يا إلهي، لهذه الدرجة أنتِ غائبة عن الوعي؟ لقد أزلتُ لوحة الحوريتين قبل عيد الأم دودي. لقد بعتها إلى مايك. فقد أراد الحصول على اللوحة هدية لأجل لولا.

- هل أعجبتها؟

- أعتقد ذلك لأنها قد اشترت لوحتين أخريين منذ ذلك الحين (قالت كندرا بهدوء).

- أين رأيتهم؟ (أمسكتُ بحافة المكتب لأُهدئ من روعي).

- مُعلَّقة على الحائط خلفكِ.

- إذًا فقد كان هناك ... أشياء أخرى مُعلَّقة أيضًا خلاف تلك؟

كنتُ قد بدأتُ في ربط الخيوط ببعضها؛ صندوق المصروفات البسيطة الذي بدا وكأنه كوب لا ينتهي من الشاي حُلو المذاق الذي يُعاد ملؤه بإعجازٍ في كل مرة أذهب فيها إلى المرحاض (والذي يبدو شيئًا متوقعًا إذا كنت تحتسي فنجانًا لا نهائيًّا من الشاي حُلو المذاق). كثيرٌ من الناس يواجهون مشكلاتٍ مع هؤلاء الذين يسرقون الأموال من صندوق المصروفات من وراء ظهورهم. لكنه من الواضح أن هناك شخصًا ما يضع ليَ النقود فيه!

- أجل. أربع لوحات في الحقيقة.

- *أربع لوحات؟*

- أربع لوحات. ألم تسمعي روَّاد المكتبة يتحدثون عنها؟ عندما جلستُ هنا كان الناس يسألونني طوال الوقت عن رسَّام تلك اللوحات، وعما إذا كان هناك المزيد منها؟ ربما لم يسألك أحدهم لأن هناك شائعة عن أنكِ رسَّامة سرية موهوبة بالفطرة لكنكِ تكرهين الحديث عن الأمر.

كان هذا اقتراح كندرا عن السبب وراء جهلي التام بالأمر.

كنتُ أهزُّ رأسي في ذهول، ثم قلتُ:

- شكرًا لكِ.

على الرغم من تلك القبضة التي هزت جدران معدتي. كنتُ أفكر في تلك القطع الصبيانية العاطفية التي يجري استعراضها أمام أعين شاتسورث وأهلها ... أو -لا قدر الله- على جدران منازلهم.

رفعت كندرا كتفيها بتواضع قبل أن تقول:

- يجب عليكِ أن تُفكري في إقامة معرض ...

فكرتُ: *«مستحيل. نجوم السماء أقرب من أن أفعل ذلك»*.

وتابعت كندرا:

- ... وبيع مجموعة من القطع في مرة واحدة ...

«على جثتي».

وتابعت أيضًا:

- كنتُ أبيع الواحدة منها مقابل مائتي دولار، وأنتِ تمتلكين بعض اللوحات القليلة أكبر حجمًا في عُلّيتك، لذا أعتقد أن بإمكانك تحصيل بضعة آلاف من الدولارات مقابل بيعها.

«ليس حتى في أحلام هيلينا بونهام كارتر».

- سبعة آلاف، أو ربما ثمانية أو تسعة ... (قالت كندرا).

حسنًا، موافقة. تم حل المشكلة. على الأرجح.

عُلِّقت لوحاتي على جدران المكتبة في ليلة معرض الفنون. وإلى جانب المكاسب المحتمَلة، كنت سعيدة من فكرة الجمع بين حبي للرسم وحبي للكتب. ربما في المستقبل يمكنني إقامة معارض الفنون للأطفال أو دعوة الرسَّامين إلى الحضور هنا ومناقشة أعمالهم. لكن أولًا، عليَّ تحصيل مبالغ كبيرة من هذا الأمر.

لحسن الحظ كان رئيس دائرة الإطفاء في جاميكا، ونيابةً عنه حضر أنوب لمباركة الجمع في البداية عندما اقتصر الحضور على شيب وكندرا وجيرالدين وأنا، ثم صارحنا بموعده مع خطيبته لحضور عرض فيلم هو *ليس معجبًا بكِ* فحسب، وعجزه عن العودة إلى هنا ليتابع مستوى الإشغال في منزلي عند اكتمال الحضور.

- هذا رائع دوو (قال شيب بينما يطبع قبلة رقيقة على شعري).

كان يرتدي قناع الداعم؛ وفي كل مرة يتوقع فيها أنني لا أرى وجهه ولا أنظر نحوه، كان وجهه يسقط عبسًا، وكنتُ أعرف كم كان يفكر فيما سأفعله ببعض من العائدات.

في الصباح التالي، كنتُ وكندرا في حالة صياح عبر الهاتف:

- ثمانية آلاف دولار!

لقد بيعت كل لوحة معروضة. كنتُ شديدة القرب إلى هدفي. وإذا أضفت العائد إلى راتبي وبعض الادخارات وهدايا عيد ميلادي النقدية، ربما أكون

قادرة على أن أُثبت لماكي وچيف قريبًا أنني مستقرة في الوضع المالي الذي أحتاج إلى أن أكون فيه.

- دوو، مستعدة لتناول الفطور؟ (كان شيب يُنادي من الطابق السفلي).

- عليَّ الذهاب الآن يا ملاكي الحارس. شكرًا لكِ كثيرًا على الإيمان بفني ودفعي حتى أبيعه (قلتُ لكندرا).

- على الرحب والسعة. لكن دوو؟ تمهلي في إنفاق الأموال، مفهوم؟ ستحتاجين إلى الكثير من المدخرات قبل أن تستطيعي إخبار ماكي وچيف بأنكِ مستعدة أخيرًا بشكل منطقي (قالت كندرا).

- بالطبع.

الفصل السابع عشر

نوفمبر *2008*

لم تكن كندرا تمزح، ففي غضون أقل من أسبوع كان مبلغ الثمانية آلاف دولار قد اختفى تمامًا بطريقة أسرع مما توقعتُ.

أدركتُ أنني في حاجة إلى نظام سريع أسير عليه حتى أصير ثرية. وفكرتُ فيما يمكنني بيعه أيضًا من الأشياء في العُلِّية غير اللوحات، كلا، مهلًا... ماذا لو عُدت إلى الرسم مرة أخرى؟ كان بيع اللوحات قد منحني ثقة بالنفس كافية حتى أُفكر في العودة إلى الرسم مرة أخرى.

خرجتُ متوجهةً إلى متجر روبشاو للمعدات ولوازم الرسم – القديم الذي ما زلتُ أثق فيه. كان السيد روبشاو قد ساعدني كثيرًا على اختيار الألوان ولوحات الرسم والحامل الذي سأضعه في زاوية مكتبي المُطِل على شجرة السنديان الكبيرة بالخارج.

في المرة الأولى التي وقفتُ فيها أمام لوحات الرسم الفارغة، شعرتُ وكأن رجفة من الحماس تسير في جسدي تُذكرني بمدى حُبي وولعي بالرسم وبالساعات الطوال التي انقضت بينما تتحول ضربات الفرشاة العشوائية إلى حيوانات وشخوصٍ مختلفة.

مضت ساعة وكنتُ لا أزال مُحدقةً خارج النافذة أراقب تغير أشعة الشمس بين فروع الشجر المصقولة بالثلوج.

حسنٌ! ربما كانت المشكلة هي أنني أحتاج إلى موضوع للرسم بدلًا من ابتكار أي شيء دون هدف. وعلى مدار الأيام القليلة التالية، استجمعتُ مجموعةً من الصور المفضلة لي من رحلاتي، وحاولتُ رسم وجوه الناس

فيها. عازف آلة الأكورديون في أحد الشوارع بحي مونمارتر في باريس. الأطفال الذين يلعبون الشطرنج في كامبو دي فيوري في روما. حسنًا يبدو وكأنني لن أبدأ عما قريب.

أجبرتُ نفسي على المحاولة. كانت الفرشاة في يدي مثل بوصلة التوجيه. وشعرتُ حينها أنني لا أريد الرسم. أعلم أنه ينبغي لي ذلك، لكنني لا أريد.

كان شيب يمر بالمنزل لقضاء بعض الوقت برفقتي، وسألته في الليلة الأولى:

- هل نجلس في غرفة المعيشة؟

- ألا يمكننا الجلوس هنا؟

أجاب متسائلًا بينما يشير إلى الكُرسي المُريح في غرفة مكتبي على الجانب الآخر للغرفة على الجانب الآخر من الحامل.

- كلا، إنك تُشتت انتباهي.

أجبته وطبعتُ قبلةً سريعة على شفتيه. لكن الحقيقة هي أنني شعرتُ بكثير من الضغوط والتوتر عندما استقبلته في تلك الغرفة.

وبعد ساعاتٍ قليلة، صعد شيب إلى الطابق العلوي للاطمئنان عليَّ:

- كيف تسير الأمور؟

- جيد جدًّا.

الحقيقة أنني كذبت وأنا أُبعد لوح الرسم قليلًا عن ناظريه.

- هل يمكنني أن أُلقي نظرة؟

- ليس بعد. فأنا شديدة التحفظ عندما يتعلق الأمر بعمل تحت الإنشاء.

لم يكن هذا صحيحًا أيضًا. اعتدتُ أنا وسوليفان أن نُلقي نظرة على لوحات بعضنا بعضًا طوال الوقت. لكن الوضع هنا مختلف. والتوقيت مختلف. قبل ...

أفتقدها كثيرًا. إلا أنني أحببتُ فكرة العودة إلى الرسم مُجددًا لأجل سوليفان. لأجل تيرابيثيا. ولكن لا يبدو أنني سأقدر على فعل ذلك، على الأقل حتى الآن.

***

قررت كوكو ومارك استضافة عشاء عيد الشكر هذا العام. وكانت تلك هي المرة الأولى لأي منَّا أن يراهما منذ أن قرَّرا التبني على الرغم من أننا عرضنا أو ربما هددنا بالمجيء عدة مرات.

- دعونا ننتظر حتى العطلة. إننا بخير، أعدكِ بذلك. ويمكنكم جميعًا أن تأتوا حينها.

كانت كوكو قد أخبرتني بذلك عندما كنا نعرض زيارتها.

- هل تُراهم واثقين من أنهما يريدان القيام بذلك بأنفسهما؟ في هذا الوقت؟ لقد سألتُ كوكو عن ذلك، لكنها أصرَّت على أنهما بخير.

كان هذا ما أخبرتُ به أمي في الأسبوع الذي يسبقه. أجابت أمي حينها:

- لقد فكرتُ في ذلك أيضًا. وأعتقد أنه لهذا السبب يبدو جيدًا لو مكثنا جميعًا حتى صباح الجمعة فقط. لقد أخبرتني بأنه سيكون إلهاءً مُرحَّبًا به وسيُذكِّرهم بكل شيء يمتنون له.

وعندما وصلنا، أدركنا أنهما قد أعدا كل شيء بنفسيهما. كان هناك نوعان من الديك الرومي يأخذان وقتهما في الفرن؛ أحدهما كان مشويًا حتى صار بنيًّا يميل إلى اللون الذهبي ومُغطى بالحساء، والآخر مقليًا مُقرمشًا حتى صار بنيًّا يميل إلى اللون الذهبي. لم يكن الطائر، بل البطاطس المشوية التي يُغطيها الثوم والروزماري وزيت الزيتون وملح البحر الذي اعتدتُ أنا وأختي أن نتشاجر حولها.

تسللتُ برفقة أمي إلى المطبخ وأعددنا أطباقها التقليدية -طاجن الفاصولياء الخضراء إلى جانب شوربة كريمة المشروم المغطاة بحلقات البصل المقلية وطبقٌ من البطاطس المهروسة بالثوم- وأضفنا أيضًا بعضًا من الأطباق المفضلة لعائلة شيب والتي كان منها الفطائر المُحشوَّة بجُبن الشيدر وزُبدة الجعة، وصلصة التوت البري والبرتقال السميكة.

جلس شيب مع مارك وأبي في غرفة المعيشة يسردون الحكايات والقصص عن ذكريات عيد الشكر التي قضوها عندما كانوا صغارًا. وأدركتُ عيني شيب تحاولان التلصص من المدخل ثم ابتسمت؛ كان يلوِّح بإبهامه نحوي.

- هل يتصرف شيب معكِ بشكل لائق؟

وقفت مادي تهمس في أذني. فسددتُ إليها نظرة ثاقبة.

- أترينه مُتلاعبًا؟ (أرادت كوكو أن تعرف).

- إنه ليس كذلك. الحقيقة أن بيننا اختلافات في بعض الآراء مؤخرًا في تلك الأمور التي تتعلق بالزفاف. لكننا بخير. أخبريني عن حالك.

كان جزء مما قلته حقيقيًا، على الرغم من أن الاختلافات ليست في الأمور المتعلقة بالزفاف بقدر ما هي الأمور المتعلقة بالزواج.

- أفضل الآن. سننتظر حتى رأس السنة حتى نُعاود الكرَّة. (أجابت كوكو).

- هل انتقلتما إلى نهاية صفوف المُقدمين؟ (سألت مادي)

إلا أنني وأمي قد سددنا إليها نظرة ثاقبة لتصمت.

- ماذا؟! هل هذا سؤال مزعج؟ (علَّقت مادي على نظرتي وأمي).

فأوضحتُ لها:

- يبدو وكأنكِ تسألين ما إذا كانوا قد طُردوا على قارعة الطريق.

- حسنًا ... أقصد ... أعتقد أن هذا ما حدث.

استطاعت كوكو أن تضحك ثم قالت:

- أعرف ماذا تقصدين مادي. وإجابتي هي أنني لا أعرف. الحقيقة أن هذا نادرًا ما يحدث. إنها عملية معقدة للغاية أن تُقدمي على تبني طفل، ثم تنتظري مدة زمنية تصل إلى عدة أشهر. لذلك لا أدري أي نوعٍ من الأسبقية يكون هذا.

- أنا آسفة بشأن سيانيه كوكو (قلتُ).

إلا أنني أردتُ أن أواسيها بيني وبينها.

- شكرًا لكِ!

نظرةُ ألمٍ قد عبرت وجهها عندما سمعتْ اسمها.

- لا يمكنني تصور ما تشعرين به الآن (تابعتُ حديثي).

- أشكُ في ذلك، على الأقل قليلًا. ربما انتابتكِ مشاعر مشابهة عندما وصل الأمر إلى تبني تيرابيثيا. أعلم أنه من الصعب أن تتخيلي توديعه في أحد الأيام (أجابت كوكو).

كانت أمي وإخوتي جميعهم يتطلعون نحوي كما لو أنهم يفهمون ما أحاول فعله، إلا أنني اعترفتُ:

- إنه كذلك. إن الأمر صعبٌ حقًّا. لكنكِ كوكو، ستكونين أمًّا رائعة.

امتلأت عيناها بالدموع قبل أن تُجيب:

- أتمنى ذلك.

سمعنا فرقعة انتهاء طهي الديك الرومي في الفرن. ولم يمر وقتٌ طويل حتى تكدست أطباقنا بأكوام من الفطائر المحشوَّة الساخنة والفاصولياء الخضراء بشوربة الكريمة وقطرات الندى التي تتولد على سطح الديك الرومي وشقوقه المحشوة بالأعشاب الريشية، وتتويج شرائح البطاطس الذهبية – أعلى أطباقنا، والتي تشبه أشعة الشمس في أواخر فصل الصيف. واتخذنا أدوارًا متتالية حتى نشكر الله على ما نحن ممتنون له. وبعدما انتظرنا للحظةٍ بدت كأنها الدهر مما جعل كل شيء يبدو شهيًّا؛ حان وقت الطعام.

***

- كان شيئًا مزعجًا بالنسبة إليهم، أليس كذلك؟

قال شيب عندما جلسنا إلى المائدة لتناول بقايا طعام عندما عدنا إلى المنزل يوم الأحد.

- أجل!

- يبدو كأنهم متماسكون على نحو جيد على الرغم من كل شيء (تابع شيب).

- أجل.

- هل تعلمين أن مارك قد استثمر مبلغًا كبيرًا من المال الذي ورثه حتى يمكنه ادخاره في خطة الادخار 529[1] لأجل طفلهم المستقبلي؟

- كلا! لكن هذا يبدو منطقيًا. أخبرني ما هي خطة الادخار 529؟ (سألتُ).

- لقد تأكدوا أيضًا من أنهم يُقيمون في ضاحية بها مدارس جيدة قبل أن ينتقلوا إلى منزلهم.

- أجل.

- أعتقد أنهم استثمروا الوقت في كثير من التخطيط.

لم يكن شيب من النوع الماكر.

- إذًا هل كنتَ تفكر في هذا الأمر كثيرًا؟

- دوو! لم أتوقف يومًا عن التفكير في الأمر. لكنني لا أعلم ما الحل في ذلك. لكنني غير مستعد، وأنتِ أيضًا غير مستعدة.

- تمهل! إنني أبذل قصارى جهودي حتى أكون مستعدة للأمر. أعلم أنني مررتُ ببعض الانتكاسات، لكنني حصلتُ على فترة راحة طويلة رائعة بدءًا من الخامس عشر. وسأستغل هذا الوقت في الرسم.

- مممم.

نهضتُ تاركةً طاولة الطعام. أذكر أن دانيل لم يعتقد قط أنني أتمتع بالموهبة لأكون رسَّامة. والآن يبدو أن شيب لا يعتقد أنني مستعدة لأكون أمًّا، أو أنه لا يريدني أن أكون أمًّا. تصاعد الغضب والألم في حلقي كما الحمم البركانية، فقلتُ:

- أعلم أنه لا يمكنني إجبارك على أن ترغب في أن نتشارك تلك الخطوة. لكن على الأقل يمكنك الإيمان بي.

صفعتُ باب غرفة نومي ورائي، وبعد دقائق قليلة سمعتُ صفعة أقل نعومة للباب الخارجي؛ غادر شيب.

---

(1) خطة الادخار 529: هي خطة ادخار تتمتع بمزايا ضريبية مخصصة للتشجيع على الادخار لأجل تكاليف التعليم المستقبلية.

الفصل الثامن عشر

ديسمبر 2008

في اليوم التالي بعد انتهاء عطلة عيد الشكر، كنتُ أغادر المدرسة عندما رأيتُ إلميرا خلال نافذة مكتب المدير. كانت والدتها تقف إلى جانبها، والذي يحمل الإشارة الأولى على أن الأمر مهم، أما الإشارة الثانية فكانت وجه إلميرا الشاحب شحوب الموتى.

- ماذا يحدث؟ (سألتُ موظف الاستقبال).

- قُبض عليها متلبسة بالسرقة (أسرَّ إليَّ بنبرات منخفضة).

- كلا، أقصد إلميرا بيل.

لا بد وأنه قد اعتقد أنني أتحدث عن شخصٍ آخر في ساحة الانتظار.

- أجل، هذه هي. تسللتْ إلى حجرة مُعلمتها وسرقت مجموعة من الكتب، ووجدوا تلك الكتب في حقيبة كتبها.

ما هذا الهراء؟ هذا لا يبدو أبدًا –بأي طريقة أو شكل أو معنى– تصرفًا يصدر عن إلميرا!

تطلع المدير ورآني واقفةً من خارج فراغ النافذة، وعندما تلاقت أعيننا، وأشرتُ نحو صدري، فقطب حاجبيه، لكنه لوَّح بيديه لأدخل.

- ماذا يحدث؟ (سألتُ).

- سرقت إلميرا عِدة كتب من مُعلمتها.

- هذا لا يبدو تصرفًا يصدر ...

توقفتُ في منتصف الجملة، وفكرتُ في أنه سيكون من الأفضل لو استمعت لما حدث أولًا. لذا أعدتُ صياغة سؤالي فقلتُ:

- ماذا حدث؟

- كانت الآنسة لاريزي تكتب ورقةً بحثية لأجل إحدى المجلات العلمية عن لويزا ماي ألكوت، وكانت إلميرا تُجري بحثًا عن رواية *نساء صغيرات*، ثم وجدنا كتب الآنسة لاريزي في حقيبتها.

مكتبة
t.me/t_pdf

اتجهتُ نحوها:

- إلميرا؟ ما الأمر؟

- كنتُ أستعيرهم فقط. أنت تعلمين أنني قارئ سريع، وكنتُ سأعيدهم غدًا. لم أكن أعتقد أنها ستحتاج إليهم، وكنتُ أحتاج إليهم لأجل مشروعي.

- اعتقدتُ أنكِ تستخدمين الكتب التي نوفرها في مكتبة الاستعارة عن لويزا ماي ألكوت. لماذا تحتاجين إلى كتب الآنسة لاريزي؟

لم تنظر إلميرا باتجاهي، وهذا ما حطَّم قلبي. كانت مكتبة الاستعارة الخاصة بي مُغلقة كثيرًا في الآونة الأخيرة، وربما لم تُوافق والدتها الأنانية على الذهاب بها إلى مكتبة ديربيشاير أو إلى متجر بيع الكتب. مما يعني أن إلميرا قد عجزت عن الحصول على الكتب التي كانت في حاجة إليها، لذلك قررت اقتراضهم من مُعلمتها، والذي صادف أنها كانت امرأة على نفس القدر من الجاذبية واللطف مثل ليلى بيل.

لقد كان خطئي. تحولت إلميرا من فتاة بريئة رقيقة إلى مُجرمة، وكان هذا بسببي!

في تلك اللحظة كنتُ قد فقدتُ القدرة على النطق، لكنني استعدتها لأجل إلميرا، واختليتُ بوالدتها والمدير، قبل أن أخبرهما:

- اسمعا من فضلكما، إلميرا تمتلك سجلًا ناصع البياض، ويمكنني أن أُجزم بحقيقة أنها قدَّمت إليَّ مساعدة لا تُقدر بثمن في أثناء وجودها في مكتبة الاستعارة، والأهم من ذلك أنها طالبةٌ مثالية. أنا متأكدة أن هناك

سوء فهمٍ وأنها قد قصدت طلب الحصول على الكتب، أو استعارتها، وأنها كانت عازمة على إعادتها على الفور. ألا يمكننا أن ننظر إلى الأمر من منظور آخر لمرة واحدة؟

أما السيدة ليلى بيل فكان حديثها مضبوطًا على التعنت ولا يقبل إعادة التفكير:

- لا أعتقد أن هذا ملائم. أرى أن الطرد عقابٌ شديد للغاية، لكنني أعتقد أنه لا مفر من أن تُعاقَب على أفعالها. سنفعل ذلك في المنزل بالطبع، لكنها تحتاج إلى عقاب متعلق بهذا المكان أيضًا حتى نضمن ألا يتكرر هذا مُجددًا.

فصحتُ:

- لن تُكرره!

- حسنًا، الخيارات الأخرى المتاحة هي التعليق أو الحجز. مما يعني أن هناك شخصًا ما سيعتني بها أو يأتي ليصحبها في وقتٍ متأخر (قال المدير).

تصاعد الدم المحموم إلى رأس ليلى بيل عندما تعارضت رغبتها في تأديب إلميرا مع رفضها التام لتغيير جدول مواعيدها، قبل أن تسأل أخيرًا:

- أليس هناك أي نوع من فترات المراقبة واختبار السلوك يمكن أن تفرضه عليها بدلًا من ذلك؟

- أجل، يمكننا ذلك (أجاب المدير).

ثم التفت نحو إلميرا ليُضيف:

- سنفرض عليها ثلاثة أشهر من المراقبة واختبار السلوك هنا، وإذا كان هناك أي انتهاك آخر، سنعيد النظر في نوع أشد من العقاب. هل تفهمين ذلك أيتها السيدة الصغيرة؟

أومأت إلميرا إيجابًا. كانت يداها متشابكة بين فخذيها.

- هيا لنذهب. وسنتحدث بشأن عقابي لكِ في السيارة (أصدرت ليلى بيل أوامرها ثم رافقت إلميرا خارج الباب).

تسارعت الانقباضات في غزو معدتي بينما كنتُ في طريقي بالسيارة إلى المنزل. اتجهتُ نحو مؤخرة المنزل، وحللتُ قفل الباب المؤدي إلى الغرفة الزجاجية الشمسية، ثم تداعى جسدي على الكرسي لأُفكر فيما حدث. كانت كندرا على حق؛ لم أكن أقوم بعمل جيد. والآن صار الأمر مؤكدًا أن إلميرا ليست الشخص الوحيد في شاتسورث الذي يحتاج إلى المكتبة، والذي يأتي ليجدها مغلقة. هؤلاء الأشخاص قد صاروا أصدقائي، وأعرفهم اسمًا اسمًا. والأهم أنني على دراية ببعض مشكلاتهم، وأعرف جيدًا أي الكتب التي ربما تجعلهم يشعرون بتحسنٍ ما.

لم تعد المكتبة مجرد مكان، بل تمتلك حياة منفردة بها. لقد صارت المكان الذي يشعر فيه الآخرون بالتواصل والارتباط بعضهم مع بعض، وأحيانًا ما تكون تلك المحادثات كافية لتجعل الواحد منهم يغادر بابتسامة على وجهه، أو يتجول وفي داخله شعور بالحرية والانطلاق، لكنني قد انغمستُ في مأساتي مع تيرابيثيا إلى الحد الذي جعلني أعجز تمامًا عن التعرف على المعجزة التي أنشأتها في تلك المدينة ... حتى صار كل شيء على حافة الانهيار.

كنتُ أغوص في خطر خسران المكتبة، وشيب أيضًا، وعجزتُ عن احتضان تيرابيثيا -ماليًّا أو غير ذلك- ما لم أُغلق المكتبة للأبد أو على الأقل أمنحها إلى كندرا. حسنًا، هذا شيء لا يمكنني التعايش معه. كانت المكتبة هي طفلي أيضًا؛ طفلي الأول.

***

بعد أيامٍ قليلة من حادث إلميرا، كنتُ ألعب مع تيرابيثيا في منزل ماكي وچيف بعد اليوم الدراسي، وفجأة أغلقتُ عينيَّ، لم تمر سوى لحظاتٍ قليلة حتى شعرتُ بهزة لطيفة على ذراعي، كان وجه تيرابيثيا الصغير مقبوضًا بالقلق، فخرجت كلماته باهتمام:

- دادا؟ هل أنتِ بخير، دادا؟

جذبتُه بعناية لأمنحه عناقًا طويلًا، ثم قلت:

- أنا آسفة!

عدتُ بعدها إلى بناء عربات القطار لأجله حتى يفصلها بعضها عن بعض مرة أخرى. أما عن الشعور بالنعاس بينما كان بوو مستيقظًا، فقد أرعبني حتى الموت.

كانت ماكي مستغرقة في قيلولتها على الأريكة في غرفة المعيشة. وبدا الأمر كما لو أنه في كل مرة أتطلع إليها، تزداد خطوط القلق على وجهها المحبوب، حتى في نومها كانت يداها مضمومتين بين فخذيها. كان چيف يقف بجانب الطاولة في مدخل المطبخ. للمرة الأولى اعتقدتُ أنه يقرأ إحدى المجلات. ثم أدركتُ أنه كان يسند جسده بيدٍ واحدة على الطاولة، أما اليد الأخرى فكانت تُمسك بصدره.

- چيف، هل كل شيء بخير؟

كانت أنفاسه تخرج متقطعة في دفعات قصيرة. أحضرتُ له كُرسيًّا ليجلس، ثم هاتفتُ رقم الطوارئ 911:

- أود أن أُبلغ عن حالة طارئة في العنوان التالي 121 ميريتون روود. وأعتقد أنها نوبة قلبية.

ظهرت ماكي أمام الباب وأسرعت نحو چيف. كان المُوجِّه قد أعطاني بعض التعليمات، فابتلع چيف بعض الأسبرين بينما كانت ماكي تُمسك بيديه وتحاول تهدئته:

- سيكون كل شيء على ما يرام عزيزي.

استقبل تيرابيثيا سيارة الإسعاف بنحيب الاستيقاظ. وعندما دخل فنِّي الطوارئ الطبية قلتُ لماكي:

- اذهبي أنتِ؛ سأعتني بتيرابيثيا.

- لا بأس بوو.

كذبتُ عليه في محاولة بائسة لإلهائه بلعبة الأخطبوط المتحدث المفضل لديه.

هدأت صافرات الإنذار، ومرَّت الساعات بطيئة كالسلحفاة، كانوا قد غادروا إلى المستشفى في نحو الساعة 11:00 صباحًا، وبعدما جاوزت الساعة 7:00 مساءً بقليل، عندما وضعتُ تيرابيثيا المُتعب القلِق في فراشه، اتصلت ماكي.

- كيف حال چيف؟ ماذا حدث؟ (سألتُها).

- سيكون بخير. لقد كان يعاني نوبة قلبية طفيفة، ولذا وضعوا له الدعامة.

- أوه، يا إلهي!

- سيبيت هنا الليلة. وإن كنتِ لا تُمانعين أن تمكثي لبضع ساعات أخرى، لأنني أخطط أن أبقى حتى يُقرروا طردي من هنا.

- هل سيطردونكِ؟ هل تريدين البقاء معه تلك الليلة؟ ليس هناك مشكلة. إننا بخير هنا، وتيرابيثيا نائم الآن.

- لا يوجد مكانٌ خالٍ في غرفته لأقضي الليلة حتى إن أردتُ ذلك (أجابت ماكي).

- هل يرتاح چيف الآن؟

- أجل. يبدو هادئًا الآن؛ لقد كان يتألم كثيرًا من قبل.

- جيد. إذًا عودي واستريحي قليلًا إن أمكنكِ ذلك.

عادت ماكي إلى المنزل في التاسعة مساءً، كان وجهها شاحبًا شحوب الموتى. فمنحتها عناقًا طويلًا قبل أن أسألها:

- هل أنتِ بخير؟

- أجل، أعتقد أنه سيكون بخير.

- كلا، أقصد هل *أنتِ* بخير؟ (أعدتُ سؤالي).

- أوه، أنا. أنا بخير. لكنني مُتعبة للغاية. سأذهب للاطمئنان على تيرابيثيا. سأعود على الفور.

- ما تلك الرائحة الشهية؟

سألتْ ماكي وهي تتطلع من وراء كتفي. فقد كنتُ أُقلّب الإناء على الموقد، تذوقتُ القليل منه، كان بحاجة إلى المزيد من المِلح.

- أعددتُ حساء الخضراوات، من قطع الخضراوات في ثلاجتك. أتمنى ألا تُمانعي ذلك.

- كلا، هذا لطف منكِ. أتمنى ألا تشعري بالانزعاج إذا اكتفيتُ بالقليل منه. لا أتمتع بالشهية لتذوق الطعام. والحق أنني بحاجة إلى الذهاب إلى الفراش.

فهمتُ إلى ماذا تُشير ماكي. فسألتها:

- هل هناك أي شيء يمكن أن أفعله لأجلكم؟

هزَّت رأسها نفيًا.

- سأمرُّ عليكم غدًا وأُجالس تيرابيثيا بينما تذهبين إلى المستشفى. لا داعي للعجلة. سأعتني بـ بوو طوال المدة التي تحتاجين إليها (قلتُ).

كان هناك مهلة من الصمت الغريب قبل أن تُجيب ماكي:

- شكرًا لكِ. ستأتي شقيقتي إلى هنا في الصباح، لذلك لا حاجة إلى ذلك. ويُحتمل أن يُغادر چيف المستشفى في الصباح، لكنني أعلم أن لديكِ عملًا في المدرسة، ولا يمكنني التنبؤ بالمدة التي سنقضيها في المستشفى.

- أجل، حسنًا، إذا كنتِ في حاجة إلى أي شيء أخبريني ماكي. وهاتفيني إن أردتِ أي شيء في أثناء الليل.

كان شيب قد بدأ في مداومة وردية ثانية في العمل منذ شهر، لذلك كنتُ أعلم أنه لن يكون بالمنزل. كنتُ بحاجة إلى رؤيته. كنتُ بحاجة إلى إصلاح الأمور بعد ما حدث في الليلة الماضية. وظللتُ أُكرر على مسامعي: «*إنه يفعل ذلك لأجلِك. لأجل الزفاف وربما لأجل خاتم الخِطبة الذي منحكِ إياه*». سقطتُ على الأريكة واتكأتُ بينما أُقلّب بين قنوات الأخبار. وكان هذا ما جاء «وقع حادثٌ في موقع الإنشاء القائم في ترامبول وشيلدرون بمدينة شاتسورث

حيث يُقام المركز التجاري الخارجي الجديد. ولم نتلقَ أي أخبارٍ عما إذا كان هناك أي إصابات بين العُمال، لكن يمكنكم رؤية أن الرافعة قد حطَّمت جزءًا من الجدران التي بُنيت حديثًا لمطعم البرج التايلاندي».

- يا إلهي، يا إلهي!

ظللتُ أُردد تلك الكلمات مرارًا وتكرارًا بينما أحاول الاتصال بهاتف شيب. لكن لا رد!

- عزيزتي؟

قال شيب الذي كان يقف خلفي مباشرة حتى أرعبني حد الجنون. لم أكن قد سمعت قفل الباب يُغلَق.

- أنتَ بخير! (قلتُ متعجِّبة).

- بالطبع أنا بخير، لكن هل أنتِ بخير؟

تراجع إلى الوراء وتطلع في وجهي الشاحب، قبل أن يسأل:

- ماذا يحدث؟

- أوه شيب، لقد رأيتُ ذاك الحادث الذي وقع في الموقع.

بدا الأمر وكأنه أخبار جديدة بالنسبة إليه استنادًا إلى تعبيراته المتفاجئة.

- وعندما هاتفتُك لم ترد، ربما لأنك كنتَ عند مدخل البيت، لكنني كنتُ مرتعدة وبعد شجارنا بالأمس ...

- اهدئي دوو؛ أنا بخير.

حاول شيب تلطيف الأجواء وهو يُخلل بأنامله ما بين خصلات شعره. ورحتُ أتنفس بعمق بينما يهاتف شيب رئيس العمال. واتضح أنه لم يتأذَّ أحد. ثم أخبرته ما كان من أمر چيف.

- دوو، غدًا يوم إجازة وأنا متفرغ. ربما سيكون من الأفضل أن تأخذي اليوم عطلة أيضًا (قال شيب).

بعدما أعدَّ لي شيب فنجانًا من شاي اللوز، عاد إليَّ شعوري بنفسي. وتمكنتُ من إيجاد بديل لي في المدرسة بصورة إعجازية في اليوم التالي، والذي كان أمرًا نادرًا ندرةَ الفوز بتذكرة اليانصيب.

تعانقتُ وشيب بينما كنا نشاهد التلفاز لبعض الوقت قبل أن نتجه إلى الطابق العلوي لنغط في النوم. الحقيقة هي أنني نادرًا ما كنتُ حاضرة من أجل شيب، وعندما أكون حاضرة، يكون عقلي مشغولًا في مكانٍ آخر. وبينما كنتُ أحاول السقوط في النوم، فكرتُ في أن *الغد* يوم *عطلة*، لذا يمكننا أن نتناول الفطور معًا ولا نكون على عجلة من أمرنا. ويمكننا السير في جولة لتجديد الهواء المنعش. يمكننا أن نفعل أي شيء يخطر ببالنا.

لكن في الصباح التالي كل ما كنتُ أريده هو عدم التخلي عن تيرابيثيا. الأمر هو أنني عجزتُ عن ذلك، تسللتُ خارج الفراش –حريصةً على ألا أُوقظ شيب– وعبرتُ الفناء الداخلي حتى وصلتُ إلى غرفة مكتبي.

وجلستُ أمام حامل اللوحات.

وبقيتُ جالسة.

وظللتُ أمامه دون حَراك.

كان عليَّ أن أعترف أن نهضتي الفنية لن تحدث. فلقد حاولت وحاولت مرارًا وتكرارًا، لكن تلك المَلكة لم تعد بداخلي مطلقًا. ربما كنتُ مُتعبة للغاية. ربما كنتُ أُحاول إرغامها على الظهور، ربما جاءت لوحاتي الفنية السابقة من الشغف وليس الضرورة.

ربما توصلتُ منذ وقتٍ طويل إلى حقيقة أن مكاني في عالم الفن كان يتضمن أعين كسولة وأوراقًا برَّاقة بدلًا عن اللوحات الافتتاحية للمعارض واللوحات القماشية المتراكمة في شكل أبراجٍ عالية.

ربما كنتُ شخصًا مختلفًا الآن عما كنتُ عليه من قبل، ربما صرتُ شخصًا تُضيء عينيه لطفلٍ حقيقي بدلًا عن حوريات البحر أو الفتيات الصغيرات اللاتي يحملنْ جراءً صغيرة أو سلاحف على أوراق الزنبق.

لم يكن هناك فائدة تُرجى من إنكار تلك الحقيقة: لن تأتي العرَّابات السحرية حتى تُحقق تلك المعجزة التي أحتاج إليها.

أطل شيب برأسه من الباب قائلًا:

- دوو؟ هل أنتِ بخير؟

تنهدتُ ثم وجَّهتُ اللوحة القماشية نحوه.

- لا شيء، أليس كذلك؟ (قال شيب).

- كلا. أنا حقًّا أريد ... (أجبتُ).

- أعرف (تمتم شيب ثم أضاف) لكن لن يسير الأمر على هذا النحو. أعلم كم تُحبينه، وأعلم أنكِ ستكونين أمًّا رائعة يومًا ما. لكن أن تدفعي نفسكِ إلى الجنون في محاولةٍ لتوفير المال ... هذا أمر يتطلب الكثير منكِ (أخذ شيب كلتا يدي بين يديه ثم استأنف) عزيزتي، إليكِ ما في الأمر. الحقيقة هي أن كوكو ومارك يتمتعان بالوسائل التي ستمنح تيرابيثيا الحياة التي ليس في مقدورنا أن نوفرها له الآن. أعلم أن ما يحدث ليس عدلًا، لكن أعلم بداخلي أنكِ تعرفين في النهاية تلك الحقيقة. هل فكرتِ من قبل في التحدث مع كوكو بشأن هذا؟

- كلا!

لم أكن أُجيب بنبرة معتادة بل كانت صُراخًا حقيقيًّا. واستأنفتُ:

- أقصد ما أقوله، كلا. لقد عادوا بالفعل إلى القائمة من أجل الإحالة. وسيكون الأمر غريبًا جدًّا عليها. إنها تعلم جيدًا كيف أشعر نحو تيرابيثيا. ليس الأمر وكأننا نتبادل خيولنا الصغيرة.

كانت الكلمات تنسكب من بين شفتيَّ. وغمرتني رعشةٌ مفاجئة شعرتُ معها بالبرودة والحرارة في آنٍ واحد.

شبَّكَ شيب بين أصابعي ليُثبِّتَ جسدي المهتز ثم قال:

- فكري في الأمر دوو (وصمتَ لبرهة قبل أن يستأنف قائلًا) سنحظى بالأطفال في يومٍ ما، عندما نكون مستعدين. ويمكننا أن نتبنى من إثيوبيا إن أردتِ ذلك.

- لكن أحدًا منهم لن يكون تيرابيثيا.

أومأ شيب متفقًا معي:

- هذا حقيقي. لن يكون أحدٌ منهم تيرابيثيا.

***

لم يكن شيب ليريد أن يتركني في صباح السبت، لكن كان عليه الذهاب إلى الموقع. وحتى قبل الحادث، كان مشروع المركز التجاري متأخرًا عن جدول مواعيده. وكانوا قد أحضروا إلى الموقع رافعة جديدة في حين أنهم يبذلون الجهود ليُعوضوا الوقت الضائع. وكنتُ أتمنى لو أنهم لا يتعجلون بالأمور.

وبعد الساعة الحادية عشرة بقليل، إذ وصلتُ إلى ذاك الجزء في سلسلة أفلام *الحب الحقيقي* حيث ذهب جايمي ومدينة مارسيليا بأكملها إلى المطعم الذي تعمل فيه أوريليا ليجهر لها بحُبه بطريقة غريبة -في الوقت الذي كشفت له عن تعلمها للغة الإنجليزية من أجله، والذي كان مشهدًا رومانسيًّا للغاية- قاطعت نقرة على باب منزلي احتفالية الأفلام الرومانسية التي تُقام في رأسي.

- دودي، إنه أنا.

- مرحبًا كندرا، كيف حالك؟ سعيدة جدًّا برؤيتك. تفضلي بالدخول.

كان وجه كندرا تُغطيه ظِلالٌ غريبة. في الحقيقة، كان وجهها أزرق بعض الشيء.

دعوتها للجلوس ثم قلتُ:

- دعيني أُحضر لكِ بعض ... مم ... بعض المقرمشات والمُربى.

- لا أريد أي مقرمشات أو مُربى (قالت كندرا مُهتاجة، ثم أضافت) أريد أن أعرف ما هذا الذي يحدث معكِ بحق الجحيم.

كانت نبرة سيئة. أعلم أنها كانت سيئة حقًّا. لم أرَ كندرا بهذا الغضب والهياج سوى مرة واحدة فقط؛ الآن.

- مم ... ماذا تقصدين؟

- هل تعلمين كم مرَّ من الوقت منذ آخر مرة أجبتِ فيها على مكالماتي؟ (سألت كندرا).

- كلا.

- هل أنتِ مُدركة بأنني قد تركتُ ثماني رسائل في الأربع والعشرين ساعة الماضية فقط؟ (ألقت كندرا سؤالًا آخر).

- كلا. (أجبتُها في خنوع، ثم أضفتُ) لم أكن أفحص هاتفي طوال الفترة الماضية. أما الأمس فقد كان يومًا صعبًا عليَّ حقًّا. وكنتُ منشغلة كثيرًا مؤخرًا في ...

- فيما كنتِ منشغلة؟

قاطعتني بينما كانت تُلقي نظرة إلى الفيلم المتوقف وبدا صوتها باردًا مثل القطب الجنوبي قبل أن تُكمل:

- ما الأمر المهم الذي جعلكِ لم تعلمي بعد بأخباري الجديدة؟ بالتأكيد ليست المكتبة التي تشغل جميع أوقاتك... أعلم أنكِ تُغلقين مُبكرًا في العُطلات الرسمية، ومع ذلك لا أدري ما السبب...

- أي أخبار؟ (سألتُها).

لكنها أومأت برأسها نافية كما لو أنها تقول «*لا تحلُمين بذلك* حتى تمنحيني *إجابةً* معقولة».

أفصحتُ أخيرًا عن الأمر:

- كنتُ أحاول إيجاد طريقة حتى أتبنى تيرابيثيا.

- لا زلتِ تفكرين في الأمر؟ لقد تحدثنا عن ذلك منذ أشهرٍ مضت. واعتقدتُ أنكِ قد اكتشفتِ أخيرًا كم أنها رغبة طائشة ومستحيلة تمامًا (أجابت كندرا).

التزمتُ الصمت. لم أكن أمتلك الطاقة الكافية حتى أخوض هذا الشجار بعد الآن، وبخاصة إن كانت كندرا طرفًا فيه، أو شيب أو بيني وبين نفسي.

تابعت كندرا:

- لا يمكنني إصلاح الفوضى التي حدثت بينكِ وبين شيب أو فوضى المكتبة. عليكِ أن تفعلي ذلك بنفسك، لأجل احترامكِ لذاتك، عليكِ أن تكتشفي ما تُريدينه، وإذا كنتِ ستُغلقين المكتبة للأبد افعلي ذلك على الفور ولا تُزاولي أحلام الآخرين. ففي نهاية الأمر، سيُعاد افتتاح مكتبة شاتسورث. اسمعي، عليَّ الذهاب الآن. بينتون ينتظرني بالخارج.

وفي الوقت الذي أدارت فيه مقبض الباب حتى تخرج، لاحظت عيناي حجرًا برَّاقًا كبيرًا يستقر داخل خاتمٍ من البلاتينيوم على *إصبع البنصر*. أمسكتُ بيديها مندهشة:

- كندرا؟ هل هذا ما كنتِ تريدين أن تُخبريني به؟

- أجل، كنتُ أُخطط لذلك. لكن الآن ليس الوقت المناسب. أمامكِ أمورٌ كثيرة لتُسويها (أجابت كندرا).

وبذلك فإن واحدة من أصدقائي المُقرَّبين قد خُطِبَت حديثًا إلى رجلٍ لم أكن أعلم حتى أنها تُحبه؛ قد خرجت لتوها من منزلي.

***

- مرحبًا كوكو! كيف كان يومك؟

قلتُ بينما أسقط بجسدي على أحد الكراسي المُجنَّحة في الغرفة الزجاجية الشمسية لأجل مكالمة هاتفية متأخرة لوقتٍ طويل.

- بخير، كيف حالكِ؟

تنهدتُ.

- ما الأمر؟ (سألت كوكو).

- لا شيء حقًّا. هل اعتدتما أنتِ ومارك العودة إلى الديار؟ (سألتُها).

أذكر أنني لم أسألها عن الأمر من قبل. والحقيقة هي أنني شعرتُ بالارتباك وعدم الارتياح في الحديث معها عبر الهاتف. كان شيب قد اقترح عليَّ ما كنتُ أُفكر فيه لكنني كنتُ عاجزة عن الإفصاح عنه: حقيقة أنه ربما يكون هناك حل حاضر أمامي مباشرة. حل مؤلم لكنه حل لتلك المشكلة على الرغم من كل شيء. وبعد حديث قصير دار بيني وبين كوكو، ستشتعل الغيرة بداخلي وسأحاول إيجاد عذرٍ واهٍ لأُغلق الخط، وأعلم أنني سأبغض نفسي على هذا التصرف. لكن تلك المرة كنتُ عازمة على الاستماع إلى ما ستقوله مهما كان ما تود التحدث عنه. ومن الواضح أنني فشلتُ في هذا الأمر مؤخرًا، ولا شك أن حديثي مع كندرا كان البرهان الراسخ الذي أحتاج إليه لأتأكد من ذلك.

أجابت:

- الأمر غريبٌ بعض الشيء. إنها تلك الأشياء البسيطة التي تُذكِّرُني دائمًا كم كنتُ بعيدة عن الديار. أشاهد التلفاز وأشعر كما لو أن الناس بداخله يتحدثون لغة مختلفة عني. لكنني أُحب التمريض وقد ساعدتني عودتي إلى مهنتي كثيرًا على الرغم من ذلك. وهناك أيضًا مارك. فقد كان وجوده يجعل كل شيء أسهل مما هو عليه. وأدركتُ أنه من الرائع أن يحظى المرء بشريكٍ في الحياة، أليس كذلك دوو؟ أعني أنه يمكنني القول إن شيب أيضًا رجلٌ رصين. لا بد وأن وجوده بجوارك أمرٌ رائع بالنسبة إليكِ، يجعلكِ تطمئنين إلى أن هناك شخصًا ما يمكنكِ الاعتماد عليه. ولا شك في أنه يعلم تلك الحقيقة: أن بإمكانه الاعتماد عليكِ أيضًا. أقصد أن المرء لا يعني شيئًا ما لم يكن موثوقًا ويمكن الاعتماد عليه.

اختنق صوتي وفاجأتني تلك الغصة في حلقي قبل أن أقول:

- شكرًا لكِ كوكو، و ... مم ... أنا آسفة حقًّا. عليَّ الذهاب الآن.

- هل قلتُ شيئًا ...

قالت كوكو لتُجيب، لكنني أغلقت الخط.

الفصل التاسع عشر

يناير 2009

لم تكن كندرا تُعاود الاتصال بي. واكتشفتُ أن تلك هي العدالة الشاعرية عندما لم أعاود الاتصال بكوكو بعد المكالمتين اللتين وجدتهما على هاتفي.

في ذلك الوقت قررتُ مراجعة جميع فواتير بطاقتي الائتمانية، وأخيرًا سددتُ جميع المبالغ المستحقة من خلال الأموال التي كنتُ أدَّخرُها. كان بحوزتي الكثير من المال حتى يغطي تلك الفواتير، لكنه ليس كافيًا حتى يُعيل -بأريحية- فردين أحدهما أنا والآخر طفل. كان هذا الأمر فئة مختلفة تمامًا، وفكرتُ في أن الأمر في الحقيقة هو الغضب الذي يعتريني تجاه غبائي المتأجج.

كان الحال قد استمر بي حتى أنني كنتُ أقضي أوقاتًا يستحيل حصرها في المكتبة بمفردي. لكن طفح الكيل. ومن ثمَّ فقد أزلتُ قفل الباب. وصارت المكتبة مفتوحة رسميًّا مرة أخرى. بالطبع لم يعرف أحدٌ بالأمر سواي. ولم يكن هناك أي أمل أن تمر إلميرا بالمكتبة، فقد كانت مُعاقَبة حتى وقتٍ ما في المستقبل القريب. حينئذ قررتُ أن أُخبر القليل من الناس في المدرسة، وسينتشر الخبر حتمًا.

سيعود الأطفال ليلعبوا الغُميضة بين أكوام الكتب مرة أخرى. وفي الركن البعيد الهادئ، سيلصق ثلاثة قُرَّاء ظهورهم إلى أرفف الكتب وينهمكون في أي رواية وكتب السرد التاريخية والسير الذاتية، كما الغرقى الساكنين في أعماق البحر. وعلى جانب مكتب التوزيع سيُكوِّم أزواج من الناس تبرعات

الكتب وتتلألأ أغلفتها مثل الجواهر. لا أُطيق الانتظار حتى أرى هذا المشهد مجددًا (وأن أتشمم رائحة الكتب).

وعندما عدتُ إلى غرفة المعيشة، ضغطتُّ الزر على جهاز الرد الآلي، فجاء الصوت قائلًا:

- مرحبًا أيتها الغبية. هاتفي كوكو. ماذا يحدث معكِ؟ توقفي عن التصرف مثل الحمقى الفاشلين وعاودي الاتصال بها. لقد تحدثنا أنا وأنتِ مرتين هذا الأسبوع. وكان مؤكدًا أنكِ كنتُ تشبهين الزومبي المتفحم المنتشي، لكن إذا كانت حياة الطلبات الجاهزة والألعاب المثيرة لجذب الرجال إلى دورات المياه في معارض الفنون -التي ترينها مدهشة ومشوِّقة- كافية لنحافظ على متعتنا الدائمة، فأنا متأكدة من أن شقيقتنا السامرية ذات القلب الدامي ستكون ذات متعة كافية بالنسبة إليكِ. إذًا توقفي عن تلك التصرفات الساقطة وارفعي سماعة هاتفك لتحادثيها تلك المرة بصدق. أقبلي على الأمر مثلما سأُقبل أنا على فنان العروض الذي يشبه فيجو مورتينسين في زي رعاة البقر، الذي دخل إلى المكان منذ ثانية واحدة.

كان هناك صمتٌ قصير قبل أن تقول:

- بالمناسبة، أنا مادي.

قلتُ في نفسي: «*شكرًا على التوضيح*».

لكن بعد مدة أخرى من الصمت، استمرت الرسالة الصوتية وسمعتُ هذا الصوت آتيًا:

- أجل، صحيح، مادي، وليس مادلين. كان دائمًا ما يُقدمني بهذا الاسم، لكن يمكنك استخدام اسمي المستعار ما دمت لن تُمانع إن دعوتك أراجورن.

ثم جاء صوت ضحكة دافئة مشرقة تشبه طقس الصيف.

كان الإغراء شديدًا أن أستمر في التنصت. وكان عجز مادي عن إغلاق الخط هدية تشبه اكتشاف نصوص هيمنجواي الضائعة.

(انتهى الأمر بأراجورن أن يطلب رقم هاتفها).

***

لم أُفلت أيضًا من قبضة أمي عبر الهاتف. كانت هي أيضًا طرفًا في القضية.

- دوو، ماذا يحدث بينكِ وبين كوكو؟ (سألت أمي).

- لا شيء. لقد تحدثتُ معها منذ عدة أيام (قلتُ على عجالة).

- لقد أخبرتني بأنكِ قد سألتِ عن أحوالها، وقفزتِ مغلقةً الخط بمجرد أن سمعتِ إجابتها. إنها تشعر بالإهانة دودي. ولا تدري ما الخطأ الذي اقترفته. وتشعر كما لو أنكِ تكرهينها أو شيء من هذا القبيل.

- لقد كنتُ منشغلة حقًا. ولا أبغضها ...

ظهرت حشرجة بسيطة في صوتي قبل أن ينقطع تمامًا، ثم عدتُ لأُضيف:

- أمي، عليَّ الذهاب الآن. سأتصل بكِ لاحقًا.

أنا أبغضها *لاحقًا*.

***

- لماذا تتصرفين مثل شخصٍ حقير فج؟

تساءلت كوكو عندما أجابت هاتفها، ثم أضافت:

- لقد مرَّ أكثر من أسبوعٍ ونصف منذ أن أغلقتِ الخط فجأة في منتصف حديثنا.

التزمتُ الصمت. مثلي تمامًا؛ كانت كوكو لا تلعن أبدًا. لقد تركنا تلك الموهبة لمادي.

- هل مضى حقًّا هذا الوقت الطويل؟ (سألتُ).

وكنتُ أعرف أن كل هذا الوقت كان قد مضى.

- تعرفين أن كل هذا الوقت قد مضى! (أجابت كوكو).

- حسنًا، كنتُ منشغلة تمامًا.

- ماذا تفعلين؟ ما الذي تفعلينه ليكون بتلك الأهمية؟

لم أكن على وشك الانفجار، بل انفجرتُ حقًّا:

- ليس لأنني لا أعمل مع الأيتام ضحايا الإبادات الجماعية في إفريقيا – يعني أنني لا أفعل شيئًا ذا أهمية.

لماذا كنتُ بتلك القسوة؟ حسنًا لا يمكنني تأجيل المحتوم فيما بعد. وقلتُ في نفسي: *«أزيلي عن صدرك ما يؤلمكِ»*.

- لم أقصد هذا قط! ولم أقصد المقارنة بيننا. يا إلهي! دوو، كل ما أردته هو أن أعرف ما الذي يحدث معكِ. ساعديني حتى أتفهم ما تَمرِّين به. أخبريني ما الذي قلته حتى يجعلكِ غاضبة إلى هذا الحد؟ وأين كنتِ مختفية كل هذا الوقت؟

- كنتُ أحاول الابتعاد عن عائلتي، وتعريض علاقاتي الاجتماعية جميعها للخطر وإهمال المكتبة والفشل في الرسم وأحاول أيضًا تبني تيرابيثيا بنفسي.

انطلقت الكلمات دفعة واحدة بعد صرير أسنان غاضب صدر من بين شفتي.

صمت...

نطقت كوكو أخيرًا:

- يا إلهي! لم يكن لديَّ أي فكرة عن هذا.

- أجل، حسنًا، وكيف يمكنكِ أن تعرفي أيًّا من هذا؟ لقد كنتُ مثل ساحرة تصنع بعض المُربى الفاسدة وفي الوقت ذاته ساحرة ماكبيثية ترسم بالزيت وتحاول حراسة أحد الأسرار الكبيرة الغامضة التي تحمل نكهة الورد والتوت الأحمر وتُغطى بحورية البحر – في هذا المكان الذي أُقيم فيه.

- لا يبدو هذا مُخيفًا.

لاحظت كوكو. ثم ضحك كلانا. كنتُ أفتقد ذلك حقًّا.

- حسنًا، ما الذي ستفعلينه؟ كيف يمكنني المساعدة؟ (سألتْ كوكو).

كان صوتها مُشجعًا مليئًا بالأمل حتى إنني ابتلعتُ ريقي بصعوبة من الألم لأجيب:

- في الحقيقة، السبب الحقيقي الذي جعلني لا أتصل بكِ هو ... أعتقد أنه من الأفضل أن تتبني تيرابيثيا بنفسك. إذا وافق ماكي وچيف.

كان هناك فترة صمت طويل أخرى على الناحية الأخرى من الخط.

- ماذا؟ (قالت كوكو بإعياء).

- أعتقد أنه من الأفضل أن تتبني تيرابيثيا بنفسك. أنتِ ومارك. ربما كان من المفترض أن تتبنيا بوو معًا.

- هذا جنون دوو. *أنتِ* تُريدين تبني تيرابيثيا.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة ومهدتُ طريقًا لتلك الأفكار التي كنتُ أدفنها للداخل أن تشق طريقها نحو السطح أخيرًا. كان عليَّ أن أواجه تلك الأفكار، والأهم هو أن أفعل ذلك الآن، قبل أن يفوت الأوان. قبل أن يصبح من الصعب –أو يصير فجأةً مستحيلًا– على ماكي وچيف أن يعتنيا بتيرابيثيا. قبل أن يأتي زوجان آخران من الغرباء يبحثان عن التبني.

أجبتُ:

- أجل. لقد فعلتُ هذا من قبل. لكنه ليس القرار السليم من أجله. أو من أجلي. أنتِ ومارك مستعدان لذلك. ويمكنكما أن توفرا له بيتًا رائعًا وتمنحاه الحب الذي يبحث عنه، أنتما تمتلكان الموارد لمنحه ما يحتاج إليه، أما أنا فلا.

- لكن دودي ...

- كلا. اسمعي جيدًا، لقد استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا حتى أواجه نفسي بتلك الحقيقة. لكن لا يمكنني فعل ذلك الآن. وقبل أن تسألي ليس الأمر وكأنني أعجز عن طلب الانتظار من ماكي وچيف.

- ألا يمكنك على الرغم من ذلك؟ (سألت كوكو).

- لقد انتظرا بما يكفي. وقد مرَّ أكثر من عام منذ وفاة سوليفان، وثلاثة أشهر منذ فشل محاولة التبني السابقة. الآن چيف ليس في صحة جيدة. والتوتر يُزيد الأمر سوءًا عليهما. أما عن تيرابيثيا فسيتمُّ العامين قريبًا.

- لكن لا يمكنني ... لا يمكننا ... تبني الطفل الذي ضحيت بكل شيء في محاولة تبنيه. أعلم ذاك الشعور عندما فشلت محاولة تبني سيانيه. إنه أمرٌ خاص، أمرٌ شخصي. وحتى في حالتك صار أكثر خصوصية بسبب علاقتك الوطيدة مع تيرابيثيا. أنتِ تعرفينه جيدًا، وهو يعرفكِ أيضًا.

أفهم جيدًا لماذا عليَّ أن أستمر في التحدث عن الأمر مع كوكو. لماذا عليَّ أن أُصرَّ على أن تضع الأمر موضع التفكير. لكن يا إلهي! إن الأمر مؤلمٌ حقًّا، كما لو أنني أُجري عملية جراحية وأغوص بيدي بين أحشائي.

أجبتُ:

- أجل، إنه أمرٌ شخصي. ولوقتٍ طويل ظللتُ أفكر في أنه بإمكاني أن أُنهي الأمر لصالحي. لكن الأمر لا يتعلق بي وحدي ولا بما أريده. إن الأمر متعلق بشيب وبما يريده. إنه خطيبي، عليَّ أن أضع هذا في الحسبان. ربما تصرفتُ ببعض الفوضوية وساءت الأمور حتى جاوزت قدرتي على الإصلاح، لكن الحقيقة هي أنه ليس مستعدًّا. ومن جانب آخر، هناك أصدقائي في ساتشورث. لقد أنشأت المكتبة لأجلهم، وطوال الفترة الماضية كنتُ مهملةً إياها وغافلة عما يحتاج إليه الناس. والأهم أن الأمر متعلق بتيرابيثيا وما هو أفضل بالنسبة إليه. إذا قررتِ أنتِ ومارك تبنيه، سأكون جزءًا مهمًّا في حياته، وكذلك ماكي وچيف. ولكن إذا تبناه شخصٌ آخر، لن يكون هناك أي ضمان لهذا.

- لا أدري دوو. عليَّ أن أُفكر في الأمر، وأن أتحدث إلى مارك بشأنه. أنا ممتنة لكِ للغاية على تلك الفكرة الرائعة والكريمة. لكنها لا زالت تُشعرني بالغرابة (قالت كوكو قبل أن نُنهي المكالمة).

***

في تلك الليلة، استلقى مارك وكوكو في فراشهما متعانقي الأيدي ليتحدثا عما أخبرتهما به، وناقشا الأمر معًا لساعاتٍ طويلة. كانت كوكو قلقة، وأخبرها مارك بأن الأمر سيكون صعبًا على جميع من تورطوا في الأمر لكن كل شيء سيكون على ما يُرام.

قالت كوكو أخيرًا:

- حسنًا. أنا أُصدِّقك. هل علينا أن نذهب لنلتقي به مارك؟ هل أنت مستعد لذلك؟

أزاح مارك خصلات شعرها بعيدًا عن شحمة أذنيها قبل أن يمنحها قبلة رقيقة ويُجيب:

- بالطبع أنا مستعد. وأنتِ أيضًا مستعدة.

***

كنتُ في حاجة يائسة إلى بعض الحُمرة على الوجنتين، فلامستُ خديَّ ببعض منها. صرتُ أفضل، والآن أنا مستعدة للاتشاح بقبعة مدير الجولة التفقدية الخيالي لهذا اليوم. كنتُ قد أعددتُ برطمانًا من مُربى الجرانولا في حالة إذا ما اضطررتُ إلى إلهاء تيرابيثيا ببعض السكريات وملأتُ حقيبة الكتب بأوراق الإنشاء والأختام التي على شكل ضفادع والقنادس والكتب المجسمة. وبعدما فكرت كوكو وتحدثت مع مارك في الأمر، قررتْ المجيء لمقابلة تيرابيثيا وماكي وچيف. أما عني أنا فكنتُ أُشكك في قدرتي على التماسك تحت تلك الضغوط والظروف.

- سأحضر أنا وشيب عند الظهيرة (كان هذا ما وعدتُ به ماكي).

في ذلك اليوم كانت ماكي وچيف يشعران بالتوتر. كنتُ بالطبع قد أخبرتها كل شيء عن أختي، لكن مجرد التفكير في أن كوكو –أو أي شخص آخر– يمكن أن تصبح أمًّا جديدة لتيرابيثيا ...

وصل مارك وكوكو في الساعة الواحدة، دعاهما چيف للدخول، بينما هاجمتهما بعناقٍ طويل يشبه عناق الدببة. كانت تنبعث من كوكو رائحة جل الاستحمام بنكهة الكراميل الذي تستخدمه دائمًا، وكانت تضع بعض الحُمرة

على وجنتيها أيضًا، أما عن يديها فكانتا مثل قطعة ثلجٍ لا تذوب. وعندما التقت أعيننا ضغطتُ على راحتيها برفق لتطمئن.

منح كلاهما عناقًا لشيب، والذي كان برفقتي فقط لأسباب تتعلق بالدعم المعنوي. كان قد وضع خططه لينأى بنفسه عن كل شيء قدر الإمكان، وعلى الرغم من ذلك، كنتُ أعرف أن السبب وراء هذا هو أنه يُحبني وأنه قد صار مولعًا بتيرابيثيا، ولذلك فسيتابع تلك المراحل والإجراءات باهتمامٍ وحرصٍ أيضًا.

- من فضلكم، تفضلوا بالجلوس (قالت ماكي إلينا).

ربت چيف بحبٍّ ومودة على كتفها بينما كان يشق طريقه نحو المطبخ ليُحضر بعض المشروبات، أما تيرابيثيا فكان غارقًا في قيلولته بالطابق العلوي.

- كيف كانت رحلتكما؟

سألت ماكي عندما جلسنا، بينما كانت ذراع مارك تستقر في طمأنينة خلف كتفي كوكو، فاتكأت كوكو على ذراعه دون وعيٍ منها، أما ماكي فلم تفُتها تلك الملاحظة أيضًا.

- أنا أحب الرحلات النهارية. إنه توقيتٌ لطيفٌ للانطلاق (قال مارك).

- لقد رأينا قطيعًا من حيوان الألبكة! من اللطيف أن نرى أرجلهما القصيرة التي تشبه الأغصان المُعوجَّة تبرز من أسفل سنام الفراء (قالت كوكو وهي تبتسم مباشرةً في وجه ماكي حتى تُذيب الجليد بينهما).

وبينما كنتُ أستمع إلى أحاديثهما القصيرة، لم أكن أدري ما كنتُ قلقة بشأنه من قبل. كان من المستحيل على أحدٍ ألا يُحب مارك وكوكو. يشبه ذلك ألا تُحب الكنديين أو أي شيء آخر يُحبه أي شخص في العالم. ربما شطيرة زُبدة الفستق والمُربى، أو ربما حتى زُبدة اللوز، والتي كانت في الحقيقة ألذَّ وأشهى من غيرها وربما كانت أفضل لك، ما لم تكن تعاني حساسية المكسرات، ففي تلك الحالة سيكون مارك وكوكو أشبه بأي شطيرة لذيذة أخرى مضادة للحساسية.

- تفضلوا جميعًا (قال چيف).

في منتصف طاولة القهوة، وضع چيف صينية بها مجموعة من الفناجين وإبريقًا من الشاي، وقدم لنا مارك جميعًا بذور رويبوس اليقطين. وبينما كنتُ مُكللة بسحابة من عبير الأعشاب الذي يتصاعد من فنجاني، شعرتُ بالسكينة تسري في جسدي، وشعور بالارتياح لم أكن أتوقع أن أشعر به. أنا متأكدة من أن ماكي وچيف سيُحبان كوكو ومارك، وأن كوكو ومارك سيجودان بالكثير من الوقت الذي يمكننا أن نقضيه مع تيرابيثيا، سيصير كل شيء على ما يُرام، فقط على ما يُرام. ربما يكون الوضع على ما يُرام، في الوقت الحالي.

قبل الساعة الثالثة بقليل، بينما كانت كوكو ومارك يتحدثان عن اليوم الذي خصصته المدرسة في شمال السودان، أصبحت ثرثرة تيرابيثيا مسموعة عبر شاشة المراقبة. فقد كان يقول:

- نانا نانا نانا خذيني خذيني.

اعتذرت ماكي قائلة:

- هذا ندائي. من بعد إذنكم.

تململت يدا كوكو في حافة فستانها، وتحرك مارك في مقعده. ابتسمتُ إليهما مثلما يفعل المُرشد السياحي الجيد، قبل أن أقول:

- إنه في الطريق إلينا! ستُحبونه.

- أعلم أننا سنُحبه دوو. لأننا قد سمعنا كم تُحبينه (قالت كوكو مبتسمة، وكانت ابتسامة مقتضبة).

عبر شاشة المراقبة، سمعنا ماكي تُتمتم قائلة:

- دودي هنا لرؤيتك. وقد أحضرت معها بعض الأصدقاء المُقرَّبين جدًّا. بما فيهم شقيقتها.

- دادا؟ مرحى! أرى دادا الآن!

يمكنني سماع صرير القضبان بينما يتسلقها في عُجالة للخروج من سريره الصغير.

- أجل، شقيقتها هنا (كررت ماكي).

الحقيقة هي أنني لم أكن متأكدة مما إذا كان تيرابيثيا يعرف ما تعنيه بعد.

- دادا! دادا! دادا! دادا!

وخزاتٌ متتالية كانت تضرب قلبي حتى وصل إلينا. طبعتُ قبلة كبيرة على وجنته، كانت طويلة وصاخبة حتى إنها تحولت إلى توت بري قد طُبِع على وجنته بينما كانت ضحكاته الهستيرية تعلو أكثر فأكثر.

- مرحبًا (قال بوو بينما كان يُلوِّح إليَّ بكلتا يديه بعدما أجلسته في موضعه).

- مرحبًا! هل يمكنك أن تُرحب بهؤلاء الناس تيرابيثيا؟ (قلتُ).

- مرحبًا شيف (قال بوو).

- مرحبًا بوو (طبع شيب قبلة على مقدمة شعره).

- مرحبًا (وجَّه بوو حديثه إلى كوكو ومارك).

- هذه شقيقتي كوكو وزوجها مارك.

حبا تيرابيثيا نحو كوكو، وأمسك بحفنة من شعراتها لكنه لم يسحبها. كان شعرنا متشابهًا إلا أن خصلات شعر كوكو كانت أنعم ملمسًا. ثم قال محاولًا:

- كاكا!

اختنق مارك وشيب بقهقهاتهما المتوترة.

- كوكو (كررتُ الكلمة له بصوت رخيم بطيء وبتحفيز).

- كاكا (كرَّر تيرابيثيا).

مم، حسنًا. يمكنهم مناقشة هذا الأمر فيما بعد.

وضعت كوكو يديها برفق على ظهره. لا شك أنها قد حملت أطفالًا كثيرة في إفريقيا، لكن هذا سيكون منحنى جديدًا في حياتها. ربما يمكنني المساعدة.

تحول إلينا تيرابيثيا بعدما أطلق شعرها ثم تحرك سريعًا نحو الموضع الذي يجلس فيه مارك على الأريكة. حدَّق إليه تيرابيثيا بنظرة ثاقبة، فضحك مارك. كان بإمكانه أن يقف، لكن طوله ربما كان مُروعًا لهذا الرجل الصغير.

- أعتقد أنه لم ير الكثير من الأشخاص حوله بلون بشرة مختلف عنه.

تبادل كلٌّ من ماكي وچيف نظرة سريعة.

- حول المدينة، هنا وهناك، لكننا لا نمتلك الكثير من الأصدقاء ممن هم أفارقة يحملون الجنسية الأمريكية (قالت ماكي معتذرة).

أومأ مارك، فضربه تيرابيثيا على ركبته ضربة خفيفة لاختباره. حاول مارك دغدغته، إلا أنه ابتعد مسرعًا وصرخ قائلًا:

- لا دغدغة!

ضحكنا جميعًا، وبعد عدة ثوانٍ، عاد تيرابيثيا مرة أخرى للمزيد من الضحك.

مثل مصنع الحرارة الشمسية، أذاب تيرابيثيا قلوبنا في عشر ثوانٍ. وعلى وجه مارك وكوكو ارتسمت نفس الابتسامة الرائعة المشرقة، تمامًا مثل تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهيهما في ليلة حفلة العودة إلى الوطن ... كما لو أنها نوعٌ آخر من حفلات العودة إلى الوطن.

بينما كان تيرابيثيا يلعب بلوحة مفاتيحه الموسيقية، كنَّا نحن الكِبار البالغين نتحدث بهدوء.

- لا يمكنني تخيل مدى صعوبة الأمر عليكما. لقد فقدتم الكثير في العام الماضي، ولا أريد منكما أن تشعرا بأن الأمر خسارة أخرى لكما (قالت كوكو إلى ماكي وچيف).

كان وجهها شاحبًا كما لو أنها نطقت بالكلمات الخاطئة.

- سأكون كاذبة إذا قلتُ إنها ليست خسارة لنا. لكننا دائمًا ما نُذكِّر أنفسنا بأن تيرابيثيا يستحق المزيد. لقد سألنا أنفسنا مرارًا وتكرارًا ما الذي كانت سوليفان سترغب منَّا أن نفعله، لكننا لن نعرف أبدًا ما الذي كانت ستُفضله. لكننا على ثقة تامة بأن هذا هو الأفضل لأجل تيرابيثيا؛ منزلٌ دائم يعيش فيه مع أبوين يمنحانه الحب والطاقة والدعم الذي يحتاج إليهما ليصير رجلًا أفضل. دون القلق من الالتصاق بالأرض بسبب التهاب المفاصل (قالت ماكي مازحةً، لكن ابتسامتها كانت باهتة).

- أو ربما يُصاب بأزمة قلبية كبيرة (أضاف چيف، لكن دون أي ابتسامة مرتسمة على وجهه).

جلسنا في أماكنًا نُفكر لوهلة. لم يكن هناك موقف يُسمى بالموقف المثالي. بدا كل شيء غريبًا ومؤلمًا، وقد كان كذلك منذ وفاة سوليفان. وسيستمر الحال لوقتٍ طويل. لكننا سنتجاوز كل شيء معًا. الحق هو أنه لم يكن هناك أي خيار آخر.

كان تيرابيثيا يتمايل للخلف والأمام على نحو يبدو وكأنه نسخة المزمار من أغنية «كلما اجتمعنا معًا» تطلع من خلف كتفيه إلينا ضاحكًا، كان سعيدًا لرؤية كل هؤلاء الناس الذين يحبهم –وبعض الأصدقاء الجُدد المرحين– في مكانٍ واحد. كان من المهم أن نسمح له ليكون الطفل الذي هو عليه، وكان مارك وكوكو هما الوحيدان اللذان يتمتعان بالفرصة المناسبة لفعل ذلك من أجله.

عندما عُدنا إلى المنزل، فكرتُ بشأن البريق في عيني شقيقتي وزوجها، وبشأن تيرابيثيا الذي لمع وجهه أيضًا. كانت كوكو ومارك قد صعدا للطابق العلوي إلى حجرة الضيوف، مُتعبَين، بعد تناول وجبة العشاء التايلاندي اللذيذة.

- إننا عشقناه دوو. لكن كيف تشعرين نحو هذا الأمر؟ هل أنتِ متأكدة من أنكِ متصالحة مع هذا الأمر؟ (قالت كوكو).

في الحقيقة لم أكن متصالحة مع الأمر، لكنني أقنعتُ نفسي أكثر من ملايين المرات أنه بعد اليوم سيكون هذا هو القرار الصحيح. كنتُ أتطلع إلى وجه شيب وأرى فكه مُطبقًا في توتر، وأمل. كان يرغب حقًّا في نجاح الأمور مع مارك وكوكو. مما يعني أنه لن يتغير شعوره أو يصدر عنه أي إشارة ضخمة إليَّ أو معي. حاولتُ أن أكون صادقةً معها دون أن أثنيها عن تلك الخطوة.

- سيكون الأمر صعبًا عليَّ، لكن لأجل مصلحة تيرابيثيا (أجبتُها).

كانت الكلمات قد اختنقت في حلقي. لقد فكرتُ فيها من قبل وكان عليَّ أن أنطق بها الآن.

- أعلم ذلك. وأعدكِ أنني ومارك سنبذل قصارى جهودنا حتى تسير الأمور بسلاسة مع الجميع. سنحضر إلى هنا، وسيمكنكم أن تحضروا إلينا ...

سنُفكر في الأمر. لا يبدو أي شيء صعبًا بعدما تقضين رحلة مدتها سبع ساعات على متن حافلة ليس بها أي مرحاض، وبجانب قدميك ترقد دجاجات حية على طريق مغمورٍ بالماء في إفريقيا (قالت كوكو).

كان مارك هادئًا تمامًا. أعتقد أنه كان يُحاول احترام تلك اللحظة التي نمر بها. وتوقعتُ أيضًا أن يكون مُتعبًا. عندما انتهينا من الأطباق، منحتهما فرصة للجلوس بمفردهما.

- أنا وشيب سنذهب إلى النوم مبكرًا، لكنكما تستطيعان السهر لوقتٍ متأخر كما تُريدان. كوكو، تعرفين أين تجدين أسطوانات الأفلام (قلتُ).

- في الحقيقة، إننا متعبون للغاية من الرحلة المُبكرة. وأعتقد أنني سأذهب للنوم الآن (قال مارك).

- أنا أيضًا. (وافقت كوكو).

اتجهتُ أنا وشيب إلى الأعلى مباشرةً. تسللتُ تحت الأغطية واستلقيتُ على جانبي، فتقابلت وجوهنا، لكنني غارقة في التفكير.

- ستكونين دائمًا الخالة المفضلة إلى تيرابيثيا (قال شيب بينما يُمسِّد على ذراعي).

امتلأت عيناي بالدموع؛ لم أكن أريد أن أُصبح خالته. بل أردتُ أن أصير أمه، وكان شيب يعرف ذلك.

أضاف شيب:

- لو كانت سوليفان على قيد الحياة، لكنتِ خالته المفضلة أيضًا، وستكونين كذلك الآن. أنتِ وكوكو متشابهتان. وأنا متأكد من أنه يشعر بالارتياح معها لأنه يرى فيها الكثيرَ منكِ.

- أنا متحمسة لهما بطريقة لا تُصدَّق. أنا حقًا سعيدة ومتحمسة للغاية (قلتُ في محاولة مني لإقناع نفسي).

طبع شيب قُبلة رقيقة على دمعة مالحة استقرت على شفتي قبل أن يقول:

- بالطبع أنتِ سعيدة لأجلهما (ثم تمتم إليَّ) وأنا أيضًا.

الفصل العشرون

فبراير 2009

بعد أسابيع قليلة وبمجرد انتهاء المعاملات الورقية، أُقيم حفل التبني غير الرسمي في منزل ماكي وچيف. حاولتُ ألا أُفكر في السرعة والسهولة التي جرت بها الإجراءات من أجل مارك وكوكو، فقط لأنهما يمتلكان المال لذلك. وبدلًا عن هذا، ركزتُ في مظهرهما المتألق وبهجتهما المشرقة وتيرابيثيا الذي كان مستحقًّا لعناق طويل وهو يرتدي بِنطاله الجينز القصير وقميصه الأزرق المُزين بصورة الديناصور والذي كُتب عليه **أنا الرئيس هنا.**

وضع كلٌّ من ماكي وچيف – تيرابيثيا بين ذراعي كوكو بعده طقسًا رمزيًّا من طقوس الاحتفال. يمكنني القول إنهما عندما تطلعا إلى عيني كوكو، أدركا أن بداخلها جزءًا من روح سوليفان الكريمة، والتي قد ساعدت بالطبع في موقف كهذا مثل أي شيء آخر في تلك اللحظة. بالطبع أدركا أنهما بدءًا من الآن لن يتمكنا من رؤية تيرابيثيا كثيرًا، لكن أختي قد وعدت بزيارتنا كثيرًا، واطمأنت إلى أن ماكي وچيف يعرفان أنه مُرَّحبٌ بزيارتهما في أي وقتٍ يرغبان في القيام بتلك الرحلة.

وفي ضوء هذا الحماس المتكامل، فكر كوكو ومارك أنه سيكون من الأفضل أن يأخذا تيرابيثيا إلى المنزل مباشرة حتى يبدأ مرحلة التأقلم في أقرب وقتٍ ممكن. كنتُ قد أرسلتُ معهما إلى المنزل كعك ليدي بالتيمور[1]

(1) كعك ليدي بالتيمور: هو كيك أمريكي ذو طبقة بيضاء مع صقيع رقيق وحشوة فواكه وجوز.

الذي كنتُ قد أعددتها من أجل رحلتهم ليُحافظا على طاقتهم حتى الوصول، وامتلأت السيارة بألعاب تيرابيثيا وأغطيته التي كانت تفوح منها رائحة تيرابيثيا الطفولية اللذيذة.

بعدما أحكمتُ حزام الأمان الصغير حول تيرابيثيا وقبلتُه للوداع، عضضتُ شفتي حتى تذوقت طعم الدماء منها. كان جانبا فمه يتقوّسان قليلًا ونظر نحوي بجفنين مُثقلين يخبرانني أنه مستعدٌ لأخذ قيلولته الآن وواثقٌ من أنني سأكون حاضرة عند استيقاظه. حينها حاولتُ طمأنة نفسي *بأنه سيكون بخير لأن كوكو ومارك سيكونان حاضرين.*

- ماذا ستفعلون الآن؟ هل يمكننا جميعًا الخروج للغداء؟

وجَّه شيب سؤاله إلى ماكي وچيف عندما ابتعدت السيارة ولم نعد في نطاق مسافة التلويح بالوداع لكوكو ومارك.

هزت ماكي رأسها نفيًا ثم قالت:

- لقد خططنا أن نلتقي بأصدقائنا عند المَرسى في الظهيرة.

- الأمر فقط أننا كنا نريد شيئًا مقررًا لنفعله (أضاف چيف).

- فكرة جيدة! (قلتُ وشيب في آن واحد).

- حسنًا إذًا، نراكم لاحقًا (قلتُ قبل أن أطبع قبلة على خد كل واحد منهما).

لقد أردتُ الابتعاد عنهما، عن كل الناس، وشعرتُ أنني أختنق.

اهتز هاتف شيب بصوتٍ غريب. استل يديه داخل جيبه ليُخرج الهاتف ثم نظر إلى الشاشة. كان وجهه صلبًا خاليًا من التعابير عندما قال:

- اعذروني لثانية واحدة (ثم سار نحو ممر السيارة).

- هل تريدين منَّا الانتظار؟ (سألَت ماكي).

- كلا، كلا، أنا متأكدة من أنه سيعود بعد دقيقة. اذهبا وأسرعا نحو المرسى. حظًّا موفَّقا.

بنصف ابتسامة غادر چيف. كانا يبدوان كما لو أنهما لا يُطيقان الانتظار حتى يهربا من مشهد الصباح أيضًا. كان قلبي يتألم من أجلهما. اللعنة، قلبي يتألم ببساطة لأجلهما.

كان شيب يتجول ذهابًا وإيابًا بإيقاع بطيء. واستمرت المكالمة لبعض الوقت. كنتُ أُمرر إصبعي خلال التراب الذي يغطي النافذة الخلفية لسيارتي، فرسمتُ «دال قلب شين». لقد مرَّ وقتٌ طويل منذ آخر مرة غسلتُ فيها سيارتي، أو حتى نظفتُ المنزل.

حملق شيب لوهلة في هاتفه عندما انتهت المكالمة بينما كان يهز رأسه ببطء، ثم عاد أدراجه بخطواتٍ بطيئة، وكان وجهه شاحبًا.

- هل أنت بخير؟ (سألتُه).

أومأ وهز رأسه سريعًا.

- مَن المتصل؟

- العمل.

أجاب ثم طرفت عيناه، بعد أن تسمَّر فكه من المفاجأة وهو يحدق إلى وجهي.

- هل تحتاج إلى الذهاب الآن؟

- كلا... ليس... الآن. ربما لاحقًا. ربما يكون غدًا لبعض الوقت (أجاب شيب).

صعدنا إلى السيارة. كان يزحف بداخلي شعورٌ غريب لم يكن مألوفًا من قبل. كان شعورًا يشبه سماع خشخشة الراكون خارج النافذة وهو يتجول داخل صفائح القمامة يقتلع كل شيء من موضعه. وعندما تريد اللحاق بهذا الراكون، فإنه يكون قد اختفى.

تطلعتُ إلى وجه شيب الجميل –هذا الوجه الذي أحبه كثيرًا– وتلك العينين البرَّاقتين الدافئتين كانتا الآن باردتين خاليتين مثل النوافذ في لوحات

هوبر[1]. ناهيك بكل هذا، فقد أدركتُ الآن ما كان يزعجني: إن شيب قد كذَب عليَّ بالتأكيد.

من خلف صرير أسنانه، اقترح شيب أن نفعل شيئًا ما أيضًا مثل ماكي وچيف، فقال:

- ما رأيكِ في رحلة إلى ليتل داك بارك؟

أومأتُ، وفكرتُ في أن بعض الهواء الرطب سيساعدني.

من أعلى التلة، لامسني شعورٌ بالارتياح عندما رأيت إلى أي مدى امتدت فُرشُ الأغصان على طول تلك المسافة. لقد كانت عارية تمامًا من الأوراق وعلى الرغم من ذلك لا زالت جميلة نضرة. تساءلتُ بداخلي عما إذا كان تيرابيثيا ينام هانئًا في أثناء رحلة السيارة، أم أن أختي تحاول إلهاءه بلعبة الفيل المعلق الذي تمتد ساقاه عندما تضغط عليها. لم أُفِق من شرودي إلا عندما انزلقت إحدى يدَي شيب لتُلامس يدي بعد فترة طويلة من الوقت قائلًا:

- دعينا نُحضِّر بعض الطعام.

على الرغم من ذلك لم يشعر أيٌّ منَّا بالرغبة في الطعام حتى المساء. كنتُ قد تصفحت جميع مجلات الفضائح السخيفة التي كان قد اشتراها لي شيب، تحسبًا حتى أتخلى عن التفكير فيما يزعجني. وبحلول الخامسة حاول إعداد العشاء لي، لكنه قد حرق العبوة الأخيرة من صلصة الطماطم لدينا، قررنا حينها طلب الوجبات من تاي فيلدج مرة أخرى لذا يمكننا فقط أن نُطلق عليها وجبة اليوم التالي.

- طلبية خاصة للطيور المُبكرة! (قال شيب مازحًا بينما يجرف الشعرية الصينية إلى طبقي).

---

(1) Edward Hopper: إدوارد هوبر رسام أمريكي واقعي يصور المشاهد العادية من حياة المدن. وتُصور لوحاته الفنادق والقطارات والأشخاص الوحيدين مجهولي الهوية في المدن الكبرى، وتجسد العزلة والصمت واغتراب الإنسان في المدينة، ويعتمد على التلاعب بالمساحات والضوء والظل واللون لخلق هذا البعد الدرامي. وُلد عام 1882م في نيويورك. (المترجم)

- كفى.

رفعتُ يدي حتى لا يسكب المزيد منها في الطبق. من المحتمل ألا أتمكن حتى من تناول نصف تلك الكمية الصغيرة. أما عن شيب فقد أخذ ما يكفيه منها بنفسه.

ربما يتذكر في بعض الأوقات تلك المرة التي ساعدني فيها عندما كنتُ أُحمم تيرابيثيا وكيف برزت بطن بوو إلى الخارج عندما جلس في الحوض، كان يتعمد التركيز على الطائرة العائمة في بوصة واحدة أو اثنتين من الماء. ابتسمتُ عندما تذكرتُ كم كان يُحب تيرابيثيا سحب السدادة، يبدو أنه لم يكتشف قط (أو يأبه لاكتشاف) أن الماء يبدأ في الاختفاء عندما يفعل ذلك.

وضعنا ما تبقى من الطعام في الثلاجة، وصعدنا للنوم. كنتُ متعبةً للغاية حتى خلتُ أنني سأغط في النوم بسرعة الضوء. وبمجرد أن استلقيتُ على الفراش، فكرتُ في تلك الليلة التي تُوفيت فيها سوليفان وكم من دموع ذرفت حتى أُغشي عليَّ. في تلك اللحظة أصدرتُ الأوامر لعقلي *أن يتوقف عن ذلك، فهاتان الليلتان ليستا متشابهتين على الإطلاق*. في تلك الليلة البعيدة، كان تيرابيثيا قد فقد أمه بصورة مُفجعة. أما الليلة، فهو برفقة أمه الجديدة، ووالده الجديد الرائع، ويبدأ معهما حياة جديدة تمامًا يملؤها الحب.

كان شيب قد ذهب عندما استيقظتُ في الصباح التالي، وترك لي رسالة قصيرة مفادها «عليَّ الاعتناء بشيء ما. سأتصل بكِ لاحقًا. نلتقي في «مارفيل بي» لأجل الغداء؟ حلوى البودنج بخبز الموز!» ثم وضع أسفلها ثلاثة خطوط.

ربما تصور عقلي أمورًا غير صحيحة بالأمس. فقد كان الوضع عصيبًا علينا جميعًا.

أخذتُ حمامًا ساخنًا وتدثَّرتُ بردائي، وقررتُ أنه عندما يعود شيب إلى المنزل، سألاقيه عند الباب بشيء يُحبه أفضل من حلوى البودنج بخبز الموز.

سقطتُ على الأريكة بينما أشاهد الأحداث الأخيرة من فيلم رومانسي-كوميدي كان سيئًا بطريقة لطيفة ومتوقعًا إلى الحد الذي جعلني أستمتع

به حتى اللحظات الأخيرة منه. لقد كنتُ أستمتع بهذا الترف الذي ولَّده لدي الشعور بعدم وجود أي مكان أحتاج إلى الذهاب إليه. ليس هناك مُربى تحتاج إلى التحضير، ليس هناك ألواح رسم فارغة تحتاج مني إلى الجلوس أمامها، وليس هناك تيرابيثيا أحتاج إلى الإسراع إليه لأراه ... حسنًا، ربما سيستغرق الأمر مني قليلًا من الوقت حتى أعود إلى الإحساس الكامل بالترف، لكنني أعرف جيدًا أنني إذا أصررتُ على الأمر، سيمكنني الاسترخاء مرة أخرى. أعلم أن لدي جينات استرخاءٍ وترف قوية في حمضي النووي.

بحلول الساعة الواحدة لم أكن قد تلقيتُ أي اتصال من شيب بعد، وبدأتُ أشعر كما لو أن رأسي يُعاني ألمًا من وراء كل تلك الحلوى التي ظللت أطعمه إياها. إذا اضطررتُ إلى مشاهدة فيلم واحد آخر من أفلام الفتاة الساذجة ذات العينين الواسعتين التي تتحلى بالشجاعة لتقاتل العالم من أجل حبيبها، عندئذ سأحتاج إلى كأسٍ من الشراب. لقد تغير الوقت حقًّا منذ تلك الأيام التي كان أكثر شيء بارز أقوم به هو مشاهدة سباق نورا إفرون على التلفاز الذي يستمر لأربعٍ وعشرين ساعة.

أين شيب؟

في الثانية والنصف اهتز هاتفي. كانت رسالة من شيب يقول فيها «**لقد انشغلت. اذهبي إلى «مارفيل بي» دوني. سأهاتفك عندما أنتهي**». بعدما قرأتها صدرت عني تنهيدة طويلة. لقد أكلتُ كل وجبة سريعة في المنزل، إذًا لن تكون هناك زيارة إلى مارفيل بي. لكنه قد حان الوقت للخروج على أي حال. خرجتُ إلى الغرفة الزجاجية الشمسية، حيث كانت جيرالدين تترأس المكتبة نيابةً عني.

- كيف تسير الأمور؟ (سألتُها).

- لا شيء جديد. لكنني أتعمق في كتاب *المساعِدة*. وأرى أنه جيدٌ حقًّا.

كنتُ ممتنة لأنها لم تقل ما كنتُ أفكر فيه: وهو أن كثيرًا من الناس لا يزالون عاجزين عن تحديد ما إذا كان بإمكانهم الوثوق بي أم لا -ربما متطوع مُخلص- ليكونوا هنا في المكتبة.

وللمرة الأولى منذ أسابيع، تفحَّصتُ صندوق هدايا أعياد الميلاد. ووجدتُ نسخةً من *ميري هول* للكاتب بيفيرلي نيكولز. كانت هناك بطاقة ملاحظة قد دُست بداخله تقول «**ماكي أوريلي.**» كان أحدهم يعلم أن ماكي تحتاج إلى البدء في الاعتناء بالحديقة الآن، وبخاصة بعدما رحل تيرابيثيا. وهذا الكتاب -الذي كان الراوي الخاص به مذهلًا وغريب الأطوار بشكل محبوب، ومدينته البريطانية الصغيرة المرحة غير المألوفة، وبستانيُّه المشاكس الرائع- سيكون إلهاءً مثاليًا لها وتشجيعًا لها للمُضيِّ نحو هواية جديدة. عندما تبلورت تلك الفكرة في رأسي، تدفقت الدموع من عيني كما الشلال.

- ماذا تريدين أن تفعلي؟

سألت جيرالدين عندما وضعتُ غطاء الصندوق في موضعه وتركتُ الكتاب جانبًا حتى أُمرره إلى ماكي. سحبتُ أحد فواصل الكتب من أحد أدراج المكتب وكانت تُزينها لوحة لماري كاسيت ترى فيها الزهور المقطوفة لتوها في مزهرية موضوعة على الشرفة الأمامية، ثم كتبتُ «نباتات جديدة رقيقة ستُزهر» على الجانب الآخر.

- دعينا نقرأ (قلتُ).

- هل تريدين التحدث عما يحدث مع شيب؟

- لا شيء يحدث مع شيب.

- كما تريدين. هل سمعتِ أي شيء عن أخبار كندرا بعد؟

- كلا، لا زالت لا ترد على مكالماتي. وقد مررتُ بمنزلها، لكن يبدو أنها ليست هناك دومًا. ولم أشعر بالارتياح لفكرة الذهاب إلى منزل بينتون لأتأكد ما إذا كانت هناك أم لا. لقد أرسلتُ إليها بطاقة بمناسبة الخِطبة

وخطابين طويلين أعتذر فيهما. أعتقد أنها غاضبة مني حقًّا. ولا أصدق أنني لم أعرف حتى قصة الخِطبة بعد.

- سأخبركِ إن كنتِ تريدين (قالت جيرالدين).

- كلا، شكرًا.

شعرتُ بالتعب فجأة في معدتي.

لقد تعارفت كندرا وجيرالدين بسببي، ثم أصبحتا صديقتين مقرَّبتين بسبب ساعات العمل في المكتبة عندما احتجتُ إلى بديل نيابةً عني. والآن تعلم جيرالدين حكاية كندرا الرومانسية، أما أنا فلا؟ على الرغم من أنني أعمل معها ومع بينتون؟ قررتُ أن أدفن نفسي في صفحات رواية صوفيا كينسيلا الجديدة. لا أعتقد أن بإمكاني تحمل المزيد من الحزن أو البحث عن النفس في تلك اللحظة.

عندما عاد شيب تلك الليلة، كنتُ عاجزة عن النظر إلى عينيه.

- ماذا يجري معك؟ (سألته).

- آسف بشأن الغداء.

- هل انتهيت من الأمر الذي كان في الموقع؟

حاولتُ مساعدته ليخبرني بما يحدث.

- أجل، بالتأكيد.

- ماذا كان هذا؟ (سألتُ).

- أجل، كان هناك مشروع كنتُ أعتقد أنني سأوقع عليه، لكن الآن لن يحدث هذا.

- أشعر أن هناك شيئًا لم تُخبرني به.

- لماذا تعتقدين ذلك؟ (قال شيب).

- لأنك تسير بإيقاع طائر محبوس في قفصه، ولم تتطلع نحوي أو تنظر إلى عينيَّ. لسنا من النوع الذي يكتم الأسرار بعضنا عن بعض ...

مكتبة
t.me/t_pdf

- أجل، حقًّا؟ (قاطعني شيب قبل أن أُنهي حديثي).

والآن يقابل نظرتي بتحدٍّ ظاهر.

الحقيقة هي أنني تراجعت. كان من حقه أن يغضب؛ لقد احتفظتُ بسرٍّ كبير عنه لوقتٍ طويل. وعلى الرغم من ذلك، بدا وكأن التوقيت غير ملائم للحديث عن الأمر.

همستُ:

- كنتُ أريد أن أعرف حتى أرى إن كان بإمكاني المساعدة.

بينما كنتُ أحاول ملامسة إحدى يديه، فتراجع بظهره حتى سقط في فراغ الأريكة وهو يُخلل شعره بأنامله.

- في المرة الأولى التي أخبرتِني فيها عن تيرابيثيا، كنتُ متألمًا منكِ ولأجلكِ. كنتُ أعلم جيدًا ما يعنيه بالنسبة إليكِ. ولم أدرك أنه يعني لكِ الكثير للدرجة التي كانت تجعلك عازمة على المخاطرة بكل شيء لأجله. أذكر كم كان الأمر بشعًا عندما تُوفيت سوليفان –عندما بدأتُ في التعرف عليكِ– وعجزتُ عن تخيل شعوركِ إذا رحل تيرابيثيا بعد كل هذا. لكن طوال الأشهر القليلة الماضية كنتُ أشعر كما لو أنني في المرتبة الثانية في حياتك. وكرهتُ تلك الطريقة التي بدا عليها الأمر، وكرهتُ الشكوى أيضًا. لكنني حقًّا لم أعرف ما إذا كنتِ تريدين الزواج بي، ما إذا كنتِ تحلمين بمستقبلكِ معي.

- بالطبع أريد ذلك (أجبتُ).

- إذًا لماذا لا نُخطط لمستقبلنا؟ لماذا لا نتحدث عن زواجنا؟

- دعنا نتحدث عنه. أنا حاضرة معك شيب، وأريد الزواج بك. أنا آسفة للغاية لأنني كنتُ مشتتة عنك.

أخذ شيب نفسًا قبل أن يُخرج فيضانًا من الهواء في وجهي.

أومضت ذاكرتي بالتقويم المتروك أسفل فراشي. لم أكن قد اقتربتُ منه منذ وقتٍ طويل. في غضون أشهر قليلة، سيحل شهر مايو، والذي يمكن أن يكون نهاية جهاز التكاثر لديَّ.

- وماذا سيحدث لو كنتُ لا أرغب في إنجاب الأطفال لعدة سنوات؟ (قال شيب).

- هل هذا ما تفكر فيه الآن؟ (أجبته).

بينما كنتُ أفكر: «*عدة سنوات؟*»

- لا أرى أن نتعجل في الأمر (قال شيب).

- إذا كنتَ تريد طفلًا مني، فالفرص على وشك الزوال ... أما عن التبني فعادة ما يستغرق الأمر سنوات.

انفجر غضب شيب:

- كفى! لقد سئمت سماع هذا الكلام مرارًا وتكرارًا. لقد صرتِ مهووسة بالأمر.

انقلبتُ إلى الوراء بظهري كما لو أنه قد غمرني في ماء بارد. بعد فترة كانت قصيرة أجبته بهدوء:

- أنا لستُ مهووسة. بل أنا شخصٌ يعلم جيدًا ماذا يريد.

- ماذا تريدين؟ ما الموضع المناسب لي في حياتك؟ أم أنني لا أتناسب؟ (قال شيب بينما يُمسك بذراعي بقوة).

تسارعت أنفاسي لهاثًا من المفاجأة. لم تكن قبضته مؤلمة، بل كانت رائعة، كما لو أنه يمتلك القوة التي أعجز عن أن أجدها في نفسي. كان وجهانا قريبين تمامًا حتى إنه كان بإمكاني أن أُقبِّله. كنتُ أريد أن يعود كل شيء بخير مرة أخرى.

فاجأتني موجة من الشجاعة التي احتشدت داخلي. أو ربما كان الخوف. لم أرد أن أخبره بتلك الطريقة، لكن لم يكن أمامي خيارٌ آخر. الوقت ينفد مني،

بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومجاز. يمكنني فجأة أن أرى ذلك الآن. لامستُ وجهه برقة قبل أن أقول:

- أريدك أنتَ. وأريد طفلًا. ليس في غضون خمس سنوات. بل في أقرب وقتٍ ممكن. أريد أن أجد طريقة يمكنني أن أجمع بين الأمرين وأن أحافظ على وجود المكتبة وأن أجعل أهل شاتسورث سعداء. أريدنا أن نكون سعداء أيضًا.

كان شيب ثابتًا مثل تمثال في وسط المدينة. وكان وجهه قد شحب منذ وقتٍ طويل. كان بإمكاني أن أسمعه يبتلع ريقه قبل أن يتراجع ويُحررني من بين يديه.

وقفنا في مواضعنا لعدة دقائق يتطلع الواحد منًّا إلى وجه الآخر. كانت عيناه مظلمتين مثل تلك الشجرات في لوحات ألبرت بيرشتات. شعرتُ وكأن الدماء تنفر من عروقي وتترك قلبي باردًا. لم يكن يمتلك جوابًا، لم يكن يريد طفلًا مني الآن. وعندما رأيتُ تلك النظرة المرتعبة التي بدا معها وكأنه عالقٌ في أمر ما – على وجهه، لم أكن متأكدة بعدها مما إذا كان يريد البقاء معي.

- شيب، ماذا عنك؟ ماذا تريد؟

انتظرتُ وقتًا طويلًا للغاية حتى أطرح عليه هذا السؤال، لكنه كان أملي الأخير.

كان صوته هادئًا ومطمئنًا على نحو مخيف عندما قال:

- أريد الذهاب إلى أمريكا الجنوبية.

الفصل الحادي والعشرون

تتصل كوكو مرتين يوميًّا لتُبلغني بالتقارير حول حياة تيرابيثيا. مكالماتها تُهدئ من روعي كثيرًا. كان بإمكاني سماع صوته يتحدث بسعادة في خلفية مكالماتها. أما عن المناخ فأكثر ما يُميزه أن المطر الثلجي قد توقف بعد أسابيع من رحيل شيب، وتُشرق الشمس ساطعة ولامعة في كل يوم. بدا الأمر وحشيًّا أن يشق الطقس الدافئ طريقه إلى حياتي بينما أرتعش بردًا في فراشي كل ليلة دون شيب إلى جانبي.

لم أستطع محادثة كندرا لأخبرها بما حدث. في اليوم التالي بعدما انفصل شيب عني، جاءت جيرالدين لتجلس معي قليلًا. أعتقدُ أنها قد أخبرت كندرا بالطبع، أو ربما سمعت كندرا عما حدث من تلك الشائعات المنتشرة. الحق أنني بعد عشرات من المكالمات التي لم ترد عليها، لم أحتمل أي نوعٍ آخر من الرفض في حياتي. ربما لم تكن صداقتنا قويةً بما يكفي مثلما اعتقدتُ من قبل. لقد كانت سوليفان هي الوصلة المشتركة بيننا، وبينما يبدو الأمر وكأن صداقتنا قد اتخذت منحنى أعمق من تلقاء نفسها، اتضح أنه لم يمر سوى أقل من عامين على معرفتي بها جيدًا. حتى لو كانت تهتم لأمري ولِما حدث معي على الرغم من أنها لا تزال غاضبة مني، سيحتاج الأمر إلى النقاش والحديث لإصلاح صداقتنا، ولا أدري إن كنتُ أمتلك الجهد الكافي لأعيد قولبة تلك الأمور التي خذلتها فيها أيضًا.

لم تحاول كندرا الاتصال بي عندما علمت بما حدث مع شيب، لكنها جاءت إلى المنزل مباشرة برفقة شرائح البيتزا الساخنة وزجاجة من النبيذ والكثير من لفائف الكانولي المحشوة بالقشدة – كان هناك الكثير منها أكثر مما يمكن أن يأكله فردان، باستثنائنا نحن.

- هل أنتِ بخير؟ (سألت كندرا).

- سأكون بخير.

حاولت أن أبدو مشرقة بالقدر الذي يمكنني إظهاره، لكنني لا زلت في حالة صدمة من الانفصال. كان الأمر غريبًا بحيث لا يمكن أن يكون حقيقيًا، كان مستحيلًا بحيث لا يمكنني استيعابه. كنتُ مولعةً بحبه وما كنتُ لأصدق قط أنه سيتركني حقًا، وبخاصة أن كل هذا قد حدث بعدما فقدتُ تيرابيثيا مباشرة. لكنني خلعتُ خاتمه بالفعل، فقد كان النظرُ إليه طوال الوقت مؤلمًا.

- كيف حالكِ الآن؟ (أصرَّت كندرا أن تُعيد سؤالها لربما يتغير جوابي).

- بخير – حقًا! (تمتمتُ).

فتحت كندرا عُلبة شرائح البيتزا أمامي، فانتزعتُ شريحة منها ووضعتها في واحدٍ من أطباقي ذات اللون الأزرق القاتم والزهور البيضاء المحفورة على حافته. لم يأتِ يومٌ أرى فيه تلك الأطباق إلا وأكون سعيدة. دائمًا ما تُذكّرني بمائدة العشاء مع العائلة. كانت أمي قد منحتني إياها عندما تخرجتُ في مدرسة الفنون. واعتقدتُ أنا وسوليفان أننا سنتناول فيها أطنانًا من الوجبات الجاهزة وقليلًا من الوجبات المطهوة في المنزل عندما كُنا في نيويورك، أما هنا في شاتسورث، فقد كانت مرات قليلة – قليلة جدًا حتى يصعب تذكرها.

وضعت كندرا شريحة من البيتزا في طبقها. كان البخار الساخن يتصاعد من شرائح البيتزا. على أي حال قضمتُ لقمة كبيرة بينما أتلذذ بمذاق الجبن الذي يسيل على لساني كما الحُمم البركانية، وكل تلك الخيرات التي تغطيها من الأعشاب والثوم والزُبد.

كُنا نمضغ في صمتٍ لدقائق قليلة. كنتُ ما أزال لا أرغب في الحديث عن نفسي أو عما حدث بيني وبين كندرا، لكنني أردتُ أن أسمع عن أخبارها، وكنتُ أعلم أنه لكي يحدث هذا عليَّ أن أُبحرَ في الفوضى.

استأنفتُ الحديث بيننا:

- كندرا، أنا آسفة لأنني كنتُ غائبة عن الأحداث، ولأنني تسببتُ لكِ في الكثير من الألم، ولأنني لم أكن بجانبك لأسمع كل ما يدور داخلك عن بينتون. آسفة لأنني كنتُ أنانية معكِ.

- لقد أغضبتِني حقًّا دوو. لقد أخبرتكِ أنني سأساعدكِ في كل ما يتعلق بالمكتبة. وقد سمحتِ لي قليلًا بذلك، لكن بعد ذلك بدا الأمر وكأنكِ تغافلتِ عن أهمية الالتزام الكبير الذي تتعلقين به. الجميع هنا يعتمد عليكِ. (أجابت كندرا).

- أعرف ذلك. وقد خذلتُ الجميع.

- الأفضل لكِ أن تتحسني، أو أن تقبلي المزيد من المساعدة، أو ربما تُغلقي المشروع للأبد.

- أفهمكِ، وسأفعل. أقصد أنني سأتحسن (أجبتُها).

- وستُحافظين على استمرار المكتبة حتى لو قررتِ التبني أو إنجاب طفل؟ (سألتْ كندرا).

- لا يمكنني الجزم بذلك.

- أرجو أن تُفكري في الأمر. عليكِ حقًّا أن تُدركي أن الجميع هنا في شاتسورث يعتمد عليكِ. وفي مرحلة ما –من يدري متى تأتي– سيُعاد فتح مكتبة المدينة. وعلى الرغم من التقدم البطيء في التحسينات، فإنها تتقدم على أي حال. إذا كنتِ لا تريدين الاستمرار في المكتبة فيما بعد، يمكنكِ إغلاقها عندما تُفتتح مكتبة شاتسورث، ولن يلومكِ أحدٌ على ذلك. بالطبع سيفتقدون روح المكتبة، لكنهم لن يلوموكِ على أي شيء.

يا له من ألمٍ جامح هذا الذي اعتصر قلبي فجأة. إغلاق المكتبة؟ لا يمكنني فعلُ ذلك.

لكنني أجبتها على أي حال:

- سأفكر في الأمر. والآن ماذا عنَّا نحن؟ ما الذي يمكنني فعله؟

تنهدتْ كندرا قبل أن تقول:

- المشكلة هي أنه بعدما ابتعدتِ، وصل الأمر إلى الحد الذي مرَّ معه وقتٌ طويل لم أخبركِ فيه بأمور كثيرة لأنكِ لم تكوني حاضرة لأخبركِ بها، حتى صار من الصعب أن أخبركِ بكل شيء.

غاص قلبي كمدًا. بدا وكأنني فقدتُ شيئًا ... لا يمكن استرداده تقريبًا.

أجبتُها:

- هل ستُخبرينني بكل شيء الآن؟ أنا حاضرة كندرا، وأعني ذلك حقًّا. لن أختفي مُجددًا مثلما حدث.

- سيستغرق هذا وقتًا دوو، حتى أخبركِ بكل شيء. وحتى أشعر كما لو أنكِ حاضرة من أجلي. لكنني أود المحاولة.

حسنٌ، إنها ترغب في المحاولة، وهذا هو كل ما أحتاج إلى معرفته.

قفزتُ نحوها لأعانقها، والأهم أنها عانقتني أيضًا على الفور. حاولتُ تغيير الموضوع:

- أنا سعيدة لأجلكِ. دعيني أرى هذا الخاتم الرائع.

حاولتْ تجاهل الأمر، ربما لخوفها من أن تُزيد الطين بلة ويتفاقم ألمي، لذلك تلمستُ يديها وسحبتها نحوي. ثم أضفتُ:

- يا له من خاتم رائع!

والتمعت الألماسة المربعة في الضوء.

- شكرًا لكِ!

أجابت كندرا بينما انصبغت وجنتاها بحُمرة خفيفة من تحت طبقة النمش التي تغطي وجهها.

- لا أتوقع أن تُعيدي القصة بأكملها لأجلي، لكنني أريد أن أسمع الكثير منها بالقدر الذي ترغبين في أن تُخبريني به.

ألقت في وجهي ابتسامة صافية وانتقلت إلى القصة على الفور:

- تعرفين كيف اعتدنا دائمًا أن نتمنى أن يضع بينتون سُدادة لفمه على الرغم من أننا كنا نُقدِّر طبيعته الجيدة؟ حسنًا، في الأشهر القليلة

الماضية، كان حاضرًا كل يوم. وتقريبًا في كل يوم كنتُ أحضر فيه إلى مكتبة الاستعارة أيضًا بالإضافة إلى استراحة المُدرسين. في البداية كنتُ أعتقد أنني سمحتُ له بذلك. وربما كان شعورًا بسيطًا بالوحدة. (رفعت عينيها إليَّ سريعًا قبل أن تقول) آسفة! لم أقصد أن أجعلكِ تشعرين بالذنب.

ابتلعتُ ريقي وهززتُ رأسي نفيًا لأحثها على المُضي في الحديث.

- على أي حال كان يتحدث ويتحدث مررًا وتكرارًا دائمًا وأبدًا. وأحيانًا كان يُفضِّل الإنصات. وفي أحيان أخرى حاولتُ إبعاده، لكن محاولاتي لم تمس شيئًا من حماسه للحديث معي. وفي أحد الأيام، عندما غاب عن استراحة المُدرسين، بدا الصمت غريبًا، وافتقدتُ صوته حولي. كنتُ أريد أن أسمع المزيد منه. هل تُصدقين ذلك؟ (ضحكت كندرا).

ضحكتُ أيضًا. والحقيقة هي أنني لم أُصدِّق ذلك.

تابعت كندرا:

- في ذلك الوقت أعتقد أنني أدركتُ ما يحدث وأنني مستعدة للخروج في بعض المواعيد الرومانسية مع أحدهم، لكنني وجدتُ نفسي أُفكر أنه لم يخطر ببالي قط أن فلانًا بعينه سيُربك جزيئات الهواء حولي -ويثير اهتمامي وفتنتي- بالحديث عن العلاقة بين ريش الطائر والانتخاب الطبيعي، أو الدخول في أحاديث بلهاء حقًّا حول ما إذا كان من الأفضل أن تصبح أحد التوأمين الخارقين الذي يتحول إلى مكعب ثلج أو الآخر الذي يتحول إلى أي حيوان.

لم أكن أمتلك شيئًا سوى الضحكات الرقيقة التي ألقيها بين حين وآخر. الحق أن هذا منحني فكرة لأجل يوم الاحتفال بأفلام الرسوم المتحركة في المكتبة. كان الأطفال في صفي دائمًا يتحدثون عن أفلام الرسوم المتحركة التي شاهدوها، وكانت الأفلام المتحركة التي يناقشونها جميلة ورائعة وساحرة. لكنه من الواضح أن تلاميذي لا يعرفون شيئًا عن سحر أفلام الرسوم

المتحركة الكلاسيكية، تلك التي لم تتخطَ حدود المخططات والبُعدين الرأسي والأفقي.

- عندما اقترب فصل الصيف، أدركتُ أنه لن يكون من السهل أن أراه كل يوم. لذلك قلت له: «أتعرف يا بينتون، ربما علينا الخروج للعشاء في وقتٍ ما» ابتسم ابتسامة عريضة. وأدركتُ أنني سأحب تلك الابتسامة. لقد كان جادًّا طوال الوقت. المهم أنه قال بعد ذلك: «الحمد لله أنكِ طلبتِ أخيرًا. كنتُ خائفًا من أن تنفد المواضيع التي أتحدث عنها». وكان من الواضح أن ما قاله قد جعل كلانا يبتسم حتى انفجرنا في الضحك. بعد ذلك لم نُخطط لأي موعد في أي ليلة أخرى. ولكننا اتجهنا مباشرة إلى مطعم رائع في حانة يعرفها بينتون على بعد ساعة واحدة من هنا. وكنتُ أفكر حينها أن *دودي ستحب هذا المكان*. كان موعد العشاء في تلك الليلة أفضل ما لاقيتُ في حياتي. وسألني إن كنتُ أريد أن نتقابل على الفطور في الصباح التالي، وقد التقينا. أدركتُ أنني أحب قضاء الوقت برفقته. وأفتقده متى غاب عني. لذلك، هذا الخريف سأصبح السيدة بينتون. وبالكاد أُطيق الانتظار.

منحتها عناقًا طويلًا آخر قبل أن أُجيبها:

- كندرا، هذا مُذهل! إنها حكاية تستحق أن تُروى في حلقة القصة! أنتِ تستحقين هذا. أنتما الاثنان تستحقان هذا الحدث الجميل. لا أُطيق الانتظار حتى أقضي المزيد من الوقت معه. خارج استراحة المُدرسين والمكتبة بالطبع!

- بالحديث عن المكتبة، كيف تسير الأمور فيها ... مم ... الوضع فيها؟ (سألت كندرا مبتسمةً).

تنهدتُ بارتياح قبل أن أتابع:

- أفضل الآن. إنها قائمة وتعمل بشكل جيد، وقد أعددتُ الخطة للحصول على موافقة المدرسة، بالطبع من خلال مساعدة إلميرا.

أمسكت كندرا بإحدى يدي وربتت عليها قائلة:

- أنا سعيدة لسماع ذلك. إنها موطن فخرك.

فكرتُ في نفسي: «*موطن فخري؟*»

- اسمعي دوو، إن والدَي بينتون في المدينة اليوم، ويريدونني أن أقابلهم لتناول بعض كؤوس الكوكتيل. يمكنني أن أبقى معكِ هنا وأقابلهم في وقتٍ آخر (قالت كندرا).

- كلا، لا يمكن ذلك. عليكِ قضاء وقتٍ مع عائلة زوجك المستقبلي. شكرًا لكِ على قدومكِ، وعلى صبركِ معي حتى أُفكر في كل شيء (كنتُ أحثها على الذهاب إليهم).

- أنا آسفة على إقصائك، بالقدر الذي كنتُ غاضبةً فيه، ما كان ينبغي أن أُتركِكِ بمفردك. لم أدرك كم كان ما تمرين به صعبًا وعصيبًا عليكِ (قالت كندرا).

- سأكون بخير.

ربتت كندرا بإحدى يديها على يدي ثم قالت:

- أعلم أنكِ ستكونين بخير على الرغم من كل شيء، ولكن لأطمئن، عليكِ أن تأكلي القطعة الأخيرة من الكانولي عندما أذهب.

***

ألغت مادي أعمالها حتى تأتي للبقاء معي، ربما كانت تتوقع أن تجدني غارقة في التعاسة والإحباط ... لكنها تفاجأت على أي حال.

- ماذا تريدين أن تُشاهدي؟

طرحتُ عليها السؤال بينما كنتُ أحمل باقة كبيرة من أغلفة أقراص الفيديو. كان كلانا يرتدي ثياب النوم –على الأقل كانت فكرتي– وكنتُ قد أعددتُ جبلًا من الفُشار رُشَّ عليه بعض من الكُمون إلى جانب كمية كبيرة من كعك الشوكولاتة (حسنًا، في الحقيقة ليس كمية كبيرة إلى ذلك الحد حيث إننا قد أكلنا معظم الخليط). بدا كل شيء كما لو عُدنا فتياتٍ صِغار.

تغيرت ملامحُ وجه مادي وبدت مندهشة.

- ما المشكلة ماد؟ إنها مجموعتكِ المفضلة! ماذا تعتقدين؟ هل نشاهد *الجميلات بالثوب الوردي*[1]؟ أو *أميلي*[2]؟ *مذكرات بريدجيت جونز*[3]؟ *ست عشرة شمعة*[4]؟ *ثلاثة عشر أصبحت ثلاثين*[5]؟ أو ... أو ... انتظري ...

سألتها ثم عُدتُ أبحث خلال كومة أخرى أمامي قبل أن أطرح عليها اقتراحاتٍ أخرى:

- ماذا عن *البعض يفضلونها مثيرة*[6]؟ *الصدفة*[7]؟

- يا إلهي! يبدو وكأن مكتبة الأفلام الرومانسية الكوميدية للكونجرس تقع هنا! (قالت مادي بينما تبحث في الخزانة أسفل التلفاز).

- بالطبع! كما هي عادة فتيات عائلة فيرسيل! (قلتُ بينما بدأ وجهي يتألم من الضحك).

- كلاااااااا ... إنني أمتلك أفلام رعبٍ أيضًا. وكذلك تفعل كوكو ... على الأقل ستفعل ذلك الآن بما أنها تمتلك مُشغل أقراص فيديو، وليس أوراق الموز الممتلئة بالماء لتسليتها. هذا يبدو جنونيًا ... (قالت مادي).

كانت نبرات صوتها لطيفة، لكن يمكنني أن أشعر بها تختبرني على أي حال.

لا يبدو ما حدث كشيء يُذكر مقارنةً بما حدث عندما انتهينا من مشاهدة فيلم *سابرينا* (تلك النسخة التي شارك في تمثيلها أودري هيبورن وهمفري

---

(1) Pretty in Pink

(2) Amélie

(3) Bridget Jones's Diary

(4) Sixteen Candles

(5) Thirteen Going on Thirty

(6) Some Like IT Hot

(7) Serendipity

بوغارت، *بالتأكيد!*[1]) واتجهنا إلى النوم في الأعلى. عندما عُدت إلى الغرفة بعدما فرَّشتُ أسناني، كانت ماد تقف أمام الطاولة الصغيرة بجانب السرير وحاجباها مُقطَّبان بعمق، بينما كانت تتطلع إلى أبراج الكتب التي تعلو الكومودينو. حاولتُ ألا أنظر إلى عينيها بينما أنزلق تحت الغطاء.

جثمت مادي على حافة الفراش وبدأت في نقل الكتب واحدًا تلو الآخر في صفوف أمامي.

كان الكتاب الأول هو رواية *بعيدًا عن صخب الناس*. عند ذاك المشهد الذي يدور بين باثشيبا الطائشة والمريض جابريل؛ الذي أحبها حبًّا صامدًا وصامتًا طوال سنوات عديدة بعدما رفضته أول مرة وأخيرًا جاءت لحظة الشجاعة حتى يُحاول مرة أخرى:

- لو كنتُ أعرف هذا الشيء؛ ما إذا كنتِ ستسمحين لي بُحبكِ والفوز بقلبكِ، ما إذا كنتِ ستسمحين لي بالزواج بكِ بعد كل ما حدث، لو كنتُ فقط أعرف هذا!

- لكنكَ لن تعرف أبدًا! (تمتمت باثشيبا).

- لماذا؟

- لأنك لم تسأل قط.

كان الكتاب الثاني هو رواية *إيما*. عندما صرَّح السيد نايتلي أخيرًا بحبه لها:

- إذا قلَّ حبي لكِ، ربما استطعتُ أن أتحدث عنه أفضل.

وسار الأمر على هذا النحو. كانت مادي تُراقب تعبيرات وجهي وتغيرها. لكن وجهي لم يكذب؛ يمكنني الشعور بالألم ومن ثمَّ تأتي البهجة لتُزيل الألم عني كلما استرجعتُ كل مشهد قد قرأته من قبل عشرات المرات حتى التصقت كلماتها جميعًا في ذاكرتي.

- دوو، ماذا تفعلين بتلك الكتب؟

---

(1) جاءت كلمة «بالتأكيد» في النص الأصلي باللغة الفرنسية Bien Sûr.

كان صوتها رقيقًا عطوفًا، لم يكن يشبه طبيعة مادي حتى خلته قلقًا بعض الشيء. وكانت بالفعل قلقة بشأني.

- أنا أحب القراءة.

- كلا! (أجابت مادي على الفور ثم عاد صوتها رقيقًا مرة أخرى) أنتِ تعرفين جيدًا ما أقصده.

فأوضحتُ لها:

- تلك الكتب تجعلني أشعر بالتحسن. إنها تشبه ... تشبه ... التنفيس الرومانسي.

- ولكن ما مقدار التنفيس الذي يمكن أن يحتاج إليه شخص واحد؟ يبدو الأمر على الرغم من كل شيء أنكِ تُخدِّرين آلامك بالنهايات السعيدة لأشخاص آخرين.

تسارعت أنفاسي عندما سمعتُ كلماتها. كانت مادي على حق تمامًا. وعندما أطفأت المصابيح، شعرتُ وكأن الحزن القاتم الذي قد انتهيت من خياطة جرحه قد انفجرَ وتفشَّى.

***

تمكنتُ من ارتداء قناع الشجاعة طوال ما تبقى من زيارة مادي؛ جاهدتُ حتى لا أسمح لمحادثتنا السابقة أن تفتح أبواب الجروح العميقة التي كنتُ أُنكر وجودها.

وفي اللحظة التي اعترفتُ فيها أمام نفسي في المرآة أنني في حالٍ مروِّعة، هبط كل شيء إلى القاع. كانت مشروعات الرسم الخاصة بي في المدرسة متدنِّية على أفضل تقدير. وفي المساء بعد العمل، أجلس إلى مكتب التوزيع وأساعد جميع الزائرين السعداء الذين قد عادوا إلى الحضور، لكنني عجزتُ عن التركيز على قراءة أي شيء لنفسي. وعندما لا أكون في المكتبة، أتجنب البقاء في المنزل الذي تغمره الذكريات وتفيض من كل أركانه. حاولت جيرالدين وكندرا إشغالي بحفلات العشاء والمشروبات بالقدر الذي يقدران عليه، لكن لا زال هناك الكثير من الأمسيات التي أُغلق فيها المكتبة في الساعة المعتادة

وأُسرع إلى الصالة الرياضية التي قد انضممت إليها لإلهائي، ثم التجول على غير هَدي في متجر الخضراوات. أحاول اختراع الوصفات من قوائم المكونات المعقدة التي ستستغرق وقتًا طويلًا لإيجادها بين الممرات. ذاك المنزل الذي أحببته كثيرًا كان ينتظرني كل ليلة مثل صديقٍ قديم قد كبُرتُ منفصلةً عنه. فقدتُ شهيتي للطعام وبخاصة تلك الوجبات التي أُعِدها أو التي يسُرُّني أن أُعِدها، وامتلأت ثلاجتي تمامًا ببقايا الطعام ثم تبعها المُبرِّد على الفور.

بعد «العشاء» كنتُ أرتدي ثياب النوم وأجلس مندفعة إلى مكتبي، كما لو أنه قد ألهمني لإبداع شيء جديد أو مجرد ... شيء ما. أما الآن، فقد صار العلاج الوحيد الذي يُخفف من الألم القابض على صدري هو تمسيد ظهر تمثال الحصان الصغير الذي أعطاني إياه تلميذي بارنابي. كان يبدو وكأنه ... حسنًا، دعونا نقول إنه لم يكن مثاليًا. في البدء، هناك بروز بنيُّ اللون، ثم كُسِرت إحدى أُذنيه، وفكرتُ في نفسي *أنه ليس مِنَّا من هو مثالي*. على الرغم من أنني أعرف أن هذا لم يكن السبب وراء رحيل شيب، لكن لا أستطيع منع نفسي من الشعور بقليلٍ من صلاح النفس، كما لو أنه قد أرادني أن أكون ملاكًا بلا أخطاء وقد عجز عن التعامل مع الأمر عندما أدرك أنني لستُ هذا الملاك. لقد أدرك ذلك إلى الحد الذي جعله يعجز عن الاتصال بي للاطمئنان عليَّ، أو الكتابة إليَّ. وبمرور الوقت عليَّ أن أعترف بذلك: لم يكن الحب من جانب شيب كافيًا، حتى إنه عندما ساءت الأمور وتعقَّدت، رحل ولم يكن حاضرًا لأجلي. لم يكن مهتمًا بالقدر الذي يكفيه حتى يبقى معي.

في إحدى رحلاتي إلى متجر الخضراوات، قابلتُ مايك صدفةً في الممر حيث يوجد حبوب الإفطار ورقائق الذرة، ولم يكن أمامي سوى البدء بالحديث.

- مرحبًا! لم أرَكَ منذ مدة طويلة.

- مرحبًا دوو.

تلوى قلبي من الألم. كان مايك يُناديني بهذا الاسم فقط لأن شيب قد اعتاد ذلك.

- كيف تسير الأمور معك؟ (أخيرًا نطقتُ بتلك الكلمات).

- جيد، جيد. أعتذر لأنني لم أكن موجودًا في المكتبة مؤخرًا. كل ما أردته هو ألا تشعري بالغرابة في وجودي. إذا كان وجودي يُذكركِ بـ ...

تردد لبرهة قصيرة، ربما كان يتجادل مع نفسه في الداخل. لكن ما يدور داخل رأسي كان «*كلا، ليس هذا!*»

ثم تابع مايك:

- تعرفين أن شيب في ...

رفعتُ راحة يدي بينما أهُز رأسي حتى يتوقف. فانغلق فم مايك على الفور. ثم استأنفتُ هامسة:

- ما لم يكن في حاجة إلى ترشيحات بعض الكتب ...

لم أكن واثقة كيف بدت نبرة صوتي بل وقلقة مما إذا بدت نبرة غير لائقة.

- كلا ... كلا، إنه بخير (اتسعت عينا مايك فجأة).

- إذًا أنا واثقة من أنه سيُخبرني إذا رغب في أن أعرف ذلك (أجبتُ).

- فهمتكِ. حسنًا، على أي حال، سأراكِ مع الأطفال في حلقة القصة يوم السبت (قال مايك).

- أراكَ لاحقًا.

بعدما قدمت مادي تقريرها، قلقت كوكو مما جاء فيه فجاءت برفقة تيرابيثيا للمكوث معي لفترة، فقد كانت تعلم أن مجيئه سيُسعدني. بدت أجمل مما كانت عليه من قبل. أعتقد أنها تلك السعادة التي ملأت قلبها بمساعدة الآخرين وبالأمومة. فكرتُ في كل تلك البطاقات البريدية التي أرسلتها لي من قبل عندما كانت في إفريقيا، وبخاصة تلك التي كانت تنظر فيها إلى ذراعها منتظرةً أن تشق دودة غينيا التي يزيد طولها على ثلاثة أقدام – طريقها بألمٍ لا يُطاق إلى سطح الجلد. أشعر وكأن قلبي مصاب بدودة غينيا الآن.

- هل حاولتِ التحدث معه؟ (سألت كوكو بعدما وضعت بوو في السرير).

- كلا. يبدو الأمر دون جدوى. سيعود إن أراد ذلك.

- ربما كان ما يحتاج إليه منكِ أن تُحاربي من أجله (قالت كوكو).

استوقفتني عبارة كوكو للحظة قبل أن أُتمتم:

- شيب لا يلعب معي ألعابًا كهذه!

وعلى غير العادة أخرجتُ حصان بارنابي من الدُرج وبدأتُ في تمسيد ظهره.

- دُمية الحِصان! لقد كنتُ أتساءل عما حدث له (صاحت كوكو منتزعةً إياه من بين يدي).

شقت ابتسامة باهتة طريقها إلى وجهي. كانت كلٌّ من كوكو ومادي قد انفجرتا ضحكًا عند رؤيتهما لهذا التمثال الصغير أول مرة. لكنني لم آبه لذلك كثيرًا، فعلى الرغم من كل شيء، ربما كانت كلمة دُمية *(دوودوو)* باللغة الفرنسية واحدة من ألطف الكلمات التي يمكن أن تُفكر بها. إنها تعني الحيوانات المحشوَّة بالقطن الناعم، أرنبك المخملي الخاص. ومع ذلك، اتخذتُ قرارًا نافذًا وهو أنني لن أشارك الاسم المستعار للتمثال مع بارنابي لأنه في عمر السادسة لا يمكن الجزم بأنه قد تعلم الفرنسية بعد.

- أجل، دُمية الحصان!

كررتُها بفتور وكأن البهجة قد سُرِقت مني، ثم عانقتني كوكو عناقًا طويلًا قبل أن نذهب للنوم.

***

كان توقيت الوجبة الخفيفة لتيرابيثيا قد حان، وقد بدأتُ التعرف على إيقاع أيام كوكو وتيرابيثيا؛ الروتين اليومي المُحدد وفواصل اللعب بينها أو الراحة.

- هل تريدين أن نأخذه إلى مقهى أوليف لتناول الطعام؟ إذا غادرنا الآن، يمكننا أن نصل هناك عند خروج رقائق الشوكولاتة من الفرن.

اقترحتُ على كوكو بعد أدائنا الاستثنائي *لكتاب الضفدع المغفَّل* في المكتبة لأجل الأيام الخوالي.

فكَّرت كوكو.

- حسنًا ... إننا نحاول مراقبة كميات السكر التي يتناولها. فعندما أمنحه قطعة شوكولاتة، يصبح مشوشًا قليلًا، ثم يدخل في النعاس حتى يغط في النوم. ربما كان هناك شيء صحي في مخبز بيليبي؟

- صحيح.

وافقتُ، إلا أنني لم أكن متأكدة تمامًا مما سيكون هذا الشيء الصحي، لكنني لم أكن في حالة تصلح للجدال.

قبل أن أُغادر، وجَّهتُ حديثي نحو بينتون:

- هل يمكنك تولي أمر المكتبة لأجلي؟

- بالطبع أيتها المديرة.

أجاب بينتون دون أن يُفوِّت لحظة واحدة في تصفح الكتب أمامه. استمرت كندرا في مساعدتي في المكتبة، لكن الآن بينتون يأتي دونها. من الواضح أنها لم تكن الشيء الوحيد الذي أحبه في المكتبة؛ لقد أحب فكرة التطوع بذاتها. روح المشاركة والتمكن، الأشخاص، أن تُحاط بالمعرفة من كل اتجاه، الفرصة لمقابلة أولياء أمور تلاميذه في موضع أقل رسمية. تلك الأشياء المضحكة التي يطلبها الناس في مظروف الطلبات. كان بينتون رجلًا متحمسًا، وهذا من حُسن حظ كندرا، ومن حسن حظي وحظ المكتبة أيضًا. أنا الآن على استعداد لأن أعترف أنني كنتُ بحاجة إلى المساعدة حتى دون أطفال.

دفعت كوكو الباب الأمامي بمخبز بيليبي، ثم اندفع تيرابيثيا خلاله قائلًا:

- مرحى! مرحى! مرحى! حلوى!

حسنًا، أجل، صحيح. لم يكن مخطئًا.

وفي ضوء الخلفية الأبيض البرَّاق، كان مخبز بيليبي قد وضع أغطية الطاولة باللونين الأزرق الباهت والأخضر العشبي من القماش القطني متقلب الألوان، واستقرت جميع قوالب الكعك على صواني الكعك العتيقة من الجاديت. وإلى جانبها تصطف أكواب الكعك المغطاة بالفاكهة، ذات الألوان الرقيقة الناعمة على أرفف حافظة العرض، وأكوام من كعك سنيكردودل

الهشة ولطخات مَرنغ الشوكولاتة وبسكويت زبيب الشوفان المجروش الذي يلُوح لنا من الجِرار الزجاجية ذات الأغطية الخضراء الباهتة.

كان وجه تيرابيثيا قد التصق بالزجاج قائلًا:

- أريد هذا، أريد هذا.

وظل يتطلع من خلف كتفيه ليرى ما إذا كنا نعيره اهتمامًا أم لا، وهو يُشير إلينا:

- جدتي. أمي.

كان هناك على الرف الأوسط قالب بلوري ضخم يمتلئ بحلوى بودنج الموز، وكان الغطاء الكريمي انسيابيًّا دون خطأ، وطبقات من الموز المُقطَّع وبسكويت الزنجبيل المُفتت يقسم وسائد حلوى البودنج أسفلها.

- بالطبع! هذه من الحلوى المفضلة إليَّ أيضًا (قلتُ وجلستُ القرفصاء لأعانقه).

كانت كوكو تقف بجانبنا. ماذا كانت تتوقع عندما تُحضره إلى المخبز؟ وفكرتُ أنه *على الأقل لم يختر شيئًا مُزينًا بالفاكهة.*

- أنا أريد، أنا أريد.

كان تيرابيثيا يتجادل مع كوكو بينما يربت بيديه على بطنه الصغير. نظرت كوكو نحوي وهي ترفع كتفيها ثم قالت:

- على الأقل لم يختر شيئًا مُزينًا بالفاكهة.

- أجل، وهناك أيضًا ... مم ... الكالسيوم (قلتُ).

لم يكن أمامي سوى الارتجال في الحال.

جلس تيرابيثيا على فخذي بينما كنتُ أطعمه حلوى البودنج في فمه. وسرعان ما شعر بالملل منها وجعلني أُخرج طبقات الموز وقطع البسكويت، وبينما كان يُملي عليَّ التعليمات:

- أسفل. دادا تضع بسكويت خارج.

- ماذا تقول؟ (كانت كوكو تُحفزه على إعادة حديثه).

- فضلِك ... (قال تيرابيثيا).

تركته ليقف على قدميه ويتحرك بحرية. كان قد ترك لنا الكثير من حلوى البودنج. وبينما عاد تيرابيثيا للاستكشاف، أخذت كوكو ملعقة كبيرة من الحلوى لتلتهمها قبل أن تقول:

- من الجيد أن أراكِ تضحكين.

لقد كنتُ أحاول ارتداء قناع الشجاعة.

ثم تابعت كوكو:

- من الواضح أنكِ كنتِ تشعرين بتعاسة بالغة.

- حقًّا؟ (أجبتها).

- أجل. لم تعودي تُشبهين ذوقكِ الشخصي في الموضة، وترتدين أفضل الثياب لأجل مكالمات الفيديو – منذ وقتٍ طويل (قالت كوكو).

- آسفة!

بالطبع هنا كنتُ قد ابتلعتُ الطُّعم.

- يا إلهي دوو. إنني أُثير غيظك ليس إلا. أنتِ دائمًا تبدين جميلة. أخبريني كيف تشعرين حقًّا؟

- شعور مريع.

كنتُ قد سئمتُ التظاهر بكوني بخير في حين أنني لم أكن كذلك. ما الجدوى من أن أُخفي الأمر عن عائلتي وأصدقائي على أي حال؟ لا يبدو الأمر وكأنهم يتوقعون أن أكون سعيدة طوال الوقت. لقد كنتُ الشخص الوحيد الذي وضع هذا النوع من الثِقل المستحيل على صدري.

جعلني الاعتراف بالأمر أخيرًا أشعر بثِقلٍ أخف على صدري. نوعًا ما.

ربتت كوكو على رُكبتي ثم قالت:

- أعلم ذلك. أخبريني؛ ماذا يمكنني أن أفعل؟

- تنتقلين إلى هنا مع مارك وتيرابيثيا (قلتُ فجأة).

كان جزء بداخلي يمزح، والواضح أن الجزء الآخر لم يكن كذلك.

تطلعت كوكو نحو تيرابيثيا طويلًا. كان يلعق أحد جوانب حاوية الزينة ذات اللون الأرجواني الباهت بينما يقول: «بسكويت أرجواني» بحروف مُتقطعة.

- أتمنى لو يمكنني ذلك، لكننا نحاول الاستقرار في مكانٍ مُحدد لأجله. لا أريد اقتلاعه من جذوره مرة أخرى ...

- بالطبع أعلم ذلك. لقد كان طلبًا أنانيًّا تمامًا.

لوحتُ بيدي كما لو أنني أُزيح بقية كلماتها.

- حسنًا، تعلمين أنني أشجع تلك الأنانية من كل قلبي. لقد تخليتِ عنها طوال الثلاثين عامًا الماضية أو ربما أكثر من ذلك. تذكرين عندما اعتدتِ أن تمنحي كل حلواكِ لي ولمادي؟ والمقعد الأمامي للسيارة؟ وألعابك؟ (قالت كوكو ثم هزت رأسها قليلًا بولع).

ثم تابعت:

- لم لا تُفكرين في الانتقال معنا وتسمحي لنا بتدليلك لبعض الوقت؟

لم أكن قد فكرتُ حتى في إمكانية ذلك.

كلا، لا يمكنني الانتقال بعيدًا عن شاتسورث. وإلميرا التي لا تزال مُعَاقَبة تحتاج إليَّ. وكذلك ... ثم أوقفتُ حلقات رأسي التي تدور بالأفكار قبل أن تنطق وفكرتُ «*كلا دودي! أخبريني ماذا تريدين؟*»

بعدما غطت كوكو وبوو في نومٍ عميق، تسللتُ إلى الطابق السُفلي وأشعلت مصباح الغرفة الزجاجية الشمسية. جلستُ إلى مكتب التوزيع وشعرتُ بأن قلبي يتضخم بالحماس كلما فكرتُ في كل الكتب الجديدة التي تنتظرني – وتنتظر الرُوَّاد– على الأرفف لاكتشافها. وعلى الجانب الآخر، سقطتُ جالسةً في الكرسي المُجنَّح وتذكرتُ تلك الأوقات الخوالي جميعها التي كنتُ أرى فيها إلميرا تجلس هنا بهدوء أو تُحاول إخماد ضحكاتها. ثم اتجهتُ نحو مظروف الطلبات لأنفض قصاصات الورق المطوية خارج مظروف الطلبات.

كانت تقول بعض القصاصات:

المزيد من قطع كعك التوت من فضلِك!

هل يمكن توفير نسخة أخرى من رواية اللاما تفتقد الماما[1]*؟ إنها الرواية المفضلة لابني ودائمًا ما تكون مستعارة.*

كُتب شخصية إلمو[2]*!*

أحب المكتبة كثيرًا أتمنى أن تظل مفتوحة للأبد، شكرًا لكم!

تنهدتُ بارتياح. لقد أدركتُ ما أريده حقًّا، وهو أن أبقى في شاتسورث، مُحاطةً بكل هؤلاء الناس الذين أحبهم، أُشارك شعورهم بالسعادة وأُسعد نفسي بوجودهم. أعلم جيدًا الآن أن الخط الفاصل بينهما أحيانًا ما يكون ضبابيًّا. وأعلم أنني لن أكتشفه في الحال. لكنني قد أدركتُ وتعلمتُ أن مكتبة الاستعارة هي شيءٌ كنتُ بحاجة إليه مثلما كانوا أيضًا بحاجة إليه.

***

عندما كان تيرابيثيا ينام قيلولته في اليوم الأخير له ولكوكو في شاتسورث، وقفتُ مدة طويلة بينما تنساب مياه الاستحمام على جسدي تغسل عني هُلام زيت الزهرة المغربية وتغزو حرارة التنظيف رأسي. تنفستُ البخار بعمق حتى شعرتُ به يُدغدغ كل خلية في جسدي.

اختارت كوكو لفائف الروبيان من أجل الغداء، ثم أعددنا المائدة على أرضية الشرفة في الهواء وأكلنا طعامنا بينما تواجهنا الشمس بدفئها الحاني. كنتُ قد بدأت في تمسيد الكعك المشوي المغطى بالزُبد واللحم الحلو المُملَّح – بكربونات التوت الأسود. وكانت كوكو قد أطعمت تيرابيثيا فطائر البيتزا الإنجليزية، وبدا وكأنه يشعر أن غداءه مُترف مثل غدائنا تمامًا. وبعد ذلك أخذنا تيرابيثيا إلى الحديقة الخلفية حتى نلعب معًا. جذبني من ساقي حتى جلستُ على ركبتي ثم رقدتُ على بطني الممتدة والراضية أيضًا من وجبة الغداء.

---

(1) Llama Misses Mama: رواية خيالية مُصورة للأطفال من قبل آنا ديودني. (المترجم)

(2) Elmo هو شخصية خيالية من مسلسل شارع سمسم. (المترجم)

عندما صرتُ في مستوى عينيه، ظل يربت على كتفي مرارًا وتكرارًا. فسألته:

- أنلعبُ الغُميضة؟

- أجل (وافق تيرابيثيا، ثم وقف منتظرًا التعليمات).

- حسنًا، إذا وجدتكَ (ثم تظاهرتُ بالتفكير العميق قبل أن أُتابع) عندئذ سأشتري لكَ آيس كريم.

بضحكة عالية انطلق مُسرعًا يُردد ويُدندن:

- شوكولاتة فانيليا مُكسرات.

كانت ساقاه القصيرتان سريعتين للغاية على الرغم من أنه كان يركض بساقين متباعدتين. أنهيتُ العَدَّ حتى العشرين –مدة طويلة لأجل التشويق، بينما تبدو كما لو أنها الأبدية لطفلٍ صغير– ثم اتجهتُ نحو رقعة زهور العسل.

بينما كنتُ أقف في تلك الرقعة لأخذ أنفاسٍ عميقة، كان عبير الزهور دافئًا وشذيًّا مثل رائحة إعداد خُبز الزنجبيل، وبعد مدة من الوقت تصير رائحة سكرية خفيفة كما لو أن أشعة الشمس قد تحوَّلت إلى سائل يمكن ارتشافه. وخلف حقل من الزهور، لمحتُ مقدمة رأس تيرابيثيا وشعره المُتموج –لا شك أن سائر جسده– كان يهتز من الحماس. ازداد تنفسي البطيء حتى شعرتُ بتضاعف الهواء في صدري وتضاعف الدعم الذي يضخه قلبي وتضاعفت سعادتي. سعادة غامرة عجزتُ عن معايرتها، ولأول مرة منذ وقتٍ طويل.

الفصل الثاني والعشرون

أبريل 2009

كنتُ أتحدث مع مادي عبر مُكبر الصوت عندما وصلت كندرا لتبيت معي تلك الليلة. سمعت كندرا أختي تقول:

- الطريقة الوحيدة لتخطي شخصٍ ما هو أن تتخطيه إلى شخصٍ آخر.

صاحت كندرا:

- إنها على حق!

الحق أنه منذ أن تقابلت مادي مع كندرا، أصبحت كندرا العضو الأول في نادي معجبات مادي فيرسيل. العضو الأنثوي على الأقل. واعتقدت أن فكرة مادي رائعة وملائمة لحالتي.

- أعتقد أن علاقة عابرة ستكون مناسبة تمامًا في الوقت الحالي!

وعرضت كندرا أن تُرتب لي موعدًا أو تُسرع برفقتي إلى الحانات، لكن نوبة من الغثيان كانت تضرب أعماقي في كل وقتٍ تجول في خاطري فكرة أن تُلامس شفتا أحدهم شفتي ... شفاهًا أخرى غير تلك الشفاه ... تلك التي خططتُ أن أحافظ على ولائي لها طوال حياتي. وربما كان قد غيَّر من رأيه بشأن هذا الوعد ... من الواضح أنه قد غيَّر رأيه ... وغادر المدينة إلى مكانٍ آخر لا يعلمه أحد ... لكنني كلما حاولتُ تصور النشوة التي تُدغدغ عمودي الفقري عندما يُلامسني شخصٌ آخر غيره، يثور جسدي وكأنها لسعة عقرب. كانت فكرة مستحيلة.

إلا أنني كنتُ أطمئن نفسي دائمًا بأن كل ما في الأمر هو *المزيد من الوقت، هذا كل ما أحتاج إليه.*

وفي أحد الأيام بعد الظهيرة عندما كنتُ أتجول في طريق الغابات على بعد ميلٍ واحد تقريبًا من منزلي، اكتشفتُ بحيرة صغيرة لم أرها من قبل. وبدأت أسير حولها ببطء فيما يشبه الدائرة. كان الهواء المنعش ناعم الملمس على الوجه، يشبه الجانب المخملي الداخلي لبتلات الأزهار، وتوحَّد لون السماء تقريبًا فقاربت الصفاء. كان الوقت قد تأخر أكثر مما كنتُ أعتقد، لكنني لم أهتم لذلك. وللحظة شعرتُ وكأنني لا أمتلك موطنًا آمنًا أذهب إليه. كان شعورًا لذيذًا لكنه سهل النسيان.

***

كنتُ قد توقفتُ عن البحث عن شيب في أي مكان حول المدينة. لكنني لم أسمح لنفسي بعدِّ الأسابيع التي قد مرت منذ رحيله؛ صارت ضبابية الوقت أفضل كثيرًا من مدة الغياب المؤكدة. أين هو الآن؟ هل لا زال في مكانٍ ما في أمريكا الجنوبية؟ هل عاد لكنه يقضي وقتًا منفردًا في شاتسورث؟ هل يتردد على الأماكن التي يعلم أنني لن أذهب إليها؟ أشكُ في ذلك. يبدو وكأنه صار أكثر بُعدًا، كما لو أن مايك والمدينة يفتقدونه أيضًا. وتساءلت ما إذا كان سيعود في يومٍ ما. والحقيقة هي أنني عددتُ احتمالية عدم عودته شعورًا بالارتياح وتسكين الألم. كان هذا الشعور يصف انتهاء حالة النكران التي كنتُ أعيش فيها لفترة ليست بقصيرة حتى لو كان الألم في قلبي لا زال نابضًا.

كانت مواجهة حالة النكران هي الطريق الوحيد لتخطي الأمر. صعدتُ مباشرةً إلى غرفتي وجلستُ على ركبتي بجانب الفراش ومددتُ يدي من أسفله حتى أسحب الصندوق المغطى بالقماش الشفاف. كانت طبقة من الغبار قد وجدت طريقها على سطحه. وقرأتُ: مايو 2009 – الشهر الأخير المُتبقي على إغلاق نافذة الخصوبة المُفترضة لديَّ، والذي قد أحطته بدائرة حمراء إلى جانب بعض النجوم الذهبية والألعاب النارية المرسومة حوله باللون البرتقالي عندما اشتريتُ التقويم أول مرة. كان تاريخ مايو 2009 هو الشهر القادم.

لم أكن قد تفحصتُ التقويم لأشهر طويلة، وأحمد الله على ذلك. كان هذا المشروع هو المشروع الوحيد الذي شعرتُ بالفخر عندما تخليتُ عنه.

أمسكتُ الورق وبدأتُ في تمزيق كل واحدة إلى قصاصات صغيرة جدًّا بدت وكأنها تشبه رقائق الثلج. كان هذا مناسبًا. لم يكن أي يوم أو أسبوع أو شهر طوال هذا الوقت مشابهًا لغيره. لم يمنحني أي منها أي طفلٍ أحمله في أحشائي وبين يدي، لكن كل واحدٍ منها كان جميلًا بطريقته الخاصة ومهمًّا أيضًا على أي حال.

تجعدت في يدي قطعة الورق التي كنتُ قد خططتُ عليها حسابات الأشهر بعد ليلة العشاء مع مادي. وخرجت مني ابتسامة سخرية عندما نظرتُ إلى خربشاتي المرتبكة وحساباتي وإعادة الحسابات. بدت جميعها تعسفية بالنسبة إليَّ الآن. هل سيخضع مبيضي حقًّا إلى تلك القواعد السخيفة؟ قد تكون مجرد صدفة قد جمعت بين أمي وجدتي. مزَّقتُ تلك الصفحة إلى قصاصات أيضًا. إما أن تكون الحسابات صحيحة أو لا تكون. إما أن أكون قادرة على إنجاب طفلٍ أو لا أكون. أعتقد أنه يمكنني فعلُ ذلك بمفردي، لكنني أعترف الآن إلى نفسي أنني لا أريد فعل ذلك بمفردي والأكثر من ذلك أنه يجب عليَّ ألا أفعل ذلك بمفردي؛ على الأقل ليس بعد. كنتُ أعلم أن أمي على حق عندما قالت: «سيحدث كل شيء بالطريقة التي تحددت له سلفًا». لم يكن يعنيني الأمر إذا كنتُ قد حمِلتُ بالطفل أو تبنيته. أيًّا كانت الطريقة التي يأتي بها هذا الطفل إلى حياتي –على الرغم من أن هذا الطفل قد أتى إلى حياتي– سأكون أُمًّا رائعة ومُحبة له مثلما أردتُ أن أكون دائمًا.

أما الآن فسأكون الأم الراعية للمكتبة. فهناك الكثير مما أريد العمل عليه.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث والعشرون

- قد يكون هذا أشهى طبقٍ تصنعينه مطلقًا (تلفظت كلوي ثم أضافت) اعتادت جدتي أن تصنع الداكواز[1] في المناسبات الخاصة، لكن هذا الطبق وضع وصفة جدتي في موقف مُخزٍ.

وفي اللحظة التي خرجت فيها تلك الكلمات من فمها، تطلعت كلوي من خلف كتفيها يمينًا ويسارًا كما لو أن جدتها المستاءة ستتجسد أمامها.

- أووه ليس عليك أن تقول هذا (أجاب سام بابتسامة مبهجة).

في أول حلقة من حلقات نادي القراءة لعشاق الطعام خاصتنا، صنعت كلوي بسكويت الملح لكنه لم يكن مستساغًا. أما الآن فصارت مسؤولة عن إعداد مُربى المَرِنج بالليمون والبندق المغطاة بكريمة الموكًا التي كان جميعنا يتشممها من وصفة في كتاب *راحةً لي مع التفاح* الذي كتبته الطاهية روث ريشل.

لعقت كندرا أصابعها ثم قالت:

- أحب مصداقيتها في هذا الكتاب. كانت القصة التي تدور حول كيفية محاولتها لتبني جافي مرورًا بما فعله والدا جافي لأخذها مرة أخرى – كانت واحدة من أكثر القصص التي قرأتها منذ وقتٍ طويل إدماءً للقلب.

ثم ألقت نظرة سريعة نحوي.

ابتلعتُ ريقي بصعوبة. فقد لامس هذا الجزء من الكتاب وترًا حساسًا. وتذكرتُ ما حدث مع سيانيه. ثم ما حدث مع تيرابيثيا.

---

(1) الداكواز: كعكة حلوى مصنوعة من طبقات اللوز والبندق والكريمة المخفوقة أو الزبدة على قاعدة بسكويت الزبدة. (المترجم)

تطلعت ماليسا إلى ساعتها وقالت:

- عليَّ الذهاب الآن لاصطحاب ديندرا من درس الباليه، ثم نذهب جميعًا إلى مهرجان أزهار الكرز في إيجل ريدج برفقة تيري.

غمر وجهها بريق مختلف عندما نطقت بتلك الكلمات الأخيرة. من الواضح أنها قد قرأت كتاب *بعيدًا عن صخب الناس* وقد فهمت الرسالة. أو ربما كان التعرف على الأحمق المتكبر تشاننج روبيسون قد جعلها تُدرك سريعًا أن تيري صيد أكثر أهمية ورجل سيمنحها وابنتها الاحترام والعطف اللذين تستحقانهما. ثم أضافت:

- تيري يُسمي هذا اللقاء «نادي القراءة للطعام والمشاعر».

ثم ضحكنا جميعًا.

اندفعت جيرالدين من الباب الأمامي، وسألت دون تكلف:

- أنتِ متفرغة، أليس كذلك؟

- أجل. إننا على وشك الانتهاء (أجبتُ).

- جيد. اسمعي دودي، أريد أن أتحدث معكِ الآن.

- حسنًا، إلى اللقاء جميعًا. بالمناسبة سام، كعكة الداكواز رائعة حقًّا.

بمجرد أن صرنا بمفردنا، قالت جيرالدين:

- اجلسي!

- ماذا يحدث؟ أنتِ تُثيرين رعبي.

- حسنٌ. أنتِ تعرفين أنني قد فوَّتُ نادي القراءة لعشاق الطعام اليوم لأنه تم استدعائي لأجل بعض التطورات بشأن تقدم العمل في مكتبة شاتسورث؟ (أجابت جيرالدين).

- أجل.

- حسنًا، خمني ماذا حدث؟

- هل التحسينات على وشك الانتهاء؟ (سألتُ).

كنتُ قد مررتُ على المكتبة عشرات المرات في طريقي وبينما كنتُ أجهل الوقت الذي ستستغرقه الأمور بالداخل، كان الهواء حولها يعود إلى طبيعته المنعشة بالترحاب بدلًا عن الهواء المقفر الذي يُشعِر بالهجران. يبدو الآن أنها على وشك ... الانتهاء. كانت جيرالدين قد أخبرتني أنهم يتوقعون الانتهاء منها في وقتٍ ما هذا الربيع أو ربما الصيف. لكن وبعد مرور أكثر من عامين من الانتظار، لم أعتقد أنني سأصدق هذا حتى تتأكد الأخبار رسميًّا.

- أجل. وخمني أيضًا ما السبب وراء ذلك؟
- ليس لديَّ أي فكرة (أجبتُ).
- تم تكليف شيب ليكون رئيس العمال لبقية المشروع (قالت جيرالدين).
- حقًّا؟ (أجبتُ).

إذًا لقد عاد شيب. وشعرتُ كما لو أن أنفاسي تُسحب مني.

- أجل. والأمر لم يقتصر على ذلك فقط، لكنه أيضًا قد وفرَّ التمويل من مستثمري المركز التجاري الذي يعمل عليه، واتفق مع إحدى المهندسين المعماريين بشأن التفاصيل الأخيرة مقابل سعر منخفضٍ للغاية لأنها قارئة عاشقة للكُتب. وأخيرًا اختصر الروتين الحكومي، والآن بدأ العمل حقًّا.

التزمتُ الصمت من الذهول. إذًا لقد عاد شيب. كان جزء مني يرغب في التقيؤ. لقد قرر شيب العمل على إنهاء مكتبة شاتسورث. والجزء الآخر أنه ربما يكون هذا هو أكثر شيء رومانسي قد سمعته في حياتي.

- لقد استغل الفرصة جيدًا حتى يسأل عنكِ (تابعت جيرالدين).
- هل تحدثتِ معه؟
- أجل. نوعًا ما. لكنني لم أنطق بالكثير لأنني لم أكن متأكدة مما يجب أن أقوله.
- إذًا ماذا قلتِ؟ (سألتها).

- أخبرته بأنكِ بخير تمامًا، وأن الأمور تسير على أفضل مما يُرام، حيث إن تيرابيثيا الآن يعيش مع كوكو ومارك.

- حسنٌ.

- أخبريني دودي، كيف نشعر نحوه؟ هل لا زلنا ... في حالة من الغضب؟ أم أننا ... سنتصرف بودٍّ ومحبة؟ لأنني لم أكن متأكدة من الطريقة التي أتصرف بها معه.

- هل يمكنني إخبارك فيما بعد؟ (كان صوتي يرتعش من الصدمة).

- أجل عزيزتي.

***

كانت كندرا هي التالية، ثم ماكي وچيف. كل شخصٍ أعرفه تقريبًا كان يُصادف شيب في وقتٍ ما، إلا أنا؛ لم أره حتى مرة واحدة. يا إلهي، ربما يتناول الشاي مع والدة إلميرا في تلك اللحظة. ثم وصلت البطاقة البريدية الأولى.

كنتُ جالسةً في المكتبة بعد جلسة مثيرة من جلسات حلقة القصة والتي تحولت بطريقة ما إلى سرد أكثر الأحداث الجنونية التي وقعت في حفلات توديع العزوبية التي حضرناها.

عندما رحل الجميع، سحبتُ كتاب *البحث عن الزمن المفقود* من على رف الكتب. كان كتاب *طريق سوانز* هو الكتاب الأول من بين سبعة كُتب في مجموعة الروائع الأدبية التي ألفها مارسيل بروست، وكان آخر ما استطعتُ الحصول عليه في المكتبة. كنتُ قد انغمستُ أيضًا في المجلدات الأخرى لكنني أعود بسعادة دائمة إلى طفولة مارسيل على الرغم من أنها كانت مشحونةً بالوحدة في الليل.

في رأيي كانت روعة العبارات الرنانة المُبسَّطة في الكتاب تأخذني إلى خارج العالم –إلى داخل طريق جويرمانتس– أسفل أشجار الصفصاف وبين الحشائش التي كان من بينها براعم نباتات الزعرور البري بلونها الوردي المزعج الذي يشبه النباتات المزهرة الصغيرة التي نُعلن بها عن المولود

الأنثى. ومثلما فعل مارسيل عندما كان يتجول بعينيه المتسعتين من الدهشة، تخيلتُ أنني أستنشق روائح الغضاضة من الحشائش والتربة الرطبة، والأهم من هذا كله تلك الأشجار المقدسة. لقد تركتنا نحن الاثنين –أنا ومارسيل– لاهثي الأنفاس بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

كما لو أن الكون قد تآمر ضدي حتى أغيب عن الوعي، وصل أنوب في تلك اللحظة برسائل البريد، وسلَّمني مظروفًا كبيرًا تنبعث منه رائحة متغيرة بين التراب المصقول والصابون الأيرلندي المصنوع يدويًّا. كان المظروف منتفخًا ببطاقات بريدية من شيب. وكانت التواريخ المخطوطة عليها تعود إلى شهر سبتمبر الماضي، لكن الختم البريدي على الظرف كان يعود لليوم السابق في شاتسورث. بعدما رحل أنوب بدأت في قراءتها بالترتيب.

عزيزتي دوو...

لقد مرَّت أربع وعشرون ساعة فقط منذ انفصالنا، لكن الكثير قد تغيَّر بالفعل. لقد سافرتُ على متن الرحلة الأولى التي تمكنتُ من الوصول إليها هذا الصباح، وأنا الآن في قارَّة مختلفة تمامًا. إنني متعبٌ للغاية لدرجة أن بإمكاني أن أغط في النوم طوال مائة عام، لكنني أعلم أنه إذا حصلتُ على ساعة واحدة من الراحة سأكون محظوظًا. أنا أؤمن حقًّا أن هذا أفضل بالنسبة إلى كلينا على الرغم من كل هذا الإعياء.

مع حبي...

شيب.

آخ. يا لها من طريقة لتوجيه الرسائل! كان شعورًا مذهلًا حقًّا ... كيف لجرحٍ ملتئم أن يؤلم لهذه الدرجة.

في الوقت الذي انتهيتُ فيه من قراءة البطاقات البريدية، شعرتُ بالتورُّط والاستغلال. وبسبب الحزن الذي ملأ كلماته والذي يثبت أن الأمر لم يكن سهلًا على شيب أيضًا – شعرتُ أيضًا بالأمل لكنني لم أُرد الاعتراف بذلك.

واتخذتُ قرارًا.

- مرحبًا! (نطقتُ عندما أجاب هاتفه).

- مرحبًا.

- شيب، يجب أن يتوقف كل هذا.

- معذرةً لا أفهم! (كان صوته يرن بالفضول).

- لا أعتقد أن أمامنا أي خيار سوى التحدث عن هذا الوضع. سأحضر إلى منزلك الليلة في الثامنة (صحتُ بإيضاح).

- أوه، ممم، حسنٌ. هل تريدين مني القدوم إلى منزلك؟

- كلا. سأراك الليلة في الثامنة (وأغلقتُ الخط في التوِّ).

***

كان الذهاب إلى منزل شيب يعني أنني أمتلك اليد العُليا عندما أُقرر المغادرة. يمكنني الهروب في اللحظة التي أحتاج فيها إلى ذلك؛ إذا احتجتُ إلى ذلك. منذ أن انتقل شيب إلى شاتسورث، كان يعيش في شقة مُجهَّزة مستأجرة لمدة طويلة، والتي كانت تبدو شقةً مثالية لكنها لم تكن شقة خاصة بالقدر المقصود منها. وكان يشعر بالسعادة إذا قضى جميع أوقاته في منزلي المريح، لذلك كانت شقته أقل الأماكن المحفوفة بالذكريات حتى نتقابل فيه الآن.

وقفتُ أمام باب شقته ثلاث دقائق كاملة. كنتُ ألتقط أنفاسًا بطيئة وهادئة. سيصبح الأمر مُقززًا إذا أصابتني نوبة الهلع وتسارعت أنفاسي حتى أفقد الوعي أمام عتبة منزله. لذلك استدعيتُ الشجاعة حتى أطرق الباب.

فُتح الباب بسرعةٍ كما لو أنه كان يقف خلفه طوال هذا الوقت منتظرًا إياي.

بذلتُ جهدًا مضنيًا حتى أرفع عينيَّ من على مقبض الباب لأنظر إليه.

كان شيب أكثر سُمرةً من أي وقتٍ كان فيه من قبل.

وبدا أكثر طولًا مما أتذكر.

شمَّر أكمامه حتى كوعيه.

وكان شعره مُبللًا.

التقطتُّ جرعات صغيرة من الهواء عن طريق فمي. إلا أن ذلك لم يعُد بأي خير. شعرتُ وكأنني على وشك الإغماء، وكانت رائحته نفَّاذة كما لو أن وجهي مدفون في رقبته، وذقنه ترتكز في مخبئها على تاج رأسي.

- هل ستنتقل من الشقة؟

سألتُه بحرجٍ من نبرة القلق الواضحة في صوتي عندما وقعت عيناي على الصناديق المنتشرة في الشقة.

- كلا (أجاب شيب ضاحكًا ثم تابع) يبدو الوضع حقًّا أنني سأنتقل، أليس كذلك؟ أعتقد أنني انجرفتُ كثيرًا في شراء الهدايا التذكارية لأجل طاقم شاتسورث.

- كم هذا لطيف! (قلتُ).

- هناك واحدةٌ لأجل ... حسنًا، دعينا نتناول كأسًا من الشراب أولًا، موافقة؟ أقصد أنني بالتأكيد في حاجة إلى الشراب. بالطبع إذا كنتِ تُريدين الشراب. وإلا ...

- بالطبع شيب. كأسًا من الشراب –أو ربما خمس كؤوس– ستكون جيدة.

حاولت النطق بالكلمات في حالة من الإشراق والبهجة بالقدر الذي استطعتُ الاجتهاد به.

كان النبيذ الأبيض ذا مذاقٍ بارد في حلقي. وبعد بضع رشفات بدأتُ في الارتخاء. لقد مرَّت ثماني دقائق حتى الآن، ولم أندفع في حالة هستيرية من البكاء أو الصياح في وجهه. كان شيب يتجرع زجاجة الجعة بسرعة عصبية. وأجبرتُ نفسي على ألا أتتبع خطواته بعيني عندما نهض من على الأريكة ليُحضر زجاجة أخرى من الثلاجة ويعود للجلوس مرة أخرى.

- إلى أين ذهبت؟

سألته بينما أحاول إبداء قليل من اللا مبالاة، وأنا أُمرِّر أناملي على النسيج العُقدي للوسادة.

- سافرتُ في كل أنحاء أمريكا الجنوبية؛ إلى بيونس أيرس وكوزكو ومحمية بكايا-ساميريا الوطنية (في بيرو) وشلالات إجوازو ...

وبعض المدن الساحلية التي خرجت بي تمامًا عن الطريق المعهود ... على متن منزل عائم، لبعض الوقت، مع أحد الشبان الذين يعملون في بناء السفن بأساليب مواطني الأمازون القُدامى. كانت تجربةً مُدهشة.

«*يا إلهي!*» كان هذا ما قلته في نفسي. لقد كان هذا بالضبط ما كان يحلم شيب بفعله لوقتٍ طويل.

- شيب، هذا رائع! أنا سعيدة لأجلك (أجبته).

بدا مجفلًا بعض الشيء، إلا أنني على الرغم مني أضفتُ:

- ولا أطيق الانتظار حتى تُخبرني بكل شيء.

- حقًّا؟

نطق بالكلمة فبدا صوته معها مفعمًا بحماسة صبيانية حتى إنني ابتلعتُ تلك الغصة وأومأت برأسي.

- دودي، من فضلك ...

بدأ يتحدث بجدٍّ، وكنتُ أعلم بالفعل ما ينوي أن يقوله.

- كلا شيب. كيف يمكنني أن أثق بك ثانيةً؟

اندفعت الكلمات من فمي قبل أن يتمكن من إكمال عبارته.

رفع شيب رأسه ليقول:

- أنا ...

مكتبة
t.me/t_pdf

لكنني لم أكن قد انتهيتُ بعد.

- لقد تركتني بتلك السهولة!

اتهمته قاطعةً موجات الهواء غير المرئية بيدي، ثم أضفت:

- كما لو أن شيئًا لم يكن. كما لو أنك ستذهب بلا عودة. بينما كنتَ تعلم جيدًا أن هذا هو الشيء الوحيد الذي أعجز عن تحمله، لأنك لم تفعل شيئًا مختلفًا عما فعله والدي الحقيقي بالضبط. هذا بالضبط ما فعله والدي الحقيقي.

لم أهتم كثيرًا إلى حقيقة أنني أُكرر عباراتي، فقد كان كل هذا مكبوتًا بداخلي طوال أشهر مضت.

حاول شيب الاقتراب مني حتى يُطمئنني. وحين أدرك أنه فقد ذلك الحق منذ زمن، خلَّل خصلات شعره بأصابعه، ثم قال:

- بالطبع ستنظرين إلى الأمر بتلك الطريقة.

كان ينطق عبارته كما لو أنه يمر بفاجعة حقيقية. إلا إنني صوَّبتُ سهام كلماتي إليه مباشرة:

- أي شخص سينظر إلى الأمر بتلك الطريقة.

- لم يكن هذا ما قصدته، أقصد أنه بالطبع سينظر أي شخص إلى الأمر بتلك الطريقة، لكن ... دوو، لكنني لم أرحل دون أن أُفكر بكِ. لقد فكرتُ بالأمر طوال الوقت وما يمكن أن يحل بكِ إذا حدث ذلك ...

قاطعتُ حديثه بكلماتي:

- لَكُنتَ ستخدعني. دعني أسألك سؤالًا: هل كنتَ تتعمد التسبب لي بكل هذا الألم؟ (لم يبدُ أنني سأتمكن من إيقاف نفسي لذلك تابعت).

نظر شيب إليَّ متوسلًا:

- من فضلكِ دوو، امنحيني فرصة لأخبركِ، حسنٌ؟ لقد كنتُ أُفكر فيكِ دائمًا دوو.

كيف يمكنني أن أصدقه بينما لم أسمع عن أخباره شيئًا منذ أشهر؟

وبينما أُفكر كان يُقدم إليَّ مظروفًا ضخمًا آخر كان مستقرًا على الطاولة الجانبية منذ فترة.

- ربما تتساءلين كيف يمكنكِ أن تعرفي أنني أُفكر فيكِ دائمًا إذا لم تسمعي عن أخباري شيئًا، أليس كذلك؟ حسنًا، أنا أقول لكِ هذا كل يوم في هذا المظروف ... (قال شيب).

كانت حافة المظروف ممزقة في بعض الجوانب، وكانت حوافٌ لعشرات البطاقات البريدية تختلس نظراتٍ من أعلاها. تشبه تمامًا تلك التي أرسلها إليَّ

من قبل ... لكن هذه المرة تزيد عليها الكثير. الكثير منها. عشرات وعشرات منها ...

حمل الدزينة بأكملها نحوي واقترب. اقترب حتى تلاصقنا. عطره يُشتت الانتباه، والآن لا يمكنني –وإذا حاولت ستكون محاولاتي دون جدوى– إنكار حقيقة أن يديَّ كانتا ترتعشان قليلًا.

كان لا يزال مستمرًّا في الاقتراب، حتى وجدتُ فجأة رأسي يستكن على صدره وذقنه تستقر عليها. كنتُ أتلمس بخفةٍ بعضًا من البطاقات البريدية التي أفرغتها على فخذي، تلك البطاقات التي يمكنني أن أراها، على الرغم من عبرات الطمأنينة التي ملأت عيني، تحتوي على الكثير من القصص التي كتبها طوال أشهر سفره، وكانت كل واحدة منها مُوقَّعة بكلماته الرقيقة «مع حبي، شيب».

- سأخبركِ بكل شيء الآن، لكن بما أنني لن أطيق الانتظار حتى أراكِ مُجددًا لأشاركِ بكل شيء، فقد كتبتُ لكِ تلك الرسائل ... (بدا صوته رقيقًا في أذني).

استغرقتُ وقتًا طويلًا حتى يمكنني تكوين الكلمات. كان شيب منتظرًا دون كللٍ أو ملل. وأخيرًا جاءت الكلمات فقلتُ:

- في الوقت الحالي، أخبرني بأفضل ما كان في الرحلة.

اعترف أنه بالكاد يتذكر الأسابيع الأولى، وكان صوته يتلوى من الألم. كان وجهانا قريبين تمامًا، وكان قد قرر مسبقًا أنه لن يُنهي فكرته؛ هذا ما أدركتُه عندما لامس ذقني بأنامله ليرفع وجهي نحوه. كنتُ أعلم جيدًا ما كان على وشك الحدوث، لكنني كنتُ مسحورةً بعطره، والألم الذي يجتاحني كلما تذكرتُ كيف كان ملمس شفتيه، تقريبًا أتذكر.

نهضتُ سريعًا من مجلسي حتى سقطت أكوام البطاقات البريدية على الأرض.

- آسفة!

تمتمتُ بينما أشعر بالامتنان لما فعلته، فقد تجنبتُ التقاء أعيننا وانحنيتُ لألتقط البطاقات.

- كلا، أنا آسف. (قال بينما ينحني على رُكبتيه ليساعدني).

جمعتُ بعض البطاقات وأعطيته إياها، ثم رتَّبها جميعًا مرة أخرى في المظروف.

- عليَّ ... عليَّ الذهاب (قلتُ).

خرجت من صدره تنهيدة رقيقة ثم قال:

- أتفهم ذلك. دعيني أرافقكِ للخارج.

- شكرًا على النبيذ. أنا سعيدةٌ بعودتك.

ذاك الدفء في كلماتي كان مفاجئًا حتى بالنسبة إليَّ، أما عن شيب فقد كان هذا كل ما يحتاج إليه من تشجيع.

- دوو ... (عاود بدء الحديث).

- كلا!

اعترضتُ سبيل كلماته تلك المرة وضغطتُ على زر المِصعد، وقد كان هناك جزء بداخلي يتمنى لو أن المِصعد يستغرق الدهر حتى يصل.

- من فضلكِ دوو! لا أدري إن كنتُ سأراكِ ثانيةً بعد ذلك -إذا كنتِ سترغبين في رؤيتي- لذا أحتاج إلى أن أخبركِ بذلك. لقد كان رحيلي عنكِ هو ما جعلني أفهم كل شيء. تلك الطريقة التي آلمتكِ بها. ثم أدركتُ شيئين آخرين: الأول هو أنه لن يوجد رجلٌ واحد على تلك الأرض يستحقك، لذا إذا كنتُ أنا الأحمق الذي تُحبينه، فهذه هبة لا أتنازل عنها لأي شخصٍ آخر. لا يمكنني أن أحيا دونك، يبدو وكأن هناك خطأ ما دونك. أما الثاني، فقد قررتُ التنازل أكثر من ذلك. ما تُريدينه هو ما يُهم فعلًا. إذا كنتِ تُريدين مني أن أكون مستعدًّا لأي شيء، وكنتُ غير ذلك -وكان هذا أمرًا مهمًّا لكِ حقًّا، مَهمَا كان هذا الأمر- عندئذ سأحاول أن أكون مستعدًّا أيضًا. أعلم جيدًا أن جداولنا الزمنية لن تكون متطابقة دائمًا

حول كل الأشياء، لكن إذا منحتِني فرصة أخرى، أعدكِ أن أقضي ما تبقى من حياتي أبذل قصارى جهدي لتكوني سعيدة ولأن أشيخ معكِ.

كان من الصعب على شيب أن يقول أمورًا كهذه، ويمكنني أن أرى أنه ربما قد فكَّر بها في كل مكان قد مرَّ عليه من منخفضات البامبا حتى الطائرات الصغيرة.

جففتُ تلك الدمعات التي سقطت على وجنتيَّ بينما ألتفتُ لأغادر، وكان كل ما أمكنني قوله حينها هو:

- كيف أثق أنك لن ترحل مرة أخرى؟

سكنت أصابعه على رسغي تستبقيني.

- من فضلكِ دوو. هناك المزيد؛ تلك القصة التي لن تُخبركِ بها البطاقات البريدية. أتسمحين لي بأن أوضح لكِ؟ (قال شيب).

- كلا شيب. هذا كثيرٌ للغاية.

همهمتُ بينما كنتُ أقول في نفسي: «*لا تنظر إليَّ هكذا*».

في الوقت الذي انزلقت فيه أبواب المِصعد منغلقة، دفع شيب بطاقة بريدية أخيرة خلالها، وفي مقدمتها كُتب تاريخ اليوم. وكان هناك صورة للطماطم على الواجهة. كتب فيها تلك الكلمات:

لم أتوقع قط أن تنتظريني، لكنني عدتُ إليكِ الآن على أي حال. والآن أنا من سينتظر -مهما استغرق الأمر- سأنتظركِ حتى تعودي إليَّ.

***

استلقيتُ في الفراش تلك الليلة أتذكر ملامح الصدمة والإحباط على وجهه بينما كان يتلاشى أثره بين أبواب المِصعد. لقد كان يعتقد حقًّا أن كلماته ستُجدي نفعًا. وتلك البطاقة البريدية الأخيرة -حسنًا- يمكننا القول إن هذا... رومانسيٌّ ويقود للجنون في الآنِ نفسه.

الأهم من ذلك، كيف عرف أنني سأعود إليه في يومٍ ما؟ هل كان يستعد للانتظار طوال 62 عامًا إذا استغرق الأمر كل هذا الوقت لأسامحه؟ أو ربما

117 عامًا إذا آتت محاولات جوانا براونلي الأولى في إكسير الحياة المقدسة – ثمارها؟ حسنًا لقد شعرتُ بالغضب تجاه شيب، كان لا يزال معتقدًا أنه يعرف جيدًا حقيقة الشخص الذي أنا عليه حتى بعد شهورٍ من الغياب، لا يزال معتقدًا أن بإمكاننا العودة إلى ما كنا عليه في اللحظة التي يُقرر فيها أن هذا هو ما يُريده.

دار الحديث بيني وبين نفسي؛ كان هناك جزء مني يُجادل ردًّا عليَّ *«باستثناء أنه يعرفكِ حقًّا. ومع ذلك رحل»*.

لم أكن مستعدةً لقبول أي نوع من الحب يبدو مشروطًا. لا زلتُ أريد الحصول على كل هذا الحب، لا زلتُ أعتقد أنه ليس أمرًا مستحيلًا لأطلبه.

***

في الساعة الثالثة صباحًا، كان ذهني مشوشًا وكنتُ أحاول الاستكانة إلى النوم مرة أخرى كما لو أنه رداءٌ دافئ. أما عن تلك الابتسامة التي علت وجهي عندما استيقظتُ مرة أخرى في الرابعة صباحًا، فسُرعان ما تلاشت. واستلقيتُ دون حراك بينما أحاول التركيز على حلقات الحُلم التي كانت تفلت من ذاكرتي وتتلاشى.

كانت هناك مقتطفات مبعثرة لا تزال عالقة في ذهني؛ وجه شيب الدائري المصبوغ بالسُمرة الذي أراه من أعلى يضحك ويتساءل عن السبب الذي جعلني أستلقي على ظهري على الأرض؛ ويداه ترفعانني إليه وتمسدانني بينما يطبع قبلة على خدي تبدو للعيان قبلةً عفيفة لكنها في الخفاء لم تخلُ من لعقة رقيقة، كما لو أنها وعد بما سيحدث بعد ذلك؛ ووجهه المتوهج في ظلماء الليل بينما يخلع عنه ثيابه ليجري نحو الماء؛ وألم الاشتياق الذي يطاردني ويقشعر له بدني على نحو يُشتت الانتباه بينما أتحدث إلى والديَّ.

كنتُ أتحرك في جميع الاتجاهات على فراشي كما لو أنني شرنقة فراشة مستاءة. إن شيب في المدينة الآن، على بعد دقائق من هنا، ولا زال فراشي خاليًا حتى لكأنني أبدو مثل حشرة وحيدة قد نسجت خيوطها في أحد الأَسرَّة أو ربما بين مجموعة من الأشجار في مكانٍ ما في سهول أمريكا الجنوبية.

لم يكن هناك جدوى. عجزتُ عن النوم. ربما يمكن لكتاب جيد أن يُساعد في ذلك.

خارج نوافذ مكتبة الاستعارة كانت الأشجار قد بدأت في نفث اللون الأخضر حتى يغطي أوراقها. وبدأت بعض النباتات المُعمِّرة التي زرعها المُلاك السابقون في الظهور مثل كل عام، مما جعلني أبدو مثل زهرة الأقحوان الصفراء وشجيرات الأزالية البنفسجية ذات الجذوع الملونة بدلًا من الجذع البني الذي يبدو وكأنني أشبهه. يمكنني استخلاص رؤوس بعض الأزهار المتفتحة مؤخرًا والتي تتقوس في أثناء النهار. جلستُ بارتياح في الكرسي الإسفنجي والتقطتُ كتاب *تداول الأحلام في منتصف الليل*. انقضت الساعات سريعًا بينما غرقتُ في قصة نينا وتيش والطرق التي تعاملوا بها مع الألم الذي شعروا به لغياب أمهما. وفي السادسة صباحًا، بعثتُ برسالة إلى شيب: **يمكنك المرور بعد تناول قهوتك. دعنا نخرج للسير.**

***

حضر شيب في السابعة والنصف تقريبًا. كانت راحتاه مستقرتين في جيبه بينما يستند إلى شاحنته وكانت عيناه مُثبَّتتين على وجهي. ابتلع ريقه بصعوبة واضحة، ثم قطع الطريق بالشاحنة إلى ليتل داك بارك في صمتٍ تام.

اتجهنا نحو جانب التل الذي تسلَّقناه في ذاك اليوم الذي ذهب فيه تيرابيثيا إلى المنزل مع كوكو ومارك. يمكنني الآن النطق بها: المنزل. كنتُ أعلم أن هذا حقيقي، وأنني لم أفقد تيرابيثيا؛ هذا يعني أنه جزء من حياتي.

كان فقدان شيب أكثر الأمور إيلامًا التي اختبرتها في حياتي، لأنني لم أكن متأكدة ما إذا كنتُ قد ضحيتُ به مقابل شيء سيجعل منه رجلًا سعيدًا أم لا. لم أعد أدري ماهية الشيء الذي ضحيتُ بشيب مقابله أو ربما ما إذا كان بإمكاننا العودة إلى الطريق الذي كنا نسير عليه من قبل.

كانت شمس الربيع حامية هذا الصباح، لكن عندما تسلَّقنا التل صار وزن الهواء أخف وعادت البرودة تغزو أنفي مرة أخرى. ومن أعلى قمة التل بدت

الطرق التي تؤدي إلى خارج شاتسورث باتجاه الطريق السريع – ضبابية من خلف أوراق الأشجار اللامعة.

لامس شيب بأنامله إحدى راحتيَّ. ومنذ أن وصلنا إلى قمة التل لم تهدأ خطواته لحظة واحدة ذهابًا وإيابًا. أما الآن فقد جذبني أخيرًا للجلوس على إحدى الصخور، ثم بدأ حديثه.

- هل تذكرين أنه بعد مواعدتنا، بدأتُ في التصرف على نحو غريب بعض الشيء، ولم أخبركِ حينها عن السبب؟ وكيف أنه في عدة مراتٍ أخرى كنتُ أنهض من الفراش عندما أسمع صوتًا غريبًا يأتي من نافذتك؟

أومأتُ برأسي إيجابًا.

عدة من المرات؟ لم يحدث هذا سوى مرة واحدة. لذلك أومأتُ بالموافقة وهززتُ رأسي بالرفض.

- حسنًا. كانت هذه هي صديقتي السابقة؛ كوين. كانت كوين، هي موضوع كل تلك المرات (أجاب شيب).

فكرتُ في نفسي: *«كوين؟ ماذا كانت تفعل هناك؟»*

واستكمل حديثه:

- تعرفين كيف انفصلتُ عنها بشكل جزئي لأنها كانت تريد إنجاب طفل؟

أومأتُ بالإيجاب.

- كانت تريد إنجاب طفلٍ بشدة. وكانت تواصل التذمر بشأن الأمر حتى إنها ... حتى إنها ... (تردد شيب قليلًا قبل أن يُنهي جملته).

- أكمِل!

بدأتُ أدرك أنني بحاجة إلى أنفاسٍ هادئة وبطيئة.

فاستكمل حديثه:

- حتى إنها هددتني بأن تصبح حاملًا سواء أردتُ ذلك أم لا.

قال تلك الكلمات ثم توقف ليداعب شعره بأصابعه، ومن ثمَّ أضاف قائلًا:

- في تلك المرحلة كنتُ قد توقفتُ عن حبها. لم تكن مشكلة الطفل هي ما دفعتني لذلك، بل الطريقة التي حاولت بها دائمًا أن تجعلني مُهمَّشًا. كانت تتحدث دائمًا عن حبيبها السابق كلما أخبرتها برفضي بشأن الطفل، وكانت تقول إنني أعاملها بطريقة جافة. لم يكن هذا سوى تلاعب بي حتى أخضع لما ترغب فيه هي وأفعله. ثم تقابلنا ... أنا وأنتِ. وفجأة فتح العالم بأكمله ذراعيه أمامي. لم أشعر قط أنني مُهمَّش في حضورك، بل كنتُ أشعر أنكِ دائمًا جزء من رفقتي، جزء من رفقة الجميع. ووقعتُ في حبكِ، ولم يُزِد ذلك سوى من شعور الذنب تجاه حقيقة أنني قد أضعتُ وقتًا طويلًا في البقاء مع كوين بعدما أدركتُ أنني لم أحبها، حتى قبل أن أقابلكِ. لذلك انفصلتُ عنها تمامًا، في تلك العطلة خلال الأسبوعين اللذين سافرتِ فيها مع مادي. لم تستطع تصديق الأمر، وجنَّ جنونها. وبالطبع قلبت شقتي رأسًا على عقب، وتبعتني في كل مكان أذهب إليه طوال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك. أقصد أنها تتبعتنا نحن الاثنين، لكنني كنتُ أحاول حمايتكِ منها. كنتُ أعلم أنها لن تفعل أي شيء خطير، لكنني كنتُ أريدكِ أن تكوني جزءًا من حياتي حتى إنني كنتُ أخاف أنها ستحاول إخافتك حتى تتركيني. كنتُ قلقًا من أن تصل إليكِ، وبدلًا عن ذلك، ظللت أقاطع محاولاتها قبل أن تتمكن من ذلك. في إحدى الليالي عندما بدأت تزداد جرأة، جاءت إلى شقتي. لم تكوني وقتها هناك، لكن كان من الممكن أن تكوني، وبدلًا من طردها كما فعلت في المرات السابقة، قررتُ أنني بحاجة إلى جعلها تفهم ما يحدث، لذلك أخبرتها أن بإمكانها أن تقابلني في الموقع في اليوم التالي؛ أرضٌ محايدة.

بدت في هذا اليوم مختلفة. خائفة بعض الشيء بطريقة ما. كما لو أنها قد قُبضَ عليها متلبسة بارتكاب جريمة ما، وصارت الآن خائفة من عواقبها. فكرتُ في أن هذا قد يرجع إلى أنها أخيرًا قد أدركت أن الأمر بيني وبينها قد انتهى وأن عليها أن تُقرر ما ستفعله الآن.

أخبرتها بأن كل شيء يجب أن يتوقف، فقالت إنها تعلم ذلك، ولهذا فقد قررت مغادرة المدينة. لكنها قالت أيضًا: «سأغادر إلا إذا كنتَ تريدني أن أبقى»، لكنني رفضت، فقد انتهى الأمر تمامًا بيننا، وليس عليها البقاء لأجلي.

بدأت كوين في البكاء. سمحتُ لها أن تبكي على كتفي لدقيقة، ثم ودعتها لترحل وتمنيتُ لها الحظ السعيد. سمعتُ بكاءها طوال الطريق حتى وصلتْ إلى سيارتها. بدت مُحطمة تمامًا. لم أستطع التصديق بأنها قد أحبتني إلى هذا الحد ومع ذلك عاملتني بتلك الطريقة السيئة. لكنني لا أريد التفكير في الأمر أكثر من هذا، ولم أُرد طرح أي تساؤلات؛ لقد انتهى الأمر بيني وبينها، وكنتُ مُولعًا بكِ، وكل ما كنتُ أهتم به هو أن ترحل كوين بعيدًا.

توقف عن الحديث قليلًا قبل أن يقول:

- هل أنتِ بخير؟

- أجل، استمر (قلتُ بسرعة).

كان يؤرقني هذا الشعور؛ الشعور بأن شيئًا ما أسوأ قادمٌ في طريقه.

تابع حديثه:

- طوال الأسابيع القليلة التالية، حاولتْ الاتصال بي عشرات المرات، لكنني لم أجب أيًا من اتصالاتها، وكنتُ دائمًا ما أضع هاتفي على وضع الاهتزاز حتى لا أُضطر إلى سماع رنين الهاتف. وكنتُ أُنقِّح مكالماتي. لقد أردتُ انفصالًا مهذبًا. أردتُكِ أنتِ. وجودي معكِ جعلني سعيدًا للغاية حتى نسيتَها تمامًا، بالقدر الذي يبدو عليه الأمر معها مُروِّعًا. وأصبحت أي من مكالماتها الهاتفية وأي ذرة من الشعور بالذنب يمكن أن أكون قد شعرتُ به نحوها – أصبحت جميعها مثل بعوضة يمكن أن أسحقها بقدمي.

مرت تسعة أشهر لم أسمع عن أخبارها شيئًا بعدما توقفت عن الاتصال بي. وأخبرني أحد الرجال في الموقع أنها قد انتقلت إلى نيويورك. واعتقدتُ أنها قد قررت المُضي قدمًا في حياتها. وبعد ذلك وفي ذلك اليوم الذي رحل

فيه تيرابيثيا مع مارك وكوكو إلى المنزل، اتصلت بي. تذكرين عندما جاءني الاتصال بينما كُنا في منزل ماكي وچيڤ؟

فكرتُ في نفسي: *«بالطبع أتذكر!»*

تابع شيب:

- أخبرتني أنها تريد أن تراني وأنها عائدة إلى شاتسورث لمقابلتي. واتضح لي أنها كانت تعيش مع والديها في منزلهما في جرينويش وليس في نيويورك. حاولتُ إثناءها عن المجيء إلى هنا لكنها أصرَّت على ذلك. وفي اليوم التالي جاءت إلى الموقع. مع ... ط ...

حاولتُ التخفي وراء قناع من القوة لأتحمل ما سيأتي بعد تلك الكلمة.

تابع شيب:

- طفل رضيع عمره شهران. والذي كان يشبه ... قليلًا ...

همستُ دون وعي:

- يشبه مَنْ قليلًا؟

- يشبهني. بالقدر الذي يمكن لطفلٍ رضيع عمره شهران أن يشبه أحدًا.

قال كلماته بينما يدفع نفسه ناهضًا عن الحجر ليجلس على ركبتيه أمامي، واندفع قائلًا:

- ليس الأمر كما يبدو (بينما يحتضن يدي الباردتين بين يديه).

أضاف شيب:

- قالت كوين: *«رَحِّب بماكس؛ طفلكَ الصغير.»* كدتُ أفقد الوعي عند تلك العبارة. ثم قالت: *«ماكس هو ابنك.»* بينما كانت تبتسم وتُخبرني أن أُجري حساباتي لأتأكد. وعندما أجريت الحسابات. أدركتُ أن ذلك كان قبل أقل من عامٍ بقليل، قبل أن أعترف لكِ بمشاعري نحوكِ. كان هذا قبل أن أتوقف أنا وكوين عن ... حسنًا، لقد حدث هذا عندما كنتُ في حالة إنكار لما لاقيته من ظلمٍ معها.

سألتها كيف يمكن أن يحدث ذلك، اعتدنا استخدام الواقي، كنتُ أتأكد من ذلك في كل مرة، لأنني لم أكن أثق بها. دودي، هل أنتِ بخير؟ تبدين شاحبة.

لوَّحتُ بيدي إشارةً تُخبره أنني بخير، لكن الحقيقة هي سماعي لأحاديث عن العلاقة الجنسية بين شيب وصديقته السابقة صار أقل مخاوفي الآن. كنتُ أريد منه أن يصل إلى الجزء الذي يوضح لي أن الأمر ليس كما أعتقد أنه كذلك. *على الفور.*

تابع حديثه قائلًا:

- اعترفت كوين أنها قد صنعت ثقوبًا في الواقي الذكري قبل استخدامه. بالطبع لن أكرر لكِ ما قلته لها ردًّا على ما قالته. لكنها بدأت تتخذ تلك النبرة: أنه يجب عليَّ ألا أتحدث معها بتلك الطريقة فقد صارت الآن أمَّ طفلي.

أخبرتها بأنني لا أصدقها وسألتها لمَ لم تُخبرني بذلك من قبل، ولِمَ تُخبرني به الآن؟

فقالت إنها حاولت كثيرًا –بعدما اكتشفت حملها مباشرة– وعادت تُذكرني أنني لم أكن أستقبل مكالماتها، وقالت إنه كان عليها المحاولة الآن أيضًا لأن «ماكسي» سيكون قريبًا على دراية بما قد حدث حوله، وأنه في نهاية الأمر سيذهب إلى المدرسة ويرى الأطفال الآخرين برفقة أمهاتهم وآبائهم. وأنها أرادت أن تمنحني فرصة لأكون جزءًا من حياته حتى إنها قد لمَّحت بإمكانية أن نُعيد تجربتنا مرة أخرى لعل علاقتنا تنجح.

لكنني أخبرتها بأن هذا مستحيل وطالبتُ بإجراء اختبارات الأبوة.

حاولت أن تُثنيني عن ذلك، لكنني كُنتُ مُصرًّا على ذلك. وأجرينا الاختبار بالفعل، ثم جاءت نتيجته سلبية عندما كنتُ في بيرو، وقد اعترفت لي أنها قد خانتني مع صديقها السابق عندما تكاثرت المشكلات بيننا وأنه قد تخلى عنها تمامًا. كنتُ أُصاب بالإعياء والغثيان كلما تذكرتُ أنها تعمدت الكذب عليَّ بتلك الطريقة. وكلما فكرتُ في الأمر مستقبلًا

أُدرك أنها كانت ستقول لهذا الطفل الصغير إنني والده الحقيقي. وكلما فكرتُ في أنها ستضعني في موقف الكاذب ...

صمت شيب وطال صمته، وبدا وكأنه ينتظر تعاطفي معه أو أن أقول له شيئًا ما على الأقل.

ألقيتُ سؤالي عليه أخيرًا:

- لماذا لم تُخبرني بكل هذا؟

كان صوتي مُحطمًا ... وقلبي يعتصر ألمًا لذلك الطفل الرضيع. كل ما حدث لم يكن خطأه، وعلى الرغم من ذلك ... على الرغم من كل شيء سيكون هو الوحيد الذي سيعاني أكثر من غيره.

أجابني شيب:

- شعرتُ بالعجز عن فعل ذلك. كنتِ قد فقدتِ تيرابيثيا للتو. كيف يمكنني أن أخبركِ بأنه ربما أكون أبًا لطفل آخر في هذا العالم؟

وفي تلك الليلة التي تشاجرنا فيها، عندما قلتِ إنكِ تُريدين طفلًا في الحال ... بعدما اعترفتِ أنكِ كنتِ تُحاولين تبني تيرابيثيا قبل أشهر قليلة دون أن تُخبريني ... كان إصراركِ وعزمك واضحًا آنذاك. أعلم أنه ليس من العدل أن أرى أي أوجه تشابه بين موقفي مع كوين وموقفي معكِ، لكن المصادفة كانت أكبر مما توقعت، وعجزتُ عن التفكير في الأمر بحكمة. أصابني الهلع، وهربت.

قلتُ بصوت رقيق:

- لقد كنتُ خطيبتك. لكنكَ لم تمنحني أي فرصة. لم تُفكر في البقاء حتى لنتحدث بالأمر. لقد تركتني ... وجعلتني أعتقد أنك قد تخليتَ عني، تمامًا مثلما ... تمامًا مثلما فعل هو ...

تجمعت الدموع في عينيه قبل أن يُجيب:

- أعلم ذلك، أعلم ذلك وأنا نادمٌ عليه.

مكتبة
t.me/t_pdf

أصابني الإعياء والغثيان، وشعرتُ أن كل غضبي –الذي كان يحتدم ويغلي أسفل الألم الذي سببه لي– قد طفا على السطح، وأنني إذا لم أرحل من هذا المكان على الفور، كنتُ سأنفجر فيه.

- أحتاج إلى أن أبقى بمفردي.

كانت الكلمات تخرج من بين صرير أسناني وعينيَّ اللتين تقدحان حنقًا. تركتُ الصخرة واندفعتُ نحو طريق العودة حتى لحق بي عند منحدر التل إلى الأسفل وأمسك بذراعي.

- كلا! أنتَ إنسانٌ منافق! لا تتبعني! لا أطيق حتى النظر إلى وجهك!

صرختُ في وجهه بينما أدفعه بعيدًا عني. وعندما نطقتُ بكلماتي الأخيرة اختنق صوتي في حنجرتي وكنتُ على وشك البكاء.

- دودي، انتظري!

- كلا! أيها ... أيها الأحمق! ألديك الجرأة لتُؤنبني على سلبك حق الاختيار، بينما كنتَ طوال هذا الوقت ... بينما جعلتني أُفكر أن كل ما حدث بيننا كان بسبب شيء قد فعلته *أنا*، وأنني *أنا* من خذلتكَ بطريقة ما. وأنك لم تُحبني بالقدر الكافي. اغرب عن وجهي!

ظل فمه فاغرًا. فقد كان ينظر إليَّ كما لو كنتُ شخصًا مختلفًا. وهذا بالضبط ما كنتُ عليه. لم أكن تلك البائسة العاجزة التي كنتُ عليها عندما كان عُمري أربع سنوات. ولا حتى الشخص الذي كنتُ عليه قبل ثلاثة أشهر، والتي كانت قاسية حتى على نفسها بينما لم تكن تستحق أيًّا من ذلك.

اخترتُ أن أعود إلى الأسفل سيرًا على بُساطٍ من الأوراق المتساقطة والغصون الجافة، بينما أتعثر أحيانًا في فتحات الأرض المتعرجة وتُعميني الدموع المتساقطة من عيني. وعند سفح التل، توقفتُ وتقيأتُ كل ما في بطني حتى لم يعد هناك شيء أتقيؤه وعاد بطني يخور. وحينها عُدتُ إلى المنزل.

الفصل الرابع والعشرون

مايو *2009*

كانت السنة الدراسية على وشك الانتهاء. سأفتقد المدرسة وسأفتقد مشاعر الارتياح التي أغرق فيها عندما أتشمم رائحة الصمغ وصوت تمزيق أوراق الإنشاء، والأطفال بالطبع.

- من هذا الذي ترسمينه؟

طرحتُ سؤالي على جون؛ طالبة الصف الثاني. كانت ترسم رجلًا طويلًا للغاية حتى بدا وكأن قدميه قد تمددتا، وكان يرتدي قبعة عالية. وإذا فكرت قليلًا بالأمر، سترى أنه يشبه أبراهام لينكولن[1] دون لحية. وعلى الجانب الآخر كانت تغطي يديه باقة من الزهور المضيئة والتي كانت تبدو مُتجهة نحونا.

- إنه زوجي (أجابت جون كما لو أنه أمرٌ واقعي).

اتسعت عيناي وتظاهرت بالصدمة:

- هل تمتلكين زوجًا بالفعل؟ ألستِ صغيرة بعض الشيء على هذا الأمر؟

قهقهت جون بضحكة طفولية وأبعدت خُصلات شعرها الساقطة على عينيها ثم أجابت:

- كلا أيتها السخيفة، إنه زوجي المستقبلي.

---

(1) أبراهام لينكولن: كان الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين 1861م إلى 1865م. وعلى الرغم من قِصر فترته الرئاسية، فإنه استطاع قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح بإعادة الولايات التي انفصلت عن الاتحاد بقوة السلاح، والقضاء على الحرب الأهلية الأمريكية. (المترجم)

- حسنًا. ولكن لمَ قررت الزواج به؟

- حسنًا لأنني أحب مظهره. وأيضًا لأنه يستمع إلى كل حكاياتي. ولأنه أيضًا يُحضر إليَّ باقات الزهور كل يوم. هكذا أعرف أنه يُحبني كثيرًا ... آنسة فيرسيل، لماذا ازرقَّ وجهكِ فجأة؟

أخرجتُ دفعة كبيرة من الهواء خارج رئتيَّ؛ لقد جعلتني جون أُدرك كم أن الأمر بسيطٌ.

إذا أردتُ الوثوق بشيب مرة أخرى والتصديق بأنه يمكن أن يُحبني دون شروط، فأنا بحاجة إلى أن أُقابل أبي الذي ليس أبي. أنا بحاجة إلى أن أفهم ما حدث حتى يمكنه أن يتخلى عني مرة وإلى الأبد.

في أعماقي وداخل صندوقي الأسود، لا زلتُ أحاول ملء الفراغ الذي تركه. لا زال هناك جزءٌ ما بداخلي يرتعد من أنني لا أستحق الحب أو غير قادرة على الاحتفاظ به إذا قابلني ذات مرة. ألهذا أيضًا أردتُ إنجاب طفلٍ بشدة؟ لأن الطفل سيُحبني دون شروط، وسيكون ملكي حقيقةً؟ ألهذا كنتُ غير راغبةٍ في خذلان أي شخص أو طلب المساعدة من أحدهم إلى الحد الذي ينتهي بي الأمر مُعرِّضة ما أُحب إلى الخطر – حتى المكتبة؟ ربما ستمنحني مقابلة أبي الذي ليس أبي بعض التوضيح.

في تلك الأعوام التي مضت بعد رحيله -بينما كان في الحقيقة يعيش بالجوار- كانت أمي تتفادى تساؤلاتنا. وعندما أصبحنا في عمر المراهقة، بدأت تُجيب عنها ثم تُضيف «يمكنكم رؤيته إذا أردتم ذلك». لكنني لم أطلب هذا قط، وكذلك كانت مادي، وكوكو أيضًا.

على الأقل على حد ما أعلم.

راسلتُ مادي وكوكو وطلبتُ مقابلتهما عبر الفيديو عند السادسة.

سألت مادي عن الأمر العاجل وعما إذا كنتُ حاملًا، فجاء جوابي لها: «**كلا، كل شيء بخير، أراكم الليلة**».

عندما سجلنا دخولنا لاحقًا، بدأت كوكو:

- مرحبًا دوو (بينما تمنحني قبلة في الهواء).

- مرحبًا أختي! (ومنحتها قبلة في الهواء أيضًا).

- أين مارك وبوو؟ (سألتُها).

ابتسمت كوكو وقالت:

- يقضون ليلة الشبان بالخارج حتى يمكننا نحن الفتيات قضاء ليلتنا بالداخل.

وسكبت كل واحدة منا لنفسها كأسًا من النبيذ.

- سيذهبون لتناول السوشي مع والدَي مارك.

نظرت إليَّ كوكو موضحةً بينما ضحكتُ في خجل. لقد قدموا الكثير من الطعام إلى تيرابيثيا لكنه لم يستطع تغيير تفضيله الأقصى غير المُفسَّر لطبق الساشيمي[1].

- كيف حالكِ؟ (سألت كوكو وقد عقدت حاجبيها بقلق).

- أفضل على كل حال. لم أعد أشعر بالغضب العارم الآن. بل صرتُ أكثر إحباطًا.

- هذا أسوأ، أليس كذلك؟ (قالت كوكو).

- أجل. لكنني أفتقده (اعترفتُ مُجددًا).

في تلك اللحظة ظهرت مادي فجأة على الشاشة مُعلِّقةً:

- لو كنتُ أعلم أنكما ستشربان النبيذ الفاخر، ما كنتُ لأزعج نفسي بتحضير كوكتيل الليمون الوردي الساخن ومكعبات الثلج الباردة – على شرفكما.

- يا إلهي! (خرجت الكلمات من فمي ومن كوكو متناغمة في آن واحد).

في المرة الأخيرة التي صنعت فيها كوكتيل الليمون الوردي الساخن ومكعبات الثلج الباردة، انتهى بنا الأمر نحن الثلاثة دون أي ذاكرة عما حدث لنا، أو كيف حصلنا على وشم مؤقت لفتيات السناجب على مؤخراتنا اليُمنى.

---

(1) ساشيمي: طبق مأكولات يابانية يتكون من مأكولات بحرية نيئة مُقطعة إلى شرائح رقيقة، ويُقدم عادةً مع صلصة الصويا معجون الواسابي أو الزنجبيل. (المترجم)

ليست واحدة ممن يُفوتون فرصة للخداع، ثم تساءلت مادي:

- هل قاطعتُ شيئًا مهمًّا؟

- كلا مطلقًا! (أسرعتُ مجيبةً إياها، ثم أضفتُ) لن نبدأ أبدًا أي حديث مهم دونك.

- جيد. والآن يمكننا التركيز على أمر حملكِ.

عددتُ قدرتي على الضحك على حديثها - تقدمًا أفخر به.

- هل رأى أي منكما ... أبي الذي ليس أبي؟ (سألتهما).

بدت مادي مُحبطة، واتسعت عينا كوكو، ثم عبس وجهها.

- كدتُ أن أراه (تنهدت كوكو ثم قالت).

- كيف لكما ألَّا تُخبراني بذلك؟

- هل هذا هو سؤالك الأول؟ (أجابت مادي مُترددة).

- أجل. كلا! (أجبتها بتجهم قبل أتابع حديثي) إذًا أخبراني ماذا حدث.

- في الحقيقة حدث هذا قبل خطبتي أنا ومارك مباشرة. كنتُ قلقة من الموافقة على الخِطبة. كنتُ أتساءل ماذا لو كنتُ أمتلك نصيبًا من جينات أبي الذي ليس أبي أكبر من نصيبي من جينات أمي، كنتُ خائفة من أن أجرح مارك بنفس الطريقة.

فغر فاهي من الدهشة والمفاجأة:

- حقًّا؟ لم يكن لديَّ أي فكرة بأنكِ تحملين شكوكًا عن زواجكِ من مارك.

- لم تكن شكوكًا عن زواجي من مارك (صححت كوكو حديثها ثم تابعت) كانت شكوكًا حول نفسي، وحول جيناتي أيضًا، لذلك كنتُ قلقة قليلًا من أن أُصاب بتدهور غريب في شخصيتي بعد الزواج وأتحول إلى شخصٍ مُتهرِّب.

- لكن ألم يكن أبي نوعًا من الأشخاص الذين لا رجاء منهم حتى قبل أن يتزوج أمي؟ تذكران عندما كانا يتواعدان وأُصيبت أمي بالزكام

فتجنبها طوال ثلاثة أسابيع حتى يتأكد من تخلصها من كل الجراثيم قبل أن يذهب لرؤيتها مرة أخرى؟ (أوضحت مادي).

- أعرف، أعرف. لكنني أحب مارك كثيرًا وفكرتُ في أنه سيكون جيدًا على الأقل ... أن أُقابل أبي الذي ليس أبي. تعرفان أنني كنتُ صغيرة للغاية عندما رحل وأنني لا أمتلك أي ذكريات معه.

- أتفهم ذلك. إذًا ماذا حدث؟ (قلتُ).

- اتصلتُ به لأخبره أن يُقابلني لتناول القهوة. إلا أن الأمر قد استغرق منه أسبوعين حتى يعاود الاتصال بي. لذلك اتخذتُ قراري، تعرفان ماذا فعلت؟ قررتُ أنه لا يستحق ذلك. كان تصرفه قد أخبرني بكل شيء أحتاج إلى أن أعرفه عنه. ولم أعاود الاتصال به مُطلقًا (استرسلت كوكو في حديثها).

- هل تمنيتِ ذات مرة لو أنك ذهبتِ لمقابلته؟

- ليس تمامًا.

- وماذا عنكِ؟ هل تُفكرين في الذهاب لمقابلته؟ أم ستذهبين دون أن تُخبرينا؟ (سألت مادي).

- بالطبع، لقد فكرتُ في رؤيته طوال السنوات الماضية. لكنني اكتشفت أن الأمر لا يهم. إننا نمتلك أفضل أبٍ في العالم في والتر (أجبتُ رافعةً ذقني).

- لا أُصدقكِ. وهناك ستة كُتبٍ على الأقل في مجموعات كُتبك الشاهقة تتعلق بالفتيات الصغار الذين يبحثون عن آبائهم الحقيقيين، لإثبات عكس ما تقولينه (قالت مادي).

فصدَّقت كوكو على حديثها قائلة:

- إنها على حق.

تنهدتُ قائلة:

- حسنًا. إن الأمر مهم، لكنني لا لم أقابله لأنني اكتشفتُ أن هذا لن يُغير شيئًا. أقصد أنه قد رفضنا جميعًا منذ سنوات طويلة. ولم يفعل أي شيء لإصلاح الأمر أو لمحاولة بناء علاقاتٍ معنا. لذلك أعلم جيدًا إلى ما سيؤول الأمر. وكان من المؤلم أن أُفكر في هذا الرفض الذي يتكرر حدوثه معي. ولا أُفضِّل أن أصل إلى تلك النقطة.

التزمت كوكو ومادي الصمت لدقيقة يُفكران في الأمر. ثم تمتمت كوكو:

- لكنكِ *وصلتِ* إلى تلك النقطة. ولهذا اتصلتِ بنا. ومن المحتمل أن هذا هو السبب وراء شكوكك حول ما تريدين فعله بشأن شيب. ولكن بصرف النظر عن هذا، إذا ذهبتِ لمقابلته، ربما ستتوقفين عن تجربة ذلك الرفض مرة وراء مرة مرارًا وتكرارًا كل يوم. ربما تستطيعين أخيرًا التقرُّب منه لترَي ما هو عليه حقًّا. وربما ستتوقفين عن الأمل في تغييره وتعرفين حقًّا –مرة وللأبد– أن شيئًا لن يتغير.

كانت مادي تومئ برأسها، لكن حاجبيها مُقطَّبَان.

سمحتُ لكلمات كوكو أن تنفذ داخلي. كنتُ أعرف أنها على حق لأن موجة عالية من الاشتياق إلى شيب قد اجتاحتني، ولم أتمكن من جرف أي من تأثيرها الذي يُصيب بالدوار. وضعتُ رأسي بين كفيَّ، وانتظرت كوكو ومادي حتى هدأت العاصفة.

- هل تفكرين في الذهاب الآن؟ برفقتي؟ (سألتُ).

فوعدتني كوكو:

- أجل، أفكر في ذلك.

مكتبة
t.me/t_pdf

تعمدت مادي البقاء على صمتها، حتى ...

- وكذلك مادي (قالت كوكو بإيضاح).

قبضت مادي على كوكتيل الليمون المسموم وسكبت لنفسها كأسًا كبيرة، ثم صفعت الدورق على سطح الطاولة.

- كلا. لا رغبة لي في التحدث إلى هذا الأبله.

- ربما تكتشفين شيئًا ما أو أكثر عن نفسك مادي.

- حسنًا أيتها الأم تريزا. هل يمكننا التوقف عن التحدث عن أنفسنا الآن ونبدأ في فعل شيء مفيد مثل مشاهدة مسلسل *شاج* على قناة تي بي إس بعد ست دقائق؟ (توسلت مادي).

ضحكتُ أنا وكوكو. انتهت المحادثة ... في الوقت الحالي. ثم بدأت كوكو تُغني «أووووه أيتها الشاحبة![1]»

- لا يمكنني الشعور بأسناني (قلتُ بينما تتداخل الكلمات بعضها بين بعض في فمي).

كان هناك شعور عصيب بداخل تجويف بطني، شعور يقترب من مرحلة الخوف. وما كان متوقعًا كان الأسوأ، سنذهب لمقابلة أبي الذي ليس أبي.

***

كانت صالة الاستقبال في مكتب أبي الذي ليس أبي شديدة البرودة، وكانت يداي ترتجفان، لذلك جلستُ عليهما. فأقل ما يمكنني فعله هو أن أترك علامات كفي المتعرِّق على كُرسيه. وفكرتُ بسخريةٍ في أن *هذا سيُريه كل شيء!* ... ثم اضطررتُ إلى عض شفتيَّ لتجنب الانفجار في نوبة من الضحك العصبي. وعلى الرغم من أنها لم تكن منطقة محايدة، وافق ثلاثتنا على مقابلته هنا. يمكننا أن نُغادر متى أردنا. وعلى الأقل كان مكانًا خاصًّا ومنفردًا.

- هل أجلب لأي منكم كوبًا من الماء؟ (عرض أبي الذي ليس أبي عندما أذنت لنا مُساعِدته بالدخول إلى مكتبه).

هززت رأسي ممانعة، جمعتُ الهواء في نفسٍ واحد وبدأت مباشرة فيما جئنا لأجله:

- لماذا غادرت؟

تنهد أبي الذي ليس أبي، ثم قال:

---

(1) أغنية بعنوان Oh, Blue من غناء بيني سيغر صدرت عام 1957 م. صدرت في ألبوم لأجل الأطفال. تتحدث عن أحد الطيور المريضة التي طلبت حضور الطبيب لأن لونها تحول إلى اللون الأزرق من الشحوب. (المترجم)

- كنتُ أعلم أنكِ ستسألينني عن ذلك.

جلست مادي مُجمدةَ الأوصال على الكرسي بجانبي لكنها لم تنطق شيئًا. ويمكنني القول من تعبيرات وجهها إنها كانت تُحاول جاهدةً ألّا تتدخل في الحديث.

- حسنًا، لقد مضى نحو تسعة وعشرين عامًا، لذا أعتقد أنك على الأقل تدين لنا ببضع دقائق من وقتك اليوم (أجبتُه بردٍّ مُفحِم).

وتساءلتُ بيني وبين نفسي كيف يجرؤ على الشعور بالضيق من سؤالي عما أتمتع بالحق في معرفته؟

- بالطبع.

أجابني كما لو أنه يُحاول استرضائي، مما زاد الطين بلة ولم يُثر سوى المزيد من الغضب تجاهه.

- كيف يمكنكَ أن تفعل ذلك معنا؟ لم نكن حينها سوى أطفال عاجزين.

نظر إلى عينيَّ مباشرة ثم قال:

- لم أتعمد أن أترككم أنتم، بل كانت والدتكم هي من تركتُ، لقد أحببتها، لكنه لم يكن حبًّا كافيًا، وكنتُ أعلم ذلك حتى قبل زواجنا، لكنني فكرتُ أن الأمر سيصير أفضل عندما نُنجب أطفالًا. وبدلًا عن ذلك، جعلني كل هذا أُدرك أنه لا يمكنني أن أستعبد نفسي للحياة معها. ونويتُ أن أعيد بناء علاقتي معكن أنتن الثلاثة بعدما ينقشع الغبار قليلًا بيني وبين أُمِّكن. ثم صارت سوزان حاملًا، ثم بدا الأمر غير ضروري بعد ذلك.

نهضت مادي واقفةً ثم بدأت تهمس بكلمات بذيئة من بين أنفاسها. أعتقد أنني سمعتها تقول «سأخنقه بربطة عنقه»...

كانت أظافري تنغرس في راحتيَّ حتى شعرتُ بالدماء تغطي أناملي. وضعت كوكو يديها على يدي لتغطي تلك الدماء. بدا صوتي مرتعشًا، لكنني تمكنتُ من أن أُجيبه هامسةً:

- حتى نحن؟

رفع كتفيه مستهجنًا. هزة كتف. هذا ما حصلتُ عليه من إجابة عن أسئلتي التي وضعتُ لأجلها قلبي بين يدي أعتصره حتى يتحمل. هزة كتف كانت كمطرقة حطمت قلبي. تابعتُ طرح أسئلتي:

- لماذا كان الأمر مختلفًا معهم؟

- بسبب الطريقة التي أحببتُ بها سوزان (أجاب دون تفكير).

تذكرتُ كيف كنتُ أحوم حول المنزل أفتح الأبواب مفتشةً عنه لأسابيع قبل أن تُخبرني مادي بأن أتوقف عن ذلك لأنه جعل أمي تبكي كثيرًا. أما كوكو فلم تتحدث عن أبي الذي ليس أبي طوال عامٍ كامل بعد ذلك، لكن ظل حاجباها قاطبين منذ ذلك الحين. أما مادي فقد اعتادت اللجوء إلى غرفتها -حتى في المرحلة الثانوية- وتشغيل أسطوانات موسيقى الروك خاصتها بأعلى صوت. لكن الصوت لم يكن عاليًا حتى يغطي شهقات بكائها المُجهش.

- أنتَ إنسان سيئ (قلتُ).

فأجاب:

- سترين الأمور من تلك الزاوية.

أجفلتُ كما لو أنه قد أنزل مطرقةً على رأسي. كان هذا أكثر شيء مؤلم يمكن أن ينطق به. لأن المقصود هو تلك الكلمات التي لم ينطق بها: *أُحب عائلتي. وأنا أبٌ جيدٌ لهم. وهذه هي حقيقتي التي يرونني بها.*

كان هناك المزيد من التساؤلات، وكان هناك الكثير من جمرات الغضب. يمكنني أن أشعر به الآن يُصارع الحزن والإحباط، الحقيقة التي تقول إنه لم يكن هناك مفاجآت في تلك المقابلة – لقد كان بالضبط على الصورة التي اعتقدتُ أنه سيكون عليها. باستثناء أنها كانت أسوأ قليلًا، وأدركنا أنه شخصٌ أكثر برودًا مما توقعنا. أردتُ أن أقذف ثِقَّالة الورق على رأسه، ربما الحاسوب، أو الكُرسي. أردتُ أن أكسر رقبته، لأجل أمي، لأجل مادي، لأجل كوكو، ولأجلي أنا أيضًا.

نهضت كوكو ثم قالت:

- أعتقدُ أننا انتهينا هنا، أليس كذلك دوو؟

- أجل (أجبتُها بينما أتناول حقيبتي).

- كلا، لا أعتقد ذلك! (صاحت مادي).

ثم التفتت إلى أبي الذي ليس أبي بينما يشتعل الغضب في عينيها وصوتها. ثم تابعت:

- أنت رجل خبيث الرائحة...

هكذا بدأت ثم انفتحت أبواب الفيضان، واستخدمت مادي كل كلمة بذيئة سمعتها طوال حياتي. حتى إنها قد تألقت في تأليف القليل وكان وليد اللحظة. ثم أنهت حديثها:

- هيا بنا! (قالت وهي تصفع الباب من خلفنا).

ليس قبل أن نسمع أبي الذي ليس أبي يقول:

- لغةٌ راقية كوكو!

لم يتمكن من تفريقنا عن بعض! بدا الآن بطريقة ما لم يكن باديًا من قبل: ليس بيننا وبين هذا الرجل أي شيء مشترك سوى الدم.

كنتُ على قدرٍ من القوة حتى إنني لم أغرق في أمواجٍ من دموع الغضب في اللحظة التي وصلنا فيها إلى موقف انتظار السيارات. وبدلًا عن ذلك، فكرتُ في تعبيرات الوجه الصادمة على وجه أبي الذي ليس أبي بينما كانت مادي تُمطره بوابل اللعنات والسُّباب من كل شكل ولون. انفجرت ضحكةٌ من حلقي، وسمحتُ لها بالعبور حتى عبَّرت عن نفسها وبدت كالعواء أو الصراخ. لم يكن الجزء الأفضل فيما حدث هو الكلمات النابية الجديدة التي تعلمتها أو حقيقة أن شقيقاتي كانتا تضحكان حد البكاء معي. بل كان الجزء الأفضل فيما حدث هو الشعور الأخير بالحرية. التحرر من الماضي.

***

بحثت كثيرًا في مؤخرة خزانتي وخلف صناديق الأحذية حتى وجدتُ يديَّ تقبضان على حقيبة ورقية بيضاء صغيرة. وكان هناك كتابٌ بداخلها. سقط إيصال الشراء منها بينما كنتُ أخرجها من الخزانة. بتاريخ 17 فبراير 2008.

كان الإيصال لنسخةٍ من رواية *غادة الكاميليا*[1] التي قد ابتاعتها مادي لأجلي في رحلة عيد ميلادي قبل أن تنشأ علاقتي وشيب بمدة قصيرة. وفي يوم خطبتنا، قدمتُ إليه نسخة من الرواية، وعندما رحل خبأتُ نسختي بعيدًا إلى جانب الإيصال. وأرى أنه قد مرَّ وقتٌ طويل لم أقرأ فيه الكتاب.

كانت عاطفتي مستنزفة مما حدث هذا اليوم. ولم أستطع التفكير بعقلانية، ناهيك بالانغماس في بعض المآسي الرومانسية. وقررتُ أن أقرأ بضع صفحات لأنعش ذاكرتي. وعندما أحصل على قسطٍ جيد من النوم سأكمل بقية الرواية.

***

بعد أربعِ ساعات كانت الدموع تشق طريقها مثل ينابيع المياه المتدفقة، وبدا فراشي كما لو أن قنبلة من المناديل قد انفجرت فيه. كانت المأساة الحقيقية في الكتاب هي أن مارجريت وأرماند لم يُخبرا بعضهما بعضًا قط عما يشعران به (تنبيه لحرق الأحداث!) حتى فات الأوان وماتت مارجريت. وفكرتُ في نفسي: *الحياة قصيرة للغاية. عليك أن تُخبر الأشخاص الذين تُحبهم عن حبك لهم. عليك أن تثق بأنهم يحبونك مثلما تُحبهم بالقدر الذي تُحبهم به مهما ارتكبوا من أخطاء.*

الأهم من هذا كله هو التوقف عن لوم نفسك ومعاتبتها. يمكن للأمور السيئة أن تقع أحيانًا. قد يكون خطؤك في بعض الوقت، وقد لا يكون في وقتٍ آخر. وقد لا يكون خطأ أي شخص في أحايين أخرى.

لم يكن هناك ما يمكنني فعله حتى يتغير قرار أبي الذي ليس أبي عندما قرر أن يتركنا. وأخيرًا توقفتُ عن التفكير فيما إذا كنتُ أكثر ذكاءً ولُطفًا وأقل تذمرًا، لكان الحصاد مختلفًا عما هو عليه. أعرف الآن أن حصاد قصة حبي وحياة أطفالي المستقبليين سيكون مختلفًا عما حدث مع أمي وأبي الذي ليس أبي.

---

(1) رواية غادة الكاميليا هي رواية فرنسية رومانسية كتبها ألكسندر دوماس الابن. نُشرت عام 1848. (المترجم)

وفجأةً أدركتُ العطية الكُبرى من كل ما حدث معي. تلك التي ساهم فيها شيب عندما قرر الرحيل أيضًا. تلك التي تآمر أصدقائي وعائلتي ووحدتي وكل أُناس المدينة وكُتبي –طوال الشهور الأليمة الماضية– في منحي إياها: يمكنني الإيمان بأن كل شيء سيصبح بخير حتى لو لم أكن مثالية دائمًا. حتى لو توقفتُ عن بذل قصارى جهدي لأجعل الجميع سعداء حتى إنني نسيتُ ما أريده بالمقابل وما أستحقه لما أنا عليه الآن، بجميع عيوبي ومزاياي. ذاك الشخص الذي أحَبه شيب وذاك الشخص الذي كان سيعود إليه شيب فيما بعد. ولكن الأهم من كل هذا هو الشخص الذي أصبحتُ عليه بمفردي ولأجل نفسي.

بعد عشرين دقيقة فتح شيب الباب على طرقاتي المحمومة. ألقيتُ بذراعيَّ حول رقبته وشعرتُ أن ذراعيه تحيطان بي أيضًا. كانت ضمته قويةً بالحُب لكنها رقيقة بالارتياح.

- لقد عُدتِ! (صدرت كلماته السعيدة همسًا بين خصلات شعري).

تمتمتُ:

- أجل! (بينما كنتُ أقول في نفسي: *وأنتَ أيضًا*).

أخذ شيب بيدي ليقودني نحو الأريكة، كان يُراقبني من كثب كما لو كان خائفًا من فراري.

- دوو، إذا كنتِ تُريدين طفلًا فيمكننا البدء في المحاولة الآن. أو نبدأ في ملء أوراق التبني (نطق لسانه بالكلمات دون تفكير).

- لا أعتقد ذلك شيب!

- أعلم أنني سأستغرق وقتًا حتى أكتسب ثقتكِ مرة أخرى. لكن التبني الدولي قد يستغرق عدة سنواتٍ على أي حال. وأنا مستعدٌ متى ما كنتِ مستعدة.

تخيلتُ أن أحدهم يقول تلك الكلمات –*دعينا نفعل ذلك معًا*– منذ وقتٍ طويل. لكن الأمور كانت قد تغيرت. وأنا تغيرتُ أيضًا. أعرف الآن أن اللعب مع تيرابيثيا لساعاتٍ قليلة، حتى لو كان كل يوم، لا يشبه تمامًا السهر بجانبه طوال الليل عندما تنتابه الكوابيس في الليل أو عندما يعجز عن النوم بسبب

اشتياقه إلى سوليفان. لم أكن لأضطر إلى إعادة ترتيب جدولي في الثواني الأخيرة واللجوء إلى مُدرِّس بديل في المدرسة عندما يمرض، لأمكنني أن أفعل وكنتُ لأفعل كل ذلك وأي شيء آخر حتى أُبقيه سعيدًا بخير وفي أمان. وأدركتُ بالفعل أنني لم أكن مستعدةً لفعل ذلك بمفردي على الرغم من كل شيء.

بدا وكأن شيب قد عاد إلى الأبد لكنه لن يعرف أبدًا ما سيجلبه لنا اليوم التالي. أدين بكل شيء إلى طفلي المستقبلي ليطمئن إلى أنني لن أعود إلى المنزل مع والديّ أو أنتقل للعيش مع مادي أو كوكو ومارك. لا أريد أن أغادر شاتسورث. لا أريد أن أترك مكتبة الاستعارة؛ هما جزآن مهمان في حياتي أيضًا.

- كلا شيب. لقد كنتَ على حق، فأنا لستُ مستعدة بعد.

اتسعت عينا شيب ثم قال أخيرًا:

- حسنًا. إذًا سننتظر، وأنا سأنتظر (كان وعدًا منه بذلك).

***

كُنا مختلفين بعضنا عن بعض؛ كان ثابتًا وواثقًا، كان حاضرًا ومستمعًا، أما أنا فكنتُ حاضرةً أيضًا بطريقة لم أعهدها من قبل قط. وكنتُ مستمرةً على حبه كما لو أن حماسًا سائلًا يسري في عروقي. وإذا ظل ينظر إليَّ بتلك النظرة -النظرة التي تقول مخلصٌ دائمًا إلى دوو- وإذا حافظنا على اكتشاف عاداتنا الجديدة معًا - مثل تناول الوجبات الطويلة وقراءة الكتب معًا بينما تتقاطع ساقانا ونتشارك بهجتي في المكتبة ونتحدث حول كل شيء طوال الوقت - يمكننا حينها أن نعود إلى سابق عهدنا ونتقدم خطواتٍ للأمام معًا.

ودون أي تعليق، وضع شيب عُلبة الخاتم على مكتبي. لم أكن متأكدة متى ظهر الصندوق هناك مرة أخرى، وحينها كانت حياته قد نُسجت في حياتي مرة أخرى، تلك الضبابية المُربكة الرائعة لكل يوم وراء الآخر نقضيه معًا. كنتُ قد عدتُ إلى ارتداء الخاتم في بعض الأوقات. وأدركتُ أنني أرتديه يومًا وراء يوم.

الفصل الخامس والعشرون

يونيو *2009*

كان قد أُطلِق سراح إلميرا من العقاب في الوقت المناسب لعطلة الصيف. وعلى الرغم من أنها بدت مرتبكة في أثناء رحلتنا القصيرة بالسيارة إلى وجهتنا الخاصة، كنتُ أعلم تمامًا ما تشعر به حينها.

وبعدما انتظرنا قليلًا في صفوف السيارات للوصول إلى موقف الانتظار، وجدنا بقعة فارغة باتجاه طريق العودة. كان هذا مناسبًا تمامًا لي، وقد منحني المزيد من الوقت حتى أتلذذ بالمناظر كلما اقتربنا.

مرحبًا بكم في مكتبة شاتسورث - عهد جديد من التجديدات والتحسينات! كانت اللافتة على واجهة البناء تضج بتلك الكلمات. وكنتُ أنا غارقة في فيض من الامتنان والعِرفان.

نظرتُ وإلميرا بعضنا إلى بعض ثم ضحكنا.

لم أستطع التصديق بأنه قد مرَّ عامان بالفعل. بدأ الأمر بإزالة الأسبستوس، ثم الأنظمة الأخرى، ثم المشكلات المالية والانتكاس، وعلى الرغم من ذلك وبينما كنتُ منغمسة في حكايات مكتبتي الخاصة، كانت مكتبة شاتسورث تتعافى ببطء ورويِّة. وصارت الآن أخيرًا جاهزة لإعادة الافتتاح –كان ذلك بفضل شيب– في حفلٍ كبير.

- شكرًا لكِ كثيرًا آنسة فيرسيل على اصطحابي معكِ. لقد طلبتُ من أمي وأبي، لكنهما قالا ...

- هذا من دواعي سروري إلميرا.

ثم أحطتُها بذراعيَّ وضغطتُّ على كتفيها حتى لا تُضطر إلى إخباري عن السبب أو تبرير أي شيء. كنتُ أشعر بوخزٍ مؤلم لأجلها لكنني صرفتُ ألمه عن فِكري.

- مهلًا! لقد نسيتُ أن أخبركِ بأن أمي قد خبزت لي كعكًا في إحدى الليالي للاحتفال بعلاماتي الجيدة. وابتاعت لي أيضًا خمسة كُتبٍ جديدة.

كانت تنطق بالكلمات بينما تبرق عيناها وتُوحيان بأن ما حدث أمرٌ مهم للغاية. أعترف بأنني عجزتُ عن النطق حينها.

أمِن الممكن أن تتغير ليلى بيل بعد كل هذا؟

أجبتها:

- هذا مُدهش!

- سأحضر لكِ قطعة منها غدًا.

وقفت حفنة من الزائرين داخل المدخل بثيابهم الأنيقة البرَّاقة. وعادت جيرالدين إلى سابق عهدها تُرحب بالحضور أمام الباب. كانت قد تحصلت على درجة علمية في علم المكتبات بينما كانت المكتبة مُغلقة للتجديدات، ومن ثَمَّ فقد ترقَّت مؤخرًا إلى منصب مدير المكتبة الجديد. وكانت روبرتا وبعض من السيدات اللاتي كُنَّ يحضرن إلى حلقة القصة – واقفاتٍ أيضًا في الرواق. ومايك ولولا ورامون وكلوي وماليسا وديندرا وتيري، ثم إنديرا وأميشا والكثير الكثير من سُكان شاتسورث الآخرين.

كانت الأجواء احتفالية بينما كانت جيرالدين تقطع الشريطة، ثم اندفع الجميع إلى الداخل. كان هناك صفوفٌ طويلة من المكاتب التي تحمل أجهزة الحاسوب على الجانب الغربي، وفي المقابل على الجانب الشرقي تقع محطة الخدمات السمعية والمرئية ومكتب التوزيع باتجاه الباب الأمامي، وتقف الأرفف المُرتبة والمُنظمة في صورة استعراضية بين محيط الطاولات والكراسي. كانت المكتبة تبدو حديثة وأنيقة، لكن أنفي تحسس وجبيني تجعد من رائحة التجديد، والأفضل أن أمنحها بعض الوقت لتتشرب رائحة الكتب.

- هل تريدين التجول قليلًا؟ انطلقي!

شجعتُ إلميرا على أن تكتشف الأرفف، فاندفعت مسرعة.

الحقيقة أنني أردت الانفراد بنفسي لبرهة. كانت الحماسة قد انهمرت بداخلي عندما رأيت كل هؤلاء الناس يملؤون الفراغات بين أكوام الكُتب ويجلسون إلى الطاولات ويطرحون الأسئلة على المتطوعين أمام مكتب الاستعلامات، وآخرون يحتسون شراب البنش وآخرون يتناولون رقائق الكعك المُزيَّن.

صارت هناك مكتبة عامة رسمية لكل سُكان شاتسورث حتى يذهبوا إليها ويطلعوا على الكُتب مُجددًا. كان قلبي يحترق غيرةً وأنا أتطلع إلى جيرالدين. ربما لم يعد سُكان شاتسورث الآن في حاجة إلى مكتبتي الصغيرة الأقل تنظيمًا.

كانت جيرالدين قد قرأت تعبيرات وجهي فاتجهت نحوي ثم قالت:

- أعلم ما تُفكرين فيه الآن بالضبط. والحقيقة هي أن سكان المدينة سيظلون في حاجة إلى مكتبة الاستعارة؛ الكتاب خانة.

- أتمنى ذلك. أنا مسرورة لأجلك وممتنة لكل المساعدة التي قدمتِها إليَّ. والأهم من ذلك جيرالدين، هذا المكان رائع!

أومأت برأسها إيجابًا قائلةً:

- إنه كذلك، لكن رائحته لا زالت تشبه رائحة الطلاء، وسيستغرق وقتًا حتى تتغير الرائحة في مكانٍ كبيرٍ كهذا. بالإضافة إلى أنه لا يوجد أي أكوام من الكتب العشوائية أو الأفران القريبة لأجل نادي القراءة لعشّاق الطعام. وعلى الرغم من أننا قد وفَّرنا لوحة التعليقات من أجل الأطفال، فإنني أُفكر في بدء حلقة القصة لأجل الكِبار.

كانت جيرالدين تُخبرني بخططها المستقبلية حتى تحولت دمعاتي إلى ضحكات.

- والآن دعيني أُريكِ شيئًا ما.

ثم دعتني باتجاه الزاوية الشمالية الشرقية.

كانت نفسها الزاوية التي على شكل المفتاح ... تلك التي كانت دائمًا بقعتي المفضلة في المكتبة. إلا أنه بدلًا من النوافذ التي تمتد من الأرض حتى السقف، تحولت الجدران إلى أرفف كتبٍ خشبية ذات نقوشٍ معقدة من مشاهد مختلفة. تطلعتُ إليها من كثب. كان أحد تلك المشاهد من *حكاية بيتر الأرنب*[1]. ومشهدٌ آخر من *المُحرك الصغير الذي يمكن أن يكون*[2]. وواحد آخر من *يوم تساقط الثلوج*[3]. والآخر الذي تحسستُه من وراء دموعي المتساقطة كان من *كتاب الضفدع المغفَّل*. الكتاب المُفضل إلى تيرابيثيا. وفي منتصف الزاوية كان يقبع الكرسي الإسفنجي أيضًا، لكنه لم يكن مريحًا ومنفردًا، بل كان مريحًا ومُحاطًا بعشرات من الكراسي الصغيرة.

استغرقتُ عدة دقائق حتى أتلذذ بالمشهد، وكانت جيرالدين قد اختفت من جانبي. شعرتُ بذراع شيب تُحيط بخصري وذقنه تستقر على مقدمة رأسي. ثم قال:

- هل أعجبكِ؟

- جميلٌ للغاية! شكرًا لك.

- هناك شيءٌ آخر (استطرد قبل أن يقودني إلى مدخل الزاوية).

كان أصدقائي قد اجتمعوا هناك ينتظرونني ويتطلعون نحوي، وكانت ماكي وجيف قد انضما إليهم أيضًا. وفي أثناء مروري وسط هذا الجمع كانوا يتركون مساحة صغيرة لأجلي حتى يمكنني أن أرى ما هو مُعلَّق على الحائط.

كانت لافتة جيرية محفورٌ عليها قائمة بأسماءٍ لأشخاصٍ ما. في تلك اللحظة علَّقت جيرالدين:

---

(1) كتاب من قبل بياتريكس بوتر كتبته ورسمته عام 1893، إلا أنه نُشر عام 1901 بشكل خاص لرفضه من عدة دور نشر. (المترجم)

(2) المُحرك الصغير الذي يمكن أن يكون: عبارة عن قصة خرافية شعبية نُشرت في أمريكا عام 1930، وهو كتاب من قبل واتي بايبر. (المترجم)

(3) يوم تساقط الثلوج: كتاب من قبل عزرا جاك كيتس. *عنوان الكتاب ليس مُترجمًا وليست سوى اجتهادًا من المترجم. (المترجم)

- إنها لافتةٌ دائمة.

وفي مقدمة اللافتة قرأتُ: **يُعرب أهالي شاتسورث عن امتنانهم لكل أمناء المكتبة الذين يملؤهم الشغف واسعي المعرفة في تلك المدينة.** تفحصت عيناي في سباقٍ الأسماء المكتوبة حتى النهاية. كان اسم جيرالدين بارزًا هناك ... وأعلاه مباشرة كان اسمي. *دودي فيرسيل*.

صفَّق الجميع من حولي بينما تنهمر الدموع من عينيَّ.

- وسنستمر في الالتزام بعادتك من زرع بذور بسيطة من الحكمة الحصيفة في الكتب التي نُرشحها (قالت جيرالدين بينما كانت عيناها تنضحان بدموع الفرح).

فهمستُ:

- شكرًا لكم!

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السادس والعشرون

- لا أصدق أننا سنفعل ذلك حقًّا!

قال شيب بينما كان يربط حزام الأمان ويحشر إحدى المجلات في ظهر المقعد الذي أمامه. ظل يتطلع نحو النافذة كما لو أنه يتوقع رؤية البحر الأبيض المتوسط في حين أن طائرتنا لم تكن قد أقلعت من مطار لوجان بعد.

أمسكتُ بيديه وشددتُ عليها وحينها شعرتُ أن فقاعة الحماسة التي نشأت داخلي تتخذ طريقها نحو الأعلى. الحقيقة أنني لم أحظَ بعطلة حقيقية منذ سنوات. والآن سنتمتع بأسبوعٍ على شاطئ الريفيرا في فرنسا. وهناك سيكون عليَّ اتخاذ أصعب القرارات بين شوربة المأكولات البحرية إلى جانب الخبز المحمص بالثوم وجبن الغروبير أو الفطائر المحلاة بالحمص الساخن الذي غادر الشوَّاية لتوه وتعلوه رشَّات من الفُلفل الأسود والروزماري. وسنزور مدينة نيس أيضًا ونمكث عدة ليالٍ في سانت باول دو فينس. وبذلك يمكنني القول إنني أسير على خطى بعضٍ من الرسَّامين والموسيقيين والكُتَّاب المفضلين لديَّ، مثل جيمس بالدوين، وبيير بونارد، وميرو، وشاجال، وماتيس، ونينا سايمون، ومايلز ديفيس، وإيلا فيتزجيرالد.

- اكتشفتُ أن جميعنا يحتاج إلى عطلة (أجبتُه).

- بالتأكيد! أنا سعيدٌ للغاية لأننا نقوم بتلك الرحلة مع العلم بأن أمامنا شهر عسلٍ يحتاج إلى التخطيط في المستقبل القريب.

تطلع بعضنا إلى بعض ثم ضحكنا.

- والأمر الآخر أيضًا هو أنني أتساءل إن كان بإمكانكِ حقًّا الاستمتاع بأي عُطلة (استأنف شيب حديثه مازحًا).

- مهلًا! ماذا يعني هذا؟

- تعرفين أن أصعب القرارات التي من المفترض أن نتخذها هو ما إذا كنا نريد الاستلقاء في الفراش حتى وقت الغداء أم النهوض للسباحة.

أو أن هناك خيارات أفضل!

- لذلك ليس من المفترض أن تُمسكي بهاتفكِ طوال الوقت للاطمئنان على المكتبة أو إلميرا أو تيرابيثيا أو تلك المرأة التي أخبرتكِ ذات يوم أن ترشيحات الكتب التي تُقدمينها قد ساعدتها على تخطي محنة الطلاق. يمكن أن يكون الأمر صعبًا عليكِ أن تتخلي عن كل هذا.

كان يتطلع إلى وجهي بحاجبين مرتفعين لكن صوته لم يكن ذا نبرة انتقادية أو قلقة، ثم تكورت شفتاه عند الحافة.

في تلك اللحظة كان الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أُفكر فيه، هو شيب وابتسامته المُحببة إلي. كنتُ قد تعهدتُ بيني وبين نفسي أن أُزيد من إشراقها. والحقيقة أنني بالكاد أحجم نفسي حتى تبدأ تلك الأيام السبع في فرنسا لأبدأ في تنفيذ وعدي.

لذلك بينما كنتُ أقول له:

- ربما تكون على حق.

كنتُ أقول في نفسي: «*سنفكر في ذلك* ...»

شكر وعرفان

هناك الكثير من الناس ممن دعموا عشقي للكتب وأتاحوا لي الإمكانية والبهجة لأَخُط هذا الكتاب. منذ البداية، زرع والداي -فريد وساندي فوجيلسون- بداخلي شغفًا عميقًا للقراءة. كانت أُمي تقول لي دائمًا إن الجميع عباقرة ويمكنهم صُنع الجمال دائمًا؛ لقد علمتني أن أُصدِّق خيالي. وكان دعم والدي المستمر وحرصه عليَّ يعني لي الكثير في كل يوم.

وقد ألهمتني شقيقتاي جين ومارني بقلوبهما السخية العطوفة. لقد كنتُ فتاة محظوظة لتكون شقيقتي مارني هي صوت الأفكار الأول في أثناء كتابتي ودائمًا ما كانت على استعداد في أثناء تطور هذه الرواية. أما حِس الفكاهة لدى جين وروحها المرحة فهما شريان الحياة وحبل الإنقاذ في أوقاتٍ كثيرة لا حصر لها.

أما عن وكيلة أعمالي؛ ميج رولي، فقد آمنت بأن هذا الكتاب سيكون بداية الانطلاق وساندتني طوال رحلتي. كانت محادثاتي معها مثل معبر بين كوب من الشاي للاسترخاء وكأس من النبيذ اللامع. أتقدم إليها بجزيل الشكر على إيجادها مكانًا آمنًا لهذا الكتاب.

أتقدم بالشكر أيضًا إلى مراجعتي دانيل مارشال على جعلها هذا الكتاب منزلًا مُتقدًا بالحماس. أُقدر لها صبرها وتوجيهاتها طوال الطريق حتى ظهر هذا الكتاب للنور. أنا أيضًا ممتنة إلى هيذر لازار لأجل تعديلاتها الثاقبة؛ وكذلك إيرين كاليجان لأجل مساعدتها في رسم المنزل؛ وكذلك كيمبرلي جليدر لأجل تصوير سحر دودي وعالمها على الغلاف؛ وكذلك مايكل جي. توتين، وستيفاني تشو، وإيما ريه لأجل اهتمامهم بالتفاصيل؛ وكذلك جابريلا

دامبيت وفريق العمل في ليك يونيون/أمازون لأجل استقبالهم الدافئ وجهودهم المُضنية في مشاركة هذا الكتاب مع القُرَّاء.

قدَّم إليَّ الكثير من الأصدقاء الدعم والتشجيع وأفضل طرق الإلهاء طوال الطريق، لذا أتقدم لهم بجزيل الشكر. أنا مدينة على نحو خاص لصديقتي جينيفر بولي على كونها رئيسة فريق التشجيع المُلتزم والأم الخيالية للكتب طوال السنوات الماضية، وإلى آشيلي مارتابانو لأجل دعمها الأخلاقي وضحكاتها السعيدة.

أتقدم بامتناني الشديد إلى زوجي؛ ريتشارد كاناريلي، الذي ربما أجده يعشق الكتب بقدر عشقي لها. كنتُ في كل وقتٍ أسمع فيه صوت ضحكات طفلي الحازوقية معه في الغرفة المجاورة تساعدني على الاستمرار وتجاوز الكثير من تخبطات المراجعة العصيبة. كان الانتظار حتى البداية السعيدة معه أمرًا يستحق كل العناء.

وأخيرًا أتقدم بالشكر إلى بينجامين الذي حقق لي أُمنيتي في أن أصير أمًّا. أتمنى أن يُذكِّره هذا الكتاب في أحد الأيام بقدر حبنا له ورغبتنا في وجوده الدائم معنا. والأهم من ذلك، أتمنى أن يكون حينها قد أدرك –دائمًا– كم كان محبوبًا من الجميع.

موز. أناناس. قرفة. جُبن كريمي. حفنة من السكر المسحوق والزُبد. وكما تقول سوليفان: «إنها مزيجٌ غريب من النكهات» لكنها كعكة لذيذة! تبدو هذه الكعكة وكأنها ستفوز بقلوب كل من يُفكر في تذوقها. وفي الحقيقة هي كعكة حاملة للجوائز الحقيقية. أتقدم بجزيل الشكر (من نحو ملايين من المُعجبين، بما فيهم أنا) إلى السيدة/ إل. إتش. ويجنز التي تعيش في جرينسبورو، شمال كاليفورنيا. ظهرت وصفتها لأجل كعكة الطائر الرنان للمرة الأولى عام 1978، وفازت بجائزة الكعكة المُفضلة للقارئ عام 1990. تُعد حبات الجوز إضافة تقليدية، لكنني أعددتها الكثير من المرات دونها، ولم يلحظ أي أحد أن هناك شيئًا مفقودًا. يمكنكم أنتم أيضًا أن تستبدلوا بها ما تفضلونه على أن تكون النسبة 1:1 لكمية الدقيق الخالي من بروتين القمح.

وفي حين أن الوصفة الأصلية تكفي لإعداد كعكة ذات ثلاث طبقات، أجد أن كعكة الطائر الطنان ذات الطبقتين فقط ما هي إلا وصفة فاسدة (ولا أُمانع تحضير بعض من كعكات الكوب لتوزيعها أو تجميدها ليوم آخر عندما يغزونا الشره لتلك الكعكة). تُحفظ هذه الكعكة جيدًا في حاوية مُحكمة الإغلاق في الثلاجة لمدة أسبوع. وسيكون مذاقها أفضل في درجة حرارة الغرفة، لذلك إذا كان ذلك ممكنًا، يمكن إخراجها من الثلاجة قبل ساعة واحدة على الأقل من تقديمها.

هذا المقدار يكفي لتحضير كعكة واحدة مستديرة بثلاث طبقات سُمكها 9 بوصة أو كعكة واحدة مستديرة بطبقتين سُمكها 8 بوصة إلى جانب ست من كعكات الكوب.

3 أكواب من الدقيق متعدد الاستخدامات، بالإضافة إلى حفنة من الدقيق لأجل المقلاة.

1 ملعقة صغيرة من بيكربونات الصوديوم (صودا الخُبز).

½ ملعقة صغيرة من الملح.

2 كوب من السكر.

1 ملعقة صغيرة من القرفة المطحونة.

3 بيضات مخفوقة.

¾ كوب من الزيت النباتي (عادة ما أستخدم الكانولا)، بالإضافة إلى بعض الزيت لأجل دهن المقلاة.

1 ½ ملعقة صغيرة من مستخلص الفانيليا.

1 عُلبة (8 أرطال) من الأناناس المجروش غير المُصفى.

1 كوب من الجوز المقشور (اختياري).

1 ¾ كوب من الموز المهروس (3 إلى 4 حبات من الموز).

مُثلَّج الجُبن الكريمي (انظر الوصفة أدناه).

أنصاف من حبات الجوز لأجل التزيين (اختياري)

يُرجى تسخين الفرن إلى درجة حرارة 180 درجة مئوية. يُرجى دهن المقلاة وتمسيدها بالدقيق لأجل الكعكة المستديرة ذات الطبقات الثلاثة بسُمك 9 بوصة أو الكعكة المستديرة ذات الطبقتين بسُمك 8 بوصة، وأكواب كعكات الكوب (أو استخدم فاصلات كعك الكوب في مقلاة كعك المافن).

اخلط الدقيق وبيكربونات الصوديوم والملح والسكر والقرفة في وعاء كبير. أضف البيض و3/4 كوب من الزيت، مع التقليب جيدًا حتى تصبح المكونات الجافة أكثر نعومة. لا تضرب الخليط بمضرب البيض أو الخلاط. قلِّب الخليط من الفانيليا والأناناس وعصارته وكوب واحد من الجوز المقشور (إذا كان مستخدمًا) حتى يُصبح الخليط جيد الخفق.

اسكب الخليط في مقلاة الكعك المدهونة والمُمسَّدة بالدقيق وأكواب كعك المافن (إن كانت مستخدمة). اترك الخليط ليبرد لمدة 10 دقائق في المقلاة. وبرفق مرِّر السكين حول حواف المقلاة لتُساعد على تحرير الكعك. اقلب الكعكات على حامل سلكي، ودعها حتى تبرد تمامًا.

افرد مُثلَّج الجُبن الكريمي بين الطبقات وأعلى العجينة وعلى جوانب الكعك. يمكنك تزيينها بأنصاف من حبات الجوز إذا كنت ترغب في ذلك (تبدو لذيذة ولطيفة عندما تستقر في دائرة حول الحافة العلوية بالإضافة إلى بعض حبات الجوز التي تُوضع في المنتصف مباشرة).

مُثلّج الجُبن الكريمي

أنا أُحب كريمة التزيين المُثلَّجة، وأعتقد أن الكعك يكون في أفضل صوره عندما تغطيه طبقة سميكة ورائعة من كريمة التزيين المُثلَّجة. وهذه الوصفة لأجل مُثلَّج الجُبن الكريمي تصنع ما يكفي لتغطية كعكة الطائر الرنان. وحتى بعد وضع طبقات سميكة غنية بين طبقات الكعكة وتغطيتها من الخارج كُليًّا، ربما يظل هناك بعض من تلك الكريمة اللذيذة متبقيًا. وأوصي بشدة بغرس بعض من قطع الفراولة فيها، أو ربما ملعقة واحدة. ربما القليل من رقائق الشوكولاتة أعلى الكعكة لحُسن التدبير.

1 كوب من الزُبدة الناعمة غير المُملَّحة.

2 عُبوات (8 أرطال) من الجُبن الكريمي.

2 عُبوات (16 رطل) من مسحوق السكر المنخول.

2 ملعقة صغيرة من مستخرج الفانيليا.

أولًا؛ عجن الزُبدة والجُبن الكريمي بالخلاط على سرعة متوسطة إلى منخفضة. ثم إضافة السكر تدريجيًّا، والخفق على سرعة منخفضة حتى يُدمج الخليط جيدًا. ثم زيادة السرعة إلى المتوسط والخفق حتى تُصبح كريمة التزيين المُثلَّجة خفيفة ومنفوشة. ثم قلِّب بعد إضافة الفانيليا.

#913 مكتبة
t.me/t_pdf

انضم لمكتبة على تيليجرام ..
اكتب في خانة البحث .. t_pdf
واستعر ما شئت من كتب .. مجانا

مكتبة | سُر مَن قرأ

مكتبة الاستعارة

كانت الكتب هي كل شيء تمتلكه.. حسنًا، تقريبًا كل شيء.

عندما أغلقت مكتبة شاتسورث أبوابها، فقدت دودي فيرسي مكانها المُقدس. كيف يمكن لمُعلّمة رسم في مدينة صغيرة أن تتأقلم دون نصيحة الحياة التي لا تنتهي والمتعة طويلة الأمد التي تمنحها الكتب إياها؟ حسنًا، عندما كانت تتصرف على طبيعتها المبتكرة والسخيَّة، حوَّلت دودي الغرفة الزجاجية الشمسية في منزلها إلى مكتبة الاستعارة الصغيرة الخاصة بها.

بدأ الأمر بوصفه هوايةً تتمتع بها في أوقات الفراغ، إلا أن الملاذ الآمن لمُحبي الكتب قد جعل عالمها أكثر انفتاحًا بطرقٍ مذهلة. كانت دودي تعرف أن الكتب ذات قوة روحية، وفي وقتٍ قريبٍ جدًّا ستتمكن تلك الكتب من مساعدتها في تكوين الصداقات. حيث كانت تُبحر بين جيرانها الحمقى - وتجذب حياة رومانسية جديدة ومُدهشة. لكن عندما تضطرها فرصة تبنّي طفل يتيم - إلى كشف حلمها السري بالأمومة في الوقت الذي يكون الأمر فيه ممكنًا، عندئذ يبدو كل شيء أقل أهمية مما هو عليه. حتى تجد نفسها في مفترق الطرق، يجب أن تكتشف دودي ما الذي تعنيه حياة سعيدة وزاخرة. لو أن هناك كتابًا واحدًا فقط، يمكنه أن يدلها عما تفعله..

telegram @t_pdf

تصميم : كريم آدم

aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb

عصير الكتب

9 789776 902510